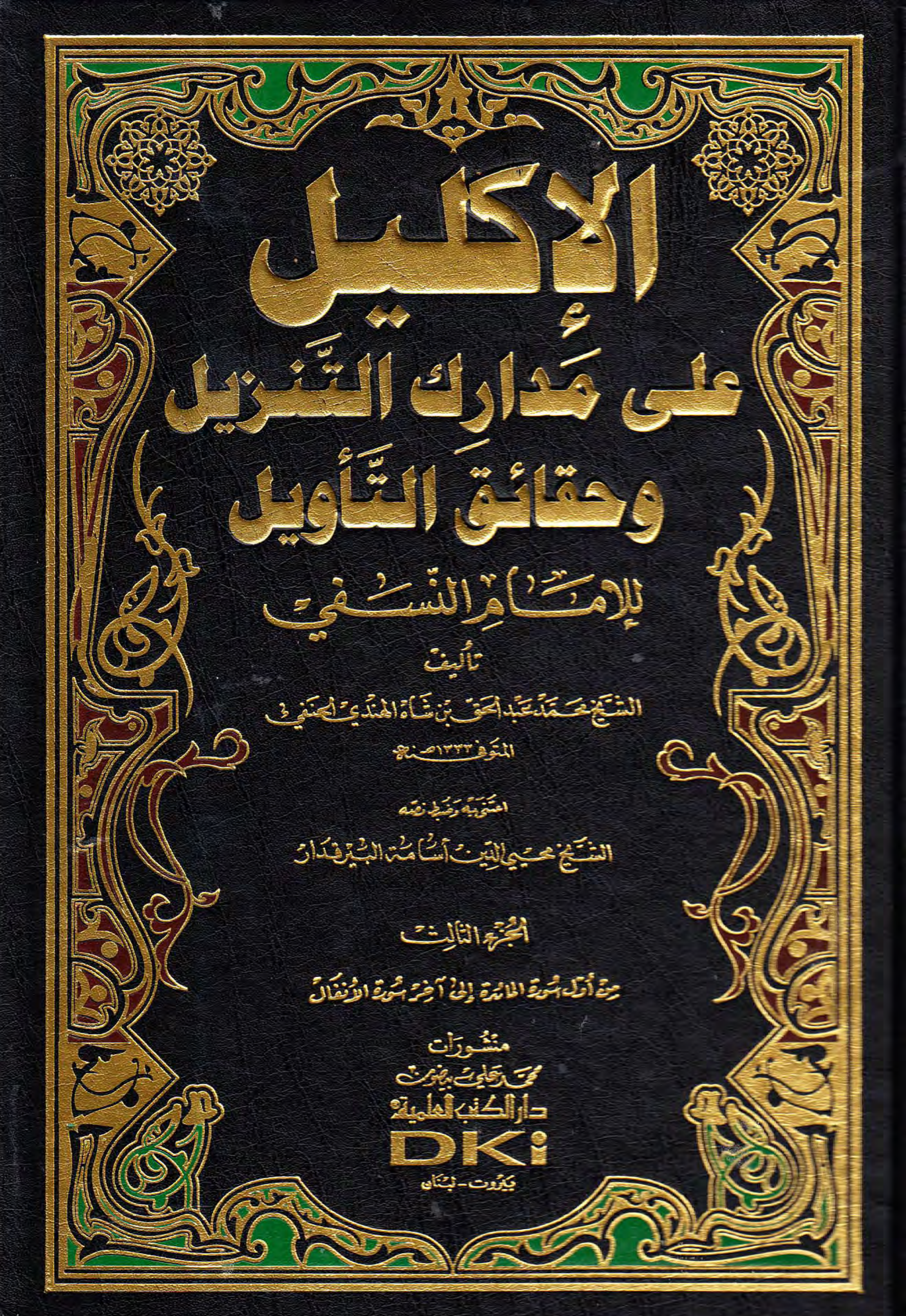

الإكليل
على مدارك التنزيل
وحقائق التأويل
للإمام النسفي
تأليف
الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي
المتوفى سنة ١٣٣٣هـ
اعتنى به وضبط نصه
الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار
الجزء الثالث
من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الأنفال
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان



تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي
المتوفى ١٣٣٣هـ

اعتنى به وضبط نصه

الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار

الجزء الثالث

من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الأنفال



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : الإكليل
على مدارك التنزيل وحقائق التأويل

Title : Al-Iklīl ʿala madārik al-Tanzīl wa ḥaqāʾiq al-Taʾwīl

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of The Holy Qur'an

المؤلف : محمد عبد الحق الحنفي (ت ١٣٣٣هـ)

Author : Muhammed Abd Al-Haq Al-Hanafi (D.1333 H.)

المحقق : محيي الدين أسامة البيرقدار

Editor : Muhiyiddin Ossama Al-Bayrqdar

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages : (7 volumes) 4608 عدد الصفحات: (7 أجزاء)

Size : 17*24 cm قياس الصفحات:

Year : 2012 A.D. -1433 H. سنة الطباعة:

Printed in : Lebanon بلد الطباعة : لبنان

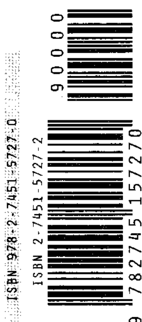
Edition : 1st (2 colors) الطبعة : الأولى (لونان)

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN 978-2-7451-5727-0

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(سورة المائدة)

(مدنية وهي مائة وعشرون آية)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ (**يقال وَفى بالعهد وأوفى**) به، والعقد العهد (**الموثق شبه بعقد الحبل**) ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم (**من مواجب التكليف**)، أو ما عقد الله عليكم، أو ما تعاقدتم بينكم. والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه، وأنه كلام قدّم مجملًا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي بمعنى «من»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة المائدة مدنية، وهي مائة وعشرون آية**)، وكلماتها ألفان وثمانمائة وأربع كلمات، وحروفها أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا. **قوله:** (**يقال: وفى بالعهد**) وفاءً (**وأوفى**) به إيفاءً إذا أتى ما عهد به ولم يغدر، والنقل إلى باب الأفعال لا يفيد شيئًا سوى المبالغة له. **قوله:** (**المؤثق**) بالتشديد والتخفيف، أي المحكم. **قوله:** (**شبّه بعقد الحبل**) بالحبل وشدّه بحيث يعسر الانفصال. **قوله:** (**من مواجب التكليف**) جمع مُوجب اسم مفعول، يعني أوجبته التكاليف من أداء الواجبات لزومًا، والمندوبات رجحانًا، واجتناب المحرّمات والمكروهات كذلك، وهذا أوفق بعموم اللّفظ وأوفى بعموم الفائدة، لكن الحمل على تحليل الحلال، أي اعتقاد حلّه والعمل على وفقه وتحريم الحرام كذلك أظهر نظرًا إلى ما يُشعر به سَوْق الكلام من الإجمال والتفصيل، لا يقال: السورة مشتملة

كخاتم فضة ومعناه، البهيمة من الأنعام (**وهي الأزواج الثمانية**). وقيل: بهيمة الأنعام: (**الظباء**) وبقر الوحش ونحوهما ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه وهو قوله: «حرمت عليكم الميتة» الآية ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من الضمير في «لكم» أي أُحِلَّت لكم هذه الأشياء لا مُحِلِّين الصيد ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من «مُحِلِّي الصيد» كأنه قيل: أحلَلْنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم مُحرِمون لئلا يضيق عليكم، والحُرُم جمع حرام وهو المحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من الأحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهيًا عن تحليل ما حرم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة وهي اسم ما أشْعَر أي جعل شعارًا وعَلَمًا للنُّسك به من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاجّ يُعرَف بها من الإحرام والطواف والسعي والحَلْق والنحر ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (**أي أشهر الحج**) ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾

على أُمّهات التكاليف في الأصول والفروع لا يختص بالتحليل والتحريم، وكفى بقوله تعالى: (﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾)، و﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المَائدة: الآية ٨]، فلا يلزم حصر المُجْمل على التحليل والتحريم، ولو سلم فليكن من التفريع على الأصل لا التفصيل للمجمل، كما يقول: امتثلوا أوامر الله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان؛ لأنّا نقول: المراد أن ما وقع في معرض التفصيل هو التحليل والتحريم، وظاهر أن ليس جميع السورة كذلك، وأن المذكور بالتفصيل أوفق منه بالتفريع. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**وهي الأزواج الثمانية**) من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين. **قوله:** (**الظِباء**) ـ بالكسر ـ جمع الظبيء.

قوله: (**أي أشهر الحجّ**): شوّال وذو القعدة وعشر ذي الحجّة، ولا اشتراك إلّا في شهر وبعض، ووجه الصحة أن معظمه من أشهر الحج، فغلب. اهـ تفتازاني

(وهو ما أُهدي إلى البيت) وتقرّب به إلى الله تعالى من النسائك وهو (جمع هدية) ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما قُلِّد به الهدي من نعل (أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره) ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ ولا تحلّوا قومًا قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعُمَّار، وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحُرمة الشعائر وأن يُحال بينها وبين المتنسّكين بها، وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدّون به الناس عن الحج وأن يتعرَّضوا للهَدي بالغَصْب أو بالمنع من بلوغ محله. وأما القلائد فجاز أن يُراد بها ذوات القلائد وهي البُدْن وتعطف على الهدي للاختصاص لأنها أشرف الهَدي كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨]. كأنه قيل: والقلائد منها خصوصًا، وجاز أن ينهى عن التعرّض لقلائد الهَدي مبالغة في النهي عن التعرّض للهَدي أي ولا تحلّوا قلائدها فضلًا أن تحلّوها كما قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: الآية ٣١] فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال من الضمير في «آمين» ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي ثوابًا ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ وأن يرضى عنهم أي لا تتعرَّضوا لقوم هذه صفتهم (تعظيمًا) لهم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ خرجتم من الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ إباحة للاصطياد بعد حَظْره عليهم بقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ جرم مثل كسب في تعديته إلى مفعول واحد واثنين، تقول جرم ذنبًا نحو كسبه وجرمته ذنبًا نحو كسبته إياه، وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني «أن تعتدوا» «وأن صدّوكم» متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض، (وبسكون النون شامي) وأبو بكر، والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **قوله:** (وهو ما أُهدي إلى البيت) أي بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة. **قوله:** (جمع هدية) بتسكين الدال. **قوله:** (أو عروة مزادة) ـ بفتح الميم ـ وهي السفرة من جلد. **قوله:** (أو لحاء) بكسر اللام ممدودًا (شجر) أي قشر الشجر. **قوله:** (أو غيره) من شراك نعل وغير ذلك ممّا يكون علامة على أنه هدي لئلا يتعرّضوا له، وإن عطب وذبح فلا يأكل منه إلا الفقراء دون الأغنياء. **قوله:** (تعظيمًا) مفعول له المقدار، أي قال ذلك تعظيمًا لهم. **قوله:** (وبسكون النون، شاميّ) أي ابن عامر الشامي وأبو بكر شعبة. والباقون بفتحها، وهما بمعنًى

(«**إن صدوكم**» **على الشرط: مكي وأبو عمرو**) ويدل على الجزاء ما قبله وهو «لا يجرمنكم» ومعنى صدّهم إياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين (**يوم الحديبية**) عن العمرة، ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم (﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾) على العفو (**والإغضاء**) ﴿**وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ**﴾ على الانتقام والتشفِّي، أو البر فعل المأمور، والتقوى ترك المحظور، والإثم ترك المأمور والعدوان فِعْل المحظور، ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى، ولكل إثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو (**والانتصار**) ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ**﴾ لمَن عصاه وما اتّقاه.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

ثم بيّن ما كان أهل الجاهلية يأكلونه فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي البهيمة التي (**تموت حَتْف أنفها**) ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المسفوح وهو السائل ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وكله

واحد. **قوله:** («**إن صدوكم**») بكسر الهمزة «**على الشرط. مكّي**» أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**)، والباقون بالفتح على أنها علّة للشنآن. **قوله:** (**يوم الحديبية**) الحُديبية قرية قريبة من مكّة سُمِّيت ببئر هناك، وهي مخفّفة وكثير منهم يشدّدونها. **قوله:** (**الإغْضاء**) إدْناء الجُفُون. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (**الانتصار**) الانتقام.

قوله: (**تموت حتف أنفها**) في المصباح: الحَتْف الهلاك. قال ابن فارس وتبعه الجوهري: ولا يبنى منه فعل، يقال: مات حَتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل، وزاد الصغاني: ولا غرق ولا حرق. وقال الأزهري: لم أسمع للحتف فعلًا، وحكاه ابن القوطية فقال: حتفه الله يحتفه حتفًا، أي من باب ضرب إذا أماته، ونقل العدل مقبول، ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفّس حتى ينقضي رمقه، ولهذا خصّ الأنف، ومنه يقال للسمك يموت في الماء ويطفو: مات حتف أنفه،

نجس. وإنما خصَّ اللحم لأنه معظم المقصود ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم «باسم اللات والعزّى» عند ذبحه ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ التي **(خنقوها)** حتى ماتت أو انخنقت **(بالشبكة)** أو غيرها ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ التي **(أثخنوها)** ضربًا بعصا أو حجر حتى ماتت ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي **(تردت)** من جبل أو في بئر فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ بعضه ومات بجرحه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح، والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها، فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمّى عليها حلّت ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظّمونها بذلك ويتقرّبون إليها تسمّى الأنصاب **(واحدها نصب)**، أو هو جمع والواحد نصاب ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ في موضع الرفع بالعطف على الميتة أي حُرِّمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام وهي **(القداح)** المعلّمة **(واحدها زُلم وزَلم)**، كان أحدهم إذا أراد سفرًا أو غزوًا أو تجارة أو نكاحًا أو غير ذلك **(يعمد)** إلى قِداح ثلاثة على واحد منها مكتوب «أمرني ربي» وعلى الآخر «نهاني» والثالث («**غُفْلٌ**»). فإن خرج الآمر مضى لحاجته، وإن خرج

وهذه الكلمة تكلّم بها أهل الجاهلية. قال السَّمَوْأل:

وما مات منّا سيِّدٌ حَتْفَ أنفه

قوله: (خنقوها) الخَنق احتباس النفس بسبب انعصار الحلق. **قوله: (بالشبكة)** الشبكة التي يُصاد بها، وجمعها شِباك. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (أثخنوها)** أثخنته أوهنته بالجراحة وأضعفته. اهـ مصباح. **قوله: (تردَّت)** أي سقطت. **قوله: (واحدها نصب)**. **قوله: (القِداح)** جمع القِدح ـ بكسر القاف وسكون الدال ـ السهم قبل أن يراش ويركب نصله. **قوله: (واحدها زُلم وزَلم)** في المصباح: الزلم ـ بفتح اللام وتضم الزاي وتفتح ـ القِدح، وجمعه أزلام، وكانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الأمر والنهي وتضعها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمرًا أدخل يده وأخرج قدحًا، فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كَفّ. اهـ. **قوله: (يعمد)** من باب ضرب. **قوله: (غُفْل)** ـ بضم العين المعجمة وسكون الفاء ـ الذي لا سِمَة عليه؛ لأنه أغفلت علامته، والمراد هنا أنه لم يكتب عليه.

الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أعاده، فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام. قال (الزجّاج): لا فرق بين هذا وبين قول المُنَجِّمين: «لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا» وفي شرح التأويلات ردّ هذا وقال: لا يقول المنجم: «إن نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا» كما كان فعل أولئك، ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى. ويجوز أن يجعل الله في النجوم معاني وأعلامًا يدرك بها الأحكام ويستخرج بها الأشياء ولا لائمة في ذلك إنما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه. (**وقيل: هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة**) ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة، ويحتمل أن يعود إلى كل محرم في الآية.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحوي، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله: (وقيل: هو الميسر)**، فلا يكون معناه طلب معرفة ما قسم له مما لم يُقسم، بل طلب كيفيّة قسمة الجزور.

قوله: (وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة) بأقداح الميسر، وهي عشرة أقداح: الفذّ، ثم التوأم، ثم الرقيب، ثم الحلس، ثم النّافس، ثم المسيل، ثم المعلى، وهذه الأقداح السبعة لها أنصباء من جزور ينحرونها ويُقسمونها على العادة المعلومة بينهم، والثلاثة الأُخر لا نصيب لها، وهو: السفيح والمنيح والوغد، كان أهل الجاهلية يجمعون عشرة أنفس ويشترون جزورًا ويجعلون لحمه ثمانية وعشرين جزءًا، ويجعلون لكل واحد من صاحب الأزلام نصيبًا معلومًا للفذّ سهم، وللتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة أسهم، وللحلس أربعة أسهم، وللنافس خمسة، وللمسيل ستّة، وللمعلى سبعة، ويجعلون الأزلام في خريطة ويضعونها على يد رجل، ثم يجعل ذلك الرجل يحرّكها فيخرج باسم كل رجل قدحًا منها، ومَنْ خرج له قدح من أرباب الأنصباء يجعله إلى الفقراء ولا يأكل منه شيئًا، ويفتخرون بذلك ويذمّون مَنْ لم يدخل فيه، ويسمّون البَرَم[1]، يعني اللّئيم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

---

(١) محركة من لا يدخل مع القوم في الميسر. اهـ قاموس.

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ ظرف لـ «يئس» ولم يُرد به يوم بعينه وإنما معناه الآن، وهذا كما تقول: «أنا اليوم قد (كبرت») تريد الآن. وقيل: أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عَرَفَة بعد العصر في (**حجة الوداع**) ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ يئسوا منه أن يُبطِلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وَفى بوعده من إظهاره على الدِّين كله ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾) بغير ياء في الوصل والوقف أي (**أخلصوا لي الخشية**) ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ ظرف لقوله: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بأن كفيتم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك: «اليوم كَمُل لنا المُلْك» أي كُفِينا مَن كنّا نخافه، أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الإسلام وقوانين القياس ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم (**منار الجاهلية**) ومناسكهم ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ حال. اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: الآية ٨٥] ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ متصل بذِكر المحرَّمات، وقوله: «ذلكم فسق» اعتراض أكد به

قوله: (كبِرْتُ) في مختار الصحاح: كبِر أي أسنّ، وبابه طرب، ومَكْبر أيضًا كمجلس، يقال: علاه المكبر، والاسم المكبرة ـ بالفتح ـ يقال: عُلت فلانًا كَبرًا وكَبُر، أي عظم يكبُر بالضم كِبَرًا بوزن عِنَب، فهو كبير وكُبار ـ بالضم ـ فإذا أفرط قيل: كُبّار ـ بالتشديد ـ.اهـ. **قوله:** (**حجّة الوداع**) بالفتح، في المصباح: وادعته مُوادعة صالحته، والاسم الوداع ـ بالكسر ـ ودَّعته توديعًا، والاسم الوداع ـ بالفتح ـ مثل سلم سلامًا، وهو أن تشيعه عند سفره.اهـ. **قوله:** (﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾) بغير ياء في الوصل والوقف. في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر وقف يعقوب[1] على ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ بزيادة ياء بعد النون، وحذفها الباقون في الحالين.اهـ. وقوله يعقوب بن إسحٰق، وليس من السبعة. **قوله:** (**أخلصوا لي الخشية**) مستفاد من ورود الأمر بخشية الله تعالى بعد النهي من خشية الكفار، فإنه لما نهى عن خشيتهم وأمر بخشيته كان خلاصة الكلام الأمر بإخلاص الخشية له تعالى، وأن لا يُخشى إلّا منه. **قوله:** (**منار الجاهلية**) استعارة لأُمورها من مناسكهم وغيرها.

---

(١) وهو من العشرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

معنى التحريم، وكذا ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامّة والإسلام المنعوت بالرِّضا دون غيره من المِلَل ومعناه، فمَن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ (مجاعة) ﴿غَيْرَ﴾ حال ﴿مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ مائل إلى إثم أي غير متجاوز (سدّ الرَّمق) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لا يؤاخذه بذلك ﴿رَّحِيمٌ﴾ بإباحة المحظور للمعذور.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٤)﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ كأنه قيل: يقولون لك ماذا أحلّ لهم. وإنما لم يقل: «ماذا أحلَّ لنا» حكاية لما قالوا، لأن «يسألونك» بلفظ الغيبة كقولك: «أقسم زيد ليفعلنّ» ولو قيل «لأفعلنّ» وأحلَّ لنا لكان صوابًا. و«ماذا» مبتدأ و«أحلَّ لهم» خبره كقولك: «أيّ شيء أحلَّ لهم» ومعناه ماذا أحلَّ لهم من المطاعم كأنهم حين تَلَى عليهم ما حرَّم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عمَّا أحلَّ لهم منها فقال: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ أي ما ليس بخبيث منها أو هو كل ما لم يأتِ تحريمه في كتاب الله أو سُنَّة أو إجماع أو قياس ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ عطف على «الطيبات» أي أحلَّ لكم الطيِّبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف، أو تجعل «ما» شرطية وجوابها «فكلوا» (﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ أي الكواسب) للصيد من سِباع البهائم والطير كالكلب و(الفهد والعقاب والصقر والبازي

قوله: (مجاعة) أي جوع. **قوله:** (سدّ الرمق) في المصباح: الرَّمَق - بفتحتين - بقيّة الروح، وقد يُطلق على القوّة، ويأكل المضطرّ من الميتة ما يسدّ به الرمق، أي ما يمسك قوّته ويحفظها. اهـ.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾[1] أي الكواسب) وهو جمع جارحة، بمعنى كاسبة، قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: الآية ٦٠]، وجوارح الإنسان أعضاؤه التي يكسب بها. **قوله:** (الفهد) سباع معروف. **قوله:** (والعُقاب) - بالضم - طائر. **قوله:** (والصَّقر) الطائر الذي يُصاد به. **قوله:** (والبازي) واحد البُزاة التي يصيد

---

(١) من قولهم: جرح فلان أهله خيرًا إذا أكسبهم، وفلان جارحة أهله، أي كاسبهم. ١٢ شهاب.

والشاهين)، وقيل: هي من الجراحة فيشترط للحلّ الجرح ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من «علمتم». وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بـ «علمتم» أن يكون مَن يعلم الجوارح موصوفًا بالتكليب، والمكلِّب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق (من **الكلب**)، لأن التأديب في الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه، أو لأن السبع يسمى كلبًا ومنه الحديث («**اللّهمّ سلّط عليه كلبًا**) من كلابك» فأكله الأسد. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال أو استئناف ولا موضع له. وفيه دليل على أن على كل آخذ علمًا أن لا يأخذه إلا مِن أنحرهم دراية، فكم من آخِذ عن غير متقن قد ضيَّع أيامه وعضَّ عند لقاء النحارير أنامله. ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من التكليب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه فإن أكل منه لم يؤكل إذا كان (صيد كلب) ونحوه، فأما (**صيد البازي ونحوه**) فأكله لا يحرمه (**وقد عرف في موضعه**).

ضرب من الصقور. **قوله:** (والشاهين) من سباع الطير ليس بعربيّ محض. اهـ لسان العرب. **قوله:** (من الكلب) بسكون اللام أصالة أو مخففة كَلَب بفتحتين. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله:** (**اللّهمّ سلّط عليه كلبًا**) قال ﷺ في حقّ عتبة بن أبي لهب، أو لهب بن أبي لهب، وقد آذاه وسبّه. قال الطيبيّ: هذا حديث موضوع، وليس كما قال، بل هو حديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي نوفل، قال: كان لهب بن أبي لهب يسبّ النبيّ ﷺ، فقال ﷺ: «**اللّهمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك**» أو كلبك، فخرج في قافلة يريد الشام فنزلوا منزلًا فيه سباع، فقال: إني أخاف دعوة محمّد، فجعلوا متاعه حوله وقعدوا يحرسونه، فجاء أسد فانتزعه وذهب به، قال الحاكم: وهو صحيح. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله:** (صيد كلب) ونحوه، أي من كل ذي ناب. **قوله:** (صيد البازي ونحوه) أي من كلّ مخلب. **قوله:** (وقد عرف في موضعه) يثبت (التعلم في ذي الناب بترك الأكل ثلاثًا)، ويثبت (التعلم في ذي مخلب بالإجابة إذا دعي بعد الإرسال، فلو أكل منه) أي من الصّيد (البازي أكل) أي يحلّ أكل الباقي من هذا الصيد؛ لأن تعلّمه بالإجابة لا بترك أكله بالإجماع، إلا عند الشافعي رضي الله تعالى عنه في الجديد لا (يؤكل لا) أي لا يؤكل (إن أكل منه الكلب أو الفهد، فإن أكل) ذو الناب من الصيد، أو ترك ذو المخلب (الإجابة بعد الحكم بتعلّمه حرم ما صاده بعده) أي بعد ترك الأكل ثلاث مرّات على

والضمير في ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾ يرجع إلى ما أمسَكن على معنى وسمّوا عليه إذا أدركتم ذكاته، أو إلى ما علمتم من الجوارح أي سمّوا عليه عند إرساله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ واحذروا مخالفة أمره في هذا كله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ إنه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه (لبث).

﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ الآن ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ كرره تأكيدًا للمنّة ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ (أي ذبائحهم) لأن سائر (**الأطعمة لا يختص حِلّها بالمِلّة**) ﴿وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾ فلا جناح عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حرامًا عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ هي الحرائر أو العفائف، وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لأنه يصحّ نكاح الإماء من المسلمات ونكاح غير العفائف. وتخصيصهن بعث على تخيّر المؤمنين لنُطَفهم وهو معطوف على «الطيبات» أو مبتدأ والخبر محذوف أي والمحصنات من المؤمنات حِلٌّ لكم ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ هُنَّ الحرائم الكتابيات أو

التوالي، أو بعد ترك الإجابة (حتى يتعلّم). اهـ ملتقى الأبحر بزيادة من شرحه مجمع الأنهر. **قوله:** (لبث) في مختار الصحاح: لبث أي مَكَث، وبابه فهم، ولَباثًا أيضًا ـ بالفتح ـ فهو لابث. اهـ. وفي المصباح: لبث بالمكان لَبْثًا من باب تعب، وجاء في المصدر السكون للتخفيف واللّبثة ـ بالفتح ـ المرّة ـ وبالكسر ـ الهيئة والنوع، والاسم اللُّبث ـ بالضم ـ واللّباث ـ بالفتح ـ. اهـ.

قوله: (أي ذبائحهم) لأن سائر (**الأطعمة لا يختصّ حلّها بالملّة**) أي بملّة دون ملّة، فلا حاجة إلى بيان حكمها في الدرّ المختار، وشرط (كون الذابح مسلمًا حلالًا خارج الحرم إن كان صيدًا) فصيد الحرم لا تحلّه الذكاة في الحرم مطلقًا، (أو كتابيًّا ذمّيًّا أو حربيا) إلا إذا سمع منه عند الذّبح ذكر المسيح. اهـ. وفي ردّ المحتار قوله: (ذمّيًّا أو حربيًّا) وكذا عربيًّا أو تغلبيًّا؛ لأن الشرط قيام الملّة هداية،

العفائف الكتابيات ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أعطيتموهنّ مهورهنّ ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ متزوجين (غير زانين ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾) صدائق (والخِدن) يقع على الذَّكر والأُنثى ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (بشرائع الإسلام) وما أحلّ الله وحرّم ﴿فَقَدۡ حَبِطَ﴾ بطل ﴿عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

وكذا الصابئة لأنهم يقرّون بعيسى عليه السلام، قهستاني. وفي البدائع: كتابهم الزبور، ولعلّهم فِرَق، وقدَّم الشارح في الجزية أن السامرة تدخل في اليهود، لأنهم يدينون بشريعة موسى عليه السلام، ويدخل في النصارى الإفرنج والأرمن، سائحاني. وفي الحامدية: وهل يشترط في اليهوديّ أن يكون إسرائيليًا، وفي النصارى أن لا يعتقد أن المسيح إلـه؟ مقتضى إطلاق الهداية وغيرها عدمه، وبه أفتى الجدّ في الإسرائيلي وشرط في المُستصفى لحلّ مناكحتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك. وفي المبسوط: ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب، إن اعتقدوا أن المسيح إلـه، وأن عزير إلـه، ولا يتزوّجوا بنسائهم، لكن في مبسوط شمس الأئمّة: وتحلّ ذبيحة النصارى مطلقًا، سواء قال ثالث ثلاثة أو لا، ومقتضى الدّلائل الجواز، كما ذكره التمرتاشي في فتاواه، والأَوْلى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوّج منهم إلا للضرورة، كما حقّقه الكمال ابن الهُمام. اهـ. وفي المعراج: إنّ اشتراط ما ذكر في النصارى مخالفٌ لعامّة الروايات.

قوله: (إلّا إذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح)، فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عنى به المسيح، قالوا: يؤكل، إلا إذا نصّ، فقال: باسم الله الذي هو ثالث ثلاثة، هندية. وأفاد أنه يؤكل إذا جاء به مذبوحًا. عناية: كما إذا ذبح بالحضور وذكر اسم الله تعالى وحده. اهـ. **قوله:** (غير زانين) أي مُعلنين بالزّنا بهنّ (﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾) صدائق تسرّون بالزّنا منهنّ. **قوله:** (الخِدْن) في المصباح: الخدن الصديق في السرّ، والجمع أخدان، مثل حمل وأحمال. اهـ. **قوله:** (بشرائع الإسلام) يريد بالإيمان شرائع الإسلام على أنه مصدر أُريد به المؤمن به كدرهم ضرب الأمير؛ لأن الإيمان نفسه لا يكفر به، والكفر الإباء عنه وجحوده وآلاته تذييل لقوله: (﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾) تعظيمًا لشأن ما أحلّه الله وما حرّمه وتغليظًا على مَنْ خالفه ذلك، فيقتضي أن يُراد بالإيمان أُمور الدِّين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل: الآية ٩٨] أي إذا أردت أن تقرأ القرآن، فعبَّر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مُسبَّب عن الإرادة فأُقيم المسبّب مقام السبب لمُلابسة بينهما طلبًا للإيجاز، ونحوه («كما تدين تُدان») عبَّر عن الفعل الابتدائي الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبّب عنه، وتقديره: وأنتم محدثون. عن (ابن عباس) ﵄: أو من النوم لأنه دليل الحدث: وكان رسول الله ﷺ والصحابة يتوضؤون لكل صلاة. وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجبًا أول ما فرض (ثم نسخ) ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ «إلى» تفيد معنى الغاية (مطلقًا)، فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٠] لأن الإعسار علّة الإنظار وبوجود الميسرة

قوله: (كما تُدين تُدان) أي كما تفعل تُجازى بفعلك. **قوله:** (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمّى البحر والحِبْر لسعة علمه. مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المُكْثِرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. رُوِيَ له عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منهاعلى خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين، ومناقبه كثيرة مشهورة.

قوله: (ثم نسخ) فيه ضعف من جهة أن لا يظهر له ناسخ من الكتاب والسنّة المتواترة، ومن جهة إطباق الجمهور على أن المائدة ثابتة كلّها لا نسخ فيها. اهـ تفتازاني ﵀. **قوله:** (مطلقًا) أي مع قطع النظر عن دخولها في الحكم، عن خروجها عنه.

تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرًا في الحالتين معسرًا وموسرًا. وكذلك ﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: الآية ١٨٧] لو دخل الليل لوجب الوِصال. ومما فيه دليل على الدخول قولك: «حفظت القرآن من أوله إلى آخره» لأن الكلام مَسوق لحفظ القرآن كله، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: الآية ١] لوقوع العلم بأنه عليه السلام لا يُسرَى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله، وقوله: «إلى المرافق» (**لا دليل فيه**) على أحد الأمرين فأخذ الجمهور بالاحتياط، فحكموا بدخولها في الغسل، وأخذ (**زفر**) و(**داود**) بالمتيقن فلم يُدخلاها. وعن النبي ﷺ أنه كان يدير الماء على مِرفَقيه ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ المراد إلصاق المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه، فأخذ (**مالك**) بالاحتياط فأوجب الاستيعاب، و(**الشافعي**) باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح، وأخذنا ببيان النبي عليه السلام وهو ما رُوي أنه مسح على ناصيته وقدّرت الناصية بربع الرأس ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ بالنصب:

قوله: (لا دليل فيه) أي من سوق الكلام.

قوله: (زفر) بن الهذيل بن قيس العنبريّ البصريّ الإمام صاحب الإمام، كان يفضّله ويقول: هو أقْيَس أصحابي، وتزوّج فحضره أبو حنيفة، فقال له زفر: تكلّم، فقال أبو حنيفة في خطبته: هذا زفر بن الهذيل إمام من أئمّة المسلمين وعَلَم من أعلامهم في شرفه وحسبه وعلمه. قال ابن معين: ثقة مأمون. وُلِد سنة عشر ومائة، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة، وله ثمانٌ وأربعون سنة.

قوله: (داود) بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف الظاهري، توفي سنة سبعين ومائتين.

قوله: (مالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمّة الأعلام، توفي سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الشافعي) هو الإمام البارع محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب القرشي المطلبي الشافعي الحجازيّ المكّي. توفي بمصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين سنة رحمه الله.

(شامي) ونافع وعلي وحفص. والمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير. غيرهم بالجر بالعطف على الرؤوس لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، تُغسل بصبّ الماء عليها فكانت (مَظِنَّة) للإسراف المَنهي عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبّه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها. وقيل: «إلى الكعبين» فجيء بالغاية (إماطة) لظن ظانٍّ يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تُضرَب له غاية في الشريعة، وقال في جامع العلوم إنها مجرورة للجِوار وقد صحَّ أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى قومًا يمسحون على أرجلهم فقال: («ويل للأعقاب من النار»)، وعن (عطاء): والله ما علمت أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهِّرها من الأوساخ التي تتصل بها لأنها تبدو كثيرًا، والصلاة خدمة الله تعالى، والقيام بين يديه متطهِّرًا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدي الملك، ولهذا قيل: إن الأولى أن يصلّي الرجل في أحسن ثيابه، وإن الصلاة متعمِّمًا أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ في التعظيم ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾ فاغسلوا أبدانكم.

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي. **قوله:** (مظنّة) بكسر الظاء، قال ابن فارس: مظنة الشيء موضعه. **قوله:** (إماطة) أي إزالة. **قوله:** (ويلٌ للأعقاب من النار) أراد أصحابها، وقيل: نفسها لعدم غسلها، والأعقاب جمع عقب ـ بفتح عين وكسر قاف وبفتح عين وكسرها مع سكون القاف ـ ومؤخّر القدم إلى موضع الشِّراك.

قوله: (عطاء) بن رباح مفتي أهل مكّة ومُحدثهم القدوة العلم أبو محمد، وُلِد في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة عمر، وهو أشبه، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وأُمّ سلمة وطائفة. وروىٰ عنه أيوب وحسين المعلم وابن جريج وابن إسحٰق والأوزاعي وأبو حنيفة وهمام بن يحيىٰ وجرير بن حازم وخلق كثير. قال أبو حنيفة: ما رأيت أفضل من عطاء، مناقبه في العلم والزهد والتألّه كثيرة رحمه الله تعالى، مات على الأصح في رمضان سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: سنة خمس عشرة بمكّة.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ قال (الرازي) معناه وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمّم بلا حدث ﴿مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ المكان (المطمئن) وهو كناية عن قضاء الحاجة ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتم ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمّم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالتراب إذا (أعوزكم) التطهّر بالماء ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ وليتمّ برخصه إنعامه عليكم (بعزائمه) ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيثيبكم.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي عاقدكم به عقدًا وثيقًا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال اليُسْر والعُسْر و(المنشط) و(المكره) فقبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا. وقيل: (هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة

قوله: (الرازي)، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الرازي المولد، الملقّب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة. توفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، سنة ستّ وستّمائة بمدينة هراة رحمه الله. **قوله:** (المطمئن) أي المنخفض. **قوله:** (أعوزكم)... الخ. يقال: أعوزني كذا بمعنى أعجزني، والعَوَز - بالفتح - العدم، والمراد بالتطهير رفع الحدث والمانع الحكمي. **قوله:** (بعزائمه) العزيمة ما شرع أصالةً، والرخصة ما شرع بناءً على الأعذار.

قوله: (المنشط) بفتح ميم ومعجمة مصدر بمعنى النشاط. **قوله:** (المكره) بفتح ميم وراء بمعنى الكراهة. **قوله:** (هو الميثاق ليلة العقبة) قال ابن الجوزي رحمه الله: كان هذه المبايعة في ليلة العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوّة. وأمّا العقبة الأولى، ففي سنة إحدى عشرة. قال عبادة بن الصامت: فبايعناه فيها على النساء، يعني ما ورد في سورة الممتحنة. (وفي بيعة

الرضوان) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في نقض الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ عُدّي «يجرمنكم» بحرف الاستعلاء مضمّنًا معنى فعل يتعدّى به كأنه قيل: ولا يحملنّكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي العدل أقرب إلى التقوى. نهاهم أوّلًا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرّح لهم بالأمر بالعدل تأكيدًا وتشديدًا، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله تعالى: «هو أقرب للتقوى» وإذا كان وجوب العدل مع الكفّار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمر ونهى ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠)﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ «وعد» يتعدى إلى مفعولين: فالأول «الذين آمنوا»، والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ والوعيد وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي لا يفارقونها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ رُوِيَ أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه الشيخان ـ أبو بكر وعمر ـ

الرّضوان) بالحُديبية سمّيت بها لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية ١٨].

(والختنان) يستقرضهم دِية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية (الضمري) خطأ يحسبهما مشركين فقالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نُطعمك ونُقرضك، فأجلسوه في (صُفَّة) وهمّوا (بالفتك) به، و(عمد) عمرو بن (جحاش) إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبي ﷺ ونزلت الآية. «إذ» ظرف للنعمة ﴿أَن يَبۡسُطُوٓاْ﴾ بأن يبسطوا ﴿إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالقتل، يقال بسط لسانه إليه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: الآية ٢] ومعنى بسط اليد مدّها إلى المَبطوش به ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ فمنعها أن تُمَدّ إليكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فإنه الكافي والدافع والمانع.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾

﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ هو الذي (ينقب) عن أحوال القوم ويفتّش عنها. ولمّا استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمَسير إلى (أريحاء) أرض الشام وكان يسكنها (الكنعانيون) الجبابرة وقال لهم: إني كتبتها لكم دارًا وقرارًا فاخرجوا إليها وجاهِدوا مَن فيها وإني ناصركم، وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبًا يكون

قوله: (والخَتنان) أي عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهما. في المصباح: خَتن الرجل عند العامّة زوج ابنته. اهـ. **قوله:** (الضمري) بفتح فسكون نسبة إلى بني ضمرة حيّ من العرب. **قوله:** (صُفَّة) أي ظلّة. **قوله:** (بالفتك) أي القتل على غفلة. **قوله:** (عمد) من باب ضرب. **قوله:** (جحاش) بكسر الجيم على يهودي.

قوله: (ينقب) من باب قتل. **قوله:** (أريحاء) بالمدّ كزليخاء[1] وكربلاء. **قوله:** (الكنعانيون) أولاد كنعان بن سام بن نوح عليه الصّلاة والسّلام، وهي أمّة

---

(١) بفتح الزاي وكسر اللام، قال شيخنا: والعوام ينطقون به على وجوه من الفساد منها التصغير ومنها التشديد، وكل ذلك خطأ. اهـ تاج العروس شرح القاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

كفيلًا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفَّل لهم النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسَّسون فرأوا أجرامًا عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدَّثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدِّثوهم فنكثوا الميثاق إلا (كالب) بن يوفنا و(يوشع) بن نون وكانا من النقباء ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ﴾ أي ناصركم ومُعينكم. وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقَسَم وهو ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وكانتا فريضتين عليهم ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ من غير تفريق بين أحد منهم ﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ وعظَّمتموهم أو نصرتموهم بأن تردّوا عنهم أعداءهم، والعزر في اللغة الردّ ويقال عزرت فلانًا أي أدّبته يعني فعلت به ما (يردعه) عن القبيح كذا قاله الزجّاج ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ بلا مَنٍّ وقيل: هو كل خير. واللام في ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ جواب للقسم وهذا الجواب سادّ مَسدّ جواب القسم والشرط جميعًا ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾ أي (بعد ذلك) الشرط المؤكد المتعلّق بالوعد (العظيم) ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق، نعم مَن كفر قبل ذلك فقد ضلَّ سواء السبيل أيضًا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم.

من الجبابرة ولغتهم تقرب من العربية. **قوله:** (كالَب) ـ بفتح اللام ـ ابن يوفنا ـ بفتح الفاء وتشديد النون ـ من سبط يهودا بن يعقوب كان ختن موسى على أخته مريم بنت عمران.

قوله: (يوشع) بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف بن يعقوب كان فتى موسى ووصيّه بعد موته. **قوله:** (يردعه) أي يمنعه.

قوله: (بعد ذلك) لشرط المؤكّد المعلّق بالوعد (العظيم) أورد عليه بأنّ الوعد بتكفير السيّئات وإدخال الجنّات جزاء للشرط، والجزاء هو المعلّق بالشرط، لا الشرط بالجزاء؛ فعبارة الكتاب على القلب. والجواب: أنه لا يريد بالتعليق مصطلح الأصول، أعني جعل أمر هو على خطر الوجود مرتّبًا ومقيّدًا حصوله بحصول شرط، ومسبّبًا عنه، بل معناه اللغوي، أعني جعل الشيء مرتبطًا بشيء ومتعلقًا به، وقد جعل الشرط مرتبًا بالوعد حيث أخبر بحصول الموعود بعد حصول مضمون الشرط.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ «ما» مزيد لإفادة تفخيم الأمر ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾ طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ يابسة لا رحمة فيها ولا لين. («قسية»: **حمزة وعلي**) أي رديئة من قولهم: «درهم قسي» أي رديء ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يفسّرونه على غير ما أُنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشدّ من الافتراء على الله وتغيير وحيه ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ وتركوا نصيبًا (**جزيلًا وقسطًا**) وافيًا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظٍّ عظيم، أو قست قلوبهم وفسدت فحرّفوا التوراة وزلّت أشياء منها عن حفظهم. عن (**ابن مسعود**) ﷺ: (**وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية**) وتلا هذه الآية. وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم، كانوا يخونون الرُّسُل وهؤلاء يخونونك ويهمّون بالفتك بك، وقوله: «على خائنة»

قوله: (قسيّة) بحذف الألف وتشديد الياء (**حمزة وعلي**) الكسائيّ. والباقون بالألف والتخفيف اسم فاعل من قسى يقسو. **قوله**: (**جزيلًا**) أي عظيمًا. **قوله**: (**قِسْطًا**) أي نصيبًا.

قوله: (**ابن مسعود**) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذليّ، أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمّة، وأمّره عمر ﷺ على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: (**وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية**). . . الخ. وفي معنى ما رُوِي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ورحمه:

شكَوْت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يهدى لعاصي

(أي على خيانة) أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة، ويقال: «رجل خائنة» كقولهم: «رجل راوية للشعر» للمبالغة. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا منهم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ بعث على مخالفتهم، أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ﴿وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ و«من» في قوله:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾

(﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾) وهو الإيمان بالله والرسل وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أي وأخذنا من الذين قالوا إنّا نصارى ميثاقهم، فقدّم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور. **(وإنما لم يقل «من النصارى»)** لأنهم إنما سمّوا أنفسهم بذلك ادّعاء لنصر الله وهم

وهذا رواه أحمد في مسنده. **قوله: (أي على خيانة)** بمعنى المصدر كالعافية، أو صفة فعلة على طريقة النسب كعيشة راضية، ولابن وتامرٍ، أو صفة لمؤنّث كنفس وفرقة، أو لمذكّر والتاء للمبالغة كرواية.

قوله: (وإنما لم يقل «من النصارى»)... الخ. يعني الظاهر أن يقال: ومِنَ النصارى أخذنا ميثاقهم، وعدل عنه إلى قوله: (﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾) إيماءً إلى أنهم ليسوا نصارى، بمعنى كونهم أنصار الله تعالى وأنصار دينه، بل إنهم نصارى بتسميتهم أنفسهم بهذا الاسم، وادّعائهم نصرة الله تعالى، حيث قالوا لعيسى عليه السلام: نحن أنصار الله، ثم إنهم غيّروا دين الله تعالى وصاروا فرقًا: نسطورية ويعقوبية وملكانية، زعمت النسطورية أن عيسى ابن الله تعالى، وزعمت اليعقوبية أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم، وزعمت الملكانية أن الله ثالث ثلاثة؛ فكانوا أنصار الشياطين، ولم يكونوا أنصار الله، وقد أمرهم عيسى عليه الصّلاة والسّلام بذلك، حيث قال لهم: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصّف: الآية ١٤]. وقوله تعالى: (﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾)، قال مقاتل: أخذ الميثاق على أهل الإنجيل كما أخذه على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمّد ﷺ ويتّبعوه، وهو مكتوب عندهم في الإنجيل، (﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾)، أي ما أُمِروا به من الإيمان وبيان

الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله. ثم اختلفوا بعد (نسطورية) ويعقوبية وملكانية أنصارًا للشيطان ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ فألصقنا وألزمنا من (غري) بالشيء إذا لزمه ولصق به (ومنه الغراء) الذي يلصق به ﴿بَيْنَهُمُ﴾ بين فرق النصارى المختلفين ﴿ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالأهواء المختلفة ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ أي في القيامة بالجزاء والعقاب.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خطاب لليهود والنصارى، والكتاب للجنس ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد عليه السلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من نحو صفة رسول الله ﷺ ومن نحو الرجم ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لا يبيّنه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ يريد القرآن (لكشفه) ظلمات الشِّرك والشك (ولإبانته) ما كان خافيًا على الناس من الحق، (أو لأنه ظاهر الإعجاز)، أو النور محمد عليه السلام لأنه يهتدى به كما سمِّي سراجًا.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي بالقرآن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ مَن آمن منهم ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله

نعته، وذلك حظٌّ عظيم فاتهم (﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾) وهم الذين آمنوا به واتّبعوه منهم. **قوله:** (نسطورية) نصب على الحال، أو في موقع المصدر، أي هذا النوع من الاختلاف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (غري) من باب صَدِي. **قوله:** (ومنه **الغراء**) بالكسر والمدّ، وبالفتح والقصر لغة أهل الحجاز.

قوله: (لكشفه) علّة إطلاق النور عليه، (ولإبانته أو **لأنه ظاهر الإعجاز**) علّة وصفه بالمبين من أَبَنْتُ الشيء أوضحته أو من أبان الشيء ظهر.

(فالسلام: السلامة، أو الله) ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ معناه (بَتّوا) القول على أن الله (هو المسيح لا غير). قيل: كان في النصارى قوم يقولون ذلك، أو لأن مذهبهم يؤدّي إلى حيث إنهم اعتقدوا أنه يخلق ويُحيي ويُميت ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ (فمَن يمنع من قدرته) ومشيئته شيئًا ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي إن أراد أن يُهلك مَن دعوه إلـٰهًا من المسيح وأُمه يعني أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد. وعطف «مَن في الأرض جميعًا» على «المسيح وأمه» إبانة أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم، والمعنى أن مَن اشتمل عليه رحم الأُمومية متى يفارقه نقص البشرية، ومَن لاحت عليه شواهد الحدثية أنّى يليق به نعت الربوبية، ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص إلى الصمدية. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾

قوله: (فالسلام: السلامة، أو الله) يعني أن السلام مصدر بمعنى السلامة، أو اسمه تعالى وُضِع موضع المضمر ردًّا على اليهود والنصارى الواصفين له تعالى بالنقائص واستعارة: الظلمة للكفر والنور للإسلام ظاهرة.

قوله: (بتّوا) في المصباح: بتّه بتًّا من بابي ضرب وقتل قطعه. اهـ. وفي نسخة: بت. **قوله:** (هو المسيح لا غير) بدلالة حمل الشخص على الشخص مع ضمير الفصل والتأكيد بأن، والفصل هـٰهنا لمجرّد التأكيد لحصول القصر بدونه؛ ولأن القصر هـٰهنا للمسند إليه على المسند، أي لا غير المسيح؛ كما في قولهم: الكرم هو التقوى، وكقوله عليه السلام: «**فإن الله هو الدهر**» أي الجالب للحوادث لا غير الجالب، بخلاف زيد هو المنطلق، فإنّ معناه: لا غير زيد. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (فمن يمنع من قدرته) يعني: أن يملك مجاز عن أن يمنع، أو مضمن معناه، ومن الله متعلق به على حذف المضاف.

﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي يخلق من ذَكَر وأنثى ويخلق من أُنثى بلا ذكر كما خلق عيسى، ويخلق من ذَكَر من غير أُنثى كما خلق حواء من آدم، ويخلق من غير ذَكَر وأُنثى كما خلق آدم، أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لأنه الفعَّال لما يريد ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ أي أعزّة عليه كالابن على الأب، أو (**أشياع**) ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع (**أبي خبيب**) وهو (**عبد الله بن الزبير**) الخبيبيون، وكما كان يقول رهط (**مسيلمة**) نحن أبناء الله ويقول أقرباء الملك و(**حشمه**) نحن أبناء الملوك (**أو نحن أبناء رسل الله**) ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم

قوله: (**أشياع**) أي أتباع، **قوله:** (**أبي خُبيب**) بالمعجمة مصغّرًا. **قوله:** (**عبد الله بن الزبير**) بن العوام القرشي الأسدي، كان أوّل مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، وولي الخلافة تسع سنين. قُتل في ذي الحجّة سنة ثلاث وسبعين. **قوله:** (**مُسيلمة**) الكذّاب عدوّ الله، هو مسيلمة بن حبيب، وهو من بني حنيفة. قال ابن قتيبة: كُنيته أبو ثمامة، وكان صاحب نيرنجيّات، وهو أوّل من أدخل البيضة في قارورة، وقال: ولا عقب له، وجمع جموعًا كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب وغوغائهم وقصد قتال الصحابة في إثر وفاة رسول الله ﷺ، فجهّز له أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الجيوش وأمّرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه سنة إحدى عشرة من الهجرة، فقاتلوه فظهروا على مسيلمة فقتلوه كافرًا، قيل: قتله وحشي بن حرب، وقيل غيره، وقُتل مَن تبعه وانهزم مَن أفلت منهم وعُفيت آثارهم. **قوله:** (**حشمه**) في المصباح: الحشم خدم الرجل. قال ابن السكّيت: هي كلمة في معنى الجمع ولا واحد لها من لفظها، وفسّرها بعضهم بالعيال والقرابة، ومن يغضب له إذا أصابه أمر. اهـ. **قوله:** (**أو نحن أبناء رسل الله**) على حذف المضاف، وأضافوا إليه سبحانه وتعالى ما هو مضاف في الحقيقة إلى رسله، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠].

بِذُنُوبِكُم﴾ أي فإن صحَّ أنكم أبناء الله وأحباؤه فلِمَ تُعَذَّبون بذنوبكم بالمسخ والنار أيامًا معدودة على زعمكم، وهل يمسخ الأب ولده وهل يعذّب الوالد ولده بالنار؟ ثم قال ردًّا عليهم: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي أنتم خَلْقٌ من خلقه لا بنوه ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ لمَن تاب عن الكفر فضلًا ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ مَن مات عليه عدلًا ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيه تنبيه على عبودية المسيح لأن المُلْك والبُنُوَّة متنافيان.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ (جَاءَكُمْ رَسُولُنَا)﴾ محمد عليه السلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أي الشرائع **(وحذف لظهوره)**، أو ما كنتم تخفون وحذف لتقدّم ذِكره **(أو لا يقدّر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان)** وهو حال أي مبيِّنًا لكم ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ متعلق بـ «جاءكم» أي جاءكم على حين فُتور من إرسال الرُّسُل وانقطاع من الوحي، **(وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستون سنة)** ﴿أَن تَقُولُوا﴾ **(كراهة أن تقولوا)** ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ والفاء في ﴿فَقَدْ جَاءَكُم﴾ متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم ﴿بَشِيرٌ﴾

قوله: (وحذف لظهوره) لدلالة الرسول عليه، فإن كل أحد يعلم أن الرسول إنما يرسل لتعليم دين الله وشرائعه. **قوله: (أو لا يقدّر المبين)** أي لا يقدر مفعول يبين وينزل منزلة اللازم، **(ويكون المعنى: يبذل لكم البيان)** ليدلّ على العموم كما حذف المفعول لذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: الآية ٢٥]، أي كل أحد.

قوله: (وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصّلاة والسّلام ستّمائة سنة أو خمسمائة سنة وستّون سنة)، وقيل: أربعمائة وبضع وستّون سنة، عن الضحاك. وقيل غير ذلك.

قوله: (كراهة أن تقولوا) يشير إلى أنه في موقع المفعول به؛ لقوله: (﴿جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾) لكونه في معنى أرسلنا إليكم رسولًا.

للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٌ﴾ للكافرين، والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حتى انطمست آثار الوحي (**أحوج ما يكونون إليه ليهشّوا**) إليه ويعدّوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلّوا غدًا بأنه لم يرسل إليهم مَن ينبّههم من غفلتهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادرًا على إرسال محمد ﷺ ضرورة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ**﴾ لأنه لم يبعث في أُمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ﴿**وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا**﴾ لأنه ملّكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم، ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء. وقيل: الملك مَن له مسكن واسع فيه ماء جارٍ وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية. وقيل: مَن له بيت وخدم، أو لأنهم كانوا مملوكين في أيدي (**القبط**) فأنقذهم الله فسُمّي إنقاذهم ملكًا ﴿وَءَاتَىٰكُم (مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)﴾ من فلق البحر وإغراق العدو وإنزال المنّ والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الأمور العِظام (**أو أراد عالمي زمانهم**).

قوله: (**أحوج ما يكونون إليه**) أي في حين هو أحوج أوقات كينونتهم إلى الرسول. **قوله**: (**ليهشّوا**)[1] أي ليفرحوا.

قوله: (**القبط**) في مختار الصحاح: القِبْط بوزن السِّبْط أهل مِصْر، وهم بَنْكَها، أي أصلها. اهـ. **قوله**: (**أو**[2] **أراد عالمي زمانهم**) لما دلّ ظاهر قوله تعالى: (﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) على أن قوم موسى يفضلون على كل واحد من آحاد العالمين، وليسوا كذلك. وجه الكلام أوّلًا بأن خصّص عموم قوله تعالى: ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بما أنعم الله تعالى به عليهم مما أوتوا خاصّة من بين العالمين؛ كإهلاك عدوّهم بفَلْق البحر وما أفاض الله تعالى عليهم من فنون فضله وصنوف نعمائه الخارجة عن العدّ والإحصاء كتظليل الغمام

---

(١) في المصباح: هش الرجل هشاشة إذا تبسّم وارتاح من بابي تعب وضرب، ١٢ منه.

(٢) أي: الألف واللام في العالمين للعهد، فالمراد عالمي زمانهم، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ أي المطهّرة أو المباركة وهي أرض بيت المقدس أو الشام ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (**قسمها لكم أو سمّاها أو كتب في اللوح المحفوظ**) أنها مساكن لكم ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ ولا ترجعوا على أعقابكم مُدبِرين مُنهزمين من خوف الجبابرة (**جُبْنًا**) أو لا ترتدّوا على أدباركم في دينكم ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ فترجعوا خاسرين (**ثواب الدنيا والآخرة**).

وإطعامهم طعام الملوك وسقيهم الماء الزُّلال الخارج من حجر صغير يابس وغير ذلك، ولا يلزم من تخصيص تلك النِّعم المختصّة بهم تفضيلهم على سائر طوائف العالم لجواز أن يختصّ غيرهم بأفضل مما أوتوا، ووجهه ثانيًا بأنْ خصّص عموم العالمين بعالمي زمانهم، لئلا يلزم تفضيلهم على العالمين جميعًا. والحاصل أن قوله: ﴿مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يتناول جميع ما لم يؤته غيرهم، كما يتناول بعضه، وكذلك العالمين عام يتناول جميع العالم، كما يتناول مَنْ في زمانهم من العالم.

قوله: (**قسمها لكم**) القسمة بمعنى التقدير، فمعنى كتبها قدّرها مجازًا. **قوله:** (**أو سمّاها**) أي عيّن الأرض المقدّسة لإبراهيم حال كونها ميراثًا لذرّيته على ما رُوِيَ أنه صعد إبراهيم الجبل - أي جبل لُبنان - فقيل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدّس وميراث لذرّيتك، وعلى هذا يجوز أن يجعل سمّاها على أصل معناها.

قوله: (**أو كتب في اللوح المحفوظ**) فيكون كتب على حقيقته. **قوله:** (**جبنًا**) في المصباح: جَبن جُبْنًا وزن قَرب قُرْبًا، وجَبانة - بالفتح - وفي لغة من باب قتل، فهو جبان أي ضعيف القلب، وامرأة جبان أيضًا، وربما قيل: جبانة، وجمع المذكر جُبَناء، وجمع المؤنث جبانات. اهـ.

قوله: (**ثواب الدنيا والآخرة**) إشارة إلى مفعوله المقدّر، أي تخسرون ما وعد لكم في الدنيا من الاستيلاء على بلادهم، وفي العقبى من ثواب الآخرة.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ الجبار (فعّال من جبره) على الأمر بمعنى (أجبره) عليه وهو العاتي الذي (يُجبر الناس على ما يريد) ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ بالقتال ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ بغير قتال ﴿فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ بلا قتال ﴿فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ بلادهم حينئذ.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتّقين وهو في محل الرفع صفة لـ «رجلان» وكذا ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالخوف منه ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ أي باب المدينة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ﴾ أي انهزموا وكانت الغَلَبَة لكم، وإنما عَلِما ذلك بإخبار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذ الإيمان به يقتضي التوكّل عليه وهو قطع العلائق وترك (التملّق) للخلائق.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ﴾ هذا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التوكيد ﴿أَبَدًا﴾ تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ بيان للأبد ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ من العلماء مَن حمله على الظاهر. وقال: إنه كفر منهم

قوله: (فعّال) صيغة مبالغة. **قوله:** (من جبره) الثلاثي. **قوله:** (أجبره) أي أكرهه، يقال: أجبرته عليه، أي أكرهته عليه. **قوله:** (يجبر الناس على ما يريد) أي يُكرههم عليه.

قوله: (التملّق) في مختار الصحاح: تملّقه وتملّق له تملّقًا وتِمْلاقًا ـ بالكسر ـ أي تودّد إليه وتلطّف له، والمَلَق الوُدّ واللطف، وقد مَلِق من باب طَرِب، ورجل مَلِق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. اهـ.

وليس كذلك إذ لو قالوا ذلك اعتقادًا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء، ولكن الوجه فيه أن يقال: فاذهب أنت (**وربك يُعينك**) على قتالك، أو وربك أي وسيدك وهو أخوك الأكبر هارون، أو لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقولُ «كلمته فذهب يجيبني» تريد معنى الإرادة كأنهم قالوا (أريدا) قتالهم: ﴿فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ ماكثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾ لنصرة دينك ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ﴾ وهو منصوب بالعطف على «نفسي» أو على اسم «إن» أي إني لا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه، (**أو مرفوع بالعطف على محل «إن» واسمها**)، أو على الضمير في

قوله: (**وربك يعينك**) على أن يكون لفظ ربّك مبتدأ حُذِف خبره، والواو للحال. **قوله:** (أَرِيدا[١]) بفتح الهمزة أمر الاثنين من الإرادة.

قوله: (**أو مرفوع بالعطف على محل «إن» واسمها**)، فإن إن المكسورة لما لم تغيّر معنى الجملة كان اسمها المنصوب في محل الرفع على الابتداء؛ لأن فائدة المكسورة ليست إلا للتأكيد، فكانت بالنسبة إلى أصل المعنى في حكم المعدوم، فجاز العطف على محل اسمها بالرفع؛ كقول الشاعر:

ومن يك أمسى بالمدينة رَحْله ... فإني وقيار بها لغريب

وقيار أيضًا غريب، وخبر إن وإن كان مؤخّرًا لفظًا، لكنه مقدَّم تقديرًا، فلذلك جاز العطف على محل إنّ مع اسمها، فإن تقدم الخبر شرط في مثل هذا العطف لئلا يلزم توارد عاملين على معمولٍ واحد، فكما يجوز العطف على المبتدأ بالرفع، نحو: زيد قائم وعمر، فكذا يجوز العطف على محل إن بالرفع، تقول: إنّ زيدًا قائم وعمرو، والمفتوحة لمّا كانت مع خبرها في تأويل اسم مفرد مرفوع أو مجرور أو منصوب وتغيّر بها معنى الجملة، وكان اسمها كبعض

---

(١) هكذا في تفسير المدارك المطبوع: في الدهلي، وفي المطبوع بمصر: أُريدُ بمكان أَريدْ.
١٢ منه عمّ فيضهم.

«لا أملك» (وجاز للفصل) أي ولا يملك أخي إلا نفسه، أو هو مبتدأ والخبر محذوف أي وأخي كذلك، (وهذا من البث) والشكوى (إلى الله) ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر إلا النبي المعصوم، أو أراد ومَن يؤاخيني على ديني ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو في معنى الدعاء عليهم، أو فباعِد بيننا وبينهم وخلّصنا من صحبتهم كقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: الآية ١١].

حروف الكلمة لم يجز العطف على محل اسمها، ويشترط في جواز العطف على محل المكسورة تقدّم الخبر لفظًا، أو تقديرًا خلافًا للكوفيّين، وقد تقدّم الخبر في الآية لفظًا، فجاز العطف على اسم إن بلا خلاف، واختلف عبارة النُّحاة في هذا، قال بعضهم: ومنهم ابن الحاجب جاز العطف على محل اسم إن المكسورة، وقال آخرون: جاز العطف على محل إن مع اسمها، كما قال المصنّف رحمة الله عليه، ولعلّ مبنى العبارة الأُولى، وهو أن محل الإعراب هو الاسم الذي تعتور عليه المعاني المختلفة، وذلك الاسم هو اسم إن وحده؛ لأنه هو الذي في محل الرفع على الابتداء، وإن كان منصوبًا لفظًا يتسلّط العامل عليه، ومبنى العبارة الثانية أن المرفوع على الابتداء لو كان اسم إن وحده لوجب أن يكون مجرّدًا عن العوامل اللفظية، وذلك الاسم ليس مجرّدًا عنها، فلم يصح أن يقال له إنه مرفوع المحل على الابتداء، فيكون المرفوع على الابتداء هو إن مع اسمها.

قوله: (وجاز) أي العطف على الضمير المرفوع المتّصل بلا تأكيد (للفصل) أي لوجود الفصل بالمفعول، كما تقول: ضربت زيدًا وعمرو، ثم هذا لا يوجب الاتّحاد في المفعول، بل يقدر للمعطوف مفعول آخر، أي وأخي إلا نفسه، كما تقول: ضربت زيد وعمر وبكرًا.

قوله: (وهذا من البثّ) أي الحزن والشّكْوى أي الشِّكاية (إلى الله) سبحانه وتعالى ليس القصد إلى الإخبار، وكذا كل خبر يخاطب به علام الغيوب يُقصد به معنى مناسب سوى إفادة الحكم أو لازمه.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبّد كقوله: (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾) [القصص: الآية ١٢]. والمراد بقوله: «كتب الله لكم» أي بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل: فإنها محرَّمة عليهم، أو المراد فإنها محرَّمة عليهم: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فإذا مضى الأربعون كان ما كُتب فقد سار موسى عليه السلام بمَن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض. و«أربعين» ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يسيرون فيها متحيِّرين لا يهتدون طريقًا أربعين سنة والوقف على «عليهم». وإنما عوقِبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يُصبحِون حيث أمْسَو ويُمسُون حيث أصبحوا (**في ستة فراسخ**). ولما (**ندم**) على الدعاء عليهم قيل له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون. قيل: لم يكن موسى وهارون معهم في التِّيه لأنه كان عقابًا وقد سأل موسى ربّه أنه يفرِّق بينهما وبينهم. وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك (**روحًا**) لهما

قوله: (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾) [القصص: الآية ١٢] أي على موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام (﴿الْمَرَاضِعَ﴾) [القصص: الآية ١٢] أي منعناه من قبول ثدي مُرْضعة غير أُمّه، والمراضع اسم موضع الرّضاع، وهو الثدي، ويحتمل أن يكون جمع مرضع ـ بضم الميم وترك التاء ـ لاختصاصه بالنساء، أو بتأويل الشخص. **قوله:** (**في ستّة فراسخ**) في المصباح: الفرسخ ثلاثة أميال، والميل عند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظي؛ لأنهم اتّفقوا على أن مقداره ستّ وتسعون ألف أصبع، والأصبع ستّ شعيرات، بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا، والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعًا، فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنتين وثلاثين أصبعًا كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع، وإن قسم على رأي المُحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع. اهـ.

قوله: (نَدِم) من باب طَرِب. **قوله:** (**روحًا**) بفتح الباء، أي راحة.

وسلامًا لا عقوبة. وماتِ هارون في التِّيه، وموسى فيه بعده بسنة، ومات النقباء في التِّيه إلا كالب ويوشع.

ثم أمر الله تعالى محمدًا ﷺ أن يقصَّ على حاسِدِيه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الكتاب ﴿نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ من صلبه هابيل وقابيل، أو هما رجلان من بني إسرائيل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ **(نبأ ملتبسًا بالصدق)** موافقًا لما في كتاب الأوّلين، أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة، أو واتل عليهم وأنت مُحِقٌّ صادق ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصب بالنبأ أي قصتهما وحديثهما في ذلك الوقت، أو بدل من النبأ أي اتلُ عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف ﴿قُرْبَانًا﴾ ما يتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة. **(يقال: قرب صدقة وتقرَّب بها لأن تقرّب مطاوع قرب)**، والمعنى إذ قرَّب كل واحد منهما قربانه دليله ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ قربانه وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ قربانه وهو قابيل. رُوِيَ أنه أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوّج كل واحد منهما **(توأمة الآخر)**، وكانت توأمة قابيل أجمل

قوله: (نبأ ملتبسًا بالصدق)... الخ. يريد أن بالحق حال من المفعول، وهو نبأ ابني آدم وقدَّره. المصنّف رحمه الله: نبأ ملتبسًا بالصدق ليتعيّن ذو الحال، أو صفة مصدر محذوف، أو حال من فاعل اتل المستتر، وهو ضمير المخاطب. **قوله: (يقال: قرب صدقة وتقرب بها؛ لأن تقرب مطاوع قرب)** قال الأصمعي: تقرّبوا قرف القمع فيعدّى بالباء حتى يكون بمعنى قرّب. اهـ كشاف. وقوله: تقربوا قرف القمع، وهو ـ بكسر القاف وسكون الميم وفتحها ـ الإناء الذي يُجعل في رؤوس الظروف يصب فيها الدهن ونحوه، والقرف ما اجتمع عليه من الأوساخ بمنزلة قشر له ينادى بذلك الطلاب الآخذين منه استخفافًا بهم واستحقارًا أو مطايبةً واستدناء وتقريبًا وقت الأخذ والقراءة، أي ادنوا مني بأوساخ القمع. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (توأمة الآخر)** التوأمان الولدان في بطنٍ واحد، الذَّكر توأم والأُنثى توأمة، وزان جَوْهرٍ وجَوْهَرَة.

(واسمها إقليما) فحسده عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم: قرّبا قُربانًا فمن أيّكما قُبِل يتزوّجها فقُبِل قُربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدًا وسخطًا وتوعّده بالقتل وهو قوله: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ أي قال لهابيل: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وتقديره: قال لِمَ تقتلني؟ قال: لأن الله قَبِل قُربانك ولم يقبل قُرباني. فقال: إنما يتقبَّل الله من المتقين وأنت غير مُتَّقٍ فإنما أُوتيت من قِبَل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قِبَلي. وعن **(عامر بن عبد الله)** أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له: ما يُبكِيك وقد كنت وكنت؟ قال: إني أسمع الله يقول: «إنما يتقبل الله من المتّقين».

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾ بماد (﴿يَدِيَ﴾ **مدني وأبو عمرو**) وحفص ﴿إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: كان أقوى من القاتل وأبطَش منه ولكن تحرَّج عن قتل أخيه واستسلم له خوفًا منْ الله تعالى لأن الدفع لم يكن مُباحًا في ذلك الوقت، وقيل: بل كان ذلك واجبًا فإن فيه إهلاك نفسه ومشاركة للقاتل في إثمه، وإنما معناه ما أنا بباسط يدي إليك مُبتَدِئًا كقصدك ذلك مني، وكان هابيل عازِمًا على

قوله: (واسمها إقليما) كذا في تفسير الخطيب والخازن والكشاف وغيرهم. وفي القاموس: إقليمياء ـ بالكسر ـ بنت آدم عليه السلام. اهـ. واسم توأمة هابيل لبودا.

قوله: (عامر بن عبد الله) بن الزبير بن العوام، كُنيته أبو الحارث، وهو تابعي سمع أباه وأنسًا وغيرهما من الصحابة. روى عنه سعيد المقبري، ويحيىٰ الأنصاري، ومحمد بن عجلان وآخرون من الأئمّة، وكان عابدًا فاضلًا مُجمَعًا على توثيقه وجلالته، وهو مدني توفّي قريبًا من سنة أربع وعشرين ومائة رحمه الله.

قوله: (﴿يَدِيَ﴾) بفتح الياء **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وأبو عمرو)** البصري وحفص، والباقون بإسكانها.

مُدافعته إذا قصد قتله وإنما قتله (فتكًا) على غفلة منه. (﴿إِنِّيَ أَخَافُ﴾: **حجازي وأبو عمرو**).

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

(﴿إِنِّيَ أُرِيدُ﴾) «إنّيَ» (**مدني**) ﴿أَن تَبُوٓأَ﴾ أن تحتمل أو ترجع ﴿بِإِثۡمِي﴾ بإثم قتلي إذا قتلتني ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي لأجله لم يتقبَّل قربانك وهو عقوق الأب والحسد (**والحقد**)، وإنما أراد ذلك لكفره بردّه قضية الله تعالى أو كان ظالمًا وجزاء الظالم جائز أن يُراد ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ فوسعته ويسرته من طاع له (**المرتع**) إذا اتّسع ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ عند عقبة (**حراء**) أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

قوله: (فتكًا) في المصباح: الفَتْك القتل على غِرّة ـ بفتح الفاء وضمّها وَكسرها ـ. اهـ. وأيضًا فيه: الغِرّة ـ بالكسر ـ الغفلة. اهـ. **قوله:** (﴿إِنِّيَ أَخَافُ﴾) بفتح الياء (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وابن كثير المكّي. (**وأبو عمرو**) البصري. والباقون بالإسكان.

قوله: (﴿إِنِّيَ أُرِيدُ﴾) بفتح الياء (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، والباقون بالإسكان. **قوله: (الحِقْد)** الضِّغن. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء. اهـ.

قوله: (المرتع) في مختار الصحاح: رتعت الماشية أكلت ما شاءت، وبابه خضع، ويقال: خرجنا نلعب ونَرْتَعُ أي نَنْعَمُ ونَلْهُو، والموضع مَرْتَع. اهـ. وفي المصباح: رتعت الماشية رتعًا من باب نفع، ورتوعًا رعت كيف شاءت، والمرتع بالفتح موضع الرتوع، والجمع المراتع. اهـ باختصار. **قوله: (حِراء)** بكسر الحاء والمدّ يصرف[1] ولا يُصرف جبلٌ معروف بمكّة المعظّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا.

---

(١) يُذكّر ويؤنّث، فإن أُنّث لم يصرف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا (يَبْحَثُ) فِي ٱلْأَرْضِ (لِيُرِيَهُۥ)﴾ أي الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾ (﴿سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾) وما لا يجوز أن ينكشف **(من جسده)**. رُوِيَ أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم، ولما قتله تركه **(بالعراء)** لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السِّباع فحمله في **(جراب)** على ظهره سنة حتى **(أروح)** و**(عكفت)** عليه السِّباع، **(فبعث الله غرابين)** فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمِنقاره ورجلَيه ثم ألقاه في الحُفرة فحينئذ ﴿قَالَ (يَٰوَيْلَتَىٰٓ) أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ﴾ عطف على «أكون» ﴿سَوْءَةَ أَخِيۖ (فَأَصْبَحَ) مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على قتله لماتعب فيه من حمله وتحيّره في أمره ولم **(يندم)** ندم التائبين، أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حمله لا على قتله. ورُوِيَ أنه لما قتله اسودَّ جسده وكان

قوله: (﴿يَبْحَثُ﴾) بمعنى يحفر، وأصل معناه يفتّش. **قوله:** (﴿لِيُرِيَهُۥ﴾) إما متعلق ببحث أو يبحث. **قوله:** (﴿سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾) اعلم أنه قال في كتاب الأحكام: إن في العورة أقوالًا، فقيل: هي الجسد كلّه، وقيل: ما بين السرّة والركبة، وقيل: إنها مُثقلة، وهي القُبُل والدُّبر، ومخفّفة وهي ما بين السرّة والركبة، فلعلّ العلامة فسّرها بالعورة حتى يشمل الأقوال. **قوله:** **(من جسده)** مِن تبعيضية، أو ابتدائية لا بيانية. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** **(بالعراء)** ـ بالمدّ ـ الفضاء لا سترة به. **قوله:** **(جراب)** بالكسر. **قوله:** **(أرْوَح)** أنْتَن وتغيّرت رائحته. **قوله:** **(عكفت)** أي أحاطت. **قوله:** **(فبعث الله غرابين)** هما طائران معروفان، وقيل: إنهما ملكان بصورة غرابين. **قوله:** (﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾) هي كلمة جزع وتحسر والألف بدل من ياء المتكلّم، والمعنى: يا ويلتي احضري فهذا أوانك، والويل والويلة الهَلَكة. اهـ أبو السعود. وفي الكرخي: قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾، أي يا هلاكي تعال، فهو اعتراف على نفسه باستحقاق العقاب، وهي كلمة تُستعمل عند وقوع الداهية العظيمة ولفظهما لفظ النداء، كأنّ الويل غير حاضر عنده، فناداه ليحضر، أي أيّها الويل احضر، فهذا أوان حضورك، وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، وقد ينادي ما لا يعقل مجازًا. اهـ. **قوله:** (﴿فَأَصْبَحَ﴾) أصبح هنا بمعنى صار. **قوله:** **(يندم)** من باب طرب.

أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال: **(ما كنت عليه وكيلًا)**. فقال: بل قتلته ولذا اسودّ جسدك. فالسودان من ولده. وما رُوِيَ أن آدم **(رثاه بشعر)** فلا يصحّ **(لأن الأنبياء** عليهم السلام **معصومون من الشعر)**.

قوله: (ما كنت عليه وكيلًا)، أي أنا لم أكن مأمورًا بحفظه. **قوله: (رثاه بشعر)** في المصباح: رثيت الميت أرثيه من باب رمى، مرثية ورثيت له ترحّمت ورققت له. اهـ. وفي مختار الصحاح: رَثَيْتُ الميت من باب رمى، ومرثية أيضًا ورثَوْته من باب عدا، إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذا إذا نظمت فيه شعرًا، ورثى له رقّ له من الباب الأوّل بمَصْدَرَيْه، وربما قالوا: أرثأت الميت ـ بالهمز ـ على خلاف الأصل. اهـ. والشعر المذكور هو قوله:

تغيّرت البلاد ومَنْ عليها فوجه الأرض مغيّر قبيح
تغيّر كل ذي لون وشكلٍ وقلّ بشاشة الوجه المليح

وقال الشرّاح: المليح إن رفع فخطأ؛ لأنه صفة الوجه المجرور، وإن خفض فإقواء[1]، وهو عيب قبيح، وإن كَثُر. وقول من قال: الوجه فاعل قلّ وبشاشة منصوب على التمييز بحذف التنوين إجراءً للوصل مجرى الوقف، ألحن. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قلت: لا شكّ أن لوائح الوضع عليه لائحة لركاكته، لكن ما استصعبوه من الإقواء وترك التنوين ليس بصعب لِمَا في أشعار الجاهلية والشعراء من أمثاله، مع أنه قد يخرج بأنه نعت جرى على المحلّ؛ لأن الوجه فاعل المصدر، وهو بشاشة. وقيل: إنه مرفوع وقد سمع كالجر. اهـ.

قوله: (لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر)، رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ محمّدًا والأنبياء عليهم السلام كلّهم سواء في النهي عن الشعر، لكن رثاه آدم بالسرياني كلامًا منشورًا، فلم يزل ينقل إلى أن وصل إلى يعرب بن قحطان، وهو أوّل من خطّ بالعربية، فنظر في المرثية فقدّم وأخّر وجعل شعرًا عربيًّا.

---

(١) بكسر الهمزة وبالقاف: اختلاف المجرى أي حركة الروي المطلق بكسر وضم والإقواء غير جائز للمولدين، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ بسبب ذلك وبعلّته «وذلك» إشارة إلى القتل المذكور. قيل: هو متصل بالآية الأولى فيوقف على «ذلك» أي فأصبح من النادمين لأجل حمله ولأجل قتله. وقيل: هو مستأنف والوقف على «النادمين» و«من» يتعلق بـ «كتبنا» لا بـ «النادمين» ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ خصّهم بالذِّكر وإن اشترك الكل في ذلك لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا﴾ الضمير للشأن و«من» شرطية ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بغير قتل نفس ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عطف على «نفس» أي بغير فساد في الأرض وهو الشِّرك، أو قطع الطريق وكل فساد يُوجِب القتل ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي في الذنب. عن (الحسن): لأن قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعًا لم يزد على ذلك ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ ومَن استنقذها من أسباب (الهلكة) من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ جعل قتل الواحد كقتل الجميع، وكذلك الإحياء ترغيبًا وترهيبًا لأن المُتعَرِّض لقتل النفس إذا تصوَّر أن قتلها كقتل الناس جميعًا عظم ذلك عليه (فثبطه)، وكذا الذي أراد إحياءها إذا تصوَّر أن حُكمه حُكم جميع الناس رغب في إحيائها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا﴾ [«رُسْلنا»: أبو عمرو] ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات الواضحات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المُجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ـ بفتح الراء وكسرها ـ الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه مشهورة. توفي سنة عشر ومائة. **قوله:** (الهَلَكة)[1] بالفتح بمعنى الهلاك. **قوله:** (فثبطه) في مختار الصحاح: ثبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. اهـ. **قوله:** (رسْلنا) بإسكان السين تخفيفًا (أبو عمرو) البصري. والباقون بالضم على الأصل.

---

(١) وزان قصبة. اهـ مصباح، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعدما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ في القتل لا يُبالون بعظمته.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي أولياء الله في الحديث يقول الله تعالى: «مَن أهان لي وليًا فقد بارزني بالمُحاربة» ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ (مفسدين)، ويجوز أن يكون مفعولًا له أي للفساد وخبر «جزاء» ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ مع القتل إن جمعوا بين القتل وأخذ المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ إن أخذوا المال ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ حال من الأيدي والأرجل أي مختلفة ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بالحبس إذا لم يزيدوا على الإخافة ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ (ذل) وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾ فتسقط عنهم هذه الحدود (لا ما هو حق العباد) ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم.

قوله: (مفسدين) يعني أنه حال بتأويل المصدر باسم الفاعل. **قوله:** (ذلّ) بالضمّ.

قوله: (لا ما هو حقّ العباد) فيقيلون قصاصًا ويعزمون المال. اهـ رحماني. وفي تفسير روح البيان: أمّا ما هو من حقوق الآدميين، فإنه لا يسقط بهذه التوبة، فإن قطّاع الطريق إن قتلوا إنسانًا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حدًا، وكان وليّ الدم على حقّه في القصاص والعفو، وإن أخذوا مالًا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قطع أيديهم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا تؤذوا عباد الله ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي كل ما يُتَوسَّل به أي يتقرَّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسَّل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من صنوف الأموال ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ وأنفقوه ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم. و«لو» مع ما في حيِّزه خبر «إن»، ووحَّد الراجع في «ليفتدوا به» وقد ذكر شيئان

وأرجلهم من خِلاف، وكان حقّ صاحب المال باقيًا في ماله ووجب عليهم ردّه. وأمّا إذا تاب بعد القدرة عليه، فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه ويقام الحدّ عليه في الدنيا، كما يضمن حقوق العباد، وإن سقط عنه العذاب العظيم في العقبى، والآية في قطاع المسلمين؛ لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها، يعني أن المشرك المحارب لو آمن بعد القدرة عليه، فلا سبيل عليه بشيءٍ من الحدود، ولا يُطالَب بشيء مما أصاب في حال الكفر من دم أو مال، كما لو آمن قبل القدرة عليه. وأمّا المسلمون المحاربون، فمَنْ تاب منهم قبل القدرة عليه، أي قبل أن يظفر به الإمام سقطت عنه العقوبة التي وجبت حقًّا لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد، فإن كان قد قتل في قطع الطريق سقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لوليّ القتل إن شاء عفا عنه، وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع، وإن كان جمع بينهما يسقط عنه تحتّم القتل والصلب ويجب ضمان المال. وقال بعضهم: إذا جاء تائبًا قبل القدرة عليه لا يكون لأحد تبعة في دم ولا مال، إلّا أن يوجد معه مال بعينه فيردّه على صاحبه. رُوِي عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنّ الحارث بن بدر جاءه تائبًا بعدما كان يقطع الطريق ويسفك الدماء ويأخذ الأموال، فقبل توبته ولم يجعل عليه تبعة أصلًا. وأمّا مَنْ تاب بعد القدرة عليه، فلا يسقط عليه شيء من الحقوق. اهـ.

(لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة) كأنه قيل: ليفتدوا بذلك ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فلا سبيل لهم إلى النجاة بوجه ﴿يُرِيدُونَ﴾ يطلبون أو يتمنّون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره: **(وفيما يُتلى عليكم** ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾) أو الخبر (﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾) أي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود، ودخول الفاء **(لتضمنها معنى الشرط)** لأن **(المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما)**. والاسم الموصول يضمن معنى الشرط، وبدأ بالرجل لأن السرقة من الجراءة وهي في الرجال أكثر، وأخَّر الزاني لأن الزِّنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء أوفر. وقطعت اليد لأنها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزِّنا **(تفاديًا)** عن قطع **(النَّسل)**. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ مفعول له

قوله: (لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة) واسم الإشارة يجوز فيه الإشارة إلى المتعدّد مع كونه مفردًا على تأويل ما ذكر أو ما تقدّم.

قوله: (وفيما يتلى عليكم: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾) أي حُكم السارق والسارقة ثابت فيما يُتْلَى عليكم، والجملة الثانية أمريّة، وهي قوله: (﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾) جِيءَ بها بيانًا له. **قوله:** (﴿أَيْدِيَهُمَا﴾)... الخ. وإنما قال: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ ولم يقل: يديهما؛ لأنه أراد يمينًا من هذا ويمينًا من هذه، فجُمِع بأنه ليس للإنسان إلا يمين واحدة، وكل شيء موحّد من أعضاء الإنسان إذا ذكر مضافًا إلى اثنين فصاعدًا جمع، والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤوس الأصابع إلى الكوع، فيجب قطعها في حدّ السرقة من الكوع. اهـ. الخازن: والكُوع طرف الزّند الذي يلي الإبهام. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (لتضمّنها معنى الشرط) لأن الألف واللام فيهما موصولة، **(المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما)**. **قوله:** (تفاديًا) أي تحاميًا **قوله:** **(النَّسْل)** الولد.

﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي عقوبة منه وهو بدل من «جزاء» ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعارض في حكمه ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾

﴿فَمَن تَابَ﴾ من (السرقة) ﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ سرقته ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ بردّ المسروق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ذنبه ويرحمه ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ يا محمد أو يا مُخاطَب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ مَن مات على الكفر ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ لمَن تاب عن الكفر ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من التعذيب والمغفرة وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر. وقدَّم التعذيب على المغفرة هنا لتقدّم السرقة على التوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ أي (لا تهتمّ ولا تُبالِ) بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما (يلوح) منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين، فإن ناصرك عليهم وكافيك شرّهم. يُقال أسرع فيه الشيب أي وقع سريعًا فكذلك مُسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطؤوها ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ تبيين لقوله: «الذين يُسارعون في

قوله: (السرقة) بكسر الراء وتُخفّف.

قوله: (ولا تهتمّ ولا تُبال) يعني إسناد لا يحزنك إلى الذين يسارعون، وإن كان مجازًا، لكن لا يقدر له فاعل يكون الإسناد إليه حقيقةً، بل يراد: لا تحزن أنت ولا تُبالِ. **قوله:** (يلوح) أي يظهر.

الكفر» ﴿ءَامَنَّا﴾ مفعول «قالوا» ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ متعلق بـ «قالوا» أي قالوا بأفواههم آمنّا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾ في محل النصب على الحال ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ معطوف على «من الذين قالوا» أي من المنافقين واليهود. ويرتفع ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هم سمّاعون والضمير للفريقين، أو سمّاعون مبتدأ وخبره «من الذين هادوا»، وعلى هذا يوقف «على قلوبهم»، وعلى الأول «على هادوا». ومعنى سمّاعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي سمّاعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود وجّهوهم **(عيونًا)** ليبلغوهم ما سمعوا منك ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي يُزيلونه ويُميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيُهملونه بغير مواضع **(بعد أن كان ذا مواضع)**. «يحرِّفون» صفة لقوم كقوله: «لم يأتوك»، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم يحرِّفون، والضمير مردود على لفظ الكلم ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ **(المحرَف المُزال)** عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون. وجاز أن يكون حالًا من الضمير في «يحرِّفون» ﴿فَخُذُوهُ﴾ واعلموا أنه الحق واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْۚ﴾ فإياكم وإياه فهو الباطل. رُوِيَ أن شريفًا زنى بشريفة بخيبر **(وهما محصنان)** وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطًا منهم ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك وقالوا: إن أمركم بالجلد **(والتحميم)** فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا، فأمرهم بالرجم **(فأبوا أن يأخذوا به)** ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ ضلالته وهو حجة على مَن يقول: يريد الله الإيمان ولا يريد الكفر ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ﴾ قطع رجاء محمد ﷺ عن إيمان هؤلاء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن

قوله: (عيونًا) جمع عين، بمعنى الجاسوس. **قوله:** **(بعد أن كان ذا مواضع)** تفسير لقوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾) تنبيه على الفرق بين ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ١٣]، ويحرّفونه من بعد مواضعه، فإنّ معنى الأوّل مجرّد الإمالة والإزالة عن مواضعه. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله:** **(المحرّف المُزال)** تفسير من المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ، لا أن يكون مقولهم كذلك. **قوله:** **(وهما محصنان)** أي ذا زوجين، وإلا فالإحصان الشرعي لا يتصوّر في الكافر. **قوله:** **(التحميم)** تسويد الوجه. **قوله:** **(فأبوا أن يأخذوا به)**، فقال له جبرئيل: اجعل بينك وبينهم ابن

يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضًا ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ للمنافقين فضيحة ولليهود جزية ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي التخليد في النار.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرر للتأكيد أي هم سماعون ومثله ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وهو كل ما لا يحلّ كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة، وفي الحديث «هو (الرشوة) في الحكم» وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. **(وبالتثقيل مكي وبصري)** وعلي ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل: كان رسول الله ﷺ مُخَيَّرًا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم

صوريا[1]، فقال: هل تعرفون شابًا أمرد أبيض أعور يسكن فدك، يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم، وهو أعلم يهوديّ على وجه الأرض ورضوا به حَكَمًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنشدك الله الذي لا إلـه إلّا هو الذي فلق البحر لموسى، ورفع فوقكم الطور وأنجاكم، وأغرق آل فرعون، والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟**» قال: نعم، فوثب عليه سَفَلة اليهود، فقال: خفت إن كذّبته أن ينزل علينا العذاب، ثم سأل رسول الله ﷺ عن أشياء يعرفها من أعلامه[2]، فقال: أشهد أن لا إلـه إلّا الله وأنك رسول الله النبيّ الأمّي العربي الذي بشّر به المرسلون، وأمر رسول الله ﷺ بالزانيين فرُجما عند باب مسجده. اهـ كشاف. **قوله:** (الرشوة) ـ بالكسر ـ ما يعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد وجمعها رشى مثل سدرة وسدر، والضم لغة وجمعها رُشًى ـ بالضم ـ أيضًا. اهـ مصباح. **قوله:** (وبالتثقيل) أي بضمّ الحاء (مكّي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل بن محمد

---

(١) أي عبد الله بن صوريا كبوريا من أحبار اليهود وقيل إنه أسلم ثم كفر والعياذُ بالله تعالى، ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) أي علاماته والضمير للرسول ﷺ، ١٢ منه عمّ فيضهم.

وبين أن لا يحكم بينهم. (وقيل: **نسخ التخيير بقوله:** ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾) ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ فلن يقدروا على الإضرار بك لأن الله تعالى يعصمك من الناس ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم لمَن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به. «فيها حكم الله» (**حال من التوراة**) وهي مبتدأ وخبره «عندهم» ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عطف على «يحكمونك» أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به ﴿وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بك أو بكتابهم كما يدعون.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للحق ﴿وَنُورٌ﴾ يبيِّن ما استبهم من الأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ (ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟)﴾ انقادوا لحكم الله في التوراة

السجستاني البصري، ويعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وعليّ الكسائي. والباقون بإسكان الحاء. **قوله:** (وقيل: **نسخ التخيير بقوله:** ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: الآية ٤٩])؛ لأن الجزم بالحكم رفع للتخيير بينه وبين الإعراض، لا يقال: ما أنزل الله هو التخيير؛ لأنّا نقول: لا معنى لأمره بأن تحكم بالتخيير. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**حال من التوراة**) أي من الضمير المستتر في الظرف العائد إلى التوراة، لأنها مبتدأ مقدَّم في التقدير.

(وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح)، وأريد بإجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء عن ملّة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم (﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾) تابوا من الكفر، واللام يتعلق بـ «يحكم» ﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ معطوفان على «النبيون» (أي الزهّاد والعلماء) ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ استودعوا، قيل: ويجوز أن يكون بدلًا من «بها» في «يحكم بها» ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ «مِن» للتبيين والضمير في «استحفظوا» للأنبياء والربَّانيين والأحبار جميعًا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلَّفهم الله حفظه، أو

قوله: (وهو صفة أُجريت للنبيّين على سبيل المدح)... الخ. جواب عمّا يقال: كل نبيّ لا بدّ وأن يكون مسلمًا مُنْقادًا لأمر الله تعالى، فما الفائدة في توصيف الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، بقوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾). وتقرير الجواب ظاهر، واعترض عليه بأن النبوّة أعظم من الإسلام، فكيف يمدح نبيّ بأنه رجلٌ مسلم مع الفرق بين أن يقال: إنه رجل مسلم ونبيّ، فتوصيف من عبّر عنه بعنوان النبيّ بالإسلام تنزل من الأعلى إلى الأدنى، وطريق المدح هو أن يترقّى من الأدنى إلى الأعلى، فلا يكون إجراء صفة الإسلام على النبيّين مدحًا لهم؟

والجواب: أنها صفة أُجريت على طريق المدح لهم دون التخصيص والتوضيح بما وصف به الأنبياء؛ لأن صفات الأشراف أشراف الأوصاف، فإن قوله: أُجريت للنبيّين على سبيل المدح، وإنْ دلّ على أن المقصود من إجراء تلك الصفة عليهم مدحهم بها، لكن المراد ليس ذلك، بل المراد أنها أُجريت عليهم على طريق مدحهم بها قصد المدح من اتّصف بها من المسلمين من حيث اتّصافهم بما يوصف به الأنبياء، وهو الإسلام وتعريضًا باليهود بإشعار أنهم ليسوا من دين النبيّين في شيء، وأنّهم بَعُدوا عن ملّة الأنبياء كلّهم، ووجه التعريض أنه تعالى لما وصف النبيّين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾، وقال في حقّهم إنهم يحكمون بالتوراة لأجل الذين هادوا فيما بينهم، قابل اليهود بالذين أسلموا، فأشعر ذلك أن اليهود بمعزل عن الإسلام والانقياد لأمر الله تعالى، فكان قوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾) كالبيان للتعريض بهم بأنهم لا يهتدون بهَدْي الأنبياء ولا يتديّنون بدينهم.

قوله: (أي الزهاد) تفسير للربانيّون (والعلماء) تفسير للأحبار، وهم مِنْ أولاد هارون؛ لأن الحبورة كانت فيهم خاصّة. وفي الصحاح: الحَبر والحِبر واحد أحبار اليهود، وبالكسر أفصح؛ لأنه يجمع على أفعال دون فعول، ويقال للعالم: حِبْر

لـ «الربانيون والأحبار» (**ويكون الاستحفاظ من الأنبياء**) ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ (**رقباء**) لئلا يبدّل ﴿فَلَا تَخۡشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ (**نهي للحكّام**) عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذيّة أحد ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ في مخالفة أمري (**وبالياء فيهما: سهل وافقه أبو عمرو في الوصل**) ﴿وَلَا تَشۡتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِي﴾ ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ **مستهينًا به** ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾) قال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن لم يحكم جاحدًا فهو كافر، وإن لم يكن جاحدًا فهو فاسق ظالم. وقال ابن مسعود: هو عامٌّ في اليهود وغيرهم.

ـ بالكسر ـ باعتبار توسّله إلى تحصيل العلوم بالحبر الذي يكتب به، ويقال: حَبْر ـ بالفتح ـ لكونه عالمًا بتحبير الكلام وتحسينه، كأنه مصدر قولك: حبرته حبرًا إذا حسنته.

قوله: (**ويكون الاستحفاظ من الأنبياء**)، والاستحفاظ من الأنبياء بمعنى سؤالهم حفظه من التغيير والتبديل، واستدعائهم لذلك لا بمعنى التكليف، فإنّ الطلب الكائن من الله هو معنى التكليف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله**: (**رقباء**) على أن يكون شهداء من الشهود الذي هو الحضور. **قوله**: (**نهي للحكام**)... الخ. المراد بالحكّام الحكّام بأحكام الدين مطلقًا، أو بأحكام التوراة، فيكون حكاية عمّا قيل لهم. **قوله**: (**وبالياء فيهما**) أي في الحالين، أي الوصل والوقف. (**سهل**) بن محمد، وكذا يعقوب بن إسحٰق، وليسا من السبعة. (**وافقه أبو عمرو**) البصري (**في الوصل**). والباقون بحذفها مطلقًا.

قوله: (﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ **مستهينًا به** ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾)، قالت الخوارج: كل من عصى الله تعالى فهو كافر، واحتجّوا عليه بهذه الآية، وقالوا إنها نصّ في أن كلّ مَنْ حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب وعصى فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافرًا، والمصنّف رحمة الله تعالى عليه أشار إلى جوابهم بتقييد قوله: (﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾) بقوله: مُستهينًا به.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ وفرضنا على اليهود في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ مأخوذة ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ (مفقوءة) ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ مجدوع ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ مقطوعة ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ مقلوعة ﴿بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ **(أي ذات قصاص وهو المقاصّة)** ومعناه ما يمكن فيه القصاص وإلا فحكومة عدل. وعن ابن عباس ﷺ: كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت. وقوله: «أن النفس بالنفس» يدل على أن المسلم يُقتل بالذِّمي والرجل بالمرأة والحُرّ بالعبد. نصب نافع وعاصم وحمزة **(المعطوفات كلها)** للعطف على ما عملت فيه «أن». **(ورفعها)** عليٌّ للعطف على محل «أن النفس» لأن المعنى: وكتبنا عليهم

قوله: (مفقوءة) بفاء وقاف وواو وهمزة. في مختار الصحاح: فقأ عينه بخَصها وبابه قطع. اهـ. وأيضًا فيه: بخص عينه قلعها مع شحمتها وبابه قطع، ولا نقل[1] بخص. اهـ. **قوله:** (أي ذات قصاص) لأنه مصدر كالقتال، وليس عين المخبر عنه، فيأوّل بأحد التأويلات المعروفة في أمثاله.

قوله: (وهو المقاصّة) في المصباح: قاصصه مقاصة وقصاصًا من باب قاتل إذا كان لك عليه دين مثل ما له عليك، فجعلت الدَّيْن في مقابلة الدَّين مأخوذ من اقتصاص الأثر، ثم غلب استعمال القصاص في قتل القاتل وجرح الجارح وقطع القاطع، ويجب إدغام الفعل والمصدر واسم الفاعل، يقال: قاصه مقاصة مثل سارّه مسارّة، وحاجّه محاجّة وما أشبه ذلك. اهـ.

قوله: (المعطوفات كلّها) يعني العين والأنف والأذن والسنّ والجروح. **قوله:** (ورفعها) عليّ الكسائي رحمه الله.

---

(١) قوله: ولا نقل بخص، وفي نسخة: ولا نقل بخش كذا في نسخة، والصحيح بالسين كما في شرح القاموس. قال يعقوب: ولا نقل بخس كما نقل الجوهري، وروى أبو تراب عن الأصمعي بخص عينه وبخزها وبخسها كلّه بمعنى فقأها، وقيل: بخصها بخصاءها، قال اللّحياني هذا كلام العرب والسين لغة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

النفس بالنفس (**إجراء لـ «كتبنا» مجرى «قلنا»**، **ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح**). والأُذْن بسكون الذال حيث كان: نافع. والباقون: بضمّها وهما لغتان كالسُّحت والسُّحت ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من أصحاب الحق ﴿بِهِۦ﴾ بالقصاص وعفا عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فالتصدّق به كفّارة للمتصدّق بإحسانه قال عليه السلام: (**«من تصدّق بدم فما دونه كان كفّارة له من يوم ولدته أمه»**) ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بالامتناع عن ذلك.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿**وَقَفَّيْنَا**﴾ معنى قفَّيت الشيء بالشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه يقال: (**قفاه يقفوه**) إذا تبعه ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ على آثار النبيِّين الذين أسلموا ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ هو حال من «عيسى» ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي وآتيناه الإنجيل ثابتًا فيه هدًى ونور ومصدقًا، فنصب «مصدقًا» بالعطف على ثابتًا الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه.

قوله: (**إجراء لـ «كتبنا» مجرى «قلنا»**)، فإن الجملة تقع مفعولًا للكتابة كما تقع مفعولًا للقول، فلما كانت الجملة الملفوظة في معنى النفس بالنفس جاز عطف جملة العين بالعين عليها باعتبار معناها، ولم يجعل لفظ العين معطوفًا على محل اسم أن لما تقرّر في النحو أنّه لا يجوز العطف على محل اسم أن المفتوحة. **قوله:** (**ونصب الباقون الكل**) أي الأربع على العطف و(**رفعوا الجروح**) على الاستئناف. **قوله:** (**من تصدّق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أُمّه**)، وأخرج ابن منصور وابن جرير وابن مردويه عن عدي بن ثابت أن رجلًا ثبت له على رجل قصاص في قتيل فأعطاه دية فأبى، إلا أن يقتصّ فأعطاه ديتين فأبى فأعطاه ثلاثًا فحدّثه رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**من تصدّق بدم فما دونه، فهو كفارة له من يوم وُلد إلى يوم يموت**». اهـ الدرّ المنثور.

قوله: (**قفاه يقفوه**) إذا تبعه. في مختار الصحاح: قفا أثره اتّبعه، وبابه عدا وسما وقفّى على أثره بفلان أي أتبعه إيّاه، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ

وارتفع «هدى ونور» بثابتًا الذي قام مقامه فيه ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ انتصبا على الحال أي هادِيًا وواعِظًا ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لأنهم ينتفعون به.

(﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾) وقلنا لهم احكموا بموجبه، فاللام لام الأمر وأصله الكسر، وإنما سكن استثقالًا لفتحة وكسرة وفتحة. «وليحكم» (**بكسر اللام وفتح الميم: حمزة**) على أنها لام كي أي وقفّينا ليؤمنوا وليحكم. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن الطاعة. قال (**الشيخ أبو منصور محمد**) رحمه الله: يجوز أن يحمل على الجحود في الثلاث فيكون

ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: الآية ٢٧]. اهـ. **قوله:** (﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾) قال العلامة البيضاوي رحمه الله: الآية تدلّ على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام، وإن كان مستقلّاً بالشرع، وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر. اهـ. وقال العلامة الشيخ زاده: قوله: (والآية تدلّ إلى آخره) ردّ لما قيل من أن عيسى عليه الصّلاة والسّلام متعبّد بما في التوراة من الأحكام، وليس له شريعة مستقلّة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بناءً على أن الإنجيل مواعظ وزواجر، وليس فيه من الأحكام إلّا قليل، ووجه الردّ ظاهر؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ يدلّ بظاهره على أن أهل الإنجيل مكلّفون بما فيه من الأحكام، لا بما في التوراة؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: (﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾)، فيلزم أن تكون التوراة منسوخة ببعث عيسى عليه السلام أنّ له شريعة مستقلّة، ومن قال إنه مكلّف بما في التوراة، وليس له شريعة مستقلّة ذهب إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة، وذلك تعسّف، وحَمْل للآية على خلاف ظاهرها. اهـ.

قوله: (**بكسر اللام وفتح الميم حمزة**)، والباقون بإسكان اللام والميم. **قوله:** (**الشيخ أبو منصور محمد**) بن محمد بن محمود الماتريدي، كان من كبار العلماء، كان يقال له: عَلَم الهُدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي، وكتاب بيان وَهْم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا

كافرًا ظالمًا فاسقًا، لأن الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر. وقيل: ومَن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي القرآن فحرْف التعريف فيه للعهد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بسبب الحق وإثباته وتبيين الصواب من الخطأ ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من «الْكِتابِ» ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدَّمه نزولًا. وإنما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه لأن ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدَّم عليه يكون قدّامه وبين يديه ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المراد به جنس الكتب المنزلة لأن القرآن مصدِّق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس، ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥]) ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ وشاهدًا لأنه يشهد له بالصحة والثبات ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي بما في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ نهى أن يحكم بما حرَّفوه وبدَّلوه اعتمادًا على قولهم ضمْن ولا تتبع: معنى ولا تنحرف فلذا عُدِّي بـ «من» فكأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متّبعًا أهواءهم، أو التقدير

يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن علي الحنفي، ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رَحِمَهُ اللهُ. اهـ الجواهر المضيئة.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥]) «يوحَىٰ» بضم الياء وفتح الحاء للأكثر، وفي قراءة للكوفيين بالنون وكسر الحاء، (﴿إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥]) أي وحدي.

عادلًا عما جاءك ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ (أيها الناس) ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ وطريقًا واضحًا. (واستدل به مَن قال إن شريعة مَن قبلنا لا تلزمنا). ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام، ثم إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام، ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ، وبيّن أنه ليس للسَّماع (فحسب) بل للحكم به فقال في الأول: «يحكم به النبيّون» وفي الثاني «وليحكم أهل الإنجيل» وفي الثالث «فاحكم بينهم بما أنزل الله» ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ جماعة متّفقة على شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ أراد ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة فتعبّد كل أمة بما اقتضته الحكمة ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة. والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لأنه في تقدير: إليه ترجعون ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فيخبركم بما لا تشكّون معه من الجزاء الفاصل بين مُحِقّكم ومُبطِلكم وعامِلكم ومُفرِطكم في العمل.

قوله: (أيّها الناس) إشارة إلى عموم الخطاب الشامل لمن مضى ومن بعدهم.

قوله: (واستدلّ به من قال: إن شريعة مَنْ قبلنا لا تلزمنا)؛ لأنه الظاهر من جعله لكلٍ شرعة، لأن الخطاب يعمّ الأُمم؛ إذ المعنى لكل أُمّة لا لكلّ واحد من أفراد الأُمم، فيكون لكل أُمّة دين يخصّه، ولو كان متعبّدًا بشريعة أخرى لم يكن ذلك الاختصاص. **قيل:** والجواب بعد تسليم دلالة اللام على الاختصاص الحصري منع الملازمة لجواز أن نكون متعبّدين بشريعة من قبلنا مع زيادة خصوصيات في ديننا بها يكون الاختصاص، وفيه أنه لا حاجة في إفادة الحصر لما ذكر مع تقدم المتعلّق. وأيضًا إن الخصوصيات المذكورة لا تنافي تعبّدنا بشرع مَنْ قبلنا، لأنّ القائلين به يدَّعون أنه فيما لم يعلم نسخه ومخالفة ديننا له مطلقًا؛ إذ لم يقل به أحد على الإطلاق، ولذا جمع بين أضراب هذه الآية وبين ما يخالفها نحو: ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٥]، بأن الاتّباع في أصول الدين ونحوها. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (فحسب) أي فقط.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم﴾ معطوف على «بالحق» أي وأنزلنا إليك الكتاب بالحق وبأن احكم ﴿بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾ أي يصرفوك وهو مفعول له أي مخالفة أن يفتنوك. وإنما حذَّره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم ﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ أي بذنب التولّي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع «ببعض ذنوبهم» موضع ذلك وهذا الإبهام لتعظيم التولّي، وفيه تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مُهلِك فكيف بكلّها! ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ لخارجون عن أمر الله.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ يطلبون. و(**بالتاء شامي**) يخاطب (**بني النضير**) في تفاضلهم على (**بني قريظة**) وقد قال لهم رسول الله ﷺ: «القتلى سواء». فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت. وسُئل (**طاوس**) عن الرجل يفضل بعض

قوله: (**بالتاء**) أي بتاء الخطاب (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بياء الغيب. **قوله:** (**بني النضير**) في الصحاح: بنو النَّضِير حيّ من يهود خيبر وقد دخلوا في العرب، وهم على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. اهـ.

قوله: (**بني قُريظة**) في لسان العرب: بنو قُرَيظة حيٌّ من يهود وهم والنضير قبيلتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام. اهـ. وفي الصحاح: قُرَيْظة والنضير قبيلتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام. اهـ. **قوله:** (**طاوس**) بن كيسان أبو عبد الرحمٰن الخولاني اليماني التابعي أحد الأعلام من أبناء الفرس، كان أعلم التابعين بالحلال، أخذ عن

ولده على بعض فقرأ هذه الآية. وناصب «أفحُكم الجاهلية يبغون» ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ مبتدأ وخبره وهو استفهام في معنى النفي أي لا أحد أحسن ﴿مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ هو تمييز. **(واللام في** ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ **للبيان)** كاللام في (﴿هَيْتَ لَكَ﴾) [يوسف: الآية ٢٣] **(أي هذا الخطاب)** وهذا الاستفهام «لقوم يوقنون» فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكمًا منه. وقال **(أبو علي)**: معنى لقوم عند قوم لأن اللام و«عند» يتقاربان في المعنى.

عائشة ﷺ وطائفة. اهـ دستور الأعلام. وفي تهذيب الأسماء: كان يسكن الجَنَد - بفتح الجيم والنون - بلدة معروفة باليمن؛ هو من كبار التابعين والعلماء الفضلاء الصالحين. سمع ابن عباس وابن عمرو وجابر وأبا هريرة وزيد بن ثابت وابن أرقم وعائشة ﷺ. روى عنه ابنه عبد الله الصّالح بن الصالح ومجاهد وعمرو بن دينار وخلائق من التابعين، واتّفقوا على جلالته وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وتثبيته، قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا قطّ مثل طاوس. توفي بمكّة في سابع ذي الحجّة سنة ستّمائة، هذا قول الجمهور. وقال الهيثم بن عدي وأبو نعيم: سنة بضع عشر ومائة، والمشهور الأوّل، وقالوا: وكان له بضع وسبعون سنة رحمة الله تعالى عليه. اهـ. قال الصاغاني: والاختيار أن يكتب الطاوس علمًا بواو واحدة كداود. اهـ.

قوله: (واللام في ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ للبيان)، فتتعلق بمحذوف. **قوله:** (﴿هَيْتَ﴾) [يوسف: الآية ٢٣] بمعنى هلمّ وائت، أي تعال وأقبل (﴿لَكَ﴾) [يوسف: الآية ٢٣] اللام للتبيين، أي لتبيين المخاطب، لأنه قيل: لمن تقولين؟ فقيل: أقول لك، وليس للصلة؛ إذ لا تقتضيه اسم الفعل.

قوله: (أي هذا الخطاب) يعني إلقاء الكلام الذي هو: (﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾). ولم يلتفت إلى احتمال أن تكون متعلقة بقوله: ﴿حُكْمًا﴾؛ لأن حكم الله تعالى لا يختصّ بقومٍ دون قوم.

قوله: (أبو علي) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي، وُلِد بمدينة فسا، واشتغل ببغداد، ودخل إليها سنة سبع وثلاثمائة، وكان إمام وقته في علم النحو، ومن تصانيفه كتاب التذكرة، وهو كبير، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الحجّة في القراءات، وكتاب الإغفال

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

ونزل نهيًا عن مُوالاة أعداء الدين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخذونهم وتعاشرونهم مُعاشرة المؤمنين. ثم علَّل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وكلهم أعداء المؤمنين، وفيه دليل على أن الكفر كله مِلَّة واحدة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مُجانبة المُخالف في الدِّين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكَفَرَة ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نِفاق ﴿يُسَـٰرِعُونَ﴾ حال أو مفعول ثانٍ **(لاحتمال أن يكون «فترى» من رؤية العين أو القلب)** ﴿فِيهِمْ﴾ في معاونتهم على المسلمين ومُوالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ أي في أنفسهم لقوله على «ما أسرّوا» ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ أي يؤمر النبي عليه السلام بإظهار أسرار المُنافقين وقتلهم ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾ أي المُنافقون ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من النفاق ﴿نَـٰدِمِينَ﴾ خبر ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾.

فيما أغفله الزجّاج من المعاني، وكتاب العوامل المائة وغير ذلك. وبالجملة فهو أشهر من أن يُذكر فضله ويعدّد، وكان متّهمًا بالاعتزال، وكان مولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين، وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وقيل: ربيع الأوّل سنة سبع وسبعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى ببغداد، ودُفِن بالشونيزيّ والفارسي لا حاجة إلى ضبط شهرته، ويقال له أيضًا: الفسويّ ـ بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو ـ هذه النسبة إلى مدينة فسا من أعمال فارس.

قوله: (لاحتمال أن يكون فترى من رؤية العين)، فيكون يسارعون حالًا (أو) رؤية (القلب) فيكون يُسارعون مفعولًا ثانيًا.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي يقول بعضهم لبعض عند ذلك. («ويقول» **بصري عطفًا على** «**أن يأتي**» «**يقول**» **بغير واو**: **شامي وحجازي**) على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: يقول الذين آمنوا ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ أي أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم (**ومعاضدوكم**) على الكفّار (**وجَهد أيمانهم مصدر**) في تقدير الحال أي مجتهدين في توكيد أيمانهم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسُمعة لا إيمانًا وعقيدة، وهذا من قول الله عزَّ وجلّ شهادة لهم بحُبُوط الأعمال (**وتعجيبًا من سوء حالهم**) ﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ في الدنيا والعقبى لفوات المَعونة ودوام العقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ مَن يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر. (﴿يَرْتَدِدْ﴾ **مدني وشامي**) ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

قوله: (ويقول) بإثبات الواو ونصب اللام (بصريّ) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**عطفًا على أن يأتي**) باعتبار المعنى، فكأنه قال: عسى أن يأتي بالفتح، ويقول (**يقول بغير واو**) قبل الياء ورفع اللام (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي (**وحجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي. والباقون بالواو والرفع. **قوله:** (**معاضدوكم**) في مختار الصحاح: المعاضدة المعاونة. **قوله:** (**وجهد أيمانهم مصدر**) أي بمعنى إغلاظ اليمين، يقال: جهد يمينه أي أغلظها. **قوله:** (**وتعجيبًا**) للسامعين (**من سوء حالهم**) وهي ذهاب ما أظهروه من الإيمان وبطلان كل خير عملوه حيث لم يحصل لهم شيء من ثمرته لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله: (﴿يَرْتَدِدْ﴾) بدالين مكسورة فمجزومة بفكّ الإدغام على الأصل لأجل الجزم (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني. (**وشامي**) أي ابن

يرضى أعمالهم ويُثني عليهم بها ويطيعونه ويُؤثِرون رضاءه، وفيه دليل نبوّته عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث أخبرهم بما لم يكن فكان، وإثبات خلافة الصِّدِّيق لأنه جاهد المرتدِّين، وفي صحة خلافته وخلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وسُئِل النبي ﷺ عنهم فضرب على عاتق **(سلمان)** وقال: «هذا وذووه لو كان الإيمان معلَّقًا بالثُّرَيا لناله رجال من أبناء فارس» والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ﴿أَذِلَّةٍ﴾ جمع ذليل، **(وأما ذلول فجمعه)** ذلل. ومَن زعم أنه من الذُّلِ الذي هو ضدّ الصعوبة فقد سَهَا لأن ذلولًا لا يجمع على أذلة. قال **(الجوهري:**

عامر الشامي. والباقون بدال واحدة مفتوحة مشدّدة بالإدغام للتخفيف. **قوله: (سلمان)** الفارسي ـ بكسر الراء وتسكن ـ الصحابي أوّل مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلّف عن مشهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة وزهّادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، ونقلوا اتّفاق العلماء على أن سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: أدرك وحي عيسى ابن مريم. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. توفي بالمدائن في أول سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين.

قوله: (وأما ذلول فجمعه) ذُلُل ـ بضمتين ـ مثل رسول ورُسُل. اهـ مصباح. **قوله: (الجوهري)** هو الإمام أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي نسبة إلى فاراب كساباط، قيل: إنه اسم ناحية من بلاد الترك وراء نهر سيحون، والصحيح المشهور أنه اسم مدينة يقال لها أنزار ـ بالضم ـ هي قاعدة بلاد الترك ونسب إلى الجوهر لبيعه أو لحسن خطّه، أوأنها نسبة للتشبيه أو لغير ذلك. قد أخذ العلم عن خاله إبراهيم الفارابي واشتهر أنه ابن أخت أبي نصر الفارابي صاحب ديوان الأدب، وأخذ أيضًا عن أبي سعيد السيرافي، وارتحل في طلب علوم اللغة وغيرها إلى بلاد ربيعة ومضر، فأقام بها مدة ثم عاد إلى خراسان وأقام بنيسابور مدّة، فبرز في اللغة وحسن الخطّ وغيرهما حتى صار من أذكياء العالم، بل من أعاجيب الدنيا علمًا وذكاءً وخطًّا، وصار يُضْرب بخطّه المثل، وقد ترجمه أبو منصور الثعالبي اللغوي في كتابه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر فقال: كان الجوهري من أعاجيب الزمان، وهو إمام في اللغة، وله

الذّل) ضدّ العز، ورجل ذليل بَيِّن الذّل، وقوم أذِلّاء وأذلّة، والذّل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال: دابّة ذلول ودواب ذلل ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم

كتاب الصحاح، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري:

هذا كتاب الصحاح سيّدها صنّف قبل الصحاح في الأدب
تشمل أبوابه وتجمع ما فرّق في غيره من الكتب

قال محشي القاموس: ولما قال بعض الشعراء:

مذ مدّ مجد الدين في أيّامه من بعض أبحر علمه القاموسا
ذهبت صحاح الجوهري كأنها سحر المدائن حين ألقى موسى

ردّ عليه أديب الشام وصوفيه شيخ مشائخنا العلّامة عبد الغني بن إسماعيل الكناني المقدسي المعروف بالنابلسي قدّس سرّه، كما أسمعنا غير واحد من أشياخنا الأعلام:

من قال قد بَطُلت صحاح الجوهري لمّا أتى القاموس فهو المفتري
قلت اسمه القاموس وهو البحر إن يفخر فمعظم فخره بالجوهري

ثم توفي الجوهري في حدود الأربعمائة على اختلافٍ في تعيين سنة الوفاة، فقيل: سنة ٣٩٢، وقيل غير ذلك. قيل: إنه توفي متردّيًا من سطح داره، وقيل: إنه تغيّر عقله وعمل له دفّتين وشدّهما كالجناحين وأراد أن يطير فوقع من علوّ، فهلك رحمة الله عليه.

أمّا لفظ الصحاح، فقد نَقَل المزهر عن أبي زكريا بالخطيب التبريزي أنه يقال بكسر الصاد، وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظِراف، ويقال: بالفتح، وهو نعت مفرد مثل صحيح، وقد جاء فعال ـ بفتح الفاء ـ لغة في فعيل كصحيح وصحاح وشحيح وشحاح وبريء وبراء. اهـ. قال الإمام المحقّق ابن الطيّب ما معناه: حيث لم يرد عن المؤلف في تخصيص أحدهما بالسند الصحيح ما يصار إليه ولا يعدل عنه، فكِلَا الضبطين صحيح خلافًا لمن أنكر الفتح ولمن رجّحه على الكسر. اهـ. **قوله: (الذل)** بالضمّ ضدّ العزّ.

يقل للمؤمنين لتضمّن الذّل معنى (الحنو) والعطف كأنه قيل: عاكفين عليهم على وجه التذلّل والتواضع ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أشداء عليهم (والعَزاز) الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين (كالسبع على فريسته) ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقاتلون الكفّار وهو صفة لـ «قوم» كـ «يحبهم» و«أعزّة» و«أذلة» ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ الواو يحتمل أن تكون للحال أي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا مُوالين لليهود، فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئًا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وأما المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم. وأن

قوله: (الحنوّ) الانعطاف والتواضع. في مختار الصحاح: حنا عليه عطف وبابه سما وعدا. اهـ. **قوله:** (العزاز) كسَحاب. **قوله:** (كالسبع) في المصباح السَّبُع - بضم الباء - معروف وإسكان الباء لغة حكاها الأخفش وغيره وهي الفاشية عند العامّة، ولهذا قال الصغاني: السبُع والسَّبْع لغتان، وقُرِىء بالإسكان في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة: الآية ٣]، وهو مرويٌّ عن الحسن البصري وطلحة بن سليمان وأبي حَيْوة ورواه بعضهم عن عبد الله بن كثير أحد السبعة، ويجمع في لغة الضم على سباع مثل رجل ورجال لا جمع له غير ذلك على هذه اللغة. قال الصغاني: وجمعه على لغة السكون في أدنى العدد أَسْبُع مثل فلس وأفلس، وهذا كما خفّف ضبع وجمع على أَضْبُع، ومن أمثلتهم: أَخَذَه أَخْذ السبعة بالسكون. قال ابن السكّيت: الأصل بالضم لكن أسكنت تخفيفًا، والسَّبْعة اللُّبْوة وهي أشدّ جراءة من السبع، وتصغيرها سُبَيْعة، وبها سمّيت المرأة ويقع السَّبُع على كلّ ما له ناب يعدو به ويفترس كالذّئب والفهد والنَّمِر. وأمّا الثعلب، فليس بسبُع، وإن كان له ناب؛ لأنه لا يَعْدُو به ولا يفترس، وكذلك الضَّبُع، قاله الأزهري. اهـ. وأيضًا فيه اللَّبُوة - بضم الباء - الأُنثى من الأسود والهاء فيها لتأكيد التأنيث، كما ناقة ونعجة؛ لأنه ليس لها مذكّر من لفظها حتى تكون الهاء فارقة، وسكون الباء مع الهمز مع إبداله واو لغتان فيها. اهـ. وفي القاموس: اللَّبْوة كَعَنْوةٍ ويكسر وكَسَمْرةٍ وقناة واللّبة واللَّبُ - مخففين - الأسَدة. اهـ.

قوله: (على فريسته) في المصباح: فَرِيسة الأسد التي يكسرها فعيلة بمعنى مفعولة، وفرسها فرسًا من باب ضرب إذا كسرها، ثم أطلق الفرس على كل

تكون للعطف أي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم (**صلاب**) في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين (**لا تزعهم**) لومة لائم: واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئًا (**قطّ**) من لوم واحد من اللوام ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذّلّة والعزّة والمجاهدة وانتفاء خوف اللّومة ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفواضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن هو من أهلها.

عقب النهي عن موالاة مَن تَجب مُعاداتهم ذكر مَن تجب مُوالاتهم بقوله:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وإنما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الوليّ وإن كان المذكور جماعة تنبيهًا على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع، ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع. ومحل ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الرفع على البدل من «الذين آمنوا»، أو على هم الذين، (**أو النصب على المدح**) ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. والواو في ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ للحال أي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة. (**قيل: إنها نزلت في عليّ رضي الله تعالى عنه**) حين سأله سائِل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه

قتل.اهـ. **قوله:** (صِلابٌ) بالكسر. **قوله:** (**لا تزعهم**) أي لا تكفّهم ولا تمنعهم. **قوله:** (قَطُّ) أي أبدًا.

قوله: (**أو النصب على المدح**) أي يعني الذين يقيمون الصلاة. **قوله:** (**قيل: إنها نزلت في عليّ رضي الله تعالى عنه**)... الخ. وقصّة عليّ كرَّم الله وجهه ورضي عنه أخرجها الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد متّصل، قال: أقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبيّ ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنّ منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدّث دون هذا المجلس، وإنّ قومنا لما رأوا آمنّا بالله ورسوله وصدّقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يُجالسونا ولا يُناكحونا ولا يكلّمونا، فشقّ ذلك علينا. فقال لهم النبيّ ﷺ: «**إنما وليّكم الله ورسوله**»، ثم إنّ النبيّ ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فبَصُر بسائل فقال: «**هل أعطاك أحد شيئًا**»؟ فقال: نعم، خاتم من فضّة، فقال:

كأنه (**كان مرجًا**) في خنصره فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل يُفسِد صلاته. وورد بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحدًا ترغيبًا للناس في مثل فِعْله لينالوا مثل ثوابه. والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة، وعلى أن الفعل القليل لا يُفسِد الصلاة.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يتخذه وليًا أو يكن وليًا ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام الضمير أي فإنهم هم الغالبون، أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أي ومَن يتولّهم فقد تولّى حزب الله، و(**اعتضد**) بمَن لا يُغالَب. وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمرٍ (حَزَبهم) أي أصابهم.

ورُوِي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهَرا الإسلام ثم نافَقا وكان رجال من المسلمين يوادّونهما فنزل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ يعني اتخاذهم دينكم هزوًا ولعبًا لا يصحّ أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمُنابذة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ «من» للبيان ﴿مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾ أي المشركين وهو عطف على

«**من أعطاكه**»؟ فقال: ذاك القائم، وأومأ بيده إلى عليّ رضي الله تعالى عنه، فقال النبيّ ﷺ: «**على أيّ حالٍ أعطاك**»؟ فقال: وهو راكع، فكبّر النبيّ ﷺ، ثم تلا هذه الآية؛ فأنشأ حسان رضي الله تعالى عنه يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومُهْجتي	وكل بطيء في الهدى ومُسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعًا	وما المدح في جنب الإله بضائعِ
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعًا	زكاة فدَتْك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وثبتها مثنى كتاب الشرائع

قوله: (**كان مرجًا**) أي واسعًا من مرج الخاتم في إصبعه ـ بالكسر ـ أي قلق.

قوله: (**اعتضد**) أي تقوّى بمن لا يغالب، أي لا يصير مغلوبًا. **قوله:** (**حزَبهم**) من باب قتل.

«الذين» المنصوبة. (و«الكفار» **بصري وعليّ**) عطف على الذين المجرورة أي من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفّار ﴿أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مُوالاة الكفّار ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًّا لأن الإيمان حقًّا يأبى مُوالاة أعداء الدين.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة أو المُناداة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ لأن لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجَهَلَة فكأنهم لا عقل لهم، **(وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده)**.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ يعني هل تعيبون منّا وتُنكرون إلا الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وهو عطف على المجرور أي ما تنقمون منّا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقونَ، والمعنى أعادَيتمونا لأنّا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمُخالفتكم لنا في ذلك؟ ويجوز أن يكون الواو بمعنى «مع» أي ما تنقِمون منّا إلا الإيمان بالله مع أنكم فاسقون.

قوله: (والكفار) بخفض الراء **(بصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. **(وعلي)** الكسائي، وأمالها أبو عمرو والدوري عن الكسائي. والباقون بالنصب بلا إمالة.

قوله: (وفيه دليل على ثبوت الأذان بنصّ الكتاب لا بالمنام وحده) من جهة أنه لما دلّ على أن اتّخاذ المُناداة هزوًا من منكرات الشرع دلّ على أن المُناداة التي كانوا عليها من معروفاته والحقوق الثابتة فيه، وإن كان ابتداء مشروعيّته بالسنة المبنية على منام عبد الله بن زيد الأنصاري، وهذا لا ينافي كون مشروعية الأذان أوّل ما قدموا المدينة والمائدة آخر القرآن نزولًا، وفي قوله: لا بالمنام وحده إشارة إلى ما ذكرنا، وإلى أنه لا يمتنع اجتماع الأدلّة الشرعيّة على حكمٍ واحد؛ لأنها معرّفات وأمارات لا مؤثّرات ومُوجبات. اهـ تفتازاني رحمه الله.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي ثوابًا وهو نصب على التميز والمَثوبة وإن كانت مختصّة بالإحسان ولكنها وُضِعَت موضع العقوبة كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ٢١] وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مُستوجِبون للعقوبة فقيل لهم ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ شرّ عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم وذلك إشارة إلى المتقدم أي الإيمان أي بشرٍّ مما نقمتم من إيماننا ثوابًا أي جزاء، ولا بدَّ من حذف مضاف **(قبله)** أو قبل «من» تقديره: بشرٍّ من أهل ذلك أو دين مَن لعنه الله ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ يعني أصحاب السبت ﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ أي كفّار أهل مائدة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو كِلا المسخين من أصحاب السبت **(فشبّانهم)** مُسِخوا قِرَدَة **(ومشائخهم)** مُسِخوا خنازير ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ **(أي العجل)** أو الشيطان لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة «من» كأنه قيل: ومَن عبد الطاغوت. (﴿وَعَبُدَ ٱلطَّٰغُوتِ ۚ﴾) حمزة جعله اسمًا موضوعًا للمبالغة كقولهم: «رجل حذِر وفَطِن» للبليغ في الحذر والفِطنة، وهو معطوف على «القردة والخنازير» أي جعل الله منهم عبد الطاغوت ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الممسوخون الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جعلت

قوله: (قبله) أي قبل ذلك. **قوله:** (فشبّانهم) الشُبّان جمع الشابّ.

قوله: (مشائخهم) مشائخ، قيل: جمع شيخ على خلاف القياس. والتحقيق أنه جمع مشيخة. اهـ شهاب. وفي المصباح: المشيخة اسم جمع للشيخ وجمعه مشائخ. اهـ.

قوله: (أي العجل)... الخ. فإن الطاغوت اسم لكل من يُطاع في معصية الله تعالى، فيُطلق على الشيطان والكاهن وكل ما عُبِد من دون الله تعالى.

قوله: (﴿وَعَبُدَ ٱلطَّٰغُوتِ ۚ﴾) بفتح العين وضمّ الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت حمزة، والباقون بفتح العين والباء على أنه فعل ماض، ونصب الطاغوت مفعولًا به.

(الشرارة) للمكان وهي لأهله للمبالغة ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن **(قصد الطريق)** الموصل إلى الجنة.

ونزل في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويُظهِرون له الإيمان نِفاقًا:

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ الباء للحال أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره مُلتَبِسين بالكفر، وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت «قد» تقريبًا للماضي من الحال وهو متعلق بـ «قالوا آمنا» أي قالوا ذلك وهذه حالهم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ من النِّفاق.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم. أو الإثم ما يختصّ بهم، والعدوان ما يتعدّاهم إلى غيرهم، والمُسارعة في الشيء الشُّروع فيه بسرعة ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **(لبئس شيئا عملوه)**.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَوْلَا﴾ هلا وهو **(تحضيض)** ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ هذا ذمٌّ للعلماء والأول للعامّة. وعن ابن

قوله: (الشّرارة) بفتح الشين مصدر كالقباحة لفظًا ومعنًى. **قوله: (قصد الطريق)** بفتح فسكون، وأصل معنى سواء السبيل الوسط المستوي، وهو معنى القصد؛ لأنه يستعمل في الاعتدال بين الإفراط والتفريط.

قوله: (لبئس شيئًا عملوه) إشارة إلى أن ما نكرة موصوفة وقعت تمييزًا للضمير المستتر في بئس الفاعل والمخصوص بالذمّ محذوف، أي بئس شيئًا عملوه هذه الأُمور، وجوّز جعلها موصولة فاعل بئس.

قوله: (تحضيض) ـ بضادين معجمتين ـ أي حثّ وطلب.

عباس ﵄: هي أشدّ آية في القرآن حيث أنزل تارِكَ النهي عن المنكر منزلة مُرتكِب المُنكر في الوعيد.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ رُوِيَ أن اليهود لعنهم الله لمّا كذبوا محمدًا ﵇ كفَّ الله ما بسط عليهم من السَّعَة وكانوا من أكثر الناس مالاً، فعند ذلك قال **(فنحاص)**: يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه. **(وغلّ اليد وبَسْطها مجاز عن البُخل والجود)** ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: الآية ٢٩]. ولا يقصد المتكلِّم به إثبات يد ولا غِلّ ولا بَسْط حتى إنه يستعمل في ملك يعطي ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب **(عطاءً جزلًا)** لقالوا ما أبسط يده **(بالنوال)**. وقد استعمل حيث لا تصحّ اليد يقال: بسط البأس كفَّيه في صدري فجعل للبأس الذي هو من المعاني كفَّان، ومَن لم ينظر في علم البيان يتحيَّر في تأويل أمثال هذه الآية. وقوله: «غُلَّت أيديهم» دعاء عليهم بالبُخل ومن ثم كانوا أبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله، أو تغلّ في جهنم فهي كأنها غلت وإنما ثنيت اليد في «بل يداه مبسوطتان» وهي مفردة في «يد الله مغلولة» ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدلّ على إثبات غاية السخاء له ونفي البُخل عنه، فغاية ما **(يبذله)** السخي أن يعطيه بيديه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ تأكيد للوصف **(بالسَّخاء)**

قوله: (فِنحاص) بن عازوراء من اليهود. **قوله: (غلّ اليد)** بابه رد **(وبسطها مجاز عن البخل والجود)**، يعني: فيمن لا يصح الحقيقة أصلًا كما في هذا المقام بخلاف قولك: يد فلان مغلولة أو مبسوطة، فإنه كناية عن ذلك. اهـ تفتازاني ﵀. **قوله: (عطاء جزْلًا)** في مختار الصحاح: الجزيل العظيم وعطاء جَزْل وجزيل وأجزل له من العطاء أي أكثر. اهـ. **قوله: (بالنَّوال)** أي العطاء. **قوله: (يبذله)** أي يُعطيه، وبابه نصر. **قوله: (بالسخاء)** أي الجود.

ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديًا في الجحود وكُفْرًا بآيات الله، وهذا من إضافة الفعل إلى السبب كما قال: (﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]). ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكلمهم أبدًا مختلف وقلوبهم **(شتى)** لا يقع بينهم اتفاق ولا **(تعاضد)** ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قطّ، وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس. وقيل: كلما حاربوا رسول الله ﷺ نصر عليهم. عن **(قتادة)**: لا تلقى يهوديًا في بلد إلا وقد وجدته من أذلّ الناس ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ ويجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذِكر النبي عليه السلام من كتبهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عددنا من سيئاتهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ أي **(وقرنوا إيمانهم بالتقوى)** ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ولم نؤاخذهم بها ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ مع المسلمين.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ من سائر كتب الله لأنهم

قوله: (﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٤]) أي السورة (﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]) أي كفرًا إلى كفرهم، لكفرهم بها. **قوله:** (شتّى) متفرّقة. **قوله:** **(تعاضد)** تعاون. **قوله:** **(قتادة)** بن دِعامة كان تابعيًا، وكان عالمًا كبيرًا، وكانت ولادته سنة ستّين للهجرة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه.

قوله: **(وقرنوا إيمانهم بالتقوى)** في مختار الصحاح: قَرَن الشيء بالشيء وَصَلَه به، وبابه ضرب ونصر.

مُكَلَّفون الإيمان بجميعها فكأنها أُنزلت إليهم. وقيل: هو القرآن. ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾ يعني الثمار من فوق رؤوسهم ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم: «فلان في النعمة (**من قرنه إلى قدمه**). ودلَّت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى: ﴿(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ) لَفَتَحْنَا (عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [**الطلاق: الآيتان ٢، ٣**]، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [**نوح: الآية ١٠**]) الآيات. (﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [**الجن: الآية ١٦**])، ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ طائفة

قوله: (**من قرنه إلى قدمه**) القَرْن الجانب الأعلى من الرأس. اهـ قاموس. وفي نسخة: من فرقه، وفي أخرى: من فوقه. **قوله:** (﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]) المكذّبين (﴿ءَامَنُواْ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦] بالله**) ورسلهم (﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]) الكفر والمعاصيَ لفتحنا ـ بالتخفيف والتشديد ـ (﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]) بالمطر (﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [**الأعراف: الآية ٥٤**]) بالنبات (﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]) الرسل (﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]) عاقبناهم (﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]). **قوله:** (﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [**الطَّلاق: الآية ٢**]) من كرب الدنيا والآخرة، (﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [**الطَّلاق: الآية ٣**]) يخطر بباله، (﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الطّلاق: الآية ٣]) في أُموره (﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلاق: الآية ٣]) كافيه (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطّلاق: الآية ٣]) مُراده، وفي قراءة بالإضافة (﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الطّلاق: الآية ٣]) كرخاء وشدّة (﴿قَدْرًا﴾ [الطّلاق: الآية ٣]) ميقاتًا. **قوله:** (﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [**نوح: الآية ١٠**]) (﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ [نُوح: الآية ١١]) المطر، وكانوا قد منعوه (﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نُوح: الآية ١١]) كثير الدرور، أي السيلان، (﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نُوح: الآية ١٢]) ويجعل لكم جنات بساتين (﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: الآية ١٢]) جارية. قوله: (وأن) مخفّفة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي وأنهم، أي وإن قريشًا أو الجنّ أو الإنس (﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [**الجن: الآية ١٦**]) أي طريقة الإسلام، (﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [**الجن: الآية ١٦**]) من السماء، وذلك بعدما رُفِع المطر عنهم سبع سنين.

حالها (أَمَمٌ) في عداوةِ رسول الله ﷺ. وقيل: هي الطائفة المؤمنة وهم (عبد الله بن سلام) وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ فيه معنى التعجب كأنه قيل: (وكثير منهم ما أسوأ عملهم). وقيل: هم (كعب بن) الأشرف وأصحابه وغيرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ جميع ما أنزل إليك، وأيّ شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحدًا ولا خائف أن ينالك مكروه ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ («رسالته»: مدني وشامي وأبو بكر). أي فلم تبلّغ إذًا ما كُلِّفت من أداء الرسالة ولم تؤدّ منها شيئًا قطّ، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، فإذا لم تؤدّ بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعًا، كما أن مَن لم يؤمن ببعضها كان كمَن لم يؤمن بكلّها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد، والشيء الواحد لا يكون مبلغًا غير مبلّغ مؤمنًا به غير مؤمن. قالت (الملحدة) لعنهم الله تعالى: هذا كلام لا يفيد

قوله: (أَمَم) ـ مُحرّكة ـ أي متوسّطة. **قوله:** (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري ثم الخزرجي الصحابي، كُنيته أبو يوسف. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث، وانفرد البخاري بآخر. توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (وكثير منهم ما أسوأ عملهم) أي تقول في حقّهم ذلك، ومعنى التعجّب مُستفاد من المقام، وما نَكِرة تمييزًا وموصولة فاعل ساء، والمخصوص بالذمّ محذوف، وكثير مبتدأ. **قوله:** (كعب بن) الأشرف علم يهودي معروف.

قوله: (رسالاته) بالألف وكسر التاء على الجمع (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون بغير ألف ونصب التاء على التوحيد. **قوله:** (المُلحدة) في ردّ المحتار في باب المرتد: الملحد وهو مَنْ مالَ عن الشرع القويم إلى جهةٍ من جهات الكفر من ألحد في الدِّين حادَ وعدل لا يشترط فيه الاعتراف

وهو كقولك لغلامك: «كل هذا الطعام فإن لم تأكله فإنك ما أكلته»، قلنا: هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلِّغ ما أنزل إليك من ربك في المستقبل فإن لم تفعل أي إن لم تبلّغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلّغ الرسالة أصلًا، أو بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة (**الشوكة**) و(**العدّة**)، فإن لم تبلّغ كنت كمَن لم يبلّغ أصلًا، أو بلِّغ ذلك غير خائف أحدًا فإن لم تبلّغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلّغ الرسالة أصلًا. ثم قال مشجّعًا له في التبليغ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ يحفظك منهم قتلًا فلم يقدر عليه وإن (**شجّ في وجهه يوم أُحد وكسرت رباعيته**) أو نزلت بعدما أصابه ما أصابه. والناس الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك.

بنبوّة نبيِّنا ﷺ، ولا بوجود الصانع تعالى، وبهذا فارق الدّهري أيضًا، ولا إضمار الكفر، وبه فارق المنافق ولا سبق الإسلام وبه فارق المرتدّ، فالمُلحد أوسع فرق الكفر حدًّا، أي هو أعمّ من الكلّ، انتهى ملخّصًا نقلًا عن رسالة العلامة ابن كمال باشا. **قوله:** (الشوكة) في المصباح: الشوكة شدَّة البأس والقوّة في السلاح. **قوله:** (**العدة**) في المصباح: العدة بالضمّ الاستعداد والتأهّب، والعدة ما أعددته من مالٍ أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عُدد مثل غرفة وغُرف. اهـ.

قوله: (**شُجّ في وجهه**) بضمّ شين وتشديد جيم أي جرح. عن الزهري: أنه ضُرِب وجهِ رسول الله عليه أشرف التحية يوم أُحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرّها كلّها، ذكره السيوطي رحمه الله في حاشية البخاري، ولعلّ وجه حصول المشاركة مع الشجّ بالكسر لتحقيق الثواب والأجر ولإظهار مقتضى الأوصاف البشرية من العجز والضعف والتأثير المناسبة للعبودية وموجب نعت الكبرياء والعظمة والاستغناء وللقّوة والقدرة الملائمة للربوبيّة.

قوله: (**يوم أُحد**) في المصباح: أُحُد ـ بضمّتين ـ جبل بقرب مدينة النبيّ ﷺ من جهة الشام، وكان به الوقعة في أوائل شوّال سنة ثلاث من الهجرة، وهو مذكر فينصرف، وقيل؛ يجوز التأنيث على توهّم بقعة وليس بالقوي. اهـ. **قوله:** (**وكُسِرت رباعيّته**) بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية السنّ الذي بين الثنية والناب. وكانت الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الأيمن.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٦٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ على دين يعتدّ به حتى يسمى شيئًا لبُطلانه ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ إضافة زيادة الكفر والطغيان إلى القرآن بطريق التسبيب ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا تتأسف عليهم فإن ضرر ذلك يعود إليهم لا إليك. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بألسنتهم وهم المنافقون ودلّ عليه قوله: و﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٤١]، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ قال **(سيبويه)**

قوله: (سيبويه) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبر كان أعلم المتقدّمين والمتأخّرين بالنّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه. توفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضا في سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيّف وأربعون سنة، وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة، وقيل: ثمان وثمانين. وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وأنه توفي بمدينة ساوة. وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه قال: مات سيبويه بشيراز وقبره بها، والله أعلم. وسيبويه ـ بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة ولا يقال بالتاء البتّة ـ وهو لقب فارسيّ معناه بالعربية رائحة التفاح، هكذا يَضْبط أهل العربية هذا الاسم، ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما، والعجم يقولون: سيبويه ـ بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها ـ لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة ويه؛ لأنها للندبة. وقال إبراهيم الحربي: سمّي سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى.

وجميع البصريين: ارتفع «الصابئون» بالابتداء وخبره محذوف والنِّيَّة به التأخير عمّا في حيِّز «إن» من اسمها وخبرها كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والصابئون كذلك أي مَن آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدَّم وحذف الخبر **(كقوله:**

فمَن يكُ أمسى بالمدينة رَحْله فإني وقيار بها لغريب)

أي فإني لغريب وقيار كذلك، ودلَّ اللام على أنه خبر «إن» ولا يرتفع بالعطف على محل «إن» واسمها لأن ذا لا يصحّ قبل الفراغ من الخبر. لا تقول: «إن زيدًا وعمرو منطلقان» وإنما يجوز «إن زيدًا منطلق وعمرو»، والصابئون مع

قوله: (كقوله) أي ضابىء ـ بالضاد المعجمة وبعد الألف باء موحدة ثم همزة ـ هو ابن الحارث بن أرتاد بن شهاب بن شراحيل بن عبيد بن خازل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم التميمي البُرْجُمي ـ بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الجيم ـ نسبةً إلى البراجم، وهم خمس بطون من أولاد حنظلة بن مالك، وهم: عمرو، والظليم، وقيس، وكلفة، وغالب؛ لقّبوا به لأن رجلًا منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم: أيتها القبائل التي قد ذهبت عددها تعالوا فلنجتمع مثل براجم يدي هذه، ففعلوا، فسُمُّوا البراجم. وضابىء هذا له إدراك للنبيّ ﷺ، كما في الإصابة في تمييز الصحابة.

(فمن يك أمسى بالمدينة رَحْله فإني وَقَيّار بها لغريب)

وهو من قصيدة من الطويل قالها محبوس في المدينة المنوّرة في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه. وقوله: **(يكُ)** يُروى بإسقاط النون على الجزم وبإبقائها، وحينئذ يُقرأ بالنقل ليصح الوزن، **(وأمسى)** بمعنى صار، وأصله دخل في المساء بخلاف الصباح، وبالمدينة رَحْله: كناية عن الاستيطان بها، والرَّحل: المسكن وما يستصحب من الأثاث. **(وقيّار)** ـ بفتح القاف وتشديد الياء آخر الحروف ـ اسم غلام الشاعر. وقال الخليل: اسم فرس له غبراء. وفي الصحاح: اسم جَمَله، وهو قول أبي زيد، وقيل: المراد بالوصف بالسواد، أي أسود كالقار، ومعنى البيت التحسّر على الغربة. وكان السبب في حبس عثمان لضابىء

خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: «إن الذين آمنوا» إلى آخره، ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها. وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم (أبين) هؤلاء المعدودين ضلالًا وأشدهم غيًّا يُتاب عليهم إن صحَّ منهم الإيمان فما الظن بغيرهم! ومحل «مَن آمن» الرفع على الابتداء وخبره «فلا خوف عليهم» والفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. ثم الجملة كما هي خبر «إن» والراجع إلى اسم «إن» محذوف تقديره: مَن آمَن منهم.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ﴾ ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ﴾ جملة شرطية وقعت صفة لـ «رسلًا» والراجع محذوف أي رسول منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ بما يخالف هواهم ويضادّ شهواتهم من مشاقّ التكليف والعمل بالشرائع، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ كأنه يقول: كلما جاءهم رسول منهم (ناصبوه). وقوله: «فريقًا كذبوا» جواب مستأنف لقائل كأنه يقول: كيف فعلوا برسلهم! وقال: «يقتلون» بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعًا للقتل، وتنبيهًا على أن القتل من شأنهم، وانتصب «فريقًا» و«فريقًا» على

أنه كان استعار من بعض بني حنظلة كلبًا يصيد به فطالبوه به، فامتنع من إعطائه فأخذوه منه قهرًا، فغضب ورمى أُمّهم بالكلب، وهجاهم فاستَعْدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فحبسه، وقال: والله لو أن رسول الله ﷺ كان حيًا لنزلت فيك آية، وما رأيت أحدًا رمى قومًا بكلب قبلك. وحدّث أبو بكر بن عياش قال: كان عثمان رضي الله تعالى عنه يحبس في الهجاء، فهجا ضابيء قومًا فحبسه عثمان رضي الله تعالى عنه، ثم استغرضه فأخذ سكينًا فجعلها في أسفل نعله، فأُعلم عثمان بذلك فضربه وردّه إلى الحبس إلى أن مات فيه. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وكان وطيء غلامًا فقتله، فحُبِس بسببه. اهـ. **قوله:** (أَبْيَن) أي أظهر.

قوله: (ناصبوه) أي عادوه وحاربوه.

أنه مفعول «كذبوا» و«يقتلون». وقيل: التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى، والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيىٰ.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾

(﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ﴾) «ألا تكون»: (**حمزة وعلي وأبو عمرو على «أن» مخفَّفة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فخففت «أن» وحذف ضمير الشأن، ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم**) فلذا دخل فعل الحسبان على «أن» التي هي للتحقيق ﴿فِتۡنَةٞ﴾ بلاء وعذاب أي وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرُسُل. (**وسدّ ما يشتمل عليه صلة «أن» وأن من المسند والمسند إليه مسدّ مفعولي «حسب»**) ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا، أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ رزقهم التوبة ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ هو بدل من الضمير أي الواو وهو بدل البعض من الكل، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم بحسب أعمالهم.

قوله: (﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ﴾) برفع النون (**حمزة وعلي**) الكسائيّ (**وأبو عمرو على أنّ أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون، فخفّفت أن، وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوّته في صدورهم منزلة العلم**)... الخ. لأن أنْ المخفّفة لا تقع إلا بعد تيقّن. والباقون بالنصب على أنّ أن الناصبة لمضارع دخلت على فعل منفيّ بلا، ولا لا تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها من ناصب وجازم وجار وحسب إحالة على بابها من الظنّ؛ لأن الناصبة لا تقع بعد علم، والمخففة لا تقع بعد غيره.

قوله: (**وسدّ ما يشتمل عليه صلة أن وأنّ من المسند والمسند إليه مسدّ مفعولي حسب**)، يعني: أنّ أنِ الناصبة أو أنِ المخففة بما في حيّزها جملة قامت مقام مفعولَيْ حسبوا، أي حسبوا الفتنة غير نازلة بهم عند جمهور البصريّين. وقال أبو الحسن: قائمة مقام المفعول الأوّل والمفعول الثاني محذوف، والتقدير: حسبوا عدم الفتنة كائنًا أو حاصلًا.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ﴾ لم يفرّق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في عبادته غير الله ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه مِنه ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ أي مرجعه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام .

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي ثالث ثلاثة آلهة، والإشكال أنه تعالى قال في الآية الأولى: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» وقال في الثانية: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» والجواب أن بعض النصارى كانوا يقولون: كان المسيح بعينه هو الله لأن الله ربما يتجلّى في بعض الأزمان في شخص فتجلّى في ذلك الوقت في شخص عيسى، ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله، وبعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة: الله ومريم والمسيح وأنه ولد الله من مريم. و«من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ للاستغراق **(أي وما إله قطّ)** في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له. وفي قوله: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ **(للبيان)** كالتي في ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: الآية ٣٠] ولم يقل: «ليمسنّهم» لأن في إقامة الظاهر مقام المضمر

قوله: (وما إله قطّ) وقد جرت عادته باستعمال قطّ لتأكيد عموم الإفراد، وإنْ كان وضعه لاستغراق زمان الماضي وعمومه. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (للبيان)** لأنهم كلّهم كفرة اللّهمّ إلّا أن يراد بكفروا بقوا على الكفر، فيكون للتبعيض، كما

تكريرًا للشهادة عليهم بالكفر، أو للتبعيض أي ليمسنّ الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرًا منهم تابوا عن النصرانية ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (**نوع تشديد الألم**) من العذاب.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ ألا يتوبون (**بعد هذه الشهادة**) المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فيه نفي الألوهية عنه ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرُّسُل الذين خلوا من قبله، وإبراؤه الأكمه والأبرص وإحياؤه الموتى لم يكن منه لأنه ليس إلـٰهًا بل الله أبرأ الأكمَه والأبرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حيَّة تسعى على يد موسى، وخلقه من غير ذَكَر كخلق آدم من غير ذَكَر وأُنثى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ (**أي وما أمه أيضًا إلا كبعض النساء**) المصدِّقات للأنبياء المؤمنات بهم. ووقع اسم الصِّدِّيقة عليها لقوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: الآية ١٢]. ثم أبعدهما عمّا نسب إليهما بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ لأن مَن احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقص لم يكن إلا جسمًا مركبًا من لحم وعظم و(**عروق وأعصاب**) وغير ذلك ما يدلّ على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام

ذكره رحمه الله. **قوله: (نوع تشديد الألم)** النوعية مستفادة من التنكير والشدّة من وصف العذاب الذي لا يكون إلّا أليمًا بالألم ليكون الوصف مفيدًا غير فائدة التأكيد. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (بعد هذه الشهادة) بدلالة الفاء، ولا حاجة إلى تقدير المحذوف، أي أيصرون فلا يتوبون لاستقامة العطف والتعقيب وتخلّل الهمزة بينهما لقصد التعجيب. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (أي وما أُمّه أيضًا إلا كبعض النساء) الحصر مستفاد من المقام والعطف. **قوله: (عروق وأعصاب)** في لسان العرب: العِرْق من الحيوان الأجوف

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بُطلان قولهم ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمّله بعد هذا البيان، وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ﴾ هو عيسى عليه السلام أي شيئًا لا يستطيع أن يضرّكم بمثل ما يضرّكم به الله من البلاء والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة و(**الخصب**)، لأن كل ما يستطيعه البشر من المضارّ والمنافع فبتخليقه تعالى كأنه لا يملك منه شيئًا، وهذا دليل قاطع على أن أمره مُنافٍ للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرًّا ولا نفعًا، وصفة الرّبّ أن يكون قادرًا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ متعلق بـ «أتعبدون» أي أتُشرِكون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الغلو مجاوزة الحدّ، فغلوّ النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الألُوهية، وغلوّ اليهود وضعه عن استحقاق النبوة ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفة لمصدر محذوف أي غلوًّا غير الحق يعني غلوًّا باطلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ أي أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ (**ممن شايعهم**) ﴿وَضَلُّوا﴾ لما بعث رسول الله ﷺ ﴿عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ حين كذبوه وحسدوه وبَغوا عليه.

الذي يكون فيه الدم، والعَصَب غير الأجوف. اهـ. وأيضًا فيه: العَصَب عصب الإنسان والدابّة والأعصاب أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدّها. اهـ.

قوله: (الخِصْب) بالكسر ضدّ الجَدْب.

قوله: (ممن شايعهم) أي تابَعهم كما في نسخة المشايعة المتابعة. اهـ شهاب رحمه الله.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قيل: إن أهل (أيلة) لما اعتدَوا في السبت قال داود: اللّهمَّ العنهم واجعلهم آية فمُسِخوا قردة. ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى: اللّهمَّ عذِّب مَن كفر بعدما أكل من المائدة عذابًا لم تعذبه أحدًا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ ذلك اللعن بعصيانهم (واعتدائهم) ثم فسَّر المعصية والاعتداء بقوله:

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ (لا ينهى بعضهم بعضًا) ﴿عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ عن قبيح فعلوه. ومعنى وصف المنكر بـ «فعلوه» ولا يكون النهي بعد الفعل أنهم لا يتناهون (عن معاودة منكر) فعلوه (أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فِعله، أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه) بل يصرّون عليه. يقال: تناهى عن الأمر

قوله: (أيْلة) ـ بفتح الهمزة وسكون الياء التحتية ـ موضع قريب من بيت المقدس. **قوله:** (واعتدائهم) أي تجاوزهم.

قوله: (لا ينهى بعضهم بعضًا) على أن يكون التناهي تفاعلًا من النهي. **قوله:** (عن معاودة منكر) بتقدير مضاف قبل منكر. **قوله:** (أو عن مثل منكر فعلوه) قدّر المضاف أيضًا، وهو المثل، لكن إن أُريد بالمثل الاتّحاد في النوع، وهو معنى المثل في الاصطلاح، فمآله تقدير المعاودة، وإن أُريد الاتحاد في الجنس، فيكون توجيهًا آخر، وإن كان لفظ المثل غير شائع في ذلك. اهـ قنوي. **قوله:** (أو عن منكر أرادوا فعله) توجيه ثالث بتأويل فعلوا بالإرادة بذكر المسبّب وإرادة السبب؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: الآية ٩٨]. **قوله:** (أو المراد لا ينتهون[١] عن منكر فعلوه) على أن يكون بمعنى الانتهاء، يقال: انتهى عن الأمر وتناهى عن الأمر إذا امتنع عنه وكفّ.

---

(١) أي التفاعل ليس للمشاركة، بل بمعنى الانفعال والمطاوعة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه. (ثم عجب من سوء فِعلهم) مؤكدًا لذلك بالقسم بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)﴾

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم مُنافِقو أهل الكتاب كانوا يُوالون المشركين و(يصافونهم) ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (لبئس شيئًا) قدّموه لأنفسهم سخط الله عليهم أي موجِب سخط الله ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أي في جهنم ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيمانًا خالصًا بلا نفاق ﴿وَالنَّبِيِّ﴾ أي محمد ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن مُوالاة المشركين تدل على نفاقهم ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ مستمرون في كفرهم ونفاقهم، أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه ـ يعني التوراة ـ ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالِهم المسلمون ولكن كثيرًا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلًا.

قوله: (ثم عجب من سوء فعلهم)... الخ. التعجيب إمّا مستفاد من المقام أو مفهوم من أفعال المدح والذمّ، إمّا بإشارته أو بدلالته. اهـ قنوي رحمه الله. يعني أن اللام هنا جواب قسم مقدّر وجعل التأكيد للتعجّب وهو ظاهر؛ لأنه يقتضي أنه تعجيب عظيم ولا بأس به، وقيل: الأَوْلى أن يجعل التأكيد للفعل المتعجب منه. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (يُصافونهم) في مختار الصحاح: صافاه وتصافيا: تخالصا. اهـ. **قوله: (لبئس شيئًا)** على أن ما نكرة مميّزة لفاعل بئس، وقدَّمت لهم صفتها، وأن سخط الله هو المخصوص بالذمّ بتقدير المضاف، أي موجب سخط الله؛ لأن نفس السخط المضاف إلى الباري عزّ وجلّ لا يقال له أنه المخصوص بالذمّ، إنما المخصوص بالذمّ هو الأسباب المُوجِبة له.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ هو مفعول ثانٍ لـ «تجدن». و«عداوة» تمييز ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ﴾ عطف عليهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ اللام تتعلق بـ «عداوة» و«مودة». وصف اليهود بشدة **(الشكيمة)** والنصارى بلين **(العريكة)**، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، ونبّه على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ **(أي علماء وعبادًا)** ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ علّل سهولة مأخذ النصارى وقُرب مودّتهم للمؤمنين بأن منهم قسّيسين ورهبانًا وأن فيهم تواضعًا **(واستكانة)**، واليهود على خلاف ذلك، وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وإن كان علم القسيسين، وكذا علم الآخرة وإن كان في راهب، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وصفهم برقّة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن كما رُوِيَ عن **(النجاشي)** أنه قال **(لجعفر بن أبي طالب)** حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى

قوله: (الشكيمة) أي الطبيعة، في مختار الصحاح: الشكيمة في اللّجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفاس، والجمع شكائم، وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس آنفًا أبيًا. اهـ. **قوله: (العَريكة)** أي الطبيعة. **قوله: (أي علماء)** بيان قسّيسين **(وعبّادًا)** بيان رهبانًا. **قوله: (استكانةً)** أي خضوعًا وذلًّا.

قوله: (النّجاشي) ملك الحبشة مخفّف عند الأكثر، واسمه أصْحَمة. اهـ مصباح. **قوله: (لجعفر بن أبي طالب)** الهاشمي ذي الجناحين الصحابي الجليل ابن عمّ رسول الله ﷺ، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة رضي الله تعالى

الحبشة والمشركون (**وهم يغرونه**) عليهم: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تُنسَب إلى مريم. فقرأها إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية ٣٤]، وقرأ سورة طٰه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [الآية ٩] فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين (**وفدوا على رسول الله ﷺ**) وهم سبعون رجلًا حين قرأ عليهم سورة «يٰس» فبكوا. «تَفيض من الدمع» تمتلىء من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلىء الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، (**فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء**)، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من أجل البكاء. «ومن» في «مما عرفوا» لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله، «من» في «من الحق» لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا، أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا (**عرفوا كله**) وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسُّنَّة ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ضمير الفاعل في «عرفوا» ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بمحمد ﷺ والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ مع أمة محمد عليه السلام الذين

عنه. **قوله:** (وهم) أي المشركون **قوله:** (يُغرونه) أي النجاشي، وفي نسخة يُعَيِّرونه. **قوله:** (وفدوا على رسول الله ﷺ) في مختار الصحاح: وفد فلان على الأمير أي ورد رسولًا، وبابه وعد. اهـ. **قوله:** (فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء) جواب عمّا يقال: كيف أسند الفيض والانصباب إلى العين، والحال أنّ الفائض إنما هو دموع الأعين لا أنفسها؟ وأجاب عنه بوجهين: الأول أنّ المراد امتلاء أعينهم، إلا أنه وضع الفيضان والسيلان موضع الامتلاء على طريق وضع المسبّب موضع السبب للمبالغة في السببية حتى كان الامتلاء عين الفيضان، فلذلك عبّر عنه به. والثاني: أن إسناد الفيض إلى الأعين إسناد مجازي، كما في جرى النهر وسال الميزاب للمبالغة في وصفهم بالبكاء، أي تراهم يبكون حتى يظنّ أن أعينهم تفيض أي تسيل بأنفسها. **قوله:** (عرفوا كلّه) هكذا في تفسير البيضاوي، وفي تفسير الكشاف: عرفوه كله. اهـ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: الأفصح عرفوه كلّه؛ لأن كل المضافة للضمير لا تقع في فصيح الكلام إلا تأكيدًا أو مبتدأ، ولا يعمل فيها ما قبلها. اهـ. وقال العلّامة القنوي رحمه الله: جعل الكُلّ مضافًا إلى الضمير معمول العامل اللفظي بالأصالة؛ لأنه قد يقع في كلامهم

هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة (**لتكونوا شهداء على الناس**)، وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ إنكارًا واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين. وقيل: لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك. «وما لنا» مبتدأ وخبر و«لا نؤمن» حال أي غير مؤمنين كقولك «ما لك قائمًا» ﴿وَمَا جَاءَنَا﴾ وبما جاءنا ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني محمدا عليه السلام والقرآن ﴿وَنَطْمَعُ﴾ حال من ضمير الفاعل في «نؤمن» والتقدير: ونحن نطمع ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ الجنة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والمؤمنين.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ أي بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وفيه دليل على أن الإقرار داخل في الإيمان كما هو مذهب الفقهاء. وتعلقت (**الكرامية**) في أن الإيمان مجرد القول بقوله: «بما قالوا» لكن الثناء (**بفيض الدمع في السباق وبالإحسان في السياق**) يدفع ذلك، وأنى يكون مجرد القول إيمانًا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٨]. نفى الإيمان عنهم مع

ولو قليلًا، ولك أن تعتبر المفعول محذوفًا وكلّه تأكيدًا له، وهذا وإن كان تكلّفًا من الحمل عليه أوْلى من الحمل على الخطأ. اهـ. **قوله: (لتكونوا شهداء على الناس)** في معرض الاستشهاد والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣].

قوله: (الكرامية) في المصباح: كرام ـ بفتح الكاف مثقل ـ والد أبي عبد الله محمد بن كرام المشبّه الذي أطلق اسم الجوهر على الله تعالى، وأنه استقرّ على العرش، ونُسِب إليه من أخذ بقوله، فقيل: كرامية، نقل التشديد عن صاحب نفي الارتياب ونصّ عليه الصغاني. اهـ. **قوله: (بفيض الدمع في السباق وبالإحسان في السياق)** الفرق بين السباق والسياق أن السباق بالباء الموحدة يستعمل فيما قبل

قولهم: «آمنا بالله» لعدم التصديق بالقلب. وقال أهل المعرفة: الموجود منهم ثلاثة أشياء: البكاء على **(الجفاء)**، والدعاء على العطاء، والرِّضا بالقضاء، فمَن ادّعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ هذا أثر الرد في حق الأعداء، والأول أثر القبول للأولياء، ونزل في جماعة من الصحابة ﷺ حلفوا أن يترهَّبوا ويلبسوا **(المسوح)** ويقوموا الليل ويصوموا النهار **(ويسيحوا)** في الأرض **(ويجبّوا)** مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم **(والودك)** ولا يقربوا النساء والطِّيب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ما طاب ولذ من الحلال. ومعنى «لا تحرِّموا» لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم، أو لا تقولوا حرّمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها **(تزهّدًا منكم وتقشفًا)**. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يأكل **(الدجاج والفالوذ)** وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال:

الكلام، كما أن اللحاق يستعمل فيما بعده. والسياق بالياء المثناة فيما قبله وبعده معًا. اهـ فروق حقّي رحمه الله. **قوله: (الجَفاء)** ممدود ضدّ البرّ..

قوله: (المسوح) جمع مسح مثل حمل وحمول، وهو البلاس، أي الغليظ من الملابس. **قوله: (ويسيحوا)** السِّياحة في الأرض عدم الوطن والقَرار. **قوله: (ويجبوا)** من باب قَتَل مذاكيرهم، الجبّ القطع، والمذاكير جمع ذكر بمعنى العضو على خلاف القياس، كأنهم قصدوا الفرق بين الذكر بمعنى العضو، وبين ما هو خلاف الأُنثى، فجمعوا الأوّل على المذاكير والثاني على الذكور. **قوله: (والودك)** ـ بفتح الواو والدال المهملة والكاف ـ الشحم.

قوله: (تزهدًا منكم وتقشّفًا) التزهّد هو التكلّف والمبالغة في الإعراض عن متاع الدنيا وطيّباتها، والتقشّف قلّة التعهد في المطعم والملبس. **قوله: (الدجاج)** في مختار الصحاح: الدجاج معروف، وفتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة، ذكرًا كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطة. **قوله: (والفالوذ)** في

«إن (**المؤمن حلو ويحب الحلاوة**»). وعن الحسن أنه دُعِي إلى طعام ومعه (**فرقد السبخي**) وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمّن والفالوذ وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن: أهو صائم؟ قالوا: لا ولكنه يكره هذه الألوان، فأقبل الحسن عليه وقال: يا فريقد أترى لُعاب النحل بلُباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم؟ وعنهن أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره. فقال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا: نعم. قال: إنه جاهل أن نعمة الله عليه في الماء البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذ. ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ ولا تجاوزوا الحدّ الذي حدَّ عليكم في تحليل أو تحريم، أو ولا تتعدّوا حدود ما أحلَّ لكم إلى ما حرَّم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ حدوده.

مختار الصحاح: الفالوذ معرّب، قال يعقوب: ولا تقل الفالوذج. اهـ. **قوله: (المؤمن حُلْوٌ ويحب الحلاوة)** رواه الدّيلمي عن عليّ رفعه، وحديث: «**قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة**» ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، لكن ثبت أنه عليه السلام كان يحب الحلوى والعسل، ذكره ابن الدَّيْبَع، وفيه أن هذا تصحيح معناه. والكلام في ثبوت مبناه، فقد قال السيوطي: رواه البيهقي في الشِّعب والديلمي عن أبي أُمامة، فكلام ابن الجوزي موضوع مدفوع. اهـ الموضوعات الكبرى للعلامة علي القاري رحمة الله عليه.

قوله: (الحسن البصري) هو الإمام المشهور المُجْمع على جلالته في كل فنّ التابعي البصري ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه كما تقدم في هذه السورة.

قوله: (فرقد السبخي) هو فرقد بن يعقوب السبخي ـ بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة ـ أبو يعقوب البصري، صدوق عابد، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. اهـ تقريب. وفي المغني: السَّبَخي ـ بسين وموحدة مفتوحتين وإعجام خاء ـ نسبة إلى سبخة موضع بالبصرة منه فرقد. اهـ. وفي لوائح الأنوار في طبقات الأخيار: ومنهم فرقد السبخي كوفي نزل البصرة. اهـ. وفي تاج العروس: السَّبخة موضع بالبصرة منه فرقد بن يعقوب العابد، توفي سنة ١٣١، انتهى.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

(﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ «حلالًا» حال «مما رزقكم الله» ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ **توكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدًا بقوله:** ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾) لأن الإيمان به يُوجِب التقوى فيما أمر به ونهى.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم، وهو أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن، وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قُربة فلما نزلت تلك الآية قالوا: فكيف أيماننا؟ فنزلت. وعند الشافعي رحمه الله ما يجري على اللسان بلا قصد (﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾) أي بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها. (**وبالتخفيف: كوفي غير حفص**). والعقد: العزم على الوطء، وذا لا يتصور

قوله: (**حلالًا حال مما رزقكم الله**) ظاهر في أن الرزق قد يكون حرامًا. **قوله:** (**توكيد للتوصية بما أمر به**)، فإن قوله تعالى: (﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا﴾)، وإنْ كان المراد به هٰهنا الإباحة والتحليل، إلا أنه إنما أباح كلّ الحلال، فيفيد تحريم ضدّه، فأكّد التحريم المُستفاد منه لقوله تعالى: (﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾)، (**وزاده تأكيدًا بقوله:** ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾)، فإنّ الإيمان به يُوجب التقوى بالانتهاء عمّا نهى عنه وعدم التجاوز عمّا حدّ له.

قوله: (﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾) صلة يؤاخذكم، كما أن باللغو صلة له، أي لا يؤاخذكم في حقّ أيمانكم بسبب ما كان لغوًا منها بأن لا يتعلق بها حكم دنيويّ ولا أُخرويّ أو صلة اللغو؛ لأنه مصدر أو حال منه اللغو، فلا يتعلق بشيء منهما، بل يتعلق بمحذوف أي كائنًا في أيمانكم. **قوله:** (**وبالتخفيف**) أي بتخفيف القاف بدون ألف بين العين والقاف، (**كوفي غير حفص**) أي حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: «عاقدتم» على وزن فاعلتم، وهو من فاعل

في الماضي (**فلا كفَّارة في الغموس**). وعند الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفَّارة فيها مشروعة. والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم، فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلومًا عندهم، أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ أي (**فكفَّارة نكثه**) أو فكفَّارة معقودِ الأيمان. والكفَّارة (**الفعلة**) التي من شأنها أن تكفِّر الخطيئة أي تسترها ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ هو أن يغديهم ويعشِّيهم، ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك (**وهو لكل أحد نصف صاع من بُرّ أو صاع من شعير**) أو صاع من

بمعنى فعل؛ إذ لا مشاركة هنا. والباقون (﴿عَقَّدتُّمُ﴾) بتشديد القاف. فأمّا التخفيف، فهو الأصل. وأما التشديد، فيحتمل وجهين: أحدهما أنه للتكثير؛ كما في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، لأن المخاطَب به جماعة والفعل يتكثّر بكثرة الفاعل، كما يتكثّر بكثرة المتعلّق. والثاني: أنه بمعنى المخفّف، نحو: قدر وقدّر. **قوله:** (**فلا كفارة في الغموس**) ـ بفتح الغين ـ اسم فاعل، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم النار، وهي إن حلف على كاذب عمدًا، كوالله ما فعلت كذا، عالِمًا بفعله، أو كوالله ما له عليّ ألف، عالِمًا بخلافه، ووالله إنه بكر عالِمًا بأنه غيره، ويأثم بها إثمًا عظيمًا، فتلزمه التوبة؛ إذ لا كفارة في الغموس يرتفع بها الإثم، فتعيّنت التوبة للتخلّص منه. **قوله:** (**فكفارة نكثه**) إشارة إلى أن ضمير كفارته راجع إلى تعقيد الأيمان بناءً على أن ما في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ مصدرية، والتقدير: ولكن يؤاخذكم بتعقيدكم الأيمان وتذكير الضمير يمنع من رجوعه إلى اليمين المدلول عليها بلفظ الأيمان؛ لأن اليمين مؤنّثة وإرجاعه إليها لكونها بمعنى الحلف تكلّف على تكلّف، فلا بدّ من اعتبار الحذف هٰهنا، كما اعْتُبِر في قوله: (﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾)، فإن تقديره كما مرّ، ولكن يؤاخذكم به إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف وقت المؤاخذة على الأوّل والمضاف على الثاني؛ لأن كون المحذوف مرادًا معلوم عندهم، لأنهم أجمعوا على أنه لا يجب التكفير بنفس اليمين ما لم يحنث فيها، واختلفوا في جوازه قبل الحِنْث، فأجازه الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه بالمال، وأصحابنا لم يجيزوا ذلك لا بالمال ولا بالصوم، نصّ عليه في التيسير. **قوله:** (**الفعلة**) إشارة إلى أن الكفّارة تأنيث الكفّار، وأنّث لتأنيث موصوفها، وهي الفعلة، فإن التقدير الفعلة الكفارة، أي الستارة لإثمه. **قوله:** (**وهو لكل أحد نصف صاع من برّ أو صاع من شعير**). . . الخ.

تمر. وعند الشافعي رحمه الله مدّ لكل مسكين ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي غداء وعشاء من بُرّ إذ الأوسع ثلاث مرات مع الإدام والأدنى مرة من تمر أو شعير ﴿أَو كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على «إطعام» أو على محل «من أوسط»، ووجهه أن «من أوسط» بدل من «إطعام» والبدل هو المقصود في الكلام (**وهو ثوب يغطي العورة**).

اعلم أنّ الصاع أربعة أمداد، والمدّ رطلان، والرطل نصف منّ، والمنّ بالدراهم مائتان وستّون درهمًا، وبالإستار أربعون، والإستار - بكسر الهمزة - بالدراهم ستّة ونصف، وبالمثاقيل أربعة ونصف؛ كذا في شرح درر البحار. فالمدّ والمنّ سواء، كلّ منهما ربع صاع رطلان بالعراقي، والرطل مائة وثلاثون درهمًا، وفي الزيلعي والفتح: اختلف في الصاع، فقال الطرفان ثمانية أرطال بالعراقي، وقال الثاني: خمسة أرطال وثلث، قيل: لا خلاف لأن قدره برطل المدينة؛ لأنه ثلاثون إستارًا، والعراقي عشرون، وإذا قابلت ثمانية بالعراقي بخمسة وثلث بالمديني وجدتهما سواء، وهذا هو الأشبه؛ لأن محمّدًا لم يذكر خلاف أبي يوسف، ولو كانَ لَذَكَرهُ لأنه أعرف بمذهبه. اهـ. وتمامه في الفتح: ثم اعلم أن الدرهم الشرعي أربعة عشر قيراطًا، والدينار الذي هو المثقال عشرون قيراطًا، والقيراط خمس شعيرات، فيكون الدرهم الشرعي سبعين شعيرة، والمثقال مائة شعيرة. **قوله: (وهو ثوب يغطّي العورة)**... الخ. في الدرّ المختار: أو كسوتهم بما يصلح للأوساط وينتفع به فوق ثلاثة أشهر ويستر عامّة البدن، فلم يُجز السراويل إلا باعتبار قيمة الإطعام. اهـ.. وفي رد المحتار: قوله: (بما يصلح للأوساط) وقيل: يعتبر في الثوب حال القابض إن كان يصلح له يجوز، وإلّا فلا. قال السرخسي: والأوّل أشبه بالصواب. بزازية. قوله: (وينتفع به فوق ثلاثة أشهر) لأنها أكثر نصف مدّة الثوب الجديد، كما في الخلاصة، فلا يشترط كونه جديدًا، والظاهر أن لو كان جديدًا رقيقًا لا يبقى هذه المدّة لا يُجزىء. قوله: (ويستر عامّة البدن) أي أكثره، كالملاءة أو الجبّة أو القميص أو القباء. قهستاني. وهذا بيان لأدناه عندهما، والمرويّ عن محمد: ما تجوز فيه الصلاة، وعليه فيجزئه دفع السراويل عنده للرجل لا للمرأة، قوله: فلم يجز السراويل هو الصحيح؛ لأن لابسه يسمّى عريانًا عرفًا، فلا بدّ على هذا أن يعطيه قميصًا أو جبّة أو رداء أو قباء أو إزارًا سابلًا بحيث يتوشّح به عندهما، وإلّا فهو كالسراويل، ولا تجزىء العمامة، إلا إن أمكن

و(**عن ابن عمر**) ﷺ: إزار وقميص ورداء ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مؤمنة أو كافرة لإطلاق النص، وشرط الشافعي رحمه الله الإيمان (**حملًا للمطلق على المقيد في كفَّارة القتل**.

أن يتّخذ منها ثوبٌ مجزيء. وأما القُلُنسوة، فلا تجزيء بحال، ولا بدّ للمرأة من خِمار مع الثوب؛ لأن صلاتها لا تصح بدونه، وهذا ـ أي التعليل المذكور ـ يُشابه المرويّ عن محمد في السراويل أنه لا يكفي للمرأة، وظاهر الجواب ما يثبت به اسم المكتسي وينتفي عنه اسم العريان، لا صحة الصلاة وعدمها، والمرأة إذا كانت لابسة قميصًا سابِلًا وخِمارًا غطّى رأسها وأُذنيها دون عنقها لا شكّ في ثبوت اسم أنها مكتسية لا عريانة، ومع هذا لا تصح صلاتها. اهـ ملخصًا من الفتح. وحاصله أنه لا بدّ مع الثوب من الخِمار، لكن لا يشترط أن يكون الخمار مما تصحّ به الصلاة، وقد اقتصر في البحر على صدر عبارة الفتح، فأوهم أنه لا يشترط الخِمار أصلًا، وليس كذلك فلينتبه له. وفي الشرنبلالية ولم أرَ حكم ما يغطّي رأس الرجل. اهـ.

قلت: إن كان توقفه في إجزائه، فلا شكّ في عدمه، وإن كان في اشتراطه مع الثوب فظاهر ما مرّ عدمه. وفي الكافي: الكسوة ثوب لكل مسكين إزار ورداء أو قميص أو قباء أو كساء. اهـ. وقدَّمنا أن المراد ما يستر أكثر البدن.

قوله: (عن ابن عمر) أي عبد الله بن عمر بن الخطّاب العدويّ، أبو عبد الرحمٰن، وُلِد بعد المبعث بيسير واستُصغر يوم أُحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المُكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشدّ الناس اتّباعًا للأثر. مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، وأول التي تليها.

قوله: (حملًا للمطلق على المقيّد في كفارة القتل)؛ لأن الله قيّد الرقبة فيها بالإيمان، وأطلقها هٰهنا وفي كفارة الظهار والجماع في نهار رمضان، والمطلق يُحمل على المقيّد، كما أنّ الله تعالى قيّد الشهادة بالعدالة في موضع، فقال: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطّلَاق: الآية ٢]، وأطلق في موضع آخر حيث قال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢]؛ لأن العدالة شرطٌ في جميعها حملًا للمطلّق على المقيّد، كذلك هٰهنا. وعند الحنفية: يجوز إعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات إلّا في كفارة القتل، ويقولون: المطلق إنما يُحمل على المقيّد

ومعنى «أو» **التخيير وإيجاب إحدى الكفَّارات الثلاث)** ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ إحداها ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ «متتابعة» لقراءة (أُبيّ بن كعب) وابن مسعود كذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ (وحنثتم) فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفَّارة لا تَجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث ﴿وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ فبرّوا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرًا أو ولا تحلفوا أصلًا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (أعلام شريعته) وأحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم (**المخرج منه**).

إذا اتّحدت الحادثة التي ورد فيها. **قوله:** (**ومعنى «أو» التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث**)، وهو المذهب المختار في الواجب المخيّر، فإن المختار أن الواجب أحد الأُمور لا على التعيين، لا ما ينسب إلى بعض المعتزلة من أن الواجب الجميع ويسقط لواحد منه، وعند البعض الواجب واحد معيّن عند الله، وهو ما يفعله المكلّف، فيختلف بالنسبة إلى المكلّفين. وعند البعض الواجب واحد معيّن لا يختلف، ولكنه يسقط به وبالآخر، والواجب في كفارة اليمين أحد الأُمور الثلاثة على التخيير، فإن عجز عنها جميعًا، فالواجب شيء آخر، وهو الصوم. ومعنى الواجب المخيّر أنه لا يجب عليه الإتيان بكل واحد من هذه الأُمور الثلاثة، ولا يجوز له تركها جميعًا، ومتى أتى بواحد منها، فإنه يخرج عن العهدة، فإذا اجتمعت هذه القيود فذاك هو الواجب المخيّر.

قوله: (**أُبيّ بن كعب**) بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمر بن مالك بن نجّار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر سيّد القرّاء، يُكنى أبا الطفيل أيضًا، من فضلاء الصحابة، اخْتُلف في سنة موته اختلافًا كثيرًا، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.

قوله: (وحَنِثْتم) الحَنْث: الخلف في اليمين. **قوله:** (**أعلام شريعته**) علاماتها وأماراتها، لكن عطف أحكامه عليها محل بحث، إلا أن يراد أنه يجوز أن يراد الأعلام وأن يراد الأحكام بمعنى آيات كلامه الدالّة على الأحكام. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**المخرج منه**) أي مما يعلمكم من التكليف، ولولا العائد لكان الأحسن أن يجعل ما مصدرية. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقيل: إنه للشكر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ أي القمار ﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾ الأصنام لأنها تُنصَب فتُعبَد ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ وهي القداح التي مرَّت ﴿رِجۡسٞ﴾ نجس أو خبيث مُستقذَر ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ لأنه يحمل عليه فكأنه عمله. **(والضمير في ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ يرجع إلى الرّجس)**، أو إلى عمل الشيطان، أو إلى المذكور، أو إلى المضاف المحذوف كأنه قيل: إنما تعاطي الخمر والميسر ولذا قال «رجس». ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه **(حيث صدَّر الجملة بإنما وقرنهما بعبادة الأصنام ومنه الحديث «شارب الخمر كعابِد الوثن»)** وجعلهما رجسًا من عمل الشيطان ولا يأتي منه إلا الشرّ **(البحت)**، وأمر بالاجتناب، وجعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فَلاحًا كان الارتكاب خسارًا.

قوله: (والضمير في ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ يرجع إلى الرجس)... الخ. كأنه جواب عمّا يختلج بالخاطر من أن الضمير المفرد كيف يصح أن يرجع إلى ما سبق وهي أُمور متعدّدة، وتقرير الجواب أنه راجع إلى الرجس الذي أخبر به عن تعاطي الأمور المذكورة، فكأن المعنى: فاجتنبوا الرِّجس الذي هو تعاطي تلك الأُمور، أو هو راجع إلى الأُمور السابقة باعتبار تأويلها بما ذكر، أو إلى التعاطي المقدّر على أنه مضافٌ إلى الأُمور المذكورة.

قوله: (حيث صدّر الجملة بإنما) لأنها تُفيد قصر هذه المذكورات على صفة كونها رجسًا كائنًا من عمل الشيطان على طريق قصر الموصوف على الصفة؛ كأنه قيل: ليس لها من الصفات إلا كونها رجسًا من عمل الشيطان.

قوله: (وقرنهما بعبادة الأصنام)، فإن مقارنة ذكر تعاطي الخمر والميسر بعبادة الأصنام تدلّ على تَقارُبِهما **(ومنه الحديث: شارب الخمر كعابد الوثن)** شبّهه به لاشتراكهما في ارتكاب المحرَّم، ورواه الترمذي بلفظ: «مدّ من الخمر»، وحمل على المستحل ولا حاجة إليه.

قوله: (البَحْت) أي الخالص.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ (فِى ٱلْخَمْرِ) وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ذكر ما يتولّد منهما من الوبال **(وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر)**، وما يؤديان إليه من الصّدّ عن ذكر الله وعن مُراعاة أوقات الصلاة، **(وخصّ الصلاة)** من بين الذِّكر لزيادة درجتها كأنه قال: وعن

قوله: (﴿فِى ٱلْخَمْرِ﴾) متعلّق بقوله: يوقع، وكلمة في هنا لإفادة معنى السببية؛ كما في قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**دخلت امرأة النار في هرّة**»، أي بسبب إيذائها؛ فمعنى الآية أنه يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، أي بسبب شربها.

قوله: (**وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقَمْر**) بين الفَسَقة بسبب شرب الخمر مبنيّ على أنّ الظاهر فيمن شرب الخمر أن يشربها مع جماعة حتى يستأنس بهم ويفرح بالمكالمة معهم، ويؤيّد ما كان بينهم من المودّة والإلفة، إلا أن ذلك ينقلب في الأغلب إلى ضدّ ذلك؛ لأن الخمر يُزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مُدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المُنازعة بين أهل المجلس من الأحباب، وتلك المُنازعة ربما قادت إلى القتل والضرب والمشافهة بالفحش من القول، وذلك يُورث العداوة والبغضاء، فالشيطان يسوّل لهم أوّلًا أن الاجتماع على الشرب يؤكّد الإلفة والمحبّة وينقلب الأمر بالآخرة، فتحصل غاية العداوة والبغضاء. وأمّا وقوع العداوة والبغضاء بين القوم بسبب الميسر؛ فلأن الشيطان يسوّل لهم ابتداء أنه وسيلة إلى التوسعة على الفقراء والمحتاجين والدخول في عِداد أصحاب المروءة والكرم، إلا أنه ربما يؤدّي بالآخرة إلى ضياع ماله بالكلّية، فإن صار مغلوبًا في القمار مرّة دعاه ذلك إلى اللّجاج فيه على رجاء أنه ربما صار غالبًا فيه، ويتّفق أنه لا يحصل له ذلك فيعاود فيه إلى أن لا يبقى له شيء من ماله، فيبقى فقيرًا مسكينًا، فيصير بسبب ذلك من أعدى الأعداء لأُولئك الذين غلبوا عليه، فظهر بما ذكر أن الخمر والميسر سببان عظيمان لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس، ولا شكّ أن شدّة العداوة والبغضاء من أقبح المفاسد الدنيوية المنافية لصلاح العالم. **قوله:** **(وخصّ الصلاة)**... الخ.

الصلاة خصوصًا. **(وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام)** أولًا ثم أفردهما آخرًا، لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عمّا كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعًا من أعمال أهل الشِّرك فكأنه لا مُباينة بين عابِد الصنم وشارِب الخمر والمُقامِر، ثم أفردهما بالذِّكر ليعلم أنهما المقصود بالذِّكر ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ **(من أبلغ ما ينهى به)** كأنه قيل: قد تُلِي عليكم ما فيهما من أنواع

جواب عمّا يقال: لم عطفت الصلاة على ذكر الله تعالى مع اندراجها فيه؟ لأن المراد بذكر الله العبادة مطلقًا، أيّ عبادة كانت، وسُمّيت ذكر الله لكونها مسبّبة عن ذكر الله؛ لأن العابد إنما يلابس العبادة تقرّبًا إلى الله تعالى وابتغاءً لمرضاته وهربًا من سخطه وعقابه، ومَنْ كان مريدًا لصدّ الناس عن العبادة مطلقًا كان مريدًا لصدّهم عن الصلاة بخصوصها، فما الفائدة في عطف الصلاة على ذكر الله تعالى بإفرادها.

والجواب: أن إفرادها وعَطفها على ذكر الله على طريق عطف الخاص على العام إظهارًا لشرفها.

قوله: (وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام)... الخ. جواب عمّا يقال من أنه تعالى أمر أوّلًا بالاجتناب عن الأُمور الأربعة جميعًا، ثم اقتصر على ذكر ما يوجب الاجتناب عن الخمر والميسر فقط، فما الحكمة في ذلك؟

وتقرير الجواب: أنّ الآية نزلت لنهي المؤمنين عمّا أَلِفوه من تعاطي الخمر والميسر، وليس من شأنهم عبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام، وإنما ضمّ الأنصاب والأزلام إلى الخمر والميسر تأكيدًا لقبح الخمر والميسر، وإظهارًا لأن هذه الأربعة متقاربة في القبح والمفسدة، فلمّا كان المقصود من الآية نهي المؤمنين عن تناول الخمر والميسر، لا جرم أفردهما بالذِّكر في آخر الآية، واقتصر على بيان ما يوجب الاجتناب عنهما، ولم يتعرّض لذكر الأنصاب والأزلام ثانيًا؛ إذ ليسا مقصودين بالأمر بالاجتناب عنهما حتى يبيّن ما يوجب ذلك الاجتناب.

قوله: (من أبلغ ما ينهى به) لدلالة الفاء على أنه قد ثبت الصوارف عنهما وتُلِيت وجوه الفساد فيهما، ودلالة سوق الكلام على أن العاقل إذا خُلِّيَ وَنفسه بعدما تلي عليه ينبغي أن لا يتوقّف في الانتهاء، ولما في الجملة الاسمية بعد هل

الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف مُنتَهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا!.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ (وكونوا حذرين) خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ذلك ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي فاعلموا أنكم لم تضرّوا بتولّيكم الرسول لأنه ما كُلِّف إلا البلاغ المُبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عمّا كلّفتموه. ونزل فيمن تعاطى شيئًا من الخمر والميسر قبل التحريم.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أي شربوا من الخمر وأكلوا من مال القِمار قبل تحريمهما ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ الشِّرك ﴿وَّآمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد الإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ الخمر والميسر بعد التحريم ﴿وَّآمَنُوا﴾ بتحريمهما ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ سائر المحرمات، أو الأول عن الشِّرك والثاني عن المحرَّمات والثالث عن الشُّبهات ﴿وَّأَحْسَنُوا﴾ إلى الناس ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)﴾

ولما ابتلاهم الله بالصيد (**عام الحديبية**) وهم مُحرِمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رِحالهم فيستمكنون من صيده أخذًا بأيديهم وطعنًا بِرماحهم نزل ﴿يَا أَيُّهَا

الاستفهامية المقتضية للفعل من كمال الدّلالة على طلب الانتهاء حتى كأنه ثبت وتحقّق. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وكونوا حذرين) يعني أنه على ترك المفعول وتنزيل منزلة اللازم.

قوله: (عام الحديبية) أي السنة السادسة من الهجرة في هلال ذي القعدة. وفي معجم ما استعجم: الحجازيون يخفّفونها، والعراقيون يثقلونها، ذكر ذلك ابن

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لإظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم ما لم يعلم، و«من» للتبعيض إذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودًا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد ليُثيبه على عمله لا على علمه فيه ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ فصاد ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الابتلاء ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ قلّل في قوله: «بشيء» من الصيد ليعلم أنه ليس من الفتن العِظام «وتناله» صفة لـ «شيء».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ﴾ أي المَصيد إذ القتل إنما يكون فيه ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ أي مُحرِمون (جمع حرام كردح في جمع رداح) في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في «تقتلوا» ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾ حال من ضمير الفاعل أي

المديني في كتاب الطلّ والشواهد. وكذلك الجعرانة والحديبية قرية سُمّيت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بين الحديبية والمدينة تسع مراحل، بينها وبين مكّة مرحلة. قيل: هي من الحَرَم، وقيل: بعضها من الحرم. قال المُحبّ الطبري: هي قرية قريبة من مكّة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكّة. وفي شفاء الغرام: ومسجد الشجرة بالحديبية، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هي الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس، وهذا المسجد عن يمين طريق جدّة، وهو المسجد الذي يزعم الناس أنه الموضع الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ وأصحابه، وثمّة مسجد آخر، وهذان المسجدان والحديبية لا تعرف اليوم، والله أعلم بذلك. **قوله: (جمع حرام)** بمعنى محرم وإن كان في الحلّ ولمن كان في الحرم وإن كان حلالاً وهما سِيّان في النهي عن قتل الصيد. **قوله:** (كردح) بضمّتين **(في جمع رداح)** وهي الضخمة الثقيلة امرأة كانت أو كتيبة أو جفنة.

ذاكِرًا لإحرامه أو عالمًا أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه، فإن قتله ناسيًا لإحرامه أو رمى صيدًا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطىء. وإنما شرط التعمّد في الآية مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ، لأن مورد الآية فيمن تعمّد، فقد رُوِيَ أنه (عَنَّ) لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه (**أبو اليسر**) فقتله فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت مُحرِم فنزلت. ولأن الأصل فِعْل المتعمد والخطأ

قوله: (عَنّ) أي عرض. **وقوله:** (**أبو اليسر**) قيل: الصواب أبو قتادة. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب. قوله: (وطعنه أبو اليسر)... الخ. قالوا: إنما هو أبو قتادة رضي الله عنه، كما في الصحيحين من روايته، وهو الذي فعل ذلك، وقد تبع المصنّف رحمة الله عليه فيه الكشاف. وقال الطيبيّ: إنه ليس في شيء من الأصول، يعني أصول كتب الحديث. اهـ. قوله: (أبو اليسر) ـ بياء وسين مهملة مفتوحتين وراء ـ هو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جُشم بن الخزرج الأنصاري السلمي، صحابي جليل شهد العقبة وشهد بدرًا، وهو ابن عشرين[1] سنة، وقيل: إنه قتل منبه بن الحجاج السهمي، وهو الذي أسر العباس بن عبد المطّلب يوم بدر، وكان قصير، وهو آخر من مات بالمدينة، فيمن شهد بدرًا مات سنة خمس وخمسين، وقد زاد على المائة؛ كذا أفاده الحافظ ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب. وأفاد في تهذيب التهذيب: وذكر العسكري أنه شهد مع عليّ مشاهده، وأنه مات وله عشرون ومائة سنة. اهـ روى عنه ابنه عمار وموسى بن طلحة رضي الله عنهم.

قوله: (أبو قتادة) الأنصاري، اسمه الحارث بن رِبْعي بن بلدمة بن خناس بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الأنصاري الخزرجي السلمي، فارس رسول الله ﷺ، وقيل: اسمه النعمان، قاله الكلبي وابن إسحٰق. اختلف في شهوده بدرًا، فقال بعضهم: كان بدريًا، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحٰق في البدريّين، وشهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد كلّها، وتوفي سنة أربع وخمسين بالمدينة في قول، وقيل: توفي بالكوفة في خلافة عليّ رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) كذا في تهذيب التهذيب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكتاب الجمع بين رجال الصحيحين من كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مُلحَق به للتغليظ. وعن (**الزهري**): نزل الكتاب بالعمد ووردت السُّنَّة بالخطأ. (﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ **كوفي**) أي فعليه جزاء يُماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يُقَوَّم حيث صِيد، فإن بلغت قيمته ثمن هَدْي خُيِّر بين أن يهدي (﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾) ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعامًا (**فيعطي كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاعًا من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يومًا**).

قوله: (الزهري)، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي، أبو بكر القريشي الزهري المدني، سكن الشام وكان بأيْلَة، ويقولون تارة: الزهري، وتارة ابن شهاب ينسبونه إلى جدّ جدّه، هو تابعي صغير. سمع أنس بن مالك، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد، وشبيبًا أبا جميلة، وعبد الرحمٰن بن أزهر، وربيعة بن عباد ـ بكسر العين وتخفيف الباء ـ ومحمود بن الربيع، وعبد الله بن ثعلبة بن صغير، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وأبا أُمامة أسعد بن سهل بن حنيف، وأبا الطفيل، ورجلًا من بلي له صحبة؛ وهؤلاء كلهم صحابة ﷺ. ورأى ابن عمر، وسمع خلائق من كبار التابعين وأئمّتهم. روى عنه خلائق من كبار التابعين وصغارهم، ومن أتباع التابعين، ومن شيوخه ومناقبه والثناء عليه وعلى حفظه أكثر من أن يُحصر. توفي ليلة الثلاثاء سبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ودُفِن بقرية له بأطراف الشام يقال لها: شغبدا ـ بشين مفتوحة وغين ساكنة معجمتين وبباء موحدة مفتوحة ثم دال مهملة مفتوحة مخففة.

قوله: (فجزاءٌ) بالتنوين والرفع على الابتداء والخبر محذوف (﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾) برفع اللام صفة لجزاء. (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وكذا يعقوب البصري. **قوله**: (﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾) أي الإبل والبقر والغنم.

قوله: (**فيعطي كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاعًا من غيره**) من شعير ونحو ذلك، ويعطي ما فَضُل من إعطاء كل مسكين إن كان أقلّ من نصف صاع لمسكينٍ آخر. (**وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يومًا**)، وكذا عن الفاضل منه، وإن قلّ من نصف صاع، فيصوم يومًا كاملًا لعدم تصوّر تجزؤ الصوم في أقلّ من اليوم.

وعند (**محمد**) والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النّعم، فإن لم يوجد له نظير من النّعم فكما مرَّ.

(﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾ **على الإضافة: غيرهم**) وأصله فجزاء مثل ما قتل أي فعليه أن يجزى مثل ما قتل، ثم أُضيف كما تقول: «عجبت من ضرب زيدًا ثم من ضرب زيد». ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ (**حال من الضمير في** «**قتل**») إذ المقتول يكون من النَّعم أو صفة لـ «جزاء» ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ بمثل ما قتل ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ حَكَمان عادلان من المسلمين، وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المُشاهَدَة، ولأن المثل المطلق في الكتاب والسُّنَّة والإجماع مقيّد بالصورة والمعنى، أو بالمعنى لا بالصورة، أو بالصورة بلا معنى، ولأن القيمة أُريدت فيما لا مثل له صورة إجماعًا فلم يَبْقَ غيرها مُرادًا إذ لا عموم للمشترك. فإن قلت: قوله «من النَّعم» يُنافي تفسير المثل بالقيمة. قلت: من أوجب القيمة خُيِّر بين أن يشتري بها هَدْيًا أو طعامًا أو يصوم كما خيَّر الله تعالى في الآية، فكان من النَّعم بيانًا للهَدْي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير، لأن مَن قَوَّم الصيد واشترى بالقيمة هَدْيًا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم، على أن التخيير الذي في الآية بين أن يُجزي بالهدي أو يكفر بالطعام أو الصوم، إنما يستقيم إذا قُوِّم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار، فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير، فإذا كان شيئًا لا نظير له قُوِّم حينئذ ثم يُخَيَّر بين الطعام والصيام، ففيه (نبوّ) عما في الآية ألا ترى إلى قوله: ﴿أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ

قوله: (**محمّد**) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالرَّيّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

قوله: (﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾) برفع جزاء من غير تنوين، مثل بخفض اللام (**على الإضافة**) أي على طريق إضافة المصدر إلى المفعول (**غيرهم**). **قوله:** (**حال من الضمير في قتل**)... الخ. هكذا ذكره أبو البقاء رحمه الله. أي حال من عائد الموصول المحذوف، فإن التقدير: فجزاء مثل الذي قتله حال كونه من النّعم، وهذا وهم؛ لأن الموصوف بكونه من النّعم إنما هو جزاء الصيد المقتول. وأمّا الصيد نفسه، فلا يكون النّعم، كذا في السمين. **قوله:** (نُبُوّ) أي بُعد.

﴿مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ كيف خُيِّر بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم ﴿هَدۡيَۢا﴾ حال من الهاء في «به» أي يحكم به في حال الهَدْي ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ صفة لـ «هديًا» (لأن إضافته) غير حقيقية. ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم، فأما التصدّق به فحيث شئت. وعند الشافعي رحمه الله: في الحرم (﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ﴾) معطوف على «جزاء» (﴿طَعَامُ﴾) بدل من «كفّارة» أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام. «أو كفّارة طعام» على الإضافة: (مدني وشامي). وهذه الإضافة لتبيين المضاف كأنه قيل: أو كفّارة من طعام ﴿مَسَٰكِينَ﴾ كما تقول «خاتم فضة» أي خاتم من فضة ﴿أَوۡ عَدۡلُ﴾ (وقُرِىء بكسر العين). قال (الفرّاء): العدل ما عادل الشيء من غير جنسه كالصوم والإطعام، والعِدل مثله من جنسه ومنه «عدلا الحمل». يقال: «عندي غلام عَدْل غلامك» بالكسر إذا كان من جنسه، فإن أُريد أن قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل: «هو عَدل غلامك» بالفتح ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الطعام ﴿صِيَامٗا﴾ تمييز نحو «لي مثله رجلًا» والخيار في ذلك إلى القاتل، وعند محمد رحمه الله إلى الحكمين ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾ متعلق بقوله: «فجزاء» أي فعليه أن يُجازي أو يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحُرمَة الإحرام. والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ

قوله: (لأن إضافته) غير حقيقة علّة لجواز أن توصف النكرة بالمضاف إلى المعرفة، فإن إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله إضافة لفظية لا تفيد تعريفًا للمضاف، فجاز أن يكون المضاف صفة للنكرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤]، وبالغ اسم فاعل أضيف إلى مفعوله، والأصل بالغًا للكعبة أضيف إلى مفعوله ليحصل التخفيف بحذف التنوين. **قوله:** (﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ﴾) بغير تنوين (﴿طَعَامُ﴾) بالخفض على الإضافة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتنوين، ورفع طعام. **قوله:** (وقُرِىء بكسر العين) قارئه ابن عباس وطلحة بن مصرف والجُحْدري. **قوله:** (الفراء) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الدَّيلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيّين وأعلمهم بالنَّحو واللغة وفنون الأدب، وكان الإمام محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفرّاء، وكان الفراء يميل إلى الاعتزال، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة، وعمره ثلاث وستّون سنة رحمه

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: الآية ١٦] أي ثقيلًا شديدًا. والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة (**فلا يستمرأ**). ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لكم من الصيد قبل التحريم ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الإحرام ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره (**فهو ينتقم الله منه**) ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بإلزام الأحكام ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لمَن جاوز حدود الإسلام.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ (**مصيدات البحر**) مما يُؤكَل ومما لا يُؤكَل ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ وما يطعم من صيده. والمعنى: أُحِلَّ لكم الانتفاع بجميع ما يُصاد في البحر، وأُحِلَّ لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ مفعول له أي أُحِلَّ لكم تمتيعًا لكم ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ وللمسافرين. والمعنى: أُحِلَّ لكم طعامه (**تمتيعًا لتُنَّائكم**) يأكلونه

الله تعالى. والفرّاء ـ بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة ـ وإنما قيل له فرّاء، ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها، لأنه كان يفري الكلام، ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب، وعزاه إلى كتاب الألقاب. **قوله:** (**فلا يستمرأ**) أي لا يجده مريئًا، أي الذي لا يُسرع هضمه. **قوله:** (**فهو ينتقم الله منه**) قدّر المبتدأ؛ لأن كلمة مَنْ في قوله تعالى: (﴿وَمَنْ عَادَ﴾) شرطيّة، وقوله: (﴿فَيَنتَقِمُ﴾) جزاء الشرط، والجملة الفعلية الجزائية لا تحتاج في ارتباطها بالشرط إلى الفاء الجزائية، فلو قيل: من يكرمني فأُكرمه، فكانت الفاء لغوًا ضائعًا بخلاف الجملة الاسمية، فإنها لا تقع جزاء إلا مصدرة بالفاء، فقدّر المبتدأ في الآية لئلا تفسَّر الفاء الجزائية لغوًا.

قوله: (**مصيدات البحر**) يشير إلى أن الصيد والطعام بمعنى المفعول وضمير طعامه للصيد، ومعنى إحلال الصيد إحلال الانتفاع به، وبإحلال مطعومه إحلال أكله على حذف المضاف، والظاهر أن هذا من عطف الخاص على العامّ. **قوله:** (**تمتيعًا لتُنَّائكم**) قدّر المضاف في لكم ليخرج عطف وللسيارة من عطف البعض على الكل، والتُنَّاء المقيمون جمع تان من تَنِيَ بالبلد إذا أقام به. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي المصباح: تنأ بالبلد يَتْنأُ مهموز بفتحهما تنوأ أقام به واستوطنه، وتنأ تنوا أيضًا

طريًّا ولسيارتكم يتزوّدونه **(قديدًا)** كما تزوّد موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ ما صِيدَ فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كالبَط فإنه برّي لأنه يتولّد في البر والبحر له مرعى كما للناس متجر ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ مُحرمين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاصطياد في الحرم أو في الإحرام ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تُبعَثون فيجزيكم على أعمالكم.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ **(أي صيّر)** ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿قِيَٰمًا﴾ مفعول ثانٍ أو «جعل» بمعنى «خلق» و«قيامًا» حال ﴿لِّلنَّاسِ﴾ أي **(انتعاشًا لهم)** في أمر دينهم ونهوضًا إلى أغراضهم في معاشهم ومَعادهم لما يتم لهم من أمر حجّهم وعُمرتهم وأنواع منافعهم. قيل: لو تركوه عامًا لم ينظروا ولم يؤخروا ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ والشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لأن في اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنًا قد علمه الله، أو أريد به **(جنس الأشهر الحرم)** وهي **(رجب)** وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ ما يُهدَى إلى مكة ﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ والمقلّد منه خصوصًا وهو **(البدن)** فالثواب فيه أكثر وبهاءُ الحج معه أظهر (﴿ذَٰلِكَ﴾) إشارة إلى جعل الكعبة قيامًا أو إلى ما ذكر من حفظ حُرمة

استغنى وكَثُر ماله، فهو تانيء والجمع تُنّاء، مثل كافر وكفّار، والاسم التناءة بالكسر والمدّ، وربما خفّف، فقيل: تنا بالمكان فهو تانٍ، كقوله:

شيخًا يظل الحجج الثمانيا ضيفًا ولا تلقاه إلا تانيا

اهـ. **قوله: (قديدًا)** القديد: اللّحم المقدّد.

قوله: (أي صيّر) يعني أن جَعَل هٰهنا بمعنى صيّر فيتعدّى إلى مفعولين أوّلهما الكعبة، والثاني قيامًا. **قوله: (انتعاشًا لهم)** أي ارتفاعًا لهم من الضعف، يقال: نعشه الله نعشًا، أي رفعه، وانتعش العاثر إذا نهض من عثرته. **قوله: (جنس الأشهر الحرم)** على أن اللام لتعريف الجنس وينصرف إلى الكل لانتفاء قرينة البعضية على الأوّل للعهد بدلالة حال العرف. **قوله: (رجب)** منصرف. **قوله: (البُدْن)** بضمّتين وإسكان الدال تخفيف جمع بدنة. **قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾)** في محل

الإحرام بترك الصيد وغيره ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما في السمٰوات وما في الأرض وكيف لا يعلم وهو بكل شيء عليم.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمَن استخفَّ بالحرم والإحرام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لآثام من عَظَّمَ المشاعر العِظام ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالجاني المُلتَجيء إلى البلد الحرام.

النّصب على أنه مفعول فعل مقدّر يدلّ عليه السياق، أي شرع الله ذلك، وبين لام العلّة في قوله تعالى: (﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾) متعلّق بذلك الفعل المقدّر، وتعلموا منصوب بإضمار أن بعد لام كي، والوجه في كون جعل البيت الحرام قيامًا لمصالح الدِّين والدّنيا مؤدّيًا إلى عِلْمنا بأنّ الله يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض، أو في كون ما ذكر من الأمر بحفظه حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره مؤدّيًا إلى عِلْمنا بذلك أنّا قد علمنا بسبب أنْ بيّن الله ذلك أنّ وجه الحكم في شرع ما شرّعه من الأحكام المتعلقة بالإحرام ومناسك العبادات ومواقيتها أنه تعالى لمّا علم في الأزل أن مقتضى طبائع العرب الحرص الشديد على القتل والغارة، وعلم أنّ هذه الحالة لو دامت لهم لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون إليه في معاشهم، وأدّى ذلك إلى فنائهم وانقراضهم بالكلّية دبّر في ذلك تدبيرًا لطيفًا، وهو أنه تعالى ألقى في قلوبهم تعظيم البيت وتعظيم مناسكه، فصار ذلك سببًا لحصول الأمْن في البلد الحرام والشهر الحرام، وقَدِروا بذلك على تحصيل ما يحتاجون إليه في ذلك الزمان وفي ذلك البلد، فاستقامت بذلك مصالح معاشهم، وهذا التدبير لا يمكن إلّا إذا كان الله تعالى عالِمًا في الأزل بجميع المعلومات من الكلّيات والجزئيّات، وكان بكل شيء عليمًا، ومن البَيِّن أنّ إتقان الفعل وإحكامه وكونه على وِفْق المصالح ومقتضى الحكم دليلٌ واضح على كمال عِلْم الفاعل، وأيُّ فعل يكون أتقن وأحكم من إلقاء تعظيم الكعبة في قلوب العرب وجعله سببًا لدفع المضارّ قبل وقوعها وجلب المنافع المرتّبة على ما شرع من الأحكام المتعلّقة بها، فعلمنا بذلك أن صانع العالم عالِمٌ بجميع المعلومات.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في (التفريط) ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ فلا يخفى عليه نفاقكم ووِفاقكم.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ لما أخبر أنه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوي خبيثهم وطيِّبهم بل يميِّز بينهما، فيعاقب الخبيث ـ أي الكافر ـ ويثيب الطيِّب ـ أي المسلم ـ ﴿(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وآثروا الطيب وإن قلَّ على الخبيث وإن كثُر. وقيل: هو عامٌّ في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالِحه وجيِّد الناس ورديئهم. ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي العقول الخالصة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ كانوا يسألون النبي ﷺ عن أشياء امتحانًا فنزل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ قال (**الخليل**) وسيبويه وجمهور البصريين: أصله «شيئاء» بهمزتين بينهما ألف وهي فعلاء من لفظ شيء وهمزتها

قوله: (التفريط) التقصير.

قوله: (﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾) قرّر أن أهل الدنيا يُعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا ومطمح نظرهم الكثرة دون الجودة، والأمر بالعكس. وجواب لو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ محذوف، أي ولو أعجبك كثرة الخبيث لما استوى مع الطيّب وإن قلّ، ومعنى الإعجاب السرور بما يتعجّب به، يقال: أعجبني أمر كذا، أي سرّني.

قوله: (**الخليل**) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كان إمامًا في علم النَّحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود،

الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كـ «حمراء» وهي مفردة لفظًا جمع معنى، ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدّمت الأولى التي هي لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها «لفعاء»، والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أي قوله: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ صفة لـ «أشياء» أي وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول **(بين أظهركم)** «تبد لكم» تلك التكاليف التي تسوؤكم أي تغمّكم وتشقّ عليكم وتؤمرون بتحمّلها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ عفا الله عمّا سلف من مسئلتكم فلا تعودوا إلى مثلها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاقبكم إلا بعد الإنذار. **(والضمير في ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ لا يرجع إلى «أشياء»)** حتى يُعَدَّى بـ «عن» بل يرجع إلى المسألة التي دلَّت عليها «لا تسألوا» أي قد سأل هذه المسألة ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من الأولين ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا﴾ صاروا بسببها ﴿كَـٰفِرِينَ﴾ كما عرف في بني إسرائيل.

وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا ثم زاد فيه الأخفش بحرًا واحدًا وسمّاه الخبب، قيل: إن الخليل دعا بمكّة أن يُرزق علمًا لم يسبقه أحدًا إليه، ولا يؤخذ إلّا عنه، فلمّا رجع من حجّه فتح عليه بعلم العروض، وكان الخليل رجلًا صالحًا عاقلًا حليمًا وقورًا، ومن كلامه: لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره، وللخليل من التصانيف: كتاب العين في اللغة وهو مشهور، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل، وكتاب النغم، وكتاب في العوامل، وأخباره كثيرة وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويقال: إن أبا أحمد أوّل من سمّي بأحمد بعد رسول الله ﷺ، كذا ذكره المرزباني في كتاب المقتبس نقلًا عن أحمد بن أبي خيثمة، وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة، وتوفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة، وقيل: عاش أربعًا وسبعين سنة رحمه الله تعالى. **قوله: (بين أظهركم)** بمعنى بينكم. **قوله: (والضمير في ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ لا يرجع إلى أشياء)**... الخ. جواب عمّا يقال فعل المسألة لا يتعدّى إلى المفعول به بنفسه، بل يتعدّى إليه بكلمة عن، فكيف قيل: سألها ولم يقل سأل عنها؟ كما قال أولًا: (﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾).

وتقرير الجواب: أن ضمير سألها ليس راجعًا إلى الأشياء التي يسألون عنها وعن أحوالها، بل إلى مسألتهم عن تلك الأشياء، فيكون الضمير في موضع المصدر.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٣﴾

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كان أهل الجاهلية (**إذا نتجت الناقة**) خمسة أبطن آخرها ذَكر بَحَروا أُذنها أي شقّوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة. وكان يقول الرجل: (**إذا قدِمت**) من سفري أو (**بَرِئْتُ**) من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبَحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدًا قال: هو سائبة (فلا عقل) بينهما ولا ميراث. وكانت الشاة إذا ولدَت سبعة أبطُن فإذا كان السابع ذَكَرًا أكله الرجال، وإن كان أُنثى أُرسِلَت في الغنم، وكذا إن كان ذَكَرًا وأُنثى وقالوا: أوصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة. وإذا نَتَجَت من صلب الفحل عشرة أبطُن قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى. (**ومعنى** ﴿مَا جَعَلَ﴾ **ما شرع ذلك ولا أمر به**) ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتحريمهم ما حرموا ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في نسبتهم هذا التحريم إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم.

قوله: (إذا نتجت الناقة) على بناء ما لم يُسمّ فاعله، يقال: نتجت الناقة تنتج نِتاجًا، أي نتجها أهلها نَتْجًا، أي ولي أهلها نتاجها حتى وضعت فأهلها ناتج، والناتج للبهائم بمنزلة القابلة للنساء، والأصل نَتَجها أهلها ولدًا على أن ضمير الناقة مفعول أوّل وولدًا مفعول ثان، وإذا بُنِي[1] للمفعول الأول قيل؛ نتجت ولدًا بإسناد الفعل إلى مفعوله الأوّل، وترك الثاني منصوبًا، فأهلها تصيرها واضعة لولدها، وكانت هي مصيرة واضعة الولد. **قوله: (إذا قَدِمت)** من باب تَعِب. **قوله: (بَرِئت)** من بابي نفع وتعب. **قوله: (فلا عَقْل)** أي ديّة. **قوله: (ومعنى** ﴿مَا جَعَلَ﴾ **ما شرع ذلك ولا أمر به)**، يعني أن جعل قد يستعمل بمعنى خلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: الآية ١]، وبمعنى صيّر كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ

---

(١) على لفظ المبني للمفعول مسند إلى المفعول الأوّل، أي وضعت. وفي قوله: وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن أسند إلى المفعول الثاني وترك الأول. اهـ التفتازاني رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي هلمّوا إلى حكم الله ورسوله بأن هذه الأشياء غير محرمة ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ (أي كافينا) ذلك، «حسبنا» مبتدأ والخبر «ما وجدنا»«وما» بمعنى «الذي» والواو في ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ للحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ﴾ انتصب «أنفسكم» بـ «عليكم» وهو من أسماء الأفعال أي الزموا إصلاح أنفسكم. والكاف والميم في «عليكم» في موضع جرّ لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ رفع على الاستئناف، أو جزم على جواب الأمر)، وإنما ضمّت الراء إتباعًا لضمة الضاد ﴿مَّن

ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٩٧]، ولا يصح أن يكون جعل في هذه الآية بمعنى خلق؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الأشياء كلّها، ولا بمعنى صيّر؛ لأن بدله من مفعول ثانٍ، وهو ليس بمذكور في الآية، بل بمعنى سنّ وشرع، أي ما سنّ الله ولا شرع شيئًا من هذه الأشياء.

قوله: (أي كافينا) يعني أن حسبنا في الأصل مصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل.

قوله: (﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ رفع على الاستئناف) على قراءة الجمهور: ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ بضم الراء المشدّدة على أنه كلام مستأنف سيق للإخبار بذلك، (أو جزم على جواب الأمر) وأصله على التقديرين: لا يضرركم، فنقلت ضمة الراء الأُولى إلى الضاد قبلها لقصد إدغامها في الراء الثانية، فاجتمع ساكنان، فحرّكت الراء الثانية بالضمّ إتباعًا لضمّة الضاد، فأدغمت الأُولى فيها، فصار: ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾.

ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتمنّون دخولهم في الإسلام فقيل لهم: عليكم أنفسكم وما كُلّفتم من إصلاحها لا يضرّكم الضُّلّال عن دينكم إذا كنتم مهتدين، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز. ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ رجوعكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم يجزيكم على أعمالكم.

رُوِيَ أنه خرج (**بديل ـ مولى عمرو بن العاص**) وكان من المهاجرين ـ مع (عدي) و(تميم) ـ وكانا نصرانيين ـ إلى الشام، فمرض بديل وكتب كتابًا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه، وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله.

قوله: (بُدَيْل) ـ بضم الباء وفتح الدال المهملة ـ ابن مارية (**مولى عمرو بن العاص**) السهمي، والذي ذكره الأئمّة في كتبهم بزيل ـ بضم الباء والزاي ـ (**وقوله: عمرو بن العاص**) بن وائل السهمي الصحابي المشهور. والجمهور على كتابة العاصي بالياء، وهو الفصيح عند أهل العربية، ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه وأكثرها بحذف الياء، وهي لغة. وقد قرىء في السبع نحوه؛ كالكبير المتعالِ والداع ونحوهما، هو أبو عبد الله، ويقال: أبو محمّد، أسلم عام خيبر أوّل سنة سبع، وقيل: أسلم في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستّة أشهر، وقيل غير ذلك. ووُلّي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها. مات بمصر، وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين، وكان عمره سبعين سنة. رُوِي له عن رسول الله ﷺ سبعة وثلاثون حديثًا، اتّفقا على ثلاثة، ولمسلم حديثان، وللبخاري بعض حديث. روى عنه أبو عثمان النّهدي، وقيس بنُ أبي حازم، وعروة بن الزبير، وعبد الرحمٰن بن شماسة ـ بفتح الشين وضمّها ـ.

قوله: (عدي) بن بداء ـ بباء موحدة ودال مهملة مشدّدة ومدّ كشدّاد ويقصر ـ قال أبو نعيم: لا يُعرف لعديّ إسلام، وقد ذكره بعض المتأخّرين. وعبارة البيضاوي والكشاف: عدي بن زيد. اهـ. قال العلامة التفتازاني رحمه الله: الصواب عدي بن بداء. **قوله:** (تميم) بن أوس الداري الصحابي المشهور، ولم يكن مسلمًا يومئذ، ولمّا أسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول: صدق الله وصدق رسوله، أنا أخذت الإناء فأنا أتوب إلى الله وأستغفره؛ كما في تفسير الخازن. والداري منسوب إلى جدّه الدار، وقيل غير ذلك. كان نصرانيًا فأسلم سنة تسع من

ومات ففتشا متاعه، فأخذا (إناء من فضة) فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾

﴿(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ) إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ﴾ ارتفع «اثنان» لأنه خبر المبتدأ وهو «شهادة» بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين، أو

الهجرة، وكان كثير التهجّد، قام ليلة حتى أصبح بآية من القرآن، فيركع ويسجد ويبكي، وهي: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ(١) ٱلسَّيِّـَٔاتِ(٢)﴾ [الجاثية: الآية ٢١] الآية، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان ﷺ. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثًا، رَوَى مسلم منها حديث الدِّين النصيحة. وفي صحيح مسلمْ أن رسول الله ﷺ روى عن تميم الداري قصة الجسّاسة(٣)، وهذه منقبة شريفة لا يُشاركه فيها غيره، ويدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر، ورواية الفاضل عن المفضول، ورواية المتبوع عن تابعه، وفي هذا الحديث قبول خبر الواحد. وروى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأنس، وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما، وجماعات من التابعين رضوان الله تعالى عليهمْ أجمعين.

قوله: (إناءً من فضة) وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشًا بالذهب.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾) هذه الآية واللتان بعدها من أشكل القرآن حكمًا وإعرابًا وتفسيرًا، ولم يزل العلماء يستشكلونها ويكفّون عنها، حتى

---

(١) أي اكتسبوا السيّئات الكفر والمعاصي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) يعني أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) بعدما أسلم كما في صحيح مسلم، فجاء فبايع وأسلم وحدّثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجّال. ١٢ منه عمّ فيضهم.

لأنه فاعل «شهادة بينكم» أي فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان. **(واتسع في «بين» فأضيف إليه المصدر)**. «وإذا حضر» ظرف للشهادة و«حين الوصية» بدل منه، وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية لأن حضور الموت من الأمور الكائنة، «وحين الوصية» بدل منه فيدلّ على وجوب الوصية ولو وُجِدَت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل إلى الوجوب، وحضور الموت **(مُشارفته)** وظهور **(أمارات)** بلوغ الأجَل ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة لـ «اثنان» ﴿مِنكُمْ﴾ من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ عطف على «اثنان» ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الأجانب ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم فيها. **(«وأنتم» فاعل فعل يفسّره الظاهر)** ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾

قال مكّي بن أبي طالب رحمه الله في كتابه المسمّى بالكشف: هذه الآيات في قراءاتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب آي القرآن وأشكله، قال: ويحتمل أن يبسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر، قال: وقد ذكرناها مشروحةً في كتاب مفرد. وقال السخاوي: لم أرَ أحدًا من العلماء تخلّص كلامه فيها من أوّلها إلى آخرها. قلت: وأنا أستعين الله في توجيه إعرابها واشتقاق مُفرداتها وتصريف كلماتها وقراءاتها ومعرفة تأليفها. وأما بقية علومها، فنسأل الله العون في تهذيبه إلى آخر ما في عبارة السمين، فارجع إليه إن شئت.

واختلفوا في هذه الشهادة، فقيل: هي الشهادة المعروفة التي هي الإخبار بحقّ الغير على الغير، وقيل: هي حضور وصية المحتضر. **قوله: (واتّسع في «بين» فأضيف إليه المصدر)** أي بجعل الظرف كأنه مفعول لذلك. في تفسير الجلالين: وإضافة شهادة لِبَيْن على الاتّساع. اهـ. أي التجوّز، يعني وحقّ الشهادة أن تُضاف إلى المشهود به، كأن يقال: شهادة الحقوق، أي الشهادة بها، فاتّسع فيها وأُضيفت إلى البين إما باعتبار جريانها بينهم، أو باعتبار تعلّقها بما يجري بينهم من الخصومات. اهـ أبو سعود. وفي الكرخي قوله: على الاتّساع، أي في الظرف، وذلك لأن الإضافة إليه أخرجته عن الظرفيّة وصيّرته مفعولًا به على السعة، و﴿بَيْنِكُمْ﴾ كناية عن التنازع والتشاجر، وإنما أضاف الشهادة إلى التنازع لأن الشهود إنما يُحتاج إليهم عند التنازع.

قوله: (مشارفته) أي قُرْبه. **قوله: (أمارات)** أي علامات. **قوله: («وأنتم» فاعل فعل يفسّره الظاهر)** أي أنتم مرفوع بأنه فاعل **فعل** محذوف؛ لأنه واقع بعد أن

أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذِّمَّة. وقيل: منسوخ إذ لا يجوز شهادة الذِّمِّي على المسلم، وإنما جازت في أول الإسلام لقلّة المسلمين ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾ تقفونهما للحلف هو استئناف كلام أو صفة لقوله: «أو آخران من غيركم» أي أو آخران من غيركم محبوسان، «وإن أنتم (﴿ضَرَبۡتُمۡ﴾) في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت» اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (من بعد صلاة العصر) لأنه وقت اجتماع الناس. وعن الحسن ﷺ: بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما. وفي حديث بديل أنها لما نزلت صلّى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعديٍّ وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا: إنّا اشتريناه من تميم وعدي. ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ فيحلفان به ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككتم في أمانتهما وهو اعتراض بين «يقسمان» وجوابه وهو ﴿لَا نَشۡتَرِي﴾ وجوابالشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير: إن ارتبتم في شأنهما فحلفوهما ﴿بِهِۦ﴾ بالله أو بالقسم ﴿ثَمَنٗا﴾ عِوَضًا من الدنيا ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾ أي المُقسَم له ﴿ذَا قُرۡبَىٰ﴾ أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان مَن نقسم له قريبًا منّا ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها ﴿إِنَّآ إِذٗا﴾ إن كتمنا ﴿لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾. وقيل: إن أُريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين، وإن أُريد الوصيّان فلم ينسخ تحليفهما.

﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧﴾

﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾ (فإن اطّلع) ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ فعل ما أوجب إثمًا واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا

الشرطية فلا يرتفع[1] بالابتداء، والتقدير: إن ضربتم، فلمّا حُذِف الفعل وجب أن يفصل الضمير، فيصير: أنتم، ليقوم بنفسه، و(﴿ضَرَبۡتُمۡ﴾) تفسير للفعل المحذوف لا موضع له. اهـ أبو البقاء. **قوله:** (من بعد صلاة العصر)، فالتعريف للعهد أو للجنس.

قوله: (فإن اطّلع) يقال: عثر عليه يعثر عثرًا وعُثُورًا، أي اطّلع عليه وعثر في مشيه أو منطقه أو رأيه. يَعْثُر عَثْرة، أي زلّ وسقط، فرّقوا بين مصدريهما، فإنّ

(١) أي عند البصريّين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي من الذين استحق عليهم الإثم، ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته)، وفي قصة بديل أنه لمّا ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته إنه إناء صاحبهما وإن شهادتهما أحق من شهادتهما (﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾) الأحقّان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما. وارتفاعهما على «هما الأوليان» كأنه قيل: ومَن هما؟ فقيل: الأوليان. أو هما بدل من الضمير في «يقومان» أو من «آخران». «استحق عليهم الأوليان». (حفص) أي من الورثة الذين استحق عليهم الأولياء (من بينهم ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أن يجرّدوهما) للقيام بالشهادة ويُظهِروا بهما كذب الكاذبين. («الأوّلين»: حمزة وأبو بكر) على أنه وصف للذين

العَثْرة هي الزلّة، والعثور هو الاطّلاع. **قوله:** (﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾) قراءة الجمهور بضم التاء على بناء المجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على الإثم، (أي من الذين استحقّ عليهم الإثم، ومعناه: من الذين جني عليهم، وهم أهل الميت وعشيرته)، يشير إلى أن استحقاق الإثم عليهم كناية عن هذا المعنى؛ وذلك لأن معنى استحقّ الشيء به لاقَ به أن يُنْسَب إليه والجاني للاسم المرتكب له يليق أن يُنسب إليه الإثم، فاستحقاقه الإثم بمعنى ارتكابه، فالذين استحقّ عليهم الإثم، أي جني عليهم وارتكب الذنب بالقياس إليهم هم الورثة. والمعنى: مِنَ الورثة الذين جني عليهم، فإن الأوّلين لمّا جَنَيا واستحقّا إثمًا بسبب جنايتهما على الورثة كانت الورثة مجنيًّا عليهم متضرّرين بجناية الأوّلين. قوله: (وعشيرته) في المصباح: العشيرة القبيلة، ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات وعشائر. اهـ. قوله: (﴿ٱسْتَحَقَّ﴾) بفتح التاء والحاء مبنيًّا للفاعل، وإذا ابتدأ كسر الهمزة (﴿عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾) مرفوع على أنه فاعل استحقّ ومفعوله محذوف. (حفص)، والباقون بضم التاء وكسر الحاء مبنيًّا للمفعول، وإذا ابتدؤوا ضمّوا الهمزة. **قوله:** (﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾) فاعل استحقّ. **قوله:** (من بينهم) حال منهما. **قوله:** (﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾) متعلق بهما، أي الأحقان بالشهادة. **قوله:** (أن يجرّدوهما)... الخ. مفعول استحقّ، فالمفعول محذوف من لفظ القرآن، كأنهما لما صارا أَوْلى بالشهادة منهم استحقّا أن يجرّدوهما للشهادة. **قوله:** (الأوّلين) بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون جمع أول المقابل لآخر. (حمزة وأبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون: «الأَوْليان» بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون مثنّى أَوْلى.

استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح. وسُمُّوا أولين لأنهم كانوا أولين في الذِّكر في قوله: «شهادة بينكم» ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيَّين الخائنين ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ وما تجاوزنا الحق في يميننا ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إن حلفنا كاذبين.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي مرَّ ذِكره من بيان الحكم ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب (﴿أَن يَأْتُوا۟﴾) أي الشهداء على نحو تلك الحادثة ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ كما حملوها بلا خيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي (تكرُّ) أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الخيانة واليمين الكاذبة ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ سمع قبول وإجابة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة. فإن قلت: ما معنى «أو» هنا؟ قلت: معناه ذلك أقرب من أن يؤدّوا الشهادة بالحق والصدق، إما لله أو لخوف العار والافتضاح بردّ الأيمان، وقد احتجّ به مَن يرى ردّ اليمين على المدّعي، والجواب أن الورثة قد ادّعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا، فلما ظهر كذبهما ادّعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهما الشراء.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكروا» أو احذروا ﴿يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ ما الذي أجابتكم به أُممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان؟ وهذا السؤال توبيخ لمَن

قوله: (﴿أَن يَأْتُوا۟﴾)... الخ. وإنما جمع الضمير في يأتوا أو يخافوا مع أن الكلام في اثنين من الشهود والأوصياء؛ لأنه ابتداء كلام ذُكر لبيان الحكمة في شرعية الحكم على التفصيل المذكور في حقّ جميع الأوصياء أو الشهود. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي الفتوحات الإلـهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: المقام لتثنية الضمير، وإنما جُمِع لأن المراد ما يعمّ الشاهدَيْن المذكورَيْن وغيرهما من بقيّة الناس. وفي الخازن: أن يأتي الوصيّان وسائر الناس. اهـ شيخنا. اهـ. **قوله:** (تَكرُّ) أي ترجع.

أنكرهم. «وماذا» منصوب بـ «أجبتم» نصب المصدر على معنى أيَّ إجابة أجبتم ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بإخلاص قومنا دليله ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ أو بما أحدثوا بعدنا دليله «كنت أنت الرقيب عليهم» أو قالوا ذلك تأدّبًا أي علمنا ساقط مع علمك و(مغمور) به فكأنه لا علم لنا.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ بدل من «يوم يجمع» (﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ حيث طهّرتها واصطفيتها على نساء العالمين. والعامل في ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ أي قوّيتك «نعمتي» ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبريل عليه السلام (أيد به لتثبت

قوله: (مغمور) أي مستور ومهلك.

قوله: (﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) بإثبات الألف، وإن كان واقعًا بين العلمين لندرة الإضافة إلى الأُم، وابن صفة لعيسى نُصِب لأنه مضاف، وهذه قاعدة كلّية مفيدة، وذلك أن المُنادى المفرد المعرفة الظاهرُ الضمّةِ إذا وُصِف بابن أو بابنة ووقع الابن أو الابنة بين عَلَمين أو اسمين متّفقين في اللفظ ولم يفصل بين الابن وبين موصوفه بشيء تثبت له أحكام، منها: أنه يجوز اتباع المنادى المضموم لحركة نون ابن فيفتح نحو: يا زيد بن عمرو، ويا هند ابنة بكر، بفتح الدال من زيد وهند وضمّها، فلو كانت الضمّة مقدَّرة، مثل: ما نحن فيه، فإنّ الضمة مقدّرة على ألف عيسى، فهل يقدّر بناؤه على الفتح إتباعًا كما في الضمّة الظاهرة؟ خلاف الجمهور على عدم جوازه؛ إذ لا فائدة في ذلك، فإنه إنما كان للاتباع، وهذا المعنى مفقود في الضمّة المقدّرة، وأجاز الفراء ذلك إجراءً للمقدّر مجرى الظاهر، وتَبِعه أبو البقاء، فإنه قال: يجوز أن تكون على الألف من عيسى فتحة؛ لأنه قد وُصِف بابن وهو بين علمين، وأن تكون فيهما ضمّة، وهو مثل قولك: يا زيد بن عمرو، بفتح الدال وضمّها، وهو الذي قاله غير بعيد. اهـ سمين رحمه الله. **قوله:** (أيّد به لِتثبُتَ

الحجة عليهم)، أو بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطُّهر من (**أوصام الآثام**) دليله (﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾) حال (**أي تكلمهم طفلا**) إعجازًا (﴿وَكَهْلًا﴾) تبليغًا ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ﴾ معطوف على «إذ أيّدتك» ونحوه «وإذ تخلق». «وإذ تخرج». «وإذ كففت». «وإذ أوحيت» ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الخط ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الكلام المُحكَم الصواب ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ (تَخْلُقُ)﴾ تقدِّر ﴿مِنَ ٱلطِّينِ (كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ **هيئة مثل هيئة الطير**) ﴿بِإِذْنِي﴾ بتسهيلي ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه، وكذا الضمير في ﴿فَتَكُونُ

الحجّة عليهم) في روح البيان: معنى تأييده به أنّ جبريل عليه السلام يجعل حجّته ثابتة مقرّرة. **قوله**: (**أوصام الآثام**) الوَصْم: العَيْب. **قوله**: (﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾) في المهد قولان: أحدهما أنه حِجْر أُمّه، والثاني هو هذا الشيء المعروف الذي هو مضجع الصبي وقت الرّضاع، وكيف كان فالمراد منه أنه يكلّم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها إلى المهد، ولا يختلف هذا المقصود سواء كان في حجر أُمّه أو كان في المهد. اهـ رازي ﷺ. **قوله**: (**أي تكلّمهم طفلًا**) أي قوله: (﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾) كناية عن كونه طفلًا صغيرًا وهي أبلغ من التصريح وأوْلى؛ لأن الصغير يُسمّى طفلًا إلى أن يبلغ الحُلُم، فلذا عدل عنه. اهـ شهاب رحمة الله عليه. **قوله**: (﴿وَكَهْلًا﴾) الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين، ووخطه الشيب أي خالطه. **قوله**: (**هيئة مثل هيئة الطير**) يعني أن الكاف في قوله: (﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾) اسم بمعنى مثل في محل النصب على أنه صفة للمفعول المحذوف لقوله: (﴿تَخْلُقُ﴾) بمعنى تسوّي وتصوّر، أي وإذ تسوّي وتصوّر هيئته مثل هيئة الطير، قيل: إن الناس قالوا على وجه التعنّت: اخلق لنا خفاشًا واجعل فيه روحًا إن كنت صادقًا في مقالتك، فأخذ طينًا وسوّى منه هيئة خفاش ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكانت التسوية والنفخ بكسب عيسى عليه السلام، والخلق من الله تعالى، قيل: إنما طلبوا منه خلق الخفاش لأنه أعجب المخلوقات من حيث إنه لحم ودم يطير بغير ريش، ويَلِد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، وله ضرع يخرج منه اللبن، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تَحِيض المرأة، ولا يُبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في

طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾ وعطف ﴿وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ ﴿بِإِذۡنِيۖ﴾ على «تخلق» ﴿وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ من القبور أحياء ﴿بِإِذۡنِيۖ﴾ (قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية).

ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدًّا، فلما رأوا منه ذلك قالوا: إن هذا إلا سحرٌ مبين. قال وهْب بن منَبّه: كان يطير حتى يغيب عن الناس ثم يقع ميتًا، ليتميّز خلق الله تعالى من فعل غيره. **قوله:** (﴿وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾) الأكمه: الذي وُلد أعمى، والأبرص: هو الذي به برص، أي بياض في الجلد، ولو كان بحيث إذا غُرِز بإبرة لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج، ولذا خُصّا بالذكر، وكلاهما مما أعيى الأطبّاء. **قوله:** (**قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية**) كذا في تفسير الكشاف وغيره. **وقوله:** (**سام بن نوح**) قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح، قالوا له: لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك، فقام وأتى تلّاً فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب، وقال: هذا قبر سام بن نوح إن شئتم أحييته لكم، قالوا: نعم، فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التلّ بعصاه، وقال: إحْيَ بإذن الله، فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: أقد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكني دعوتك باسم الله الأعظم، قال: ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان، وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شابّ ثم أخبرهم بخبر السفينة، فقال له عيسى: مُتْ، فقال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك. اهـ العرائس للإمام الثعلبي رحمه الله. **قوله:** (**ورجلين**) أي العاذر، وكان صديقًا له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأْتِهِ، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقالوا لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة، فقال عيسى: اللّهمّ ربّ السمٰوات السبع والأرضين السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتهم أني أحيي الموتى بإذنك فأحْيِي العاذَر، فقام العاذر وخرج من قبره وبقي ووُلِد له.

وابن العجوز، وكانت القصة فيه أن عيسى مرّ في سياحته ومعه الحواريّون بمدينة، فقال: إنّ في هذه المدينة كنزًا، فمن يذهب يستخرجه لنا؟ فقالوا: يا روح

....

الله لا يدخل هذه القرية أحدٌ غريب إلّا قتلوه، فقال لهم عيسى: مكانكم حتى أعود إليكم، فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب، فقال: السلام عليكم يا أهل الدار، غريب أطعموه، فقالت له امرأة عجوزًا: ما ترضى أن أدعك لا أذهب بك إلى الوالي حتى تقول: أطعموني، فبينما عيسى بالباب إذ أقبل ابن العجوز، فقال له عيسى: أضفني ليلتك هذه، فقال له الفتى مثل مقالة العجوز، فقال له عيسى: أما إنك لو فعلت ذلك زوّجتك بنت الملك، فقال له الفتى: إمّا أن تكون مجنونًا وإما أن تكون عيسى ابن مريم، قال: أنا عيسى، فأضافه وبات عنده، فلما أصبح قال له: اغدُ وادخل على الملك، وقل له: جئت أخطب ابنتك، فإنه سيأمر بضربك وإخراجك، فمضى الفتى حتى دخل على الملك، فقال له: جئت أخطب إليك ابنتك، فأمر بضربه فضُرِب وأُخْرِج، فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره الخبر، فقال: إذا كان غدًا فاذهب إليه واخطب ابنته، فإنه ينالك بدون ذلك، ففعل الفتى ما أمره عيسى، فضربه دون ذلك الضرب الأوّل، فرجع إلى عيسى فأخبره، فقال: ارجع إليه، فإنه سوف يقول لك: أنا أزوّجك إيّاها على حكمي، وحكمي قصر من ذهب وفضّة وما فيه من ذهب وفضّة وزبرجد، فقل له: أفعل ذلك، فإذا بعث معك أحدًا فاخرج به، فإنك سوف تجده فلا تُحْدِث فيه شيئًا. ثم إنه دخل على الملك، فخطب، فقال: تصدقها بحكمي، فقال: وما حكمك؟ فحكم بالذي سمّاه عيسى عليه السلام، فقال: نعم رَضِيت، ابعث مَنْ يقبض ذلك، فبعث معه رجالًا فسلّم إليهم ما سأله الملك، فتعجّب الناس من ذلك، فسلّم إليه الملك ابنته، فتعجّب الفتى من ذلك، وقال: يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال؟ فقال له عيسى: إني آثرت ما يبقى على ما يفنى، فقال الفتى: أنا أيضًا أدعه وأصحبك، فتخلّى من الدنيا واتّبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به وأصحابه وقال لهم: هذا الكنز الذي قلت لكم، فكان معه ابن العجوز إلى أن مات، ومرّ به وهو ميت على سرير، فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، فبقي ووُلِد له. اهـ العرائس.

وأيضًا أحيى عزير عليه السلام، قالوا لعيسى عليه السلام: أحْيِهِ وإلّا أحرقناك بالنار، وجمعوا حطبًا كثيرًا من حطب الكرم، وكانوا في ذلك الوقت

....

يدفنون موتاهم في صناديق من حجارة مطبقة، فوجدوا قبر عزير مكتوبًا على ظهره اسمه، فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يُخرجوه من قبره، فرجعوا إلى عيسى فأخبروه، فناولهم إناء فيه ماء، وقال لهم: انضحوا قبره بهذا الماء، ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو في أكفانه والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، ثم إنه نزع ثيابه عنه، ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت، ثم قال: احْيَ يا عزير بإذن الله تعالى، فإذا هو جالسٌ، وكلّ ذلك تراه أعينهم، فقال لعزير: ما تشهد لهذا الرجل؟ ـ يعنون عيسى ـ فقال: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فقالوا: يا عيسى ادع لنا ربّك يُبْقيه لنا ليكون بين أظهرنا حيًّا، فقال عيسى: ردُّوه إلى قبره، فردُّوه إلى قبره، فعاد ميّتًا، فآمن بعيسى ابن مريم مَنْ آمن، وعاند مَن عاند. اهـ العرائس.

وفي تهذيب الأسماء: ومنهم سام بن نوح وعزير وقصّتهما مشهورة. اهـ.

وقوله: (وامرأة وجارية) في العرائس: ومنها ابنة العاشر رجلٌ كان يأخذ العشر، قيل له: أتحييها وقد ماتت بالأمس، فدعا الله عزّ وجلّ فعاشت وبقيت ووُلِد لها. اهـ. وفي تهذيب الأسماء: ومنهم بنت العاشر أحياها وولدت بعد ذلك. اهـ. وفي الدرّ المنثور في سورة آل عمران، أخرج إسحٰق بن بشر وابن عساكر من طرق عن ابن عباس، قال: كانت اليهود يستهزؤون بعيسى، ويقولون له: يا عيسى ما أكل فلان البارحة وما ادّخر في بيته؟ فيخبر فيسخرون منه حتى طال ذلك به وبهم، وكان عيسى عليه السلام ليس له قرار ولا موضع يُعرف، إنما هو سائح في الأرض، فمرّ ذات يوم بامرأة قاعدة عند قبر، وهي تبكي، فسألها فقالت: ماتت ابنة لي لم يكن لي ولدٌ غيرها، فصلّى عيسى ركعتين ثم نادى: يا فلانة قومي بإذن الرحمٰن فاخرجي، فتحرّك القبر، ثم نادى الثانية، فانصدع القبر، ثم نادى الثالثة فخرجت، وهي تنفض رأسها من التراب، فقالت: يا أُمّاه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرّتين، يا أُمّاه اصبري واحتسبي، فلا حاجة لي في الدنيا، يا روح الله سَل ربّي أن يردَّني إلى الآخرة وأن يهوّن عليَّ كرب الموت، فدعا ربّه فقبضها إليه، فاسْتَوت عليها الأرض. اهـ.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ أي اليهود حين همّوا بقتله ﴿إِذْ جِئْتَهُم﴾ ظرف لـ «كففت» ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ («ساحر» حمزة وعلي).

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ ألهمت ﴿إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾ الخواص أو الأصفياء (﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾) أي آمنوا ﴿بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي اشهد بأننا مخلصون مَن أسلم وجهه.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أي اذكروا إذ ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ («عيسى» نصب على إتباع حركته حركة الابن نحو «يا زيد بن عمرو») ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ (هل يفعل أو هل يطيعك ربك إن سألته، فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب.

قوله: («ساحر») بالألف بعد السين وكسر الحاء اسم فاعل (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف على المصدر، أي ما هذا الخارق إلا سحر بمعنى ساحر، أو بمعنى ذو سحر أو جعلوه نفس السِّحر كرجل عدل.

قوله: (﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾) أي آمنوا، يعني أنَّ أن تفسيرية، لأنها وردت بعدما هو بمعنى القول لا حروفه.

قوله: (عيسى نصب على إتباع حركته حركة الابن، نحو «يا زيد بن عمرو») قال العلامة أبو البقاء: (﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ﴾) يجوز أن يكون على الألف من عيسى فتحة، لأنه قد وُصِف بابن وهو بين عَلَمين، وأن يكون عليها ضمّة، وهو مثل قولك: يا زيد بن عمرو، بفتح الدال وضمّها، وإذا قدّرت الضمّ جاز أن يجعل ابن مريم صفة وبيان وبدلًا. اهـ. **قوله:** (هل يفعل) أي فالسؤال إنما هو عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرًا عنه بلازمه. **قوله:** (أو هل يطيعك ربك إن سألته، فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب)، فيستطيع بمعنى يطيع، ويطيع بمعنى يجيب

هل تستطيع ﴿رَبَّكَ﴾ على) أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارِف يصرفك عن سؤاله ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾(«يُنْزِل»: مكي وبصري) ﴿مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (هي الخوان) إذا كان عليه الطعام (من ماده إذا أعطاه) كأنها تميد مَن تقدَّم إليها ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ (في اقتراح الآيات) بعد ظهور المعجزات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذ الإيمان يوجِب التقوى.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ تبرّكًا ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ ونزداد يقينًا كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي

مجازًا؛ لأن المجيب مطيع. اهـ شهاب. **قوله:** (هل تستطيع) بتاء الخطاب لعيسى عليه السلام مع إدغام اللام من هل في التاء على قاعدته. (﴿رَبَّكَ﴾) بالنصب على التعظيم (على) الكسائي، والباقون بياء الغيب ﴿رَبُّكَ﴾ بالرفع على الفاعلية. **قوله:** («يُنْزِل») بإسكان النون وتخفيف الزاي (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله:** (هي الخوان[1]) بضم الخاء وكسرها إذا كان عليها الطعام، فإن لم يكن عليه طعام لا يسمّى مائدة، وإنما يقال له: خِوَان، كما لا يقال كأس إلّا وفيها خمر، وإلا فهي قدح، ولا يقال: ذَنوب أو سَجْل[2] إلّا وفيه ماء، وإلا فهو دلو، ولا يقال جراب إلّا وهو مدبوغ، وإلا فهو إهاب. **قوله:** (من ماده إذا أعطاه)، فهو مائدة، أي مُعْطية. **قوله:** (في اقتراح الآيات) أي في سؤال الآيات التي لم يسبق لها مثال. وفي المصباح: واقترحته ابتدعته من غير سبق مثال. اهـ. وفي مختار الصحاح: اقترح عليه شيئًا سأله إيّاه، ومن غير رويّة. اهـ.

---

(١) تفسير المائدة بالخوان تفسير بالأعم؛ لأنه لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه طعام، وإلا فهو خوان. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) مثال فَلْس الدلو العظيمة وبعضهم يزيد إذا كانت مملوئة. اهـ مصباح. وفي القاموس: السَّجْل الدلو العظيمة مملوءة مذكر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

نعلم صدقك عيانًا كما علمناه استدلالًا ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ بما عاينا لِمَن بعدنا. ولمّا كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ (ٱللَّهُمَّ﴾ أصله «يا الله» **فحذف «يا» وعوض عنه «الميم»** ﴿رَبَّنَا﴾ **نداء ثانٍ**) ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي يكون يوم نزولها عيدًا. قيل: هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدًا، والعيد: السرور العائد ولذا يقال: «يوم عيد» فكان معناه: تكون لنا سرورًا وفرحًا ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل من «لنا» بتكرير العامل أي لِمَن في زماننا من أهل ديننا، ولِمَن يأتي بعدنا، أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم، أو للمتقدمين منّا والأتباع ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على صحة نبوّتي ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وأعطنا ما سألناك وأنت خير المُعطين.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ (**بالتشديد: مدني وشامي وعاصم**). وعد الإنزال وشرط عليهم شرطًابقوله: (﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ **بعد إنزالها منكم** ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ **أي تعذيبًا كالسلام بمعنى التسليم. والضمير**) في ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ للمصدر ولو أُريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بُدٌّ من الباء ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عن الحسن أن

قوله: (﴿ٱللَّهُمَّ﴾ **أصله يا الله، فحذف يا وعوّض عنه الميم** ﴿رَبَّنَآ﴾ **نداء ثانٍ**) لا صفة أو بدل؛ لأن اللّهمّ لا يُوصف ولا يبدل منه.

قوله: (**بالتشديد**) أي بفتح النون وتشديد الزاي (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**وعاصم**). والباقون بإسكان النون وتخفيف الزاي، فقيل: هما بمعنى، وقيل: الأوّل للتكثير لما قيل إنها نزلت مرّات متعدّدة. **قوله:** (**أي تعذيبًا**) على أن عذابًا اسم مصدر بمعنى التعذيب. **قوله:** (﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ **بعد إنزالها منكم** ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ **أي تعذيبًا كالسلام بمعنى التسليم والضمير**) في لأعذّبه للمصدر، ويعني أنه راجع إلى قوله: ﴿عَذَابًا﴾ على أن يكون اسم مصدر بمعنى التعذيب، كأنه قيل: فإني أعذّبه تعذيبًا لا أُعذّب ذلك التعذيب أحدًا، فالجملة في محل النصب على أنه صفة لعذاب، فالعذاب بمعنى التعذيب على طريق

المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدًا إلى يوم القيامة لقوله: «وآخرنا». والصحيح أنها نزلت. فعن (وهب): نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام إلا اللحم. وقيل: كانوا يجدون عليها ما شاؤوا. وقيل: كانت تنزل حيث كانوا بكرةً وعشيًا.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الجمهور على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة دليله **(سباق الآية وسياقها)** وقيل: خاطبه به حين رفعه إلى السماء **(دليله لفظ «إذ»)** ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ من أن

الاستخدام[1]. **قوله:** (وهب) بن منبه التابعي الأبناوي[2] اليمامي، أخو همام بن منبه، كُنيته وهب أبو عبد الله، ويقال له الذِّماري ـ بكسر الذال المعجمة ـ منسوب إلى ذمار قرية على مرحلتين من صنعاء اليمن، وهو تابعيّ جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية. سمع جابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وأبا سعيد الخدري، وأبا هريرة، وأنسًا، والنعمان بن بشير. روى عنه عمرو بن دينار، وعوف الأعرابي، والمغيرة بن حكيم وآخرون، واتّفقوا على توثيقه. توفي سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة، وقال ابن سعد: سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (سباق الآية وسياقها) السباق ـ بالباء الموحدة ـ يُستعمل فيما قبل الكلام، والسياق ـ بالياء المثناة ـ فيما قبله وبعده معًا، والمراد هنا الثاني. **قوله: (دليله لفظ «إذ»)**؛ لأن إذ للماضي من الزمان.

---

(١) في المطول، أي استخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان، أحدها أي أحد المعنيين، ثم يراد بضميره، أي بالضمير الراجع إلى ذلك اللفظ معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أي ضميري ذلك اللفظ، أحدهما أي أحد المعنيين، ثم يراد بالآخر أي ضمير الآخر معناه الآخر. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون. اهـ تقريب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يكون لك شريك ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ (ما ينبغي لي) ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أن أقول قولًا لا يحق لي أن أقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ إن صحَّ أني قلته فيما مضى فقد علمته، والمعنى: أني لا أحتاج إلى الاعتذار لأنك تعلم أني لم أقله ولو قلته لعلمته لأنك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ذاتي ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ذاتك. فنفس الشيء ذاته وهويته والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تقرير للجملتين معًا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلم علَّام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به. ثم فسّر ما أمر به فقال: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾ فـ «أن» مفسّرة بمعنى «إي» ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيبًا ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ﴾ مدة كوني فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ﴾ الحفيظ ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ من قولي وفِعْلي وقولهم وفعلهم ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾. قال الزجاج: علم عيسى عليه السلام أن منهم مَن آمن ومنهم مَن أقام على الكفر فقال في جملتهم «إن تعذبهم» أي إن تعذب مَن كفر منهم فإنهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل في ذلك فإنهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم، وإن تغفر لهم أي لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضّل منك، وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك، أو عزيز قوي قادر على الثواب، حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾ برفع اليوم والإضافة على أنه خبر هذا أي يقول الله تعالى: «هذا يوم ينفع الصادقين» فيه صدقهم المستمر في دُنياهم

قوله: (ما ينبغي لي) إشارة إلى أن يكون بمعنى لا ينبغي ولا يليق، وهو أبلغ من لم أقله.

وآخرتهم. والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول: «قال زيد عمرو منطلق»، (وبالنصب: نافع). على الظرف أي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالسعي المشكور ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بالجزاء الموفور ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لأنه باقٍ بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باقٍ.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ عظم نفسه عمّا قالت النصارى إن معه إلـٰهًا آخر ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء، نسأله أن يوفِّقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قوله: (وبالنصب) أي بنصب يوم بغير تنوين. (نافع) المدني، على الظرف، أي على أنه ظرف لغوي لقال، أي قال الله هذا القول لعيسى عليه السلام في يوم ينفع، والقول هو: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾، وجاء على لفظ الماضي، على نحو: ونادى أصحاب الجنّة. والباقون بالرفع من غير تنوين، والله سبحانه وتعالى أعلم، وعِلْمه أتمّ.

تمّ تفسير سورة المائدة،
اللّهمّ لا تحرمنا ببركتها من موائد كرمك ولا تقطع عنّا عوائد نعمك
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام في كل مبدأ وختام
ويليه أيضًا تفسير سورة الأنعام

(سورة الأنعام)

(مكيّة وهي مائة وخمس وستون آية) كوفيّ أربع وستون بصري

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾

(﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أي الحمد له وإن لم تحمدوه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ **(جمع السمٰوات بخلاف الأرضين)** لأنها طباق بعضها فوق بعض.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأنعام مكّية، وهي مائة وخمس وستون آية) وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة وعدد حروفها اثنا عشر ألفًا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفًا. **قوله:** (﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) فيه قولان: الأول أنّ المراد به أحمد الله، قالوا: وإنما جاء على صيغة الخبر لفوائد: إحداهما أن قوله: يفيد تعليم اللفظ والمعنى، ولو قال: أحمد الله لم يحصل مجموع هاتين الفائدتين. وثانيتها أنه يفيد أنه تعالى مستحقٌّ للحمد، سواء حمده حامد أو لم يحمده. والثالثة أن المقصود منه ذكر الحجّة، فذكره بصيغة الخبر أوْلى. والقول الثاني، وهو قول الأكثرين، أن المراد منه تعليم العباد استدلالًا بأنه تعالى قال في أثناء سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الآية ٥]، وهذا الكلام لا يليق ذكره إلّا بالعباد. **قوله:** **(جمع السمٰوات)**... الخ. وفي تفسير البيضاوي في سورة البقرة إنما جمع السمٰوات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة، بخلاف الأرضين. اهـ. وفي حاشيته للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: إنما

....

جمع السمٰوات. . . الخ. هذا ما عليه الحكماء. وأمّا المُحدثون، فالأرض عندهم طبقات بين كلٍّ منها والأخرى مسافة عظيمة، وفيها مخلوقات على ما وردت به الأحاديث والنكتة، كما قال أبو حيان: إنّ جمعها ثقيل، وهو مخالف للقياس كأرضون، ولذا أراد تعالى ذلك ومن الأرض مثلهنّ ولم يجمعها، وربّ مفرد لم يقع في القرآن جمعه لثقله وخفّة المفرد، وجمع لم يقع مفرده كالألباب، وفي المثل السائر نحوه.اهـ. وفي حاشيته للعلامة القنوي رحمه الله: قوله: وإنما جمع السمٰوات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة، ومعنى كونها متفاصلة أي ممتازة بعضها عن بعض ـ بالصاد المهملة ـ ولا وجه لقراءة متفاضلة بالمعجمة، لكن قوله: بالذات ظاهره مما لا حاجة إليه، إلّا أن يقال: أراد التطبيق على مذهب الحكماء، ومعناه ممتازة بعضها عن بعض بذاتها الشخصيّة، سواء كانت متماسّة كما هو رأي الحكيم، أو لا كما هو المختار عند أهل الحقّ؛ لأنه جاء في الآثار: «أنّ بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام»، وكما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: الآية ٤] الآية، وقد بيَّنه المصنف هناك بما ورد في الآثار؛ فالإشارة إلى مذهب الحكيم ليس بمُستحسَن، ولك أن تقول: معناه بالحقيقة لا بذاتها الشخصية، كما اختاره البعض، ومراده أنها مختلفة؛ فمنها من الماء ومنها من الذهب ومِنَ الياقوت إلى غير ذلك، فلمّا كان لها أفراد مختلفة الحقيقة جُمِعَت تنبيهًا على ذلك، وأفرادها سبع؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٩]، وهذه الآية صريحة في كونها مختلفة الحقائق، ولو ضمّ إليها الكرسيّ والعرش الأعْلى لكانت تسعة، ولمَا كان معنى بالذات بالحقيقة يكون قوله: مختلفة الحقيقة كالتفسير له، فلا مجال لِمَا قاله البعض مع وجود هذا التفسير والبيان.

قوله: (بخلاف الأرضين)، فإنها أيضاً سبع كما نطق به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية ١٢]، لكنها ليست مختلفة الحقائق. قوله: بخلاف الأرضين، بالجمع دون الإفراد، مع أنها أُفردت في النّظم الجليل تنبيهًا على أنها حقيقة واحدة، كأنها أرض واحدة، فينظر إلى أن حقيقتها متّحدة فيفرد كالإنسان، وينظر إلى أن لها إفرادًا منفصلًا بعضها عن بعض، فيجمع

(والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موالٍ لبعض). «جعل» يتعدّى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ وإلى مفعولين إن كان بمعنى «صير» كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: الآية ١٩] وفيه ردّ قول الثنوية بقدم النور والظلمة، وأفرد النور لإرادة الجنس ولأن ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء، نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل

كالأناسي، فإن أفراده متّفقة الحقيقة بالنوع واختلافها بالعوارض، وكذا الأرض، واحتمال معنى قوله: بخلاف الأرضين أنها ليست بطبقات، بل أقاليم سبعة. وأيضًا كون معناه: أن لها طبقات لكنها ليست متفاصلة بعيد، أمّا أوّلًا فلأنه لا يلائم قوله: بخلاف الأرضين، وأمّا ثانيًا فليس بمطابق لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية ١٢]، فإنه فسّر به البعض بأنّ في كل طبقة خلقًا من خلق الله تعالى، فيكون لها طبقات كلّها من جنسٍ واحد، وهو التراب. اهـ. **قوله: (والأرض وإنْ كانت سبعة عند الجمهور، فليس بعضها فوق بعض، بل بعضها مُوالٍ لبعض)**، قال المصنّف رحمة الله عليه في سورة الطلاق: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾) مبتدأ وخبره (﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾) أجمع المفسّرون على أن السمٰوات سبع (﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾) بالنصب عطفًا على سبع سمٰوات، قيل: ما في القرآن آية تدلّ على أن الأرضين سبع إلّا هذه الآية، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وغِلْظ كل سماء كذلك، والأرضون مثل السمٰوات، وقيل: الأرض واحدة إلّا أنّ الأقاليم سبعة، انتهى. وفي التفسير الكبير في سورة الطلاق قال الكلبي: خلق سبع سمٰوات بعضها فوق بعض مثل القبّة، ومن الأرض مثلهنّ في كونها طِباقًا متلاصقة، كما هو المشهور أنّ للأرض ثلاث طبقات: طبقة أرضيّة مَحْضَة، وطبقة طينيّة وهي غير محضة، وطبقة مُنكشفة بعضها في البحر وبعضها في البرّ، وهي المعمورة، ولا بعد في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية ١٢] من كونها سبعة أقاليم على حسب سبع سمٰوات وسبع كواكب فيها، وهي السيّارة، فإنّ لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر آثار تلك الخواص في كل إقليم من أقاليم الأرض، فتصير سبعة بهذا الاعتبار، فهذه هي الوجوه التي لا يأباها العقل وما عداها من الوجوه المنقولة من أهل التفسير، فذلك من جملة ما يأباها العقل، مثل ما يقال: السمٰوات السبع أوّلها

واحد منها صاحبه، والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات، وقدم الظلمات لقوله ﷺ: «خلق الله خلقه في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره فمَن

موجُ مكفوف، وثانيها صخرٌ، وثالثها حديد، ورابعها نحاس، وخامسها فضّة، وسادسها ذهب، وسابعها ياقوت، وقول مَنْ قال: بين كل واحدةٍ منها مسيرة خمسمائة سنة، وغلظ كل واحدة منه كذلك، فذلك غير مُعتبر عند أهل التحقيق، اللّهمّ إلّا أن يكون نقل متواتر. انتهى بحروفه. وفي الفتوحات الإلـٰهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخَفِيّة في سورة البقرة.

قوله: (﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾) ذكر تعالى أن السمٰوات سبع ولم يأتِ للأرض في التنزيل عدد صريح لا يحتمل التأويل، إلّا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢]، وقد اختلف فيه، فقيل: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢] أي في العدد؛ لأن الكيفيّة والصفة مختلفة بالمشاهدة والإخبار، فتعيّن العدد. وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢] أي في الغلظ وما بينهن، وقيل: هي سبع إلّا أنه لم يفتق بعضها من بعض، قاله الماوردي. والصحيح الأول، وأنها سبع كالسمٰوات. اهـ. وعبارته في سورة الطلاق: قال الماوردي على أنها سبع أرضين متفاصلة بعضها فوق بعض تختصّ دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا، ولا يلزم مَنْ في غيرها مِنَ الأرضين، وإنْ كان فيها مَنْ يعقل مِنْ خلق مميّز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم للضوء منها قولان: أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب مِنْ أرضهم ويستمدّون الضياء منها، وهذا قول مَنْ جعل الأرض مبسوطة. والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء، فإنّ الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدّون منه، وهذا قول مَنْ جعل الأرض كرويّة. وفي الآية قول ثالث حكاه الطيبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بينها البحار وتظلّ جميعها السماء، وفيه هناك مزيد بسط على هذا، فتأمّل. اهـ بحروفها. وعبارتها في سورة الطلاق: قوله: يعني سبع أرضين، عبارة الخطيب: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢] أي سبعًا أمّا كون السمٰوات سبعًا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه؛ لحديث الإسراء وغيره. وأمّا الأرضون، فقال: إنها سبع أرضين طباقًا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سكان من خلق الله. وقال الضحاك: إنها

أصابه ذلك النور اهتدى ومَن أخطأه ضلّ» ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعد هذا البيان ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يساوون به الأوثان، تقول عدلت بذا أي ساويته به، والباء في

سبع أرضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السمٰوات. قال القرطبي: والأول أصحّ؛ لأن الأخبار دالّة عليه. وفي كتاب الفردوس عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «ما بين السماء إلى السماء خمسمائة عام، وعرض كل سماء وثخانة كل سماء خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة وبين الكرسيّ والعرش مثل ذلك، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، والأرضون وعرضهنّ وثخانتهنّ مثل ذلك». اهـ. قال الماورديّ: وعلى أنها سبع أرضين تختصّ دعوة الإسلام بأهل الأرض العُلْيا، ولا يلزم مَنْ في غيرها مِنَ الأرَضين وإنْ كان فيها مَنْ يعقل مِنْ خلق مميّز، وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان: أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كلّ جانب من أرضهم، ويستمدون الضياء. قال ابن عادل: وهذا قول مَنْ جعل الأرض مبسوطة. الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء، وأنّ الله تعالى خلق لهم ضياء يُشاهدونه. قال ابن عباس: وهذا قول مَنْ جعل الأرض كرويّة. وحكى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظلّ جميعها السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصّت دعوة الإسلام بهذه الأرض، وإنْ كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى.احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام لإمكان الوصول إليهم؛ لأنّ فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عمّ حُكْمه، واحتمل أن لا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمتهم لكان النصّ بها وارد، ولكان النبيّ ﷺ بها مأمورًا، وقال بعض العلماء: السماء في اللغة عبارة عمّا عَلاك؛ فالأُولى بالنسبة إلى السماء الثانية أرْض، وكذا السماء الثانية بالنسبة إلى الثالثة أرض، وكذلك البقيّة بالنسبة إلى ما تحته سماء، وبالنسبة إلى ما فوقه أرض؛ فعلى هذا تكون السمٰوات السبع وهذه الأرض الواحدة سبع سمٰوات وسبع أرضين. اهـ بحروفه. اهـ بحروفها.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينما نبيّ الله ﷺ جالسٌ وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبيّ الله ﷺ: «هل تدرون ما هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذه العَنان» (بفتح العين من عَنَّ أي

﴿بِرَبِّهِمْ﴾ صلة للعدل لا للكفر، أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أي يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ أي عنه محذوفة، وعطف ﴿ثُمَّ

ظَهر) «هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يَدْعونه»، ثم قال: «هل تدرون ما فوقكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها الرَّقيع» (وهو اسم السماء الدنيا، وقيل لكل سماء والجمع أرقعة) «سُقُفٌ محفوظ وموج مكفوف» (أي ممنوع من الاسترسال، والمعنى أن الله حفظها عن السقوط على الأرض)، ثم قال: «هل تدرون ما بينكم وبينها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينكم وبينها» (أي مقدار ما بين الأرض والسماء) «خمسمائة عام» (أي مسيرة ومسافتها)، ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «سماءان» (أي سماء بعد سماء) «بُعْد ما بينهما خمسمائة سنة»، ثم قال كذلك (أي سماءان مرّتين أُخريين) حتى عدّ سبع سمٰوات ما بين كل سمائين ما بين السماء والأرض، ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنّ فوق ذلك العرش، وبينه وبين السماء» (أي السابعة) «بُعْد ما بين السماءين» (أي من السمٰوات السبع)، ثم قال: «هل تدرون ما الذي تحتكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنها الأرض»، (أي العليا)، ثم قال: «هل تدرون ما الذي تحت ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن تحتها أرضًا أُخرى بينها مسيرة خمسمائة سنة» (أي وهكذا ذكر أرضًا بعد أُخرى) حتى عدّ سبعَ أرضينَ بين كل أرضينِ مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دَلَّيتم» (بتشديد اللام المفتوحة من أدْليت الدلو دلّيتها إذا أرسلتها البئر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يُوسُف: الآية ١٩] على التجريد والتأكيد، والمعنى: لو أرسلتم) «بحبل إلى الأرض السفلى لهبط» (بفتح الباء الموحدة، أي لنزل) «على الله»، ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحَديد: الآية ٣]. قال الترمذي: قراءة رسول الله ﷺ الآية تدلّ على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانُه في كلّ مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه. اهـ.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية ١٢]، قال: بلغني «أنّ عرض كل أرض مسيرة خمسمائة سنة، وأنّ بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة» الحديث. وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، أو على خلق السمٰوات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى «ثم» استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ «من» لابتداء الغاية أي ابتداء خلق أصلكم يعني آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ﴾ أي حكم أجل الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ أجل القيامة، أو الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ. أو الأول النوم. والثاني الموت، أو الثاني هو الأول وتقديره: وهو أجل مسمى أي معلوم، و﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ﴾ مبتدأ والخبر ﴿عِندَهُۥ ۖ﴾ وقدم المبتدأ وإن كان نكرة والخبر ظرفًا وحقه التأخير لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تشكون من (المرية) أو تجادلون من (المراء). ومعنى «ثم» استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ متعلّق بمعنى اسم الله (كأنه قيل: وهو المعبود) فيهما كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾

وصححه وتعقّبه الذهبي، فقال: منكر. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام» الحديث.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «كثف الأرض مسيرة خمسمائة عام، وكثف الثانية مثل ذلك، وما بين كل أرضين مثل ذلك». اهـ.

قوله: (المِرْية) الشكّ، وقد يضمّ وقد قُرىء بهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ﴾ [هود: الآية ١٧]. اهـ. مختار الصحاح. **قوله:** (المِراء) بمعنى الجدال.

قوله: (كأنه قيل: وهو المعبود) أن جعل مشتقًّا من ألَهَ يَأله إذا عُبِد. اهـ محشي رحمه الله.

[الزخرف: الآية ٨٤] أو المعروف بالإلـهية فيهما، أو هو الذي يقال له الله فيهما، والأول تفريع على أنه مشتق وغيره على أنه غير مشتق ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أي هو يعلم سرّكم وجهركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشرّ ويثيب عليه ويعاقب.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾

و«من» في ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ للاستغراق وفي ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ للتبعيض أي وما يظهر لهم دليل قطّ من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تاركين للنظر لا يلتفتون إليه لقلّة خوفهم وتدبرهم في العواقب ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ مردود على كلام محذوف كأنه قيل: إن كانوا معرضين على الآيات فقد كذبوا ﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن (**الذي تُحدوا به**) فعجزوا عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن أي أخباره وأحواله يعني سيعلمون بأي شيء استهزءوا وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعلوّ كلمته.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعني المكذبين ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ هو مدّة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ في موضع جرّ صفة لـ«قرن» وجمع على المعنى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ التمكين في البلاد إعطاء (**المكنة**) والمعنى: لم نعطِ أهل مكة نحو ما أعطينا عادًا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ كثيرًا وهو حال من السماء ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ من

قوله: (الذي تُحدوا به) التحدّي طلب المعارضة.

قوله: (المكنة) بمعنى القوّة والشّدّة.

تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في (**الخصب**) بين الأنهار والثمار و(**سقيا الغيث**) المدرار ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يغن ذلك عنهم شيئًا ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ بدلًا منهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوبًا ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ في ورق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ هو للتأكيد لئلّا يقولوا: (﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾) ومن المحتجّ عليهم العمى ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنتًا وعنادًا للحق بعد ظهوره.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على النبيّ ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يكلّمنا أنه نبيّ فقال الله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لقضي أمر هلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ لا يمهلون بعد نزوله (**طرفة عين**) لأنهم إذا شاهدوا ملكًا في صورته (**زهقت**) أرواحهم من هول ما يشاهدون. ومعنى «ثم» بعدما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدّة أشد من نفس الشدّة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ ولو جعلنا الرسول ملكًا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ لأرسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام

قوله: (**الخِصْب**) ـ بالكسر ـ ضد الجَدْب. **قوله:** (**سقيا الغيث**) في مختار الصِّحاح: سقاه من باب رمى وأسقاه قال له: سَقْيًا وسقاه الله الغيث وأسقاه، والاسم السُّقْيا بالضمّ. اهـ.

قوله: (﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾) سدّت أبصارنا، أي حُبِست من الإبصار بالسِّحر كما يسدّ النهر من الجري، من السكر ـ بكسر السين وفتحها ـ وهو السدّ.

قوله: (طرفة عَيْن) أي في أقلّ أزمنة مقدار تحريك جفنيها من أعلى إلى أسفل، ويُكْنى به عن غاية القلّة وطرفة مصدر منصوب على الظرفيّة الزمانيّة. **قوله:** (**زهقت**) أي خرجت.

ينزل على رسول الله ﷺ في أعمّ الأحوال في صورة (دحية) ، لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره إذا كان سبيله كسبيلك يا محمد، فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك. يقال: (**لبست الأمر**) على القوم وألبسته إذا أشبهته وأشكلته عليهم.

ثم سلى نبيّه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله:

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم به و«منهم» متعلّق بـ «سخروا» كقوله: ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: الآية ٧٩] والضمير للرسل (والدال مكسورة عند أبي عمرو وعاصم **لالتقاء** الساكنين) ، وضمّها غيرهما إتباعًا لضم التاء.

قوله: (دحية) الكلبيّ الصحابيّ، يقال بكسر الدال وبفتحها لغتان مشهورتان، هو دحية بن خليفة بن فضالة بن فروة الكلبيّ، أسلم قديمًا وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهده كلّها بعد بدر، وأرسله رسول الله ﷺ بكتابٍ إلى عظيم بُصْرى ليدفعه إلى هِرَقْل وحديْثه في الصحيحين، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبيّ ﷺ في صورته، وكان من أجمل الناس، حُكِي أنه كان إذا قدم بالشام لم تبقَ معصرٌ إلّا خرجت تنظر إليه، والمعصر التي بلغت سنّ المَحِيض. روى عن النبيّ ﷺ ثلاثة أحاديث. رَوَى عنه خالد بن زيد وعبد الله بن شدّاد والشعبي وغيرهم، وشهد اليرموك وسكن المزّة القرية المعروفة بجنب دمشق، وبَقِيَ إلى خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهما.

[illegible] بابه ضرب.

[illegible] ، وكذا عند حمزة ويعقوب وضمّها، وغيرهما أي الباقون.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ (والفرق بين فانظروا) وبين ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ إن النظر جعل مسببًا عن السير في «فانظروا» فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين. ومعنى ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبّه على ذلك بـ«ثم» لتباعد ما بين الواجب والمباح.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ «من» استفهام و«ما» بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء و«لمن» خبره ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ (تقرير لهم) أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا منه شيئًا إلى غيره ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ

قوله: (والفرق بين فانظروا)، أي في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الآية ١٣٧]، وفي قوله تعالى في النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الآية ٦٩]، وفي قوله تعالى في العنكبوت: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [الآية ٢٠]، وفي قوله تعالى في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية ٩]، وبين ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ [الأنعام: الآية ١١] أن النظر جُعِل مسبّبًا عن السير في فانظروا... الخ. يعني أن النظر إذا عطف على السير بالفاء يكون كلّ واحد منها مطلوبًا، إلّا أنّ الأول يكون مطلوبًا لأجل الثاني، وإذا عطف بثمّ لا يكون بينهما ما يدلّ على السببيّة، بل ما يدلّ على كون الثاني متراخيًا عن الأوّل، ولا وجه لحمله على التراخي الزماني؛ لأن النظر في آثار الهالكين والاعتبار بحالهم واجب على الفور، ليس من حقّه أن يتراخى عن السَّيْر؛ فلذلك حُمِل على التراخي الرتبي، فإن حمل الأمر بالسَّيْر على الإباحة والأمر بالنظر على الوجوب.

قوله: (تقرير لهم) أي إلجاء، أي الإقرار بأن الكلّ لله؛ لأنّ هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن يُنكره.

﴿ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الإجراء على ظاهره إذ لا يجب على الله شيء للعبد، فالمراد به أنه وعد ذلك وعدًا مؤكدًا وهو منجزه لا محالة. وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط، ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به مَن لا يقدر على خلق شيء بقوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيجازيكم على إشراككم ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ في اليوم أو في الجمع ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ نصب على الذم أي أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ وقال (الأخفش): «الذين» بدل من «كم» في ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ أي ليجمعن هؤلاء المشركين

قوله: (الأخفش) الأخافش ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، وهو الأخفش الأكبر، والثاني: أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط، والثالث: أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المُبَرَّد، وهو الأخفش الأصغر، وحيث يُطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور كما وقع في عبارة الكافية، وخالف سيبويه الأخفش، فإن أُريد الأكبر والأصغر قيّدوه. مات ـ أي المشهور ـ في السنة العاشرة بعد المائتين، وقيل بعدها. اهـ فروق حقّي رحمه الله. وفي كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو الحسن سعيد بن مَسْعدة المجاشعيّ بالولاء النحويّ البلخيّ المعروف بالأخفش، أحد نحاة البصرة، والأخفش الأكبر أبو الخطاب، وكان نحويًا أيضًا من أهل هَجَر مِنْ مواليهم، واسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما، وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمّة العربية وأخذ النَّحو عن سيبويه، وكان أكبر منه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئًا إلّا وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به منّي، وأنا اليوم أعلم به منه. وحَكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سالم قالوا: دخل الفرّاء على سعيد المذكور، فقال لنا: قد جاءكم سيّد أهل اللغة وسيّد أهل العربية، فقال الفرّاء: أمّا ما دام الأخفش يعيش فلا، وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الخَبَب، وله من كتب المصنّفة «الأوسط في النَّحو» وكتاب «تفسير لمعاني القرآن» وكتاب «المقاييس في النَّحو» وكتاب «الاشتقاق» وكتاب «العروض» وكتاب «القوافي» وكتاب «معاني الشعر» وكتاب «الملوك» وكتاب «الأصوات» وكتاب «المسائل الكبير» وكتاب «المسائل الصغير» وغير ذلك، وكان أجلع، والأجلع الذي لا ينضمّ شفته على أسنانه، والأخفش الصغير العينين مع

الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الأول لأن (**سيبويه**) قال: لا يجوز «مررت بي المسكين ولا بك المسكين» فتجعل «المسكين» بدلًا من الياء أو الكاف (**لأنهما**) في غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَهُۥ﴾ عطف على ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ (**من السُّكنى**) حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرّك فيهما فاكتفى بأحد

سوء بصرهما، وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى، وكان يقال له: الأخفش الأصغر، فلمّا ظهر عليّ بن سليمان المعروف بالأخفش أيضًا، صار هذا وسطًا، ومَسْعَدة ـ بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والدال المهملات وبعدهنّ هَاء ساكنة ـ والمجاشعيّ ـ بضمّ الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلّثة مكسورة وبعدها عين مهملة ـ هذه النسبة إلى مُجاشع بن دارم بطن من تميم. اهـ.

قوله: (سيبويه) هو أبو عمرو بن عثمان بن قُنْبَر كان أعلم المتقدّمين والمتأخّرين بالنَّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، وذكره الحافظ يومًا فقال: لم يكتب الناس في النَّحو كتابًا مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال. قال العلَّامة إسمٰعيل حقّي: وموته في أيام الرّشيد سنة ثمانين ومائة بالبيضاء من قرى شيراز، ومعنى سيبويه رائحَة التفاح، كان في غاية الجمال وجنتاه كأنهما تفّاحتان، وقيل: لُقّب بذلك لذكائه أو لأنه كان فتًى أعجميًا يعتاد شمّ التفاح، أو للطافته لأن التفاح من نظيف الفواكه. اهـ.

قوله: (لأنهما) أي لأن ضمير المتكلّم والمخاطب.

[illegible] وهو الاستقرار والتمكّن، يقال: سكنت داري وأسكنتها غيري سكنى لا من السكون الذي هو ضدّ الحركة، وإنما جعله من السُّكنى لأن ما سكن في اللّيل والنهار بهذا المعنى يعمّ جميع ما في الأرض مما طلعت عليه الشمس وغربت، بخلاف ما سكن بالمعنى الآخر، فإنه لا يتناول المتحرّك، والذي من السكنى معناه: وله ما حلّ في اللّيل والنهار، وهو وإنْ كان يتعدّى

الضدّين عن الآخر كقوله: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨٢] أي الحرّ والبرد، وذكر السكون لأنه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لأنهم لم ينكروا أنه خالق الكل ومدبره ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه **(الملوان)**.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ناصرًا ومعبودًا وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿أَتَّخِذُ﴾ والأول ﴿أَغَيْرَ﴾ وإنما أدخل همزة الاستفهام على مفعول ﴿أَتَّخِذُ﴾ لا عليه لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليًا لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالجرّ صفة لله أي **(مخترعهما)**. وعن **(ابن عباس)** رضي الله عنهما: ما عرفت

بنفسه، ويقال: سكنت بلدة كذا، لكنه يتعدّى بفي أيضًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٥]، وإنْ كان سكن من السكون لا بدّ من ارتكاب حذف المعطوف اعتمادًا على دلالة المقام عليه، والتقدير: وله ما سكن وتحرّك في الليل والنهار، وحذف المعطوف اعتمادًا على شهادة المقام كثيرٌ في كلام العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النّحل: الآية ٨١] والبرد، قيل: وجه انتظام الآية بما قبلها أنه تعالى ذكر في الآية الأُولى السمٰوات والأرض؛ إذ لا مكان سواهما، وفي هذه الآية ذكر اللّيل والنهار؛ إذ لا زمان سواهما، فالزّمان والمكان ظرفان لجميع المحدثات، فأخبر تعالى أنه مالك للمكان والمكانيّات، ومالكٌ للزمان والزمانيّات. **قوله: (المَلَوان)** اللّيل والنهار.

قوله: (مخترعهما) أي خالقهما ابتداءً لا على مثالٍ سبق.

قوله: (ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي، المكّيّ ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حَبْر الأُمّة والبحر لكثرة عِلْمه. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستّمائة حديث وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين، توفي بالطائف سنة ثمان وستّين، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

معنى الفاطر حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ (**وهو يَرزق ولا يُرزق**) أي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأن النبيّ سابق أُمته في الإسلام كقوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٣] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وقيل لي: لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظًا لقيل: وأن لا أكون، والمعنى: أمرت بالإسلام ونهيت عن الشِّرك.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ أي إني أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة إن عصيت ربي (**فالشرط معترض بين الفاعل وبين المفعول به محذوف الجواب**) ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ الله الرحمة العظمى وهي النجاة. ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ (**حمزة وعلي وأبو بكر**). أي مَن يصرف الله عنه العذاب ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

قوله: (وهو يرزق ولا يُرزق)، يعني أن المراد بالطعام الرزق بمعناه اللّغويّ، وهو كلّ ما ينتفع به بدليل وقوعه مقابلًا له في قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٧]، فعبّر بالخاصّ عن العام مجازًا؛ لأنه أعظمه وأكثره لشدّة الحاجة إليه، واكتفى بذكره عن ذكره؛ لأنه يعلم مَنْ نفى ذلك نفى ما سواه.

قوله: (فالشرط معترض بين الفاعل) وهو أخاف، (وبين المفعول به) وهو عذاب (محذوف الجواب) لدلالة ما قبله عليه.

قوله: (﴿مَّن يُصْرَفْ﴾) بفتح الياء وكسر الراء بالبناء للفاعل والمفعول محذوف ضمير العذاب. (حمزة وعلي) الكسائي (وأبو بكر) شعبة عن عاصم، وكذا يعقوب وخلف، والباقون بضم الياء وفتح الراء بالبناء للمفعول، والنائب ضمير العذاب، والضمير في عنه يعود على مَنْ.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ فلا قادر على كشفه إلا هو ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من غنى أو صحة ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فهو قادر) على إدامته وإزالته ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ مبتدأ وخبر أي الغالب المقتدر ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ خبر بعد خبر أي عال عليهم بالقدرة. والقهر بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تنفيذ مراده ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأهل القهر من عباده.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ ﴿أَىُّ شَىْءٍ﴾ مبتدأ و﴿أَكْبَرُ﴾ خبره و﴿شَهَٰدَةً﴾ تمييز و«أي» كلمة يُراد بها بعض ما تُضاف إليه، فإذا كانت استفهامًا كان جوابها مُسمى باسم ما أضيفت إليه. وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب أي الله أكبر شهادة فـ ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلًا على أنه يجوز إطلاق اسم الشيء على الله تعالى، وهذا لأن الشيء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيئًا ولذا نقول الله تعالى شيء لا كالأشياء. ثم ابتدأ (﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾) أي هو شهيد بيني وبينكم، ويجوز أن يكون الجواب ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنه إذا كان الله شهيدًا بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ **(أي ومَن بلغه**

قوله: (فهو قادر) أي إدامته وإزالته بيان لوجه ارتباط الجزاء بالشرط.

قوله: (﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾) المراد بشهادة الله إظهار المعجزة على يد النبيّ ﷺ، فإنّ حقيقة الشهادة ما بيّن به المدعي، وهو كما يكون بالقول يكون بالفعل، ولا شكّ أنّ دلالة الفعل أقوى من دلالة القول؛ لعروض الاحتمالات في الألفاظ دون الأفعال، فإنّ دلالتها لا يعرض لها الاحتمال، وأنّ المعجزة نازلة من قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني. اهـ كرخي. **قوله:** **(أي ومَنْ بلغه**

القرآن إلى قيام الساعة في الحديث «من بلغة القرآن فكأنما رأى محمدًا ﷺ» و«من» في محل النصب بالعطف على «كم» **(والمراد به أهل مكة يعني)** والعائد إليه محذوف أي ومَن بلغه، وفاعل ﴿بَلَغَۚ﴾ ضمير القرآن ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ﴾ **(استفهام إنكار)** و**(تبكيت)** ﴿قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ﴾ بما تشهدون وكرّر ﴿قُلۡ﴾ توكيدًا ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ «ما» كافة لـ«أن» عن العمل وهو مبتدأ و﴿إِلَٰهٞ﴾ خبره و﴿وَٰحِدٞ﴾ صفة **(أو بمعنى الذي)** في محل النصب بـ«إن» و﴿هُوَ﴾ مبتدأ و﴿إِلَٰهٞ﴾ خبره والجملة صلة «الذي» و﴿وَٰحِدٞ﴾ خبر «إن» وهذا الوجه أوقع ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ به.

القرآن) فمن يأتي بعدي **(إلى قيام الساعة)** من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأُمم، فكلّ مَنْ بلغ إليه القرآن وسمعه، فالنبيّ ﷺ نذيرٌ له، **(في الحديث**: «مَنْ بلغه القرآن، **فكأنما رأى محمّدًا** ﷺ»). أخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي، قال: مَنْ بلغه القرآن، فكأنّما رأى النبيّ ﷺ، وفي لفظ: مَنْ بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله، كان كمن عاين رسول الله ﷺ. وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب وابن النجّار عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بلغه القرآن كأنما شافَهْتُه به»، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصّفات عن مجاهد في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ قال العرب: ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾، قال: العجم.

قوله: (والمراد به أهل مكّة، يعني) أنّ قوله: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾ خطاب لأهل مكّة. **قوله:** (استفهام إنكار)، أي: لا تنبغي ولا تصحّ منكم هذه الشهادة؛ لأن المعبود واحد لا تعدّد فيه. **قوله:** (تبكيت) أي توبيخ. **قوله:** (أو بمعنى الذي)... الخ. وهو ضعيف، ويدلّ على صحة الوجه الأوّل تعيينه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النّساء: الآية ١٧١]؛ إذ لا يجوز فيه أن تكون موصولة لخلوّ الجملة عن ضمير الموصول. وقال أبو البقاء: وهذا الوجه أَلْيَق بما قبله، ولا أدري ما وجه ذلك. اهـ سمين.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني اليهود والنصارى. والكتاب: التوراة والإنجيل ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي رسول الله ﷺ (**بحِلْيته**) ونعته الثابت في الكتابين ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ (**بحلاهم**) ونعوتهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوّته ثم قال: (﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ **من المشركين ومن أهل الكتاب**) الجاحدين ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام يتضمن معنى النفي أي لا أحد أظلم لنفسه، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأشنعه اتخاذ المخلوق معبودًا ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ اختلق ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فيصفه بما لا يليق به ﴿ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ﴾ بالقرآن والمعجزات ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الأمر والشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ جمعوا بين أمرين باطلين، فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وسمّوا القرآن والمعجزات سحرًا.

قوله: (بحِلْيته) أي صفته. **قوله:** (بحلاهم) جمع حِلْية. في المصباح: الحِلْية ـ بالكسر ـ الصفة، والجمع حُلى مقصور وتضمّ الحاء وتُكسر. اهـ. رُوِيَ أنه لمّا قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، قال عمر لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنهما: أنزل الله تعالى هذه الآية على نبيّه، فكيف هذه المعرفة؟ فقال: يا عمر، لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشدّ معرفة بمحمّد ﷺ منّي بابني، لأني لا أدري ما صنع النساء، وأشهد أنّه حقٌّ مُرسَل من الله تعالى، فقبّل عمر رأس عبد الله، وقال: وفّقك الله يا ابن سلام، فقد صدقت. **قوله:** (﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾) الظاهر أنه مبتدأ، وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبره دخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط، فإنّ تضييع المشركين وأهل الكتاب ما به يُكْتَسب الإيمان وهو الفطرة الأصليّة والعقل السليم سبب لعدم الإيمان، فيترتّب عليه عدم الإيمان كما يترتّب الجزاء على الشرط. **قوله:** (مِنَ المشركين ومن أهل الكتاب)، يعني: ليس إشارة إلى الذين آتيناهم الكتاب خاصّة، ولذا كان مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا نصبًا على الذمّ أو رفعًا كما في ما تقدّم.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ هو مفعول به والتقدير: واذكر يوم نحشرهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ضمير المفعول ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ مع الله غيره توبيخًا، (وبالياء فيهما: يعقوب) ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ (وبالياء: حمزة وعلي) ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ كفرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التديّن به، أو ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا: فسُمي فتنة لأنه كذب. (وبرفع الفتنة) مكيّ (وشاميّ وحفص)؛ فمَن قرأ ﴿تَكُن﴾ بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم ﴿تَكُن﴾ و﴿أَن قَالُوا۟﴾ الخبر أي لم تكن فتنتهم إلّا قولهم، ومَن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل ﴿أَن قَالُوا۟﴾ اسم ﴿يَكُن﴾ أي لم يكن فتنتهم إلا قولهم، ومَن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة. (﴿رَبَّنَا﴾ حمزة وعلي)، على النداء أي يا ربنا وغيرهما بالجرّ على النعت من اسم الله.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال (مجاهد): إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله ﷺ

قوله: (وبالياء فيهما) أي نحشرهم ونقول (يعقوب) بن إسحٰق، وليس من السبعة. والباقون بنون العَظَمة فيهما. **قوله:** (وبالياء) على التذكير (حمزة وعليّ) الكسائي. والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله:** (وبرفع الفتنة) مكّي، أي ابن كثير المكّي، (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وحفص) عن عاصم ﷺ. والباقون بالنصب، فصار نافع وأبو عمرو وشعبة بالتأنيث والنصب، وابن كثير وابن عامر وحفص بالتأنيث والرّفع، وحمزة وعليّ بالتذكير والنصب. **قوله:** (ربّنا) بنصب الباء (حمزة وعليّ) الكسائيّ ﷺ.

قوله: (مجاهد) بن جَبْر الإمام المشهور، وهو تابعيّ إمام متّفق على جلالته وإمامته وتوثيقه، وهو إمام في اللغة والتفسير والحديث مناقبه كثيرة

للمؤمنين قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فإذا قال لهم الله: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا: والله ربّنا ما كنا مشركين، فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وغاب عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ إلـٰهيته وشفاعته.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تتلو القرآن. رُوِيَ أنه اجتمع (أبو سفيان) و(الوليد) و(النضر) و(أضرابهم) يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: ما

مشهورة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون.

قوله: (أبو سفيان) صَخْر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القريشي الأُمويّ المكّي، أسلم زمن الفتح وكان شيخ مكّة إذ ذاك ورئيس قريش ولقي رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخول مكّة لفتحها فأسلم هناك وشهد حُنينًا وأعطاه النبيّ ﷺ مِنْ غنائمها مائة بعير وأربعين أُوقية، وشهد الطائف وفُقِئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. رَوَى له البخاري ومسلم حديث هِرَقْل من رواية ابن عباس عن أبي سفيان، وكان أبو سفيان من تجّار قريش وأشرافهم، وكان من المؤلّفة، ثم حَسُن إسلامه. نزل المدينة وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وهو والد يزيد ومعاوية وأُمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وإخوتهم.

قوله: (الوليد) بن المغيرة.

قوله: (النضر) بن الحارث ـ بالضاد المعجمة ـ أُسِرَ يوم بدر، وقُتِل كافرًا قتله عليّ بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسِّيَر على أنه قُتِل يوم بدر كافرًا، وإنما قُتِل لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، وهذا الذي ذكرته مِنْ قتله يوم بدر كافرًا هو الصواب.

قوله: (أضرابهم) أي أمثالهم.

يقول محمد؟ فقال: والله ما أدري ما يقول محمد إلا أنه يحرّك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية. فقال أبو سفيان: إني لأراه حقًّا فقال **(أبو جهل)**: كلّا فنزلت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ (كراهة أن يفقهوه) ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ **(ثقلا)** يمنع من السمع، ووحد الوقر لأنه مصدر وهو عطف على ﴿أَكِنَّةً﴾ **(وهو حجة لنا في الأصلح على المعتزلة)** ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ

قوله: (أبو جهل) عدوّ الله فرعون هذه الأُمّة، اسمه عمرو بن هشام، كان يُكْنى أبا الحكم فكنّاه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكُنية. قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة، قَتله عمرو بن الجَمُوح وابن عَفْراء الأنصاريّان، وكانا حَدَثين، وحديثهما في الصحيح مشهور. وقال العلّامة عليّ القاريّ في شرح المشكاة في باب المبعث وبدء الوحي: قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. اهـ. وفي كتب السُّنن أن رسول الله ﷺ حين رآه مقتولًا قال: «قُتِلَ فرعون هذه الأُمّة».

قوله: (كراهة أن يفقهوه) إشارة إلى أن يفقهوه في موضع النصب على أنه مفعول له، فلمّا حُذِفت الكراهة انتقل نصبها إلى أن يفقهوه. **قوله: (ثقلًا)** في مختار الصِّحاح: الثِّقْل واحد الأثْقال كحِمْل وأحمال، والثِّقَل ضدّ الخفّة. اهـ باختصار.

قوله: (وهو حجّة لنا في الأصْلَح على المعتزلة) احتجّ أهل السنّة بهذه الآية على أنه تعالى قد يصرف العبد عن الإيمان ويمنعه عنه ضرورةً لأن القلب إذا جعل في الكنان لا ينفذ فيه الإيمان، والأذن إذا كانت مأوفة بآفة الصَّمم تعذّر أن يتوسّل بها إلى استماع الدليل والبيان. وقال المعتزلة: لا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، وإلّا كانت حجّة للكفار على الرسول ﷺ بأن يقولوا لما حكم الله تعالى بأنه منَعَنا من الإيمان لَزِم أن نكون عاجزين عنه، فكيف تدعونا إليه وتذمّنا على تركه؟ ومن المعلوم أنه لا وجه لتكليف العاجز ولا لذمّه على ترك ما عَجِزَ عنه؛ لأن خَتْم القلب وجعله في كنان وغشاوة تمنعه عن إدراك الحقّ وقبوله تركٌ لِمَا هو الأصلح للعبد، فلا يجوز إسناده إليه تعالى عندهم، وأوّلوا نحو هذه الآية بوجوهٍ،

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ «حتى» هي التي تقع بعدها الجمل، والجملة قوله: ﴿إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ و﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ في موضع الحال، ويجوز أن تكون جارّة ويكون ﴿إِذَا جَآءُوكَ﴾ في موضع الجرّ بمعنى حتى وقت مجيئهم و﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ حال و﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ تفسير له، والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك، وفسّر مجادلتهم بأنهم يقولون: ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ فيجعلون كلام الله أكاذيب، وواحد الأساطير (أسطورة).

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾

﴿وَهُمۡ﴾ أي المشركون ﴿يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول وأتباعه والإيمان به ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلّون ويضلّون ﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ﴾ بذلك ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا

منها: أن القوم لمّا أعرضوا عن الحقّ وتمكّن ذلك في قلوبهم حتى صار ذلك الإعراض كالحالة الطبيعية لهم شبّه بالوصف الجبلي فأعطى له حكم الحالة الجبليّة، وهو أن يُسند إليه تعالى، فأُسْنِد إليه. وقيل: تارة ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧]، وتارة ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، وتارة ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الأنعَام: الآية ٢٥]، فكان إسناده إليه تعالى عبارة عن فرط تمكّنه في قلوبهم، ونحن نقول: القلوب لا تقبل حقيقة الخَتْم والأكنة، فالمراد بجعل القلوب في أكِنّة وبجعلها مختومة أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرّنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيِّهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح، فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحقّ وأسماعهم تعاف استماعه، فيصيرون كأنّهم صمٌّ مختومو القلوبِ، وليس إحداث تلك الهيئة في نفوسهم إجبارًا لهم على الكفر والضلال، بل هو عقوبة مترتّبة على اختيارهم الكفر وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن اتّباع الدليل والبرهان، فتلك الهيئة من حيث إنّ الممكنات بأسرها مستندة إليه تعالى واقعةً بقدرته أُسندت إليه تعالى، ومن حيث إنها مسبّبة عن سوء اختيارهم وتدبيرهم، بدليل قوله تعالى: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [المنافِقون: الآية ٣]، استحقّوا لأن يذمّوا لها ويوبّخوا عليها. **قوله:** (أسطورة) بضمّ الهمزة.

يظنون أنهم يضرّون رسول الله وقيل: عنى به (**أبو طالب**) لأنه كان ينهى قريشًا عن التعرّض لرسول الله ﷺ وينأى عنه فلا يؤمن به والأول أشبه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ حذف جوابه أي ولو ترى لشاهدت أمرًا عظيمًا ﴿إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار ﴿فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا تمنّوا الرد إلى الدنيا ليؤمنوا وتمّ تمنيهم ثم ابتدءوا بقوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (**واعدين**) الإيمان كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب ونؤمن. (﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ **حمزة وعلي وحفص**) على جواب التمني (**بالواو وبإضمار «أن»**) ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين، (**وافقهما في** ﴿وَنَكُونَ﴾ **شامي**).

قوله: (**أبو طالب**) في تهذيب الأسماء: أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطّلب، وبه كان يكنى، وقُثَم والزبير وحمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب وعبد الكعبة وحَجْل - بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة - وضِرار والغَيْداق، أسلم منهم حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًا؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريبٌ منه في السنّ، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطّلب، وكان أكبر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين. اهـ.

قوله: (**واعدين**) حال من فاعل ابتدؤوا. **قوله:** (﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ **ونكون**) بنصب الباء والنون منهما (**حمزة وعليّ وحفص**) عن عاصم، كذا في بعض النسخ. والصحيح حمزة وحفص. **قوله:** (**بالواو**) أي واو المعيّة.

قوله: (**وبإضمار أن**) بعد واو العطف الواقعة بعد التمني، نحو: ليت لي مالًا وأنفق منه، فإن المتمنّي مجموع الأمرين حصول المال، والإنفاق معًا لأنّ شرط إضمار أن بعد الواو أن يصح وقوع مع في مكانها.

قوله: (**وافقهما**) أي حمزة وحفصًا (**في** ﴿وَنَكُونَ﴾) بنصب النون (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون برفعهما عطفًا على نُرَدّ، أي: يا ليتنا نُردّ ونوفّق

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿بَلْ﴾ (**للإضراب عن الوفاء بما**) تمنوا ﴿بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم ﴿مَّا كَانُوا يُخْفُونَ﴾ من الناس ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم. وقيل: هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرّونه، أو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوّة رسول الله ﷺ ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَقَالُوا﴾ عطف على ﴿لَعَادُوا﴾ أي ولو ردّوا لكفروا ولقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة، أو على قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا (**وهي كناية عن الحياة**)، أو هو ضمير القصة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

للتصديق والإيمان، أو الواو للحال والمضارع خبر لمحذوف، والجملة حال من مرفوع نُردّ، أي نُردّ غير مكذّبين وكائنين من المؤمنين، فيكون تمنّي الردّ مقيّدًا بهاتين الحالتين، فيدخلان في التمنّي.

قوله: (للإضراب عن الوفاء بما) تمنّوا، يعني أن كلمة بل هنا ليست للانتقال من قصّة إلى أخرى، بل لإبطال كلام الكفرة، أي ليس الأمر كما قالوه من أنهم لو ردّوا إلى الدّنيا لآمنوا، يعني أن التمنّي الواقع منهم يوم القيامة ليس لأجل كونهم راغبين في الإيمان، بل لأجل خوفهم من العقاب الذي شاهدوه وعاينوه، فإنهم لمّا قالوا: يا ليتنا نكون كذا، فكأنهم قالوا: ردّنا لذلك، فأبطل الله تعالى هذا الكلام الضمنيّ لهم، وهذا يدلّ على أنّ الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلّا إذا كانت تلك الرغبة رغبةً فيه لكونه إيماناً وطاعةً، وأمّا الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب، فغير مفيدة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (وهي كناية عن الحياة)، فإنّ من الضمائر ما يُذْكَر مُبْهمًا ولا يُعلم ما يُرجع إليه إلا بذكر ما بعده.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ **(مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال)** كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيّده ليعاقبه، أو وقفوا على جزاء ربهم ﴿قَالَ﴾ جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه؟ فقيل: قال: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالكائن الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث. وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ أقروا وأكدوا الإقرار باليمين ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿(فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ) بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ ببلوغ الآخرة وما يتصل بها، أو هو مجرى على ظاهره لأن منكر البعث منكر للرؤية ﴿حَتَّىٰٓ﴾

قوله: (مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال) لتعذّر حمل الكلام على ظاهره، فإنّ ظاهر الآية يدلّ على كونهم واقفين على الله تعالى كما يقف أحدنا على الأرض، فيلزم الاستعلاء على ذات الله تعالى، وأنه مُحال باطل بالاتّفاق، فوجب تأويله إمّا بأن يُجعل استعارة تمثيليّة بأن يُشبّه حبس الله تعالى إيّاهم للتوبيخ والسؤال بإيقاف السيّد عبده بين يديه ليُعاتبه، ويقال فيه: إنّ السيد أوقف عبده عليه تشبيهًا للوقوف بين يديه بالوقوف عليه، فكذا الكلام في الآية، أو بأن يُحمل الكلام على حذف المضاف، مثل: وقفوا على جزاء ربّهم، أو بأن يُجعل الوقوف بمعنى المعرفة، كما يقول الرجل لغيره: وقفت على كلامك، أي عرفته. وقد تمسّك بعض المشبّهة بهذه الآية على مذهبه بأنْ قال: ظاهر الآية يدلّ على أنّ أهل القيامة يقفون عند ربّهم بالقرب منه، وإنما يكون كذلك أنْ لو كان في مكان تعالى على ذلك علوًّا كبيرًا، وبهذه التأويلات سقط وجه التمسّك.

قوله: (﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾) خصّ لفظ الذَّوْق للإشارة إلى أنّ ما يجدونه من العذاب في كلِّ حال هو ما يجده الذّائق، لكون ما يجدون بعده أشدّ من الأول.

(غاية لـ ﴿كَذَّبُواْ﴾) لا لـ ﴿خَسِرَ﴾ لأن خسرانهم لا غاية له ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي القيامة لأن مدة تأخرها مع تأبد ما بعدها كساعة واحدة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة **(وانتصابها على الحال)** يعني باغتة، أو على المصدر كأنه قيل: بغتتهم الساعة بغتة وهي ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ نداء تفجّع معناه يا حسرة احضري فهذا أوانك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ **(قصرنا)** ﴿فِيهَا﴾ في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾ خصّ الظهر لأن المعهود حمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالأيدي، وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم. وقيل: إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحًا فيقول: أنا عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وأنا أركبك اليوم ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس شيئًا يحملونه، وأفاد «ألا» تعظيم ما يذكر بعده.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ﴾ جواب لقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع، واللهو الميل عن الجد إلى الهزل. قيل: ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو. وقيل: ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لأنها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة ﴿وَلَلدَّارُ﴾ مبتدأ ﴿ٱلْأَخِرَةُ﴾ صفتها. **(ولَدَارُ الآخرةِ)** بالإضافة: **(شامي)**. أي ولدار الساعة الآخرة لأن الشيء لا يُضاف إلى صفته. وخبر المبتدأ **على** القراءتين ﴿خَيْرٌ

قوله: (غاية لـ ﴿كَذَّبُواْ﴾)، والمعنى أنهم قد كذّبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتةً، فإن قيل: إنما يكذبون إلى أن يموتوا. والجواب: أنّ زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا، وأوّل زمان من أزمنة الآخرة، فمن انتهى تكذيبه إلى هذا الوقت صدق عليه أنه كذب إلى أن ظهرت الساعة بغتة، ولذلك قال عليه الصّلاة والسلام: «مَنْ مات فقد قامت قيامته». **قوله:** (**وانتصابها على الحال**) أي مِنْ فاعل جاءتهم. **قوله:** (قصرنا) ما مصدريّة.

قوله: («ولَدَارُ الآخِرَةِ») بلام واحدة وهي لام الابتداء وتخفيف الدال، والآخرة بخفض التاء بالإضافة. (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بلامين: لام الابتداء ولام التعريف مع التشديد للإدغام ورفع الآخرة.

﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وفيه دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (بالتاء: مدنيّ وحفص).

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

ولما قال أبو جهل: ما نكذبك يا محمد وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به نزل ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ (الهاء ضمير الشأن) ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لا ينسبونك إلى الكذب. (وبالتخفيف: نافع وعلي من أكذبه) إذا وجده كاذبًا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر، وفيه دلالة على أنهم ظلموا في جحودهم والباء يتعلق بـ ﴿يَجْحَدُونَ﴾ أو بـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٠٣] والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات (فهم لا يكذبونك في الحقيقة) وإنما يكذبون الله، لأن تكذيب الرسول تكذيب المرسل.

قوله: (بالتاء) أي بتاء الخطاب (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وحفص) عن عاصم، وكذا ابن عامر الشامي. والباقون بياء الغيب.

قوله: (الهاء) في أنه (ضمير الشأن) والجملة بعده خبره مفسّرة له، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ سادّ مسدَّ المفعولين، فإنها معلّقة عن العمل، وكُسِرت إن لدخول اللام في خبرها، وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ فاعل يحزن وعائده محذوف، أي الذي يقولونه مِنْ نسبتهم إيّاه عليه الصّلاة والسّلام إلى ما لا يليق به، مثل قولهم: إنه ساحرٌ كذّاب مُفتر على الله. **قوله:** (وبالتخفيف: نافع وعليّ) الكسائي (من أكذبه)... الخ. والباقون بالتشديد من كذّب. **قوله:** (فهم لا يكذّبونك في الحقيقة)، أي وإنما يكذّبون الله أشار به إلى دفع ما يتوهّم من التناقض بين قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، وبين قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾؛ فإنّ المراد بالآيات هو المعجزات الدالّة على نبوّته عليه الصّلاة والسّلام، وجحودها تكذيبٌ له عليه الصّلاة والسلام، فيلزم أنهم لا يكذّبونه ويكذّبونه، وهذا تناقض ظاهر، فأشار المصنّف رحمة الله عليه إلى وجه الجَمْع بينهما بأن التكذيب المنفيّ عنه عليه الصّلاة والسّلام وهو أن يكون التكذيب المتعلّق به ظاهرًا راجعًا إليه في الحقيقة،

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وهو دليل على أن قوله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس «إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني» ﴿فَصَبَرُوا۟﴾ والصبر حبس النفس على المكروه ﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾ على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ لمواعيده من قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: الآيتان ١٧١، ١٧٢] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: الآية ٥١] ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بعض أنبائهم وقصصهم وما (كابدوا) من مصابرة المشركين، وأجاز (الأخفش) أن تكون «من» زائدة والفاعل ﴿نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ و(سيبويه) لا يجيز زيادتها في الواجب كان يكبُر على النبيّ ﷺ كفر قومه وإعراضهم ويحبوا مجيء الآيات ليسلموا فنزل:

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ عظم وشقّ ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا﴾ منفذًا تنفذُ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صفة لـ﴿نَفَقًا﴾ ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم﴾ منها ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ فافعل، وهو جواب ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ و﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ وجوابها جواب ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ والمعنى إنك لا تستطيع ذلك، والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾ لجعلهم بحيث يختارون الهدى، ولكن لما علم أنهم

وليس كذلك، بل هو راجع إليه تعالى من حيث إنه تعالى صدّقه بخلق المعجزاتِ على يده، فمَنْ كذّبه فقد كذّب الله تعالى، والتكذيب المُثبت هو ما تعلّق به في الظاهر. **قوله:** (كابدوا) بالموحدة بمعنى قاسوا، أي تحمّلوا المشاق. **قوله:** (الأخفش) أي أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط رحمه الله. **قوله:** (سيبويه) أي أبو عمرو بن عثمان بن قُنْبَر رحمه الله.

يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله (الشيخ أبو منصور) رحمه الله ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ من الذين يجهلون ذلك. ثم أخبر أن حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي إنما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ مبتدأ أي الكفار ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فحينئذٍ يسمعون وأما قبل ذلك فلا ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ هلا أنزل عليه ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما نقترح من جعل الصفا ذهبًا وتوسيع أرض مكة وتفجير الأنهار خلالها ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ كما اقترحوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن الله قادر على أن ينزل تلك الآية، أو لا يعلمون ما عليهم في الآية من البلاء لو أنزلت.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

(﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾) هي اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في موضع جرّ صفة لـ ﴿دَآبَّةٍ﴾ ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قيد الطيران بالجناحين لنفي المجاز لأن غير الطائر قد يُقال فيه طار إذا أسرع ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلق والموت والبعث والاحتياج إلى مدبر يدبر أمرها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ ما تركنا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مِن شَىْءٍ﴾ من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ، وكان من كبار العلماء كان يقال له إمام الهدى، له كتاب «التوحيد»، وكتاب «المقالات»، وكتاب «ردّ أوائل الأدلّة» للكعبيّ، وكتاب «بيان وَهْم المعتزلة»، وكتاب «تأويلات القرآن» وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى. مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن عليّ الحنفي، ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدّين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمه الله. اهـ الجواهر المضيئة.

وجب أن يثبت، أو الكتاب القرآن. وقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ أي من شيء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به (**عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء**) ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني الأمم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما رُوِيَ أنه يأخذ (**للجماء**) من القرناء ثم يقول: كوني ترابًا. وإنما قال: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ مع

قوله: (عبارة) عبارة النصّ هي النَّظم المعنويّ المسوق له الكلام، سُمّيت عبارة لأن المستدلّ يعبر من النظم إلى المعنى، والمتكلّم من المعنى إلى النظم، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل بموجب الكلام مِنَ الأمر والنهي يسمّى استدلالًا بعبارة النصّ. اهـ التعريفات للعلّامة السيد الشريف ﷺ. **قوله: (إشارة)** الإشارة هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن سيق له الكلام. اهـ التعريفات. وأيضًا فيها إشارة النص هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود ولا سيق له النص؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٣] سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النّسب إلى الآباء. اهـ. **قوله: (دلالة)** الدّلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدالّ، والثاني هو المدلول، وكيفيّة دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأُصول محصورة في عبارة النصّ وإشارة النصّ ودلالة النصّ واقتضاء النصّ، ووجه ضبطه أن الحكم المُستفاد من النّظم إمّا أن يكون ثابتًا بنفس النّظم، أو لا، والأوّل إنْ كان النّظم مسوقًا له فهو العبارة، وإلّا فالإشارة. والثاني: إنْ كان الحكم مفهومًا من اللفظ لغة، فهو الدلالة؛ أو شرعًا، فهو الاقتضاء؛ فدلالة النص عبارة عمّا ثبت بمعنى النصّ لغةً لا اجتهادًا؛ فقوله: لغة، أي يعرفه كلّ مَنْ يعرف هذا اللّسان بمجرّد سماع اللّفظ من غير تأمّل، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوعٌ من الأذى بدون الاجتهاد. اهـ التعريفات. **قوله: (اقتضاء)** اقتضاء النصّ عبارة عمّا لم يُعمل للنصّ إلّا بشرط تقدّم عليه، فإنّ ذلك أمرٌ اقتضاه النصّ بصحة ما تناوله النصّ، وإذا لم يصح لا يكون مضافًا إلى النصّ، فكان المقتضى كالثابت بالنصّ، مثاله إذا قال الرجل لآخر: أعتق عبدك هذا عني بألف درهم، فأعتقه يكون العتق من الآمر، كأنّه قال: بِعْ عبدك لي بألف درهم ثم كُنْ وكيلًا لي بالإعتاق. اهـ التعريفات.
قوله: (للجَمّاء) الجمّاء التي لا قرن لها في رأسها، ضدّ القَرْناء.

إفراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما. ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٣٩)﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ﴾ لا يسمعون كلام المنبّه ﴿وَبُكۡمٌ﴾ لا ينطقون بالحق خابطون ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ أي ظلمة الجهل والحيرة والكفر، غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه. ﴿صُمٌّ وَبُكۡمٌ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ودخول الواو لا يمنع من ذلك، و﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ خبر آخر. ثم قال إيذانًا بأنه فعال لما يريد ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ أي مَن يشأ الله ضلاله يضلله ﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وفيه دلالة خلق الأفعال وإرادة المعاصي ونفي الأصلح.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٤٠)﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ (وبتليين) الهمزة: (مدني، وبتركه: علي)، ومعناه هل علمتم أن الأمر كما يقال لكم فأخبروني بما عندكم، (**والضمير الثاني**) لا محل له من الإعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلّق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ من تدعون. ثم بكتهم بقوله: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ أي أتخصّون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضرّ أم تدعون الله دونها ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الأصنام آلهة فادعوها لتخلصكم.

قوله: (وبتليين) أي بتسهيل الهمزة الثانية: بين بين. (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. ومعنى التسهيل جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها، فإنْ كانت مفتوحة فبَيْن الهمزة والألف؛ وإنْ كانت مكسورة، فبَيْن الهمزة والياء؛ وإنْ كانت مضمومة، فبين الهمزة والواو؛ فاحفظ هذه القاعدة، فإنّها كثيرة الفائدة. (وبتركه) أي بحذف الهمزة الثانية (عليّ) الكسائيّ. والباقون بإثباتها محققة على الأصل. **قوله:** (**والضمير الثاني**)، وإنما سُمّي ضميرًا لأن صورته صورة الضمير، وفيه تساهل؛ لأن الكاف ليس بضمير، وقد صرّح بذلك في المفصل، وأشار إليه هنا بقوله: لا محلّ له من الإعراب، فإنه

....

لو كان اسمًا وقد وقع في التركيب لم يكن بدّ من محلّ الإعراب؛ وعلى هذا، فالكاف حرف خطاب أُتِيَ به لتأكيد الخطاب في التاء. اهـ محشيّ رحمه الله. وأرأيت هٰهنا بمعنى أخبرني، وإنْ كان بمعنى أأبصرت أو أعلمت يكون تاء الخطاب مطابقًا لما قصد به في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: أرأيت أرأيتما أرأيتم أرأيت... الخ. ولا يجوز أن يلحقها كاف على أنه حرف خطاب، بل إنْ لحقها الكاف كان اسمًا منصوب المحلّ على أنه مفعول أوّل، ويكون مطابقًا لِمَا يُراد به، تقول: أرأيتك أرأيتكما أرأيتموكم أرأيتك ـ بكسر التاء والكاف ـ أرأيتنّ كنّ بنونين مشدّدتين، وإنْ كان بمعنى أخبرني، فحينئذ تثبت له أحكام مختصّة به، منها: أنه لا يلحقه تعليق ولا إلغاء؛ لأن أخبرني لا يلحقه شيء منهما، عند الجمهور. ومنها: أنه يلحقه كاف هي حرف خطاب بعد ضمير الفاعل الذي هو التاء، وذلك الكاف يُطابق ما يُراد به من الإفراد والتذكير وضدّيهما، والتاء تبقى على حالةٍ واحدة مفردة مفتوحة أبدًا؛ لأن هذا الكاف إنما لحق الفعل ليدلّ[1] على أحوال فاعله، فيجب أن يبقى الفاعل على حالةٍ واحدة، نحو: أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم أرأيتك ـ بفتح التاء وكسر الكاف ـ أرأيتكنّ، وهذا عند البصريّين. وأمّا عند الكوفيّين، فالكاف الذي يلحقه ليس بحرف، بل هو اسم منصوب المحلّ على المفعوليّة، كما أن التاء اسم مرفوع المحلّ على الفاعليّة، فيُطابق كل واحد منهما ما قصد، فيقال: أرأيتك أرأيتكما أرأيتموكم إذا كان أرأيت بصريّة أو علميّة، ولمّا لم يكن الكاف اسمًا عند البصريّين لم يكن له محلّ من الإعراب؛ لأن هذا الفعل يتعدّى إلى مفعولين؛ كقولك: أرأيت زيدًا ما فعل؟ فلو جعلت الكاف معربًا منصوب المحل لكان ثالثًا، ولكان معنى قولك: أرأيتك زيدًا ما شأنه؟ أرأيت نفسك زيدًا ما صنع؟ لأن الكاف عبارة عن المخاطب، وهذا معنى باطل؛ ولأن الكاف لو كان منصوبًا على المفعوليّة لوجب أن تظهر علامة التثنية والجمع والتذكير والتأنيث في التاء، فتقول: أرأيتماكما أرأيتموكم أرأيتنكنّ. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

---

(١) قال أبو حيان في النهر: ومذهب البصريين أن التاء هي الفاعل، وما لحقها حرف خطاب يدلّ على اختلاف المخاطب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل تخصّونه بالدعاء دون الآلهة ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي ما تدعونه إلى كشفه ﴿إِن شَآءَ﴾ إن أراد أن يتفضل عليكم ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ **(وتتركون آلهتكم، أو لا تذكرون)** آلهتكم في ذلك الوقت لأن أذهانكم **(مغمورة)** بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضرّ دون غيره، ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ كأنه قيل: أرأيتكم أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلًا فالمفعول محذوف فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ بالبؤس والضرّ، والأول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الأنفس والأموال ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذلّلون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ أي هلا تضرّعوا بالتوبة **(ومعناه نفي التضرّع)** كأنه قيل: فلم يتضرّعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بـ «لولا» ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرّع إلا عنادهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلمْ ينزجروا بما ابتلوا به ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وصاروا معجبين بأعمالهم التي زيّنها الشيطان لهم.

قوله: (وتتركون آلهتكم أو لا تذكرون)، يعني أن النّسيان إمّا مجاز من التّرك، وإمّا حقيقة، وهو عدم الذِّكر. اهـ محشي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (مغمورة) أي مملوءة.

قوله: (ومعناه نفي التضرّع). . . الخ. أي لما تقرّر من أن حرف التحضيض مع الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ من البأساء والضرّاء أي تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم ﴿(فَتَحْنَا) عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الصحة والسعة وصنوف النعمة ﴿فَتَّحْنَا﴾ (شامي) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ من الخير والنعمة ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون متحسّرون وأصله (الإطراق) حزنًا لما أصابه أو ندمًا على ما فاته و«إذا» للمفاجأة.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجلّ النعم (وأجزل) القسم، أو احمدوا الله على إهلاك مَن لم يحمد الله. ثم دلّ على قدرته وتوحيده بقوله:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ بأن أصمّكم وأعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فسلب العقول والتمييز ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذ وختم عليه. ﴿مَّنْ﴾ رفع بالابتداء و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره و﴿غَيْرُ﴾ صفة لـ ﴿إِلَٰهٌ﴾ وكذا ﴿يَأْتِيكُم﴾ والجملة في موضع مفعولي ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ (وجواب) الشرط محذوف ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ لهم ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ نكررها ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عن الآيات بعد ظهورها، والصدوف الإعراض عن الشيء.

قوله: (﴿فتّحنا﴾) بتشديد التاء (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف. قوله: (الإطراق) في مختار الصّحاح: أطرق الرجل أرخى عينيه ينظر إلى الأرض. اهـ.

أي أعظم.

الشرط محذوف تقديره: فمَنْ يأتيكم به؟

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٧﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ بأن لم تظهر أماراته **﴿أَوْ جَهْرَةً﴾** بأن ظهرت أماراته. وعن **(الحسن)**: ليلًا أو نهارًا **﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾** **(ما يهلك هلاك تعذيب وسخط)** إلا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝٤٩﴾

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ **(بالجنان والنيران)** للمؤمنين والكفار، ولن نرسلهم **(ليقترح)** عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والأدلّة الساطعة **﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾** أي داوم على إيمانه **﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ**

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار التابعيّ البصريّ ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاريّ، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه مشهورة. توفي سنة عشر ومائة.

قوله: (ما يهلك) جعل الاستفهام بمعنى النفي؛ لأن عدم ذكر المستثنى منه إنما يصحّ إذا كان الكلام غير مُوجب، ولا يصحّ في الموجب لعدم صحة المعنى، نحو: جاءني إلا زيد، فهٰهنا لمّا لم يذكر المستثنى منه دلّ ذلك على أن الاستفهام بمعنى النفي، وهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لأرأيتكم والأوّل محذوف، والمعنى: أخبرني عذاب الله إن أتاكم هل يهلك المحق. **قوله: (هلاك تعذيب وسخط)** جواب لِمَا يقال: العذاب إذا نزل لا يميّز بين الظالمين وغيرهم، فكيف خصّص الهلاك بهم؟ **وتقرير الجواب**: أن الهلاك وإنْ عمّ الأبرار والأشرار إلّا أن هلاك الأشرار إنما هو لأجل سخط الله وإرادة تعذيبهم به بخلاف الأبرار، فإنّه ليس هلاك سخط وتعذيب، بل هم يستوجبون بسبب نزول ذلك البلاء بهم مثوبات عظيمة ودرجات رفيعة عند الله، فالهلاك في الحقيقة مختصّ بالظالمين، فإنه إذا نزل البلاء بهم فقد خسروا الدنيا والآخرة معًا. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بالجِنان) جمع جَنّة. **قوله: (والنّيران)** جمع نار. **قوله: (ليقترح)** أي ليطلب.

﴿يَحْزَنُونَ﴾ (﴿فَلَا خَوْفُ﴾: يعقوب) ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ جعل العذاب ماسًّا كأنه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (بسبب فسقهم) وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ (أي قسمه بين الخلق وأرزاقه)، ومحل ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ النصب عطفًا على محل ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ لأنه من جملة المقول كأنه قال: لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ أي لا أدّعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية، وإنما أدّعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوّة ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي ما أخبركم إلا بما أنزل الله علي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثل للضال والمهتدي، أو لمن اتبع ما يوحى إليه ومَن لم يتبع، أو لمَن يدّعي المستقيم وهو النبوّة والمحال وهو الإلـٰهية (﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾) فلا تكونوا ضالين أشباه (العميان) أو فتعلموا أني ما ادّعيت ما لا يليق بالبشر، أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ بما يوحى ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (هم المسلمون المقرّون بالبعث) إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أُوحي إليه، أو أهل

قوله: (﴿فَلَا خَوْفُ﴾) بفتح الفاء على البناء (يعقوب) بن إسحٰق، وليس من السبعة. **قوله:** (بسبب فسقهم) وخروجهم... الخ. إشارة إلى أنّ ما مصدريّة، وأصل معنى الفسق الخروج.

قوله: (أي قسمه بين الخلق وأرزاقه)، يعني أن الخزائن يحتمل أنه مضاف مقدّر، ويحتمل أنه مجاز عن المرزوقات من إطلاق المحلّ على الحال، أو اللازم على الملزوم. **قوله:** (العُمْيان) جمع أعمى.

قوله: (هم المسلمون المقرّون بالبعث)... الخ. وقيل: المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحّته، ولذلك قال: يخافون أن يحشروا إلى ربّهم.

الكتاب لأنهم مقرّون بالبعث ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (في موضع الحال من ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾) أي يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعًا لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يدخلون في زمرة أهل التقوى.

ولما أمر النبيّ عليه السلام بإنذار غير المتّقين ليتّقوا، أمر بعد ذلك بتقريب المتّقين ونهى عن طرده بقوله:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم (بِٱلْغَدَوٰةِ) وَٱلْعَشِيِّ﴾ وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها. والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام، أو معناه يصلّون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس. ﴿بِٱلْغُدْوَةِ﴾ (شامي. ووسمهم) بالإخلاص في عبادتهم بقوله: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته، نزلت في الفقراء (بلال)

قوله: (في موضع الحال من ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾) إنْ كان المراد مِنَ الذين يخافون الكفّار، فالكلام ظاهر؛ لأن الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يُطاع. وأمّا إن كان المراد بهم المسلمين، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: الآية ٥١] ينافي مذهب أهل السنّة في إثبات الشفاعة للمؤمنين، فلا بدّ أن يقال: شفاعة الملائكة والرُّسل للمؤمنين إنما تكون بإذن الله سبحانه وتعالى، فكانت الشفاعة في الحقيقة من الله سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿بِٱلْغُدْوَةِ﴾) بضمّ العين وإسكان الدال وواو مفتوحة، (شامي) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بفتح الغين والدال وبالألف. قوله: (ووسمهم) في مختار الصِّحاح: وسمه من باب وعد وسِمَةً أيضًا، أي أثّر فيه بسِمة وكَيّ. اهـ.

قوله: (بلال) بن رَباح الحبشي القريشي التيميّ مولى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان بلال رضي الله تعالى عنه قديم الإسلام والهجرة، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وكان يؤذّن لرسول الله ﷺ حياته سفرًا وحضرًا، وهو أوّل مَنْ أذَّن في الإسلام. روَى عنه جماعات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، منهم أبو بكر الصدِّيق وعمر وعليّ وابن مسعود وابن عمر وأُسامة بن زيد

و(صهيب) و(عمار) و(أضرابهم) حين قال (رؤساء) المشركين: لو طردت هؤلاء (السقاط) لجالسناك.

وكعب بن عُجْرة وجابر وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهم، وجماعات من كبار التابعين وفضائله مشهورة. توفي بدمشق سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين، وقيل: ثماني عشرة، وهو ابن أربع وستّين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (صهيب) بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن مناة بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار الربعيّ النمريّ، كذا نسبه الكلبي وأبو نعيم. وقال الواقدي: هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن عقيل بن كعب بن سعد. وقال ابن إسحٰق: صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد، فجعل طُفيلًا بدل عقيل، وجعل خزيمة بدل جذيمة، وهو من النَّمر بن قاسط وأُمّه سلمى بنت قعيد بن مهيص بن خزاعيّ بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، كنيته أبو يحيىٰ كناه بها رسول الله ﷺ، وإنما قيل له: الروميّ؛ لأن الروم سَبُوه صغيرًا وكان أبوه وعمّه عاملين لكسرى على الأُبُلّة، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، وقيل كانوا على الفرات من أرض الجزيرة، فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيبًا وهو صغير، فنشأ بالروم، فصار ألكن فابتاعته منهم كلب، ثم قَدِمُوا به مكّة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيميّ منهم فأعتقه، فأقام معه إلى أن هلك عبد الله بن جدعان، وقال أهل صهيب وولده ومصعب الزبيريّ: إنه هرب من الروم لما كَبر وعقل فقدم مكّة، فحالف ابن جدعان وأقام معه إلى أن هلك، ولمّا بعث رسول الله ﷺ أسلم، وكان من السابقين إلى الإسلام. قال الواقديّ: أسلم صهيب وعمّار في يوم واحد، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلًا، وكان من المُستضعفين بمكّة الّذين عُذِّبُوا. أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد بإسناده إلى أبي زكرياء يزيد بن إياس، قال: وكان اشتراه عبد الله بن جدعان - يعني صهيبًا - من كلب بمكّة، وكان كلب اشتراه من الروم، فأعتقه وأسلم صُهيب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلًا، وكان من المُستضعفين

....

بمكّة المُعذّبين في الله عزّ وجلّ، وقدم في آخر الناس في الهجرة إلى المدينة عليّ بن أبي طالب وصهيب، وذلك في النصف الأول من ربيع الأوّل ورسول الله ﷺ بقباء لم يَرُم بعد، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الحارث بن الصمّة، ولمّا هاجر صُهيب إلى المدينة تَبِعه نفرٌ من المشركين فنثل كنانته، وقال لهم: يا معشر قريش تعلمون أني أرماكم، ووالله لا تَصِلُون إليَّ حتى أرميكم بكلّ سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بَقِي في يدي منه شيء، فإنْ كنتم تريدون مالي دَلَلْتكم عليه، قالوا: فدلّنا على مالك ونخلّي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلّهم عليه ولحق برسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «رَبِحَ البيع أبا يحيىٰ»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧]، وشهد صُهيب بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ. أخبرنا أبو منصور بن مكارم بإسناده عن أبي زكرياء، أخبرنا إسحٰق بن الحسن الحربي، حدّثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، حدّثنا عمارة بن زاذان عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «السابق أربعة: أنا سابق العرب، وصُهيب سابق الرّوم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبش». قال: وأخبرنا أبو زكرياء، أخبرنا أحمد بن عبد الصّمد، حدّثنا عليّ بن الحسين، حدّثنا عفيف، حدّثنا سفيان عن منصور عن مجاهد، قال: أوّل مَنْ أظهر إسلامه سبعة: النبيّ ﷺ، وأبو بكر، وبلال، وصُهيب، وخباب، وعمار بن ياسر، وسُمَيَّة أُمّ عمار رضي الله تعالى عنهم أجمعين. فأمّا النبيّ ﷺ، فمنعه الله. وأمّا أبو بكر، فمنعه قومه. وأمّا الآخرون، فأخذوا وأُلبسوا أدراع الحديد ثم أُصهروا في الشمس. أخبرنا أبو جعفر بن المبارك بن أحمد بن زريق الواسطي إمام الجامع بها، أخبرنا أبو السّعادات المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب، أخبركم أبو الفتح منصور بن الحسن بن أبي القاسم الشاشي فاعترف به، قلت له: أخبركم أبو بكر بن منصور بن خلف المقريّ، أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عليّ الحنبليّ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن إبراهيم بن بالويه، حدّثنا عمران بن موسى، حدّثنا هدبة بن خالد، حدّثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن صُهيب أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار نادى مُنادٍ: يا

....

أهل الجنّة إنَّ لكم عند الله عزّ وجلّ موعدًا يريد أن يُنْجِزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثْقل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويُدْخلنا الجنّة ويُخرجنا من النار، فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله تبارك وتعالى، فما شيء أعطوه أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة». وروى عنه ابن عمر أنه قال: مررت برسول الله ﷺ وهو يصلّي، فسلّمت عليه فردّ عليّ إشارة بأصبعه. أخبرنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى محمّد بن عيسى، حدّثنا محمّد بن إسماعيل الواسطيّ، حدّثنا أبو فروة يزيد بن سنان، عن أبي المبارك عن صُهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالقرآن مَنِ استحلّ محارمه». وكان فيه مع فَضْله وعلوّ درجته مداعبة وحُسْن خلق. رُوِي عنه أنه قال: جئت النبيّ ﷺ وهو نازل بقُباء وبين أيديهم رطبٌ وتمر، وأنا أرمد، فأكلت فقال النبيّ ﷺ: «أتأكل التمر وأنت أرمد»، فقلت: إنما آكل على شقّ عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وكان في لسانه عجمة شديدة، ورَوى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى دخل على صُهيب حائطًا له بالعالية، فلما رآه صهيب قال: يناس يناس، فقال عمر: ما له، لا أبا له يدعو بالناس؟ فقلت: إنما يدعو غلامًا له اسمه يحنس، وإنّما قال ذلك لعقدةٍ في لسانه، فقال له عمر: ما فيك شيء أعِيبه يا صهيب إلّا ثلاث خصال لولاهنّ ما قدَّمت عليك أحدًا: أراك تنتسب عربيًّا ولسانك أعجميّ، وتكتنى بأبي يحيىٰ اسم نبيّ وتبذّر مالك، فقال: أمّا تبذيري مالي، فما أنفقه إلّا في حقّه، وأمّا اكتنائي بأبي يحيىٰ، فإنّ رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيىٰ، فلن أتركها، وأمّا انتمائي إلى العرب، فإنّ الروم سبَتْني صغيرًا فأخذت لسانهم وأنا رجلٌ من النمر بن قاسِط، ولو انفلقت عني روثة لانتميت إليها. وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محبًّا لصهيب، حَسَن الظنّ فيه، حتى إنه لما ضرب أوصى أن يُصلّي عليه صهيب، وأن يصلّي بجماعة المسلمين ثلاثًا حتى تتّفق أهل الشورى على مَنْ يُستخلف. وتوفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. وقيل: ابن سبعين سنة. ودُفِن بالمدينة، وكان أحمر شديد الحُمرة ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى

فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين. فقالوا: اجعل لنا يومًا ولهم يومًا وطلبوا بذلك كتابًا فدعا (عليًا) ﷺ ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت، فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: الآية ١١٣] ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن

القصر أقرب، كثير شعر الرأس، أخرجه الثلاثة، أي ب د ع[1]. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة.

قوله: (عمار) بن ياسر بن عامر بن مالك بن كِنانة، كان من السابقين إلى الإسلام، وكان هو وأبوه وأُمّه سُميّة ممّن أسلم أوّلًا، وكان إسلام عمّار وصهيب في وقتٍ واحد حين كان النبيّ ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأسلم بعد بضعة وثلاثين، وفي عمار نزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وجميع المشاهد. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وستّون حديثًا، اتّفقا على حديثَيْن منها، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. روى عنه عليّ بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وأبو أُمامة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وابن المسيّب وابن الحنفية وأبو وائل وابنه محمد بن عمّار وآخرون من التابعين. قُتِل بصفّين مع عليّ رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر، سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أضرابهم) أي أمثالهم. **قوله:** (رؤساء) جمع رئيس مثل شريف وشرفاء. **قوله:** (السُقاط) في مختار الصحاح: الساقط والساقطة اللّئيم في حسبه ونفسه، وقوم سَقْطى بوزن مَرْضى، وسُقّاط مضمومًا مشدّدًا. اهـ. **قوله:** (عليًا) رضي الله تعالى عنه ابن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشميّ ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين، المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة. مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم

---

(١) أي أبو عمر بن عبد البرّ وابن منده وأبو نعيم، فعلامة ابن عبد البر صورة ب، وعلامة ابن مندة صورة د، وعلامة أبو نعيم صورة ع. ١٢ منه عمّ فيضهم.

شَيْءٍ﴾ وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال: حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي وهو ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾ (جواب النهي) وهو ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ (على وجه التسبيب) لأن كونه ظالمًا مسبب عن طردهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ومثل ذلك (الفتن العظيم) ابتلينا الأغنياء بالفقراء ﴿لِّيَقُولُوٓا﴾ أي الأغنياء ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أي أنعم الله عليهم بالإيمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء (إنكارًا) لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونًا عليهم من بينهم بالخير ونحوه ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: الآية ١١] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بمن يشكر نعمته.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ إما أن يكون أمرًا بتبليغ سلام الله إليهم، وإما أن يكون أمرًا بأن يبدأهم بالسلام إكرامًا لهم وتطييبًا لقلوبهم. وكذا

بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. **قوله:** (جواب النهي) نحو: ما تأتينا فتحدّثنا، بنصب فتحدث على أن يكون معنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذي هو الإتيان، والآية الكريمة من هذا القبيل، فإنه لو كان مضرّة حسابهم مستقرّة على المخاطب لكان ذلك سببًا لإبعاد مَنْ يتوهّم الوهن في إيمانه، فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسبّبه الذي هو الطّرد. **قوله:** (على وجه التسبيب) دفع لما يتوهّم من أنه لو جعل عطفًا على جواب النفي لصحّ أن يقع جوابًا للنفي، وليس كذلك؛ إذ لا معنى لقولك: ما عليك من حسابهم، فتكون من الظالمين.

قوله: (الفتن العظيم) اسْتُفيد من لفظ ذلك المشار به إلى هذا الفتن القريب المذكور. **قوله:** (إنكارًا) متعلّق بيقولون مفعول به أو مصدر.

قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدًا مؤكدًا ﴿أَنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ ذنبًا ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة، أو جعل جاهلًا لإيثاره المعصية على الطاعة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد السوء أو العمل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أخلص توبته ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ شاميّ وعاصم). الأول بدل الرحمة، والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور رحيم (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ مدنيّ) الأول بدل الرحمة، والثاني مبتدأ. (﴿إِنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) غيرهم على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل: إنه من عمل منكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي وأبو بكر) ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (بالنصب: مدني. غيره: بالرفع). فرفع السبيل مع التاء والياء لأنها تذكر وتؤنّث، ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول ﷺ يقال: استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته، والمعنى ومثل ذلك التفصيل البيّن نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى إسلامه (ولتستوضح) سبيلهم فتعامل كلّا منهم بما يجب أن يعامل به (فصلنا ذلك التفصيل).

قوله: (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) بالفتح فيهما (شامي) أي ابن عامر الشاميّ (وعاصم). **قوله:** (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) بفتح الهمزة في الأُولى والكسر في الثانية (مدنيّ)، أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **قوله:** (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) بالكسر فيهما غيرهم.

قوله: (وبالياء) أي بياء التذكير (حمزة وعليّ) الكسائي (وأبو بكر) عن عاصم. والباقون بالتاء الفوقيّة على التأنيث أو الخطاب، باعتبار رفع السبيل ونصبه. **قوله:** (بالنصب مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (غيره) أي الباقون (بالرفع). **قوله:** (ولتستوضح) يا محمّد ﷺ. **قوله:** (فصّلنا ذلك التفصيل) إشارة إلى المقدّر الذي يتعلّق به اللام في لتستبين، وقدّر الماضي نظرًا إلى ما عليه المعنى، وذكر ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ بلفظ المضارع لقصد الاستمرار وتناول الماضي والآتي.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي صُرِفتُ وزجِرْتُ بأدلّة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل، وهو بيان للسَّبب الذي منه وقعوا في الضلال ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضالّ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ وما أنا من المهتدين في شيء **(يعني أنكم كذلك)** ولما نفى أن يكون الهوى متبعًا نبّه على ما يجب اتباعه بقوله:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ **(أي بينة من معرفة ربي)** وأنه لا معبود سواه **(على حجة واضحة)** ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ حيث أشركتم به غيره. **(وقيل: على بينة من ربي على حجة من جهة ربي)** وهو القرآن وكذبتم به بالبينة، وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن. ثم عقبه بما دلّ على أنهم أحقّاء بأن يعاقبوا بالعذاب فقال: ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في تأخير عذابكم (﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ **حجازي**

قوله: (يعني أنكم كذلك) يريد أنه من باب التعريض، مثل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٥].

قوله: (أي بينة من معرفة ربي) إشارة إلى تقدير مضاف في أحد الوجهين، وعليه فالخبر مقدّر يتعلّق به على بيّنة، ومن ربي أي على بيّنة لأجل معرفة ربّي، ويجوز أن يكون من ربّي صفة بيّنة ومَنْ اتّصالية، أي بيّنة متّصلة بمعرفة ربّي مرتبطة بها دالّة عليها. **قوله: (على حجّة واضحة)** مستفادة من التنكير. **قوله: (وقيل: على بيّنة من ربي على حجّة من جهة ربي)**؛ فعلى هذا من ربّي صفة لبيّنة على معنى كائنة من ربّي صادرة عنه. **قوله: (﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾)** بالصاد المهملة المشدّدة المرفوعة **(حجازيّ)** إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: **حجازيّ**، أي نافع المدني،

وعاصم) أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قصّ أثره. (**الباقون يقض الحقّ**) في كل ما يقضى من التأخير والتعجيل، فالحق أي القضاء. **الحق** صفة لمصدر يقضي وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ﴾ أي القاضين بالقضاء الحق إذ الفصل هو القضاء، وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾ أي في قدرتي وإمكاني ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأهلكتكم عاجلًا غضبًا لربي ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ المفاتح جمع (**مفتح**) وهو المفتاح، أو هي خزائن العذاب والرزق، أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال. (**جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة**) لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال، (**ومَن علم**) مفاتحها وكيفية فتحها توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن

وكذا أبو جعفر المدني وابن كثير المكيّ (وعاصم). **قوله:** (الباقون يقض الحقّ) بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء، ولم ترسم إلّا بضاد، كأن الياء حُذِفت خطأً تبعًا للفظ للساكنين كما في ﴿تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القَمَر: الآية ٥]، وكحذف الواو في ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العَلق: الآية ١٨]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٢٤] ونصب الحقّ بعده صفة لمصدر محذوف، أي القضاء الحقّ.

قوله: (مفتح) بكسر الميم. **قوله:** (جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة)، يعني: الاستعارة بالكناية تشبيهًا للغيب بالأشياء المستوثَق منها بالأقفال وإثبات المفاتح تخييلية كأظفار المنيّة، فقوله: فأراد أنه هو المتوصّل إلى آخره بيان للمراد لا دلالة على أنّ الاستعارة تمثيليّة، وإلّا لكان المناسب أن يقال هذا الكلام استعارة أو تمثيل والحصر مُستفاد من تقديم الخبر، أعني عنده مع التصريح بقوله: لا يعلمها إلّا هو. **قوله:** (ومَنْ علم) موصولة عطف على المفاتح، وتوصل إليها عطف على يتوصّل بها، كما تقول: إن زيداً يقوم وعمروًا يقعد، وقد يجعل شرطية

عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن. قيل: عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح الغيب، فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ﴾ من النبات والدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ من الحيوان والجواهر وغيرهما ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ «ما» للنفي و«من» للاستغراق أي يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على ﴿وَرَقَةٍ﴾ وداخل في حكمها وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (كالتكرير لقوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾) لأن معنى ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ومعنى ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ واحد وهو علم الله أو اللوح. ثم خاطب الكفرة بقوله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام في المنام ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ كسبتم فيه من الآثام ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ (ثم يوقظكم في النهار)، أو التقدير ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لأنه أهم، وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لا يتوفانا بالنهار فدلّ أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدلّ على نفي ما عداه ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لتوفى الآجال على الاستكمال ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم بالبعث بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في ليلكم ونهاركم. قال بعض أهل الكلام: إن لكل حاسة من هذه الحواس روحًا تقبض عند النوم ثم ترد إليها إذا ذهب النوم، فأما الروح التي تحيا بها النفس فإنها لا تقبض إلا عند انقضاء الأجل. والمراد بالأرواح

ليفيد الإبهام المناسب للمقام ويعتذر لوقوعها اسم إنّ مع وجوب صدارتها بأنه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع، وأنت خبير بأنّ عموم الموصولة مُغْنٍ عن ذلك. **قوله:** (كالتكرير لقولِهِ: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾) من جهة المعنى على ما بيّن. وأمّا من جهة اللفظ، فهو صفة للمذكورات، كما أن لا يعلمها صفة لورقة. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (ثم يُوقظكم في النهار) يعني أن البعث بمعنى الإيقاظ وضمير فيه للنهار على ما ذهب إليه كثير من المفسّرين.

المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والأخذ والمشي والشمّ. ومعنى ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي يوقظكم ويرد إليكم أرواح الحواس فيستدلّ به على منكري البعث لأنه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردّها إليها فكذا يحيي الأنفس بعد موتها.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكروا أن صحائفهم تقرأ على رؤوس **(الأشهاد)** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ «حتى» لغاية حفظ الأعمال أي وذلك **(دأب)** الملائكة مع المكلف مدة الحياة إلى أن يأتيه الممات ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه (**«توفيه»**) و(**«استوفيه» بالإمالة**: **حمزة رسلنا أبو عمرو**) ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يتوانون ولا يؤخّرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ **(إلى حكمه وجزائه)** أي ردّ المتوفون برد الملائكة

قوله: (الأشهاد) جمع شهد كصحب، وهو جمع شاهد أو اسم جمع له؛ لأن فاعل لا يُجمع على أفعال إلّا نادرًا. **قوله: (دأب)** أي عادة. في مختار الصّحاح: الدَّأْب ـ بسكون الهمزة ـ العادة والشأن، وقد يُحرَّك. اهـ. **قوله: (توفيه)** بألف مُمالة بعد الفاء، وهو إمّا فعل مضارع فأصله تتوفاه حُذِفت إحدى التاءين، كتتنزل وبابه. وإمّا ماضٍ، وهو الأظهر، وحُذِفت منه تاء التأنيث لكونه مجازيًا، وللفصل بالمفعول. **(استوفيه بالإمالة)** أي بألف مُمالة بعد الفاء **(حمزة)**، والباقون استوفته بتاء ساكنة من غير ألف ولا إمالة، واستهوته بالتاء الساكنة من غير ألف. **قوله: (رسلنا)** بإسكان السين (أبو عمرو)، والباقون بالضمّ.

قوله: (إلى حكمه وجزائه) يعني أنّ الردَّ إلى الله ليس على ظاهره؛ لكونه تعالى متعاليًا عن المكان والجهة، بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مُطِيعين لقضائه بأن يُساقوا إلى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ (مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم) ﴿ٱلْحَقِّ﴾ العدل الذي لا يحكم إلا بالحق وهما صفتان لله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومئذٍ لا حكم فيه لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة وقيل: الرد إلى مَن ربّاك خير من البقاء مع مَن آذاك.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قُلْ مَن (يُنَجِّيكُم)﴾ ﴿يُنجِيكُم﴾ ابن (عباس) ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما، أو ظلمات البر الصواعق والبحر الأمواج وكلاهما في الغيم والليل ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ حال من ضمير المفعول في ﴿يُنَجِّيكُم﴾ ﴿تَضَرُّعًا﴾ معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال، وكذا ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي مسرّين في أنفسكم (خفية) حيث كان: أبو بكر وهما لغتان (﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ عاصم وبالإمالة) حمزة وعلي. (الباقون «أنجيتنا») والمعنى يقولون لئن خلصنا ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الظلمات

قوله: (مالكهم الذي يلي عليهم أُمورهم) فسّر المولى به لدفع كون قوله تعالى في هذه الآية مناقضًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: الآية ١١]، فإنّ المولى في تلك الآية بمعنى الناصر، ولا ناصر للكفّار، والمولى هٰهنا بمعنى المالك الذي يتولّى أمرهم، والله تعالى مالك الأُمور كلّها في حقّ كل الخلائق، وهذه المناقضة إنما تتوهّم إذا كانت الآية في حقّ جميع المكلّفين من المؤمنين والكفّار، وهو الظاهر وإنْ كانت واردة في حقِّ المؤمنين خاصّة يجوز أن يكون المولى بمعنى الناصر من غير محذور، فإنّ مَنْ يردّ إليه تعالى أصالة هم المؤمنون، والكفار في هذا الأمر تَبَعٌ لهم.

قوله: (﴿يُنجِيكُم﴾) من الإنجاء (عباس) بن الفضل عن أبي عمرو بن العلاء البصري عبارة تفسير النيسابوريّ: ﴿قُلْ مَن يُنجِيكُم﴾ مِنَ الإنجاء سهل ويعقوب وعباس. والباقون بالتشديد. اهـ. **قوله:** (خفية) بكسر الخاء حيث كان أبو بكر شعبة عن عاصم، والباقون بالضمّ. **قوله:** (﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا تاء بلفظ الغيبة بغير إمالة (عاصم، وبالإمالة) أي بألف مُمالة حمزة وعليّ الكسائي (الباقون: «أنجيتنا») بياء ساكنة بعد الجيم بعدها تاء مفتوحة على الخطاب

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ (يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد كوفي) ﴿مِّنْهَا﴾ من الظلمات ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ وغمّ وحزن ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ولا تشكرون.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ هو الذي عرفتموه قادرًا أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس ﴿عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما غرق فرعون وخسف بقارون، أو من قبل سلاطينكم (وسفلتكم)، أو هو حبس المطر والنبات ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أو يخلطكم فرقًا مختلفين على أهواء (شتى) كل فرقة منكم مشايعة لإمام. ومعنى خلطهم أن (ينشب) القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في (ملاحم) القتال ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقتل بعضكم بعضًا. والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام: «سألت الله تعالى أن لا يبعث على أُمتي عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أُمتي بالسيف» ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ بالوعد والوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ

حكاية لدعائهم. **قوله:** (﴿يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد) أي بفتح النون وتشديد الجيم (كوفي)، وبتسكين النون وتخفيف الجيم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان عن ابن عامر.

(سفلتكم) في المصباح: قيل للأراذل سِفلة بكسر الفاء. اهـ. وفي مختار الصحاح: السَّفِلة ـ بكسر الفاء ـ السُّقَّاط من الناس، يقال: هو من السَّفِلة ولا تقل هو سَفِلَة لأنها جمع، والعامّة تقول: رجل سَفِلة من قوم سَفِل، وبعض العرب يخفّف، فتقول: فلان منْ سفْلة الناس، فتُنْقَل كسرة الفاء إلى السِّين. اهـ. **قوله:** (شتّى) جمع شتيت وزان كريم، بمعنى متفرّقة. **قوله:** (ينشب)[1] أي يعلق ويدخل، وهو من باب علم. **قوله:** (ملاحم) جمع مَلْحَمة بمعنى موضع القتال.

(١) أصل النشوب التعلّق. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿٦٥﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ بالقرآن أو بالعذاب ﴿قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الصدق أو لا بد أن ينزل بهم ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ وكل إليّ أمركم إنما أنا منذر.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾ لكل شيء (ينبأ به) يعني أنبياءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار وحصول لا بد منه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن يعني يخوضون في الاستهزاء بها والطعن فيها، وكانت قريش في (أنديتهم) يفعلون ذلك ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم وقم عنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ غير القرآن مما يحل فحينئذٍ يجوز أن تجالسهم ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ما نهيت عنه (﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ شاميّ) نسّي وأنسى واحد ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بعد أن تذكر ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القرآن تكذيبًا واستهزاء ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ أي وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم (شيء مما يحاسبون عليه) من ذنوبهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم أن يذكروهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم. ومحل

قوله: (ينبأ به) فالنبأ بمعنى المنبأ به، أو بمعنى المصدر، أي الإنباء.

قوله: (أَندِيَتهم) جمع النَّدِي على فعيل مجلس القوم ومُتَحدّثهم. **قوله:** (﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾) بتشديد السين وفتح النون مِنْ نَسِيَ (شامي) أي ابن عامر الشاميّ، وقرأ الباقون بتخفيفها وسكون النون من أنْسَى.

قوله: (شيء مما يحاسبون عليه) إشارة إلى أن منْ في منْ شيء زائدة، وشيء في محلّ الرفع على أنه فاعل عليك لاعتماده على النفي، ومِنْ حسابهم حال من شيء؛ لأنه لو تأخر عنه لكان صفة له وصفة النَّكرة متى قدّمت عليها انتصب على الحالية، والمعنى ما استقرّ على الذين يتّقون الشِّرك شيء كائنًا مما

﴿ذِكْرَىٰ﴾ نصب أي ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرًا، أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى؛ فـ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ مبتدأ والخبر محذوف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة (لمساءتهم).

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ سخروا به واستهزءوا. ومعنى ﴿ذَرْهُمْ﴾ أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، واللهو ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ وعظ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (مخافة أن تسلم) إلى (الهلكة) والعذاب وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ﴾ ينصرها بالقوة ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها بالمسألة. ولا وقف على ﴿كَسَبَتْ﴾ في الصحيح لأن قوله: ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليًا وشفيعًا بكسبها ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ (نصب على المصدر) وإن تفد كل (فداء)، والعدل الفدية لأن الفادي يعدل (المفدي) بمثله، وفاعل ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ لا ضمير العدل لأن العدل هنا مصدر

يُحاسب المشركون عليه. **قوله:** (لمساءتهم) مصدر أما مضاف للفاعل والمفعول مقدرًا ومضاف للمفعول.

قوله: (مخافة أن تسلم). . . الخ. إشارة إلى أنه مفعول لأجله بتقدير مضاف أو أصله أن لا تبسل. **قوله:** (الهَلَكة)، في المصباح: هلك الشيء هلكًا من باب ضرب وهلاكًا وهلوكًا ومهلكًا بفتح الميم. وأمّا اللام، فمثلّثة، والاسم الهلك مثل قفل والهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

قوله: (نصب على المصدر)، فإنه يكون في حكم ما أُضيف إليه ونظيره خير مقدّم وكثير نفع. **قوله:** (فداء) بالكسر والمدّ. **قوله:** (المَفْدِي) بفتح الميم وكسر الدَّال.

(فلا يسند إليه الأخذ)، وأما في قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: الآية ٤٨] فبمعنى المفدى به فصح إسناده إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المتخذين من دينهم لعبًا ولهوًا وهو مبتدأ والخبر ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ وقوله: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي ماء (سخين) حار خبر ثانٍ لـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والتقدير: أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم أو مستأنف ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قُلْ﴾ (لأبي بكر) يقل (لابنه عبد الرحمٰن) وكان يدعو أباه إلى عبادة

قوله: (فلا يُسند إليه الأخذ)؛ لأن الأخذ يتعلّق بالأعيان لا المعاني. **قوله:** (سَخِين) أي حار.

قوله: (لأبي بكر) الصدّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، وقد أجمع أهل السنّة من أهل الحقّ واليقين أنه أفضل النّاس بعد الأنبياء والمرسلين، واسمه عبد الله على الصحيح ابن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي يلتقي مع النبيّ ﷺ في مرّة، وهو أوّل مَنْ أسلم مِنَ الرجال وأوّل مَنْ جمع القرآن وأوّل مَنْ سمّاه مصحفًا، وأوّل مَنْ سُمّي خليفة، وأوّل من وُلّي الخلافة. أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة: لا نعلم أربعة أدركوا النبيّ ﷺ وأبناءهم إلّا هؤلاء الأربعة: أبو قحافة وابنه أبو بكر الصدّيق وابنه عبد الرحمٰن وأبو عتيق بن عبد الرحمٰن واسمه محمّد. اهـ. وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: رَوى الصديق عن النبيّ ﷺ مائة حديث واثنين وأربعين حديثًا، وسبب قلّة روايته أنه تقدّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها. قال الزهري: توفي أبو بكر بصبح يوم الثلاثاء لاثنين وعشرين مضين من جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان سنّه إذ ذاك ثلاثًا وستّين سنة، ومناقبه والأحاديث الواردة في فضائله كثيرة شهيرة لا يحتمل بيانها هذه الأوراق. **قوله:** (لابنه عبد الرحمٰن) يُكنى أبا عبد الله،

الأوثان ﴿أَنَدْعُواْ﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الضارّ النافع ﴿مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ ما لا

وقيل: أبو محمد بابنه محمّد الذي يقال له أبو عتيق، وقيل: أبو عثمان وأُمّه أمّ رومان[١]، سكن المدينة وتوفي بمكّة ولا يُعرف في الصحابة أربعة ولا أب وبنوه بعده كلّ منهم ابن الذي قبله أسلموا وصحبوا النبيّ ﷺ إلّا أبو قحافة وابنه أبو بكر الصدّيق، وابنه عبد الرحمٰن بن أبي بكر وابنه محمد بن عبد الرحمٰن أبو عتيق، وكان عبد الرحمٰن شقيق عائشة، وشهد بدرًا وأُحدًا مع الكفّار، ودعا إلى البراز فقام إليه أبو بكر ليبارزه، فقال له رسول الله ﷺ: «متّعني بنفسك»، وكان شجاعًا راميًا حَسَن الرَّمي، وأسلم في هُدْنة الحديبيّة وحَسُن إسلامه، وكان اسمه عبد الكعبة فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وقيل: كان اسمه عبد العزّى، وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقَتَل سبعة من أكابرهم، وهو الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل رماه بسهم في نحره فقتله، وكان محكم اليمامة في ثلمة في الحصن، فلما قُتِل دخل المسلمون منها. قال الزبير بن بكّار: كان عبد الرحمٰن أسمن ولد أبي بكر، وكان فيه دعابة. رَوَى عن النبيّ ﷺ أحاديث. رَوَى عنه أبو عثمان النهديّ وعمرو بن أوْس والقاسم بن محمد وموسى بن وردان وميمون بن مهران وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وغيرهم.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي منصور أحمد بن محمد بن نيال الصوفي يُعرف بترك كنانة، أخبرنا أبو مطيع محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز المصريّ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن عليّ النقّاش، حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، حدّثنا أحمد بن زياد بن مهران العدل، حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس عن ابن أبي مليكة أنّ عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدّيق قال: قال رسول الله ﷺ: «ائْتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتابًا لا تضلّون بعده»، ثم ولّى قفاه، ثم أقبل علينا فقال: «يأبى الله والمؤمنون إلّا أبا بكر». روى الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحرامي، عن أبيه الضحاك، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزّناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه أنّ عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدّيق قَدِم الشام في تجارة،فرأى هناك امرأة يقال لها ابنة الجودي،

---

(١) بضمّ الراء على المشهور، وحكى ابن عبد البرّ فتحها وضمّها. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يقدر على نفعنا إن دعوناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه ﴿وَنُرَدُّ﴾ وأنردُ ﴿عَلَىٰٓ

وحولها ولائد فأعجبته، فقال فيها:

تذكّرت ليلى والسماوة دونها فما لابنة الجودي ليلى وما ليا
وإني تعاطى قلبه حارثيّة تُدْمن بصرى أو تحلّ الجوابيا
وأنّى تُلاقيها بلى ولعلّها إنِ الناس حجّوا قابلًا أنْ توافيا

قال: فلما بَعَث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال لصاحب الجيش: إنْ ظفرت بليلى ابنة الجودي عنوةً، فادفعها إلى عبد الرحمٰن بن أبي بكر؛ فظفر بها فدفعها إليه، فأُعجب بها وآثرها على نسائه حتى شكَيْنه إلى عائشة، فعاتَبَتْه على ذلك، فقال: والله لكأني أرشف من ثناياها حبّ الرمّان، ثم إنّه جفاها حتى شكته إلى عائشة، فقالت له عائشة: يا عبد الرحمٰن أحببت ليلى فأفرطت، وأبغضتها فأفرطت، فإمّا أن تُنْصفها وإمّا أن تجهّزها إلى أهلها؛ فجهّزها إلى أهلها، وكانت غسانيّة. وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة. أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقيّ إذنًا، أخبرنا أبي، حدّثنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا عيسى بن عليّ، أخبرنا عبد الله بن محمّد، حدّثنا ابن عائشة، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا محمد بن زياد أنّ معاوية كتب إلى مروان أنْ يبايع ليزيد بن معاوية، فقال عبد الرحمٰن: جئتم بها هرقليّة تبايعون لأبنائكم، فقال مروان: يا أيّها الناس هذا الذي يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: الآية ١٧] إلى آخر الآية، فغضبت عائشة وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسمّيه لسمَّيته. ورَوى الزبير بن بكار، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهريّ عن أبيه عن جدّه، قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدّيق بمائة ألف درهم بعد أن أبَى البَيْعة ليزيد بن معاوية، فردّها عبد الرحمٰن وأبَى أن يأخذها، وقال: لا أبيع دِيني بدنياي، وخرج إلى مكّة فمات بها قبل أن تتمّ البيعة ليزيد، وكان موته فجاءة من نومة نامها بمكان اسمه حُبْشيّ على نحو عشرة أميال من مكّة، وحُمِل إلى مكّة فدُفِن بها، ولمّا اتّصل خبر موته بأُخته عائشة ظعنت إلى مكّة حاجّة، فوقفت على قبره، فبكَتْ عليه وتمثّلت:

وكنّا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكًا لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معًا

أَعْقَابِنَا﴾ راجعين إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ للإسلام وأنقذنا من عبادة الأصنام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ كالذي ذهبت به (الغيلان)

أمَا والله لو حضرتُك لدفنتك حيث متّ، ولو حضرتك ما بكيتك. وكان موته سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس وخمسين، وقيل: سن ستّ وخمسين، والأوّل أكثر. أخرجه الثلاثة، أي ب د ع.اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانية أحاديث، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة. رَوَى عنه أبو عثمان النهدي، وشريح القاضي، وعمر بن أوس، وابن أخيه القاسم بن محمد، وابن أبي مليكة، وميمون بن مهران، وبنته حفصه بنت عبد الرحمٰن وغيرهم. توفي بالحُبْشيّ جبل بينه وبين مكّة ستّة أميال، وقيل: نحو عشر أميال، ثم حُمِل على رقاب الرجال إلى مكّة سنة ثلاث وخمسين، وقيل: خمس وخمسين، وقيل: ستّ، والصحيح الأوّل.اهـ. **قوله: (الغِيْلان)** جمع الغول ـ بالضم ـ السّعْلاة. في لسان العرب: السِّعْلاة والسِّعْلى الغول، وقيل: هي ساحرة الجنّ، وقيل: السِّعْلاة أخبث الغيلان، وكذلك السِّعْلاء تمدّ وتُقصر والجمع سَعالى وسَعْليات، وقيل: هي الأُنثى من الغيلان. وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا صفر ولا هامة ولا غول، ولكن السعالى» هي جمع سِعْلاة، قيل: هم سحرة الجنّ، يعني أن الغول لا تقدر أن تغول أحدًا أو تضلّه، ولكن في الجنّ سحرة كسحرة الإنس له تلبيس وتخييل، وقد ذكرها العرب في شعرها.اهـ. وأيضًا فيه في فصل الغين المعجمة: وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوى ولا هامَة ولا صفر ولا غول». كانت العرب تقول: إنّ الغِيلان في الفَلَوات تراءى للناس، فتغَوَّلَ تغوّلًا أي تلوّن تلوّنًا فتضلّهم عن الطريق وتُهلكهم، وهي من مَرَدة الجنّ والشياطين، وذِكْرها في أشعارهم فاشٍ، فأبطل النبيّ ﷺ ما قالوا.اهـ. وأيضًا فيه قال ابن الأثير: قوله: «لا غول ولا صفر»، قال: الغول أحد الغيلان وهي جنس من الشياطين والجنّ كانت العرب تزعم أنّ الغول في الفَلاة تتراءى للنّاس فتتغوّل تغوّلًا، أي تتلوّن تلوّنًا في صورٍ شتّى وتغوّلهم، أي تضلّهم عن الطريق وتُهلكهم، فنفاه النبيّ ﷺ وأبطله، وقيل: قوله: «لا غول» ليس نفيًا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلوّنه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: «لا غول» أنها لا تستطيع أن تضلّ أحدًا، ويشهد له الحديث الآخر: «لا

و(مردة **الجن**). والكاف في محل النصب على الحال من الضمير في ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي (أنكص) مشبهين مَن استهوته الشياطين (**وهو استفعال** من هوى) في الأرض (**إذا ذهب**) فيها كأن معناه طلبت هويه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في

غول ولكن السَّعالى السَّعالى سحرة الجنّ»، أي ولكن في الجنّ سحرة لهم تلبيس وتخييل، وفي حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سَهْوة، فكانت الغول تجيء فتأخذه. اهـ.

قوله: (**مَرَدة الجنّ**) مَرَدة جمع مارد، والمارد العاتي. **قوله:** (**أنكص**) أي أنرجع. **قوله:** (**وهو استفعال**) وسين الاستقبال للمبالغة كأنها طلبت من نفسها هويه وحرصت عليه. اهـ قنوي. **قوله:** (**مِنْ هوى**) مِنْ باب ضرب. اهـ قنويّ.

قوله: (**إذا ذهب**) المشهور في كتب اللغة: هوى يهوي هوى إذا ذهب مسرعًا، كذا قيل. وهذا معنى ثالث للهوى كما هو الظاهر من كلامه، وقد جاء بمعنى السقوط من الباب الثاني، وبمعنى المودّة من باب علم، وبعضهم حمل على معنى السقوط، لكنه تكلّف. اهـ قنويّ رحمه الله.

وقال العلّامة الشهاب: **قوله:** (**من هوى**) يهوي إذا ذهب هذا هو المعروف، في اللغة: وأما كونه مِنْ هوى بمعنى سقط يقال: هوى يهوي هوِيًا ـ بفتح الهاء ـ من أعلى إلى أسفل، وبضمّها لعكسه، أو هما بمعنى. اهـ. وفي المصباح: هوى يهوي مِنْ باب ضرب هُويًا ـ بضم الهاء وفتحها ـ وزاد ابن القوطيّة: هوَاءً ـ بالمدّ ـ سقط من أعلى إلى أسفل، قاله أبو زيد وغيره. قال الشاعر:

هـويّ الـدلـو أسـلـمـهـا الـرّشـاء

يُروى بالفتح والضمّ، واقتصر الأزهري على الفتح، وهوى يهوي أيضًا هُويًا بالضم لا غير إذا ارتفع. قال الشاعر:

يـهـوي مـخـارمـهـا هـويّ الأجـدل

وقال الآخر:

والـدلـو فـي إصـعـادهـا عـجـل الـهُـويّ

(المهمة) ﴿حَيْرَانَ﴾ حال من مفعول (﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾) أي (تائهًا) ضالًّا عن (الجادة) لا يدري كيف يصنع ﴿لَهُۥٓ﴾ لهذا (المستهوي) ﴿أَصْحَٰبٌ﴾ (رفقة) ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ إلى أن يهدوه الطريق. سُمِيَ الطريق المستقيم بالهدى يقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ وقد (اعتسف) المهمه تابعًا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم، وهذا مبنيّ على ما يُقال إن الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه، فشبّه به الضالّ عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحده وما وراءه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا﴾ محله النصب بالعطف على محل ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ على أنهما مقولان كأنه قيل: قل هذا القول وقل أمرنا ﴿لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والتقدير: وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولإقامة الصلاة ﴿وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة أو محقًّا ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ على الخبر دون الجواب ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ و﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ خبره مقدمًا عليه كما تقول «يوم الجمعة قولك الصدق» أي قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين. والمعنى أنه خلق السمٰوات والأرض بالحق والحكمة

اهـ. **قوله:** (المهمة)[1] أي المفازة البعيدة. **قوله:** (تائهًا) في مختار الصحاح: تاه يتيه تَيْهًا وتَيْهانًا ذهب متحيّرًا. **قوله:** (الجادة) معظم الطريق. **قوله:** (المستهوي) بصيغة المفعول. **قوله:** (رفقة) في المصباح: الرّفقة الجماعة ترافقهم في سفرك فإذا تفرّقتم زال اسم الرفقة، وهي بضم الراء في لغة بني تميم، والجمع رفاق مثل برمة وبرام، وبكسرها في لغة قيس والجمع رفق مثل سدرة وسدر. اهـ. **قوله:** (اعتسف) في مختار الصحاح: العَسْف الأخذ على غير الطريق، وبابه ضرب، وكذا المتعسّف والاعتساف. اهـ.

---

(١) أي الصحراء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء، قوله الحق والحكمة أي لا يكوّن شيئًا من السمٰوات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ هو القرن بلغة اليمن (أو جمع صورة) ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو عالم الغيب ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ أي السر والعلانية ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في الإفناء والإحياء ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بالحساب والجزاء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو اسم أبيه أو لقبه لأنه خلاف بين النسابين أن اسم أبيه (تارح)، وهو عطف بيان لأبيه (وزنه فاعل) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ استفهام توبيخ أي أتتخذها آلهة وهي لا تستحق الإلـٰهية ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما أريناه قبح الشرك ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي نري بصيرته لطائف خلق السمٰوات والأرض، (ونري حكاية حال ماضية). والملكوت أبلغ من الملك (لأن الواو والتاء تزادان للمبالغة). قال

قوله: (أو جمع صورة) كصوف وصوفة وثوم وثومة، وليس هذا جمعًا صناعيًا، وإنما هو اسم جنس.

قوله: (تارح) بتاء مثناة فوقية وألف بعدها راء مهملة مفتوحة وحاء مهملة، وضبط بعضهم بالخاء المعجمة، فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان آزر وتارح، مثل يعقوب وإسرائيل اسمان لرجل واحد، فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس، والله سمّاه آزر وإنْ كان عند النسّابين والمؤرخين اسمه تارح ليُعرف بذلك. **قوله:** (وزنه فاعل) المفتوح العين.

قوله: (ونُري حكاية حال ماضية) جواب عمّا يقال: هذه الإرادة حصلت فيما تقدّم من الزمان، فالأنسب أن يقال: وكذلك أريناه أجاب بأنه على سبيل الحكاية عن الماضي تحقيقًا لحصوله وتصويرًا لعظم شأنه. **قوله:** (لأن الواو والتاء تزادان للمبالغة)، ولذا فسّر بأعظم الملك.

(مجاهد): فرجت له السمٰوات السبع فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى نظره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر إلى ما فيهن ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (فعلنا ذلك أو ليستدل، وليكون) من الموقنين (عيانًا بكسر العين) كما أيقن بيانًا.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي أظلم وهو عطف على ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ أي (الزهرة أو المشتري)، وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدٍ إلى أن شيئًا منها ليس بإلٰه لقيام دليل الحدوث فيها، ولأن لها محدثًا أحدثها ومدبرًا دبر طلوعها (وأفولها) وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ أي قال لهم هذا ربي في زعمكم، أو المراد أهذا استهزاء بهم وإنكارًا عليهم، والعرب تكتفي عن حرفِ الاستفهام بنغمة الصوت. والصحيح أن هذا قول مَن ينصف خصمه مع عمله أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من (الشغب)، ثم (يكرّ) عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾

قوله: (مجاهد) وهو تابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (فعلنا ذلك أو ليستدلّ وليكون)... الخ. إشارة إلى ما مرّ في أمثاله من أنه إمّا علّة لفعل مقدّر، أي فعلنا ذلك وليكون... الخ. أو معطوف على علة مقدّرة، أي ليستدلّ وليكون... الخ. وقيل: إنّ الواو زائدة وهو متعلّق بما قبله، وهذه الوجوه جارية في كلّ ما جاء في القرآن من هذا. **قوله:** (عيانًا بكسر العين).اهـ كمالين في سورة البقرة. في المصباح: عاينته معاينة وعيانًا.

قوله: (الزُّهَرة) بضم الزاي وفتح الهاء كتؤدة نجم في السماء الثالثة وتسكين الهاء في غير ضرورة الشعر خطأ. **قوله:** (والمشتري) نجم في السماء السادسة. **قوله:** (أفولها) في المصباح: أفل الشيء أفلًا وأُفولًا من بابي ضرب وقعد غاب، ومنه قيل: أَفَل فلان عن البلد إذا غاب عنها.اهـ. **قوله:** (الشَغْب) بالتسكين تهييج الشرّ، ولا يقال: شغب بالتحريك.اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (يكرّ) الكرّ الرّجوع

غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ أي لا أحب عبادة (الأرباب المتغيرين) عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ مبتدئًا في الطلوع ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ نبّه قومه على أن مَن اتخذ القمر إلـٰهًا فهو ضالّ، (وإنما احتجّ عليهم بالأفول دون البزوغ) وكلاهما انتقال من حال إلى حال لأن الاحتجاج به أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ (وإنما ذكّره) لأنه أراد الطالع، أو لأنه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنهما شيء واحد معنى، وفيه صيانة الرب عن شبهة

وبابه ردّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (الأرباب المتغيرين) إشارة إلى وجه الجمع بالواو والنون.

قوله: (وإنما احتجّ عليهم بالأُفول دون البزوغ) الذي هو الابتداء في الطلوع جواب عمّا يقال: الأُفول إنما يدلّ على الحدوث من حيث إنه حركة، وعلى هذا التقدير يكون الطّلوع أيضًا دليلًا على الحدوث، فلِمَ ترك إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع، وعدل عن إثبات هذا المطلوب إلى الأُفول، وأجاب بأنّ الاحتجاج بالأُفول أظهر؛ لأنه يدلّ على الحدوث من وجهين: من حيث إنه حركة، ومن حيث إنه احتجاب وغيبة، ومَنْ كان إلـٰهًا يجب أن ينعكس منه نور الوجود إلى جميع الموجودات ابتداء وبقاء، فلا يجوز أن يغيب عنها طرفة عين، فلا يجوز الأُفول في حقّه.

قوله: (وإنما ذكّره) ولم يقل: هذه ربّي مع كونه إشارة إلى الشمس، وهي مؤنّث سماعي، لأنه... الخ.

التأنيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وإن كان الثاني أبلغ (تفاديًا) من علامة التأنيث ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ من باب استعمال (النصفة) أيضًا مع خصومه ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها. وقيل: هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى، والأول أظهر لقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أي للذي دلّت هذه المحدثات على أنه منشئها ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ حال أي مائلًا عن الأديان كلها إلى الإسلام ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بالله شيئًا من خلقه.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ في توحيده. (﴿أَتُحَٰٓجُّونِي﴾) مدنيّ (وابن ذكوان) ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ إلى التوحيد، (وبالياء في الوصل: أبو عمرو). ولما خوّفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾ أي لا أخاف معبوداتكم في وقت (قط) لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي (أن يصيبني منها بضرّ)، فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعًا وفيما شاء ضرًّا لا الأصنام ﴿وَسِعَ

قوله: (تفاديًا) أي احترازًا. **قوله**: (النصفة) في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عاملْته بالعدل والقسط، والاسم النَّصَفة ـ بفتحتين ـ لأنك أعطيته من الحقّ ما تستحقّه لنفسك. اهـ.

قوله: (﴿أَتُحَٰٓجُّونِّي﴾) بنون خفيفة مكسورة على حذف إحدى النونين (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة.

(وابن ذكوان) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القريشيّ الدمشقي، ويُكنى أبا عمرو، وتوفي بها سنة اثنتين وأربعين ومائتين، عن عبد الله بن عامر الشامي رحمه الله. والباقون بالتشديد على الإدغام. **قوله**: (وبالياء في الوصل أبو عمرو) البصري. والباقون بحذفها في الحالين. **قوله**: (قطّ) أي أبدًا. **قوله**: (أن يصيبني منها بضرّ) إشارة إلى أن شيئًا مفعول به ليشاء ففسّر شيئًا به ليعلم أنه مفعول، وليس بمصدر على معنى إلّا أن يشاء ربّي شيئًا من المشيئة.

رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ﴾ فلا يصيب عبدًا شيء من ضرّ أو نفع إلا بعلمه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ معبوداتكم وهي مأمونة الخوف ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾ حجة إذ الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة، والمعنى وما لكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ أي فريقي الموحدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ولم يقل: «فأينا» احترازًا من تزكية نفسه، ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ (بشرك عن الصدّيق رضي الله تعالى عنه) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ تمّ كلام إبراهيم عليه السلام.

قوله: (﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾) بفتح الياء وكسر الباء إمّا معطوف على الصلة ولا محلّ له حينئذ، أو جملة حاليّة على معنى الذين آمنوا غير لابسين إيمانهم بظلم.

قوله: (بشرك عن الصدّيق رضي الله تعالى عنه) أخرج الفريابي وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: ما تقولون؟ قالوا: لم يظلموا، قال: حملتم الأمر على الشدّة بظلم بشرك، ألم تسمعوا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]؟ وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني في الإفراد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم﴾ شقّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله أيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذين يعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، إنما هو الشرك». وأخرج أبو الشيخ عن عمر بن الخطاب

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ إشارة إلى جميع ما احتجّ به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلى ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ﴾ وهو خبر بعد خبر ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ في العلم والحكمة (**وبالتنوين كوفيّ**) وفيه نقضُ قول المعتزلة في الأصلح ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بالرفع ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأهل.

رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: بشِرْك. وأخرج الفريابي وأبو عبيدة وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وأبو نضر السجزي في الإبانة عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن هذه الآية، قال: إنما عنى به الشِّرك، ألم تسمع الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢] قال: ذاك الشِّرْك. وأخرج ابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف يقرأه، فدخل ذات يوم فقرأ سورة الأنعام، فأتى هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أبا المنذر أتيت على هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، وقد ترى أنّا نظلم ونقتل، فقال: يا أمير المؤمنين إنّ هذا ليس بذاك، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، إنما ذاك الشِّرْك. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢]، قال: بشِرْك. وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: عبادة الأوثان. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، يقول: لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

قوله: (وبالتنوين) أي بتنوين التاء (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. والباقون بإضافة درجات وانتصابها على أنها مفعول نرفع. وأمّا على قراءة

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ أي كلهم وانتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ ﴿هَدَيْنَا ۚ﴾ ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ أي وهدينا نوحًا ﴿مِن قَبْلُ ۖ﴾ من قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير لنوح أو لإبراهيم، والأوّل أظهر لأن يونس ولوطًا لم يكونا من ذريّة إبراهيم ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ﴾ والتقدير: وهدينا من ذرّيته هؤلاء ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ونجزي المحسنين جزاء مثل ذلك، فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ﴾ أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ **(وذكر عيسى معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم أيضًا)** لأنه جعله من ذريّة نوح عليه السلام وهو لا يتصل به إلا بالأم، وبذا أُجيب **(الحجاج)** حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبيّ عليه السلام.

الكوفيّين، فانتصاب درجات يحتمل أن يكون على الظرفيّة، ومن نشاء مفعول نرفع، أي نرفع مَنْ نشاء مراتب ومنازل، ويحتمل أن يكون على أنها مفعولٌ ثان قدّم على الأول، وذلك يحتاج إلى تضمين نرفع معنى فعل يتعدّى إلى اثنين، وهو يعطي مثلًا، أي نعطي بالرفع مَنْ نشاء درجات، أي رُتَبًا، فالدَّرجات هي المرفوعة؛ لقوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: الآية ١٥]، وإذا رفعت الدرجة فقد رُفِع صاحبها، ويحتمل أن ينتصب بنزع الخافض، أي نرفع إلى منازل وإلى درجات، والمراد بالدرجات هٰهنا درجات العلم والفهم والحكمة كما رفع درجات إبراهيم فيها حتى فاق في زمن صباه شيوخ أهل عصره واهتدى إلى ما لم يهتدِ إليه إلّا أكابر الأنبياء.

قوله: (وذكر عيسى) على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام (معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأُم أيضًا)... الخ. فيكون الحسن والحسين من ذرّية سيّد المرسلين محمّد ﷺ مع انتسابهما إليه بالأمّ، ومَنْ آذاهما فقد آذى ذُرِّيته عليه الصّلاة والسّلام. **قوله:** (الحجّاج) بن يوسف الثقفي، وهو أبو محمد الحجّاج بن

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ (﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ حيث كان بلامين: حمزة وعلي) ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بالنبوّة والرسالة ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضع النصب عطفًا على ﴿وَكُلًّا﴾ أي وفضلنا بعض آبائهم ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ﴾ أي ما دان به هؤلاء المذكورون ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ دين الله ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ﴾ فيه نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون إن الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لبطلت أعمالهم كما قال ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: الآية ٦٥].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد الجنس ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ والحكمة أو فهم الكتاب ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ وهي أعلى مراتب البشر ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ بالكتاب والحكم والنبوّة أو بآيات القرآن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون

يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب بن كعب الثقفي، قال ابن قتيبة: هو من الأجلاف، قال: وكان أخفش دقيق الصوت وأوّل ولاية وليها تَبالة ـ بمثناة فوق مفتوحة ثم باء موحدة مخفّفة ـ فلمّا رآها احتقرها فتركها، ثم تولّى قتال ابن الزُّبير رضي الله تعالى عنه فقهره على مكّة والحجاز، وقتل ابن الزبير وصلبه بمكّة سنة ثلاث وسبعين، فولّاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين، وكان يصلّي بالناس ويقيم لهم الموسم، ثم ولّاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فولِيَها عشرين سنة وحطّم أهلها وفعل ما فعل، وتوفي بواسط ودُفِن بها وعفي قبره وأُجْرِيَ عليه الماء، وكان موته سنة خمس وتسعين.

قوله: (﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ حيث كان بلامين) أي بلام مشدّدة وياء ساكنة بعدها (حمزة وعليّ) الكسائي. وقراءة الجمهور بلام واحدة وفتح الياء بعدها.

ومن تابعهم بدليل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ أو أصحاب النبيّ ﷺ، أو كل مَن آمن به (أو العجم). ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه. **(والباء في** ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا﴾ صلة ﴿كَٰفِرِينَ﴾) وفي ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ لتأكيد النفي.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ أي الأنبياء الذين مرّ ذكرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ **(فاختصّ هداهم بالاقتداء)** ولا تقتد إلا بهم، وهذا معنى تقديم المفعول. والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة،

قوله: (أو العجم) في مختار الصحاح: العجم ضدّ العرب الواحد عجميّ. اهـ. **قوله: (والباء في** ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا﴾ **صلة** ﴿كَٰفِرِينَ﴾) على أن يتعلّق بالمذكور بناء على تجويز إعمال ما بعد حرف الجرّ المَزيدة فيما قبله سيما الظرف.

قوله: (فاختصّ هداهم بالاقتداء) أمر بالاختصاص وليس بماض، والباء داخلة على المقصور، كما في قولك: نخصّك بالعبادة، أي اجعل اقتداءك مقصورًا على هداهم وطريقهم، وقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ متعلّق بـ ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ قُدِّم عليه ليفيد الاختصاص.

فإن قيل: الواجب في الاعتقاديّات وأصول الدِّين هو اتّباع الدّليل من العقل والسمع، ولا يجوز سيما للنبيّ ﷺ أن يقلّد غيره، فما معنى أمره بالاقتداء بهم؟

قلنا: معناه الأخذ به، لكن لا من حيث إنه طريقهم، بل من حيث إنه طريق العقل والشرع، ففيه تعظيم لهم وتنبيه على أنّ طريقهم هي الحقّ الموافق لدليل العقل والسمع، فكأنه قيل: فخذ ما توافقوا عليه من التوحيد والتنزيه عن كلّ ما يليق بالباري تعالى في الذّات والصّفات والأفعال وأصول الدِّين، مستدلّا بالدليل الذي استدلّوا به على ما اتّفقوا عليه؛ فليس في الآية دليل على أنه عليه الصّلاة والسّلام مكلّف بشرع مَنْ قبله، لأنّ مَنْ ذهب إلى حكم متمسّكًا بدليل يثبته لا يقال له: إنه أخذ ذلك الحكم ممّن قبله، وإنْ وافقه في الاعتقاد بذلك الحكم، وفي الاستدلال عليه بالدليل الذي استدلّ به من قبله وموافقته إيّاهم على هذا الوجه لا

(والهاء في ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ للوقف تسقط في الوصل، واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء

تدلّ على أن يكون منصبه أقلّ من منصبهم، بل احتجّ العلماء بهذه الآية على أنه عليه الصّلاة والسّلام أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ لأن خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرّقة فيهم؛ فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النّعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البَلِيَّة، ويوسف كان جامعًا بينهما، وموسى عليه الصّلاة والسّلام كان صاحب المعجزات القاهرة، وزكريّا ويحيىٰ وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسمٰعيل كان صاحب الصدق؛ فثبت أنه تعالى إنما ذكر كل واحد من هذه الأنبياء، لأن الغالب عليه كان خصلة معيّنة من خصال المدح والشرف، ثم إنه تعالى لمّا ذكر الكلّ أمر سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين بأن يقتدي بهم بأسرهم؛ فكأنه تعالى أمره عليه الصّلاة والسّلام بأن يجمع من خصال العبودية أو الطاعة كل الصفات التي كانت متفرّقة فيهم بأجمعهم، ولما أمره الله تعالى بذلك امتنع أن يقال: إنه قصر في تحصيلها، فثبت أنه حصّلها واجتمع فيه مِنْ خِصال الخير ما كان متفرّقًا فيهم، فوجب أن يقال: إنه أفضل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
قوله: (والهاء في ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ للوقف)[١] أي هاء السكت التي تُزاد في الوقف ساكنة **(تسقط في الوصل)** ومَنْ أثبتها في الدرج ساكنة؛ كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف. وبعضهم يُحرّكها تشبيهًا لها بهاء الضمير، والعرب كثيرًا ما تعطي للشيء حكم ما يشبهه وتحمله عليه، وقد رُوِي قول المتنبّي:

واحرَّ قلباهُ ممّن قلبه شَبِمُ

بضمّ الهاء وكسرها على أنها هاء السكت شبّهت بهاء الضمير، فحُرّكت، والأحسن كما في الدُّرّ: أن يجعل الكسر لالتقاء الساكنين لا لشبه الضمير؛ لأن هاء الضمير لا تُكسر بعد الألف، فكيف بما يشبهها؟اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء**

---

(١) أي وليس بضمير؛ لأن بهداهم متعلق باقتده، وهؤلاء يتعدّى إلى مفعول ثان. ١٢ منه عمّ فيضهم.

في المصحف) ويحذفها (حمزة. وعلي: في الوصل. ويختلسها: شامي). ﴿قُل

في المصحف) الذي يقال له: الإمام، مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي اتّخذه لنفسه يقرأ فيه، وليس هو بخطّه كما توهّمه بعضهم. وقرأ بحذفها، أي بحذف الهاء (حمزة. وعليّ) الكسائي (في الوصل) على أنها للسكت فمحلّها الوقف[١].

(ويختلسها) أي يكسر الهاء بغير إشباع، وهو الذي يسمّيه القرّاء اختلاسًا (شامي) أي ابن عامر الشامي برواية هشام، ويُشْبعها ـ أي يكسرها مع وصلها بياء ـ ابن عامر الشامي برواية ابن ذكوان، على أنها كناية عن المصدر لا هاء الوقف؛ كأنه قال: فبِهُداهم اقتد الاقتداء، والفعل يدلّ على المصدر، فكنى عنه كما حكى سيبويه من قولهم: مَنْ كذب كان شرًّا له، أي كان الكذب شرًّا له. وقوله:

(واحرّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ)

في شرح التبيان للعكبري على ديوان أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبّي رحمهما الله تعالى:

واحَرَّ قَلْباهُ ممّن قلبه شَبِمُ ... ومَنْ بجسمي وحالي عنده سَقَمُ

الإعراب قال أبو الفتح: قلباه بكسر الهاء وضمّها وهو غير جائز عند الكوفيّين، ولا يجوز إلّا في الضرورة والوجه. قال أبو الفتح: الكسر لالتقاء الساكنين الألف والهاء، ومَنْ ضمّها شبّهها بعصاه ورَحاه الكوفيّون ينشدون لبعض الأعراب:

وقد رابَني قولها يا هنا ... ه ويحك ألحقت شرًّا بشرّ

وأنشدوا أيضًا:

يا ربّ يا ربّاه إيّاك أسألُ

والبصريّون يقولون: يا هناه ـ الهاء بدل من الواو ـ في هنوك وهنوات، وهي بدل من لام الكلمة، ولذلك جاز ضمّها. وقال أبو زيد في مرحباه أنه شبّهها

---

(١) فيثبت أنها في الوقف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على الوحي أو على تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد

بحرف الإعراب فضمّها، هذا قول الواحدي اختصره من كلام أبي الفتح. وقال أبو الفتح: كان يُنشده بكسر الهاء وضمّها، وهذا لا يعرفه أصحابنا، ولا يجيزون إثبات الهاء في الوصل ساكنة ولا متحرّكة؛ لأنها إنما تُلحق في الوقف لبيان الألف قبلها، فإذا صيّرت إلى الوصل أسقطت عنها باللفظ بما بعدها، تقول في الوقف: وازيداه، فإذا وصلت قلت: وازيدًا وعمراه، فإنك تحذفها في الوصل وتُثْبتها في الوقف. فإنْ قال قائل: هلّا أجريت الهاء في الوصل على حدّ الوقف؟ كما أنشد سيبويه قول رؤبة:

ضخمٌ يجب الخلق الأضخَما

بتشديد الميم لأنهم إذا وقفوا على اسم شدّدوا آخره إذا كان ما قبله متحرّكًا. ألا ترى أنّ مَنْ يقول خالد في الوقف بتشديد الدال وإذا وصل ردّه إلى التّخفيف، إلّا أنه قد يُجريه في الوصل على حدّ مجراه في الوقف، فلذلك جاز للمتنبّي أن يلحق الهاء في الوصل كما كان يثبتها في الوقف. قيل: في هذا أمران: أحدهما مكروه، والآخر خطأ فاحش. فأمّا المكروه، فإثباتها في الوصل على حدّ إثباتها في الوقف ضرورةً مستقبحة للمحدث، وسبيل مثلها أن لا يُقاس عليه إلّا على استكراه. وأمّا الخطأ، فإنّ الذي ذهب إلى هذا واحتجّ به قد عدل عن صوب التشبيه؛ وذلك أنه لا يخلو من أن تجري الكلمة على حدّ الوقف أو على حدّ الوصل، فإنْ كان على حدّ الوصل، وهو الوجه؛ لأنه ليس واقفًا، فسبيله أن يحذف الهاء وصلًا لما ذكرناه من استغنائه عنها في الوصل بما يتبع الألف، وإنْ كان على حدّ الوقف، فقد خالف ذلك بإثباتها متحرّكة بالضم أو الكسر، فالهاء في الوقف بلا خلاف ساكنة؛ فالذي رامَ إثباتها متحرّكة لا على حدّ الوصل أجراها، فيحذفها؛ ولا على حدّ الوقف أجراها، فيسكّنها. ولا تعلم منزلة بين الوصل والوقف يرجع إليها وتجري الكلمة عليها، فلهذا كان إثبات هذه الهاء متحرّكة خطأ عندنا. وأمّا ما رواه الكوفيّون، فشاذ عندنا. وأمّا ما ذكره في نوادره أبو زيد من أنهم شبّهوا الهاء بحرف الإعراب، فلا وجه له، ولو كانت الهاء في قلباه مشبّهة بحرف الإعراب لما جاز فتحها ولا ضمّها، ولوجب جرّها بإضافة جرّ إليها. ومرحباه الذي أنشده أبو زيد ليس

﴿أَجۡرًاۖ﴾ (جعلًا). وفيه دليل على أن أخذ الأجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ ما القرآن إلا عظة للجن والإنس.

مضافًا إليه، فيجوز أن يشبّهه بحرف الإعراب، انتهى كلامه. وإنما أراد أبو الطيّب على لغة قومه، وكان الأصل قلبي، فأبدل مِنَ الياء ألفًا طلبًا للخفّة، والعرب تفعل ذلك في النداء، واستجلب هاء السَّكت وأثبتها في الوصل كما تثبت في الوقف، والعرب تفعل ذلك كقراءة ابن ذكوان: «فبهداهم اقتدهي» بكسر الهاء وإثبات الياء وصلًا، وكقراءة هشام بكسر الهاء، وقد استوفينا علّة ذلك في كتابنا الموسوم بالروضة المُزهرة في شرح التذكرة، وحرّك الهاء أبو الطيّب لسكونها وسكون الألف قبلها، وللعرب في ذلك أمران: منهم مَنْ حرَّك بالضم تشبيهًا بهاء الضمير، وأنشدوا:

يا مرحباه بحمار اعفرا

ومنهم مَنْ يُحرّك بالكسر على ما يوجد كثيرًا في الكلام عند التقاء الساكنين، وأنشدوا:

يا ربّ يا ربّاه اسأل ... عفراء يا ربّاه من قبل الأجل

الغريب: الشَّبِم: البارد، والشَّبِم: البرد، وقد شَبِم - بالكسر - فهو شبم، والشبم الذي يجد البرد مع الجوع. قال حميد بن ثور:

بعيني قطاميّ نما فوق مرقب ... غدا شبمًا ينقض فوق الهجارس

المعنى يقول: واحرّ قلبي واحتراقه واستحكام همّه بمن قلبه عني بارد لا اغتناء له لي ولا إقبال به عليّ، ومن بجسمي وحالي مِنْ إعراضه سقم يوجب ألمهما وشكاة تؤذن باختلالهما، والعرب تكني بحرارة القلب عن الاعتناء، وببرده عن الإعراض والترك، وتلخيص المعنى: قلبي حار من حبّه وقلبه بارد من حبّي، وأنا عنده مختلّ الحال معتلّ الجسم. اهـ.

قوله: (جعلا) بضم الجيم وسكون العين كالجعالة والجعيلة ما يجعل للإنسان بفعله، وهو أعمّ من الأجر والثواب؛ كما قاله الراغب رحمه الله.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ﴾ **(أي ما عرفوه حق معرفته)** في الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] رُوِيَ أن جماعة من اليهود ـ منهم مالك بن **(الصيف)** ـ كانوا يجادلون النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ له: «أليس في التوراة **(إن الله يبغض الحبر السمين)**»؟ قال: نعم. قال: «فأنت الحبر السمين» فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، و﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ منصوب نصب المصدر. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا﴾ حال من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ أو «من الكتاب» ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ﴾ مما فيه نعت رسول الله ﷺ أي بعَّضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما **(راموا)** من الإبداء والإخفاء. **(وبالياء في الثلاثة: مكيّ وأبو عمرو)** ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ يا أهل الكتاب بالكتاب ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ﴾ من أمور دينكم ودنياكم ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ جواب أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك ﴿ثُمَّ

قوله: (أي ما عرفوه حقّ معرفته) عبّر عن المعرفة بالقدر لكونه سببًا لها وطريقًا إليها، يقال: قدَر الشيء يقدُره ـ بالضمّ ـ قدرًا إذا أسبره وحزره، والسّبر تعيين قدر الشيء بالمسبار، يقال: سبرت الجرح إذا نظرت ما غوره، والمسبار ما يسبر به الجرح والحرز التقدير، والخرص إذا أراد أن يعلم مقداره، ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام: «إذا غمّ عليكم الهلال فاقدروا له»، أي فاطلبوا أن تعرفوه. ثم يقال لمن عرف شيئًا: هو يقدر قدره، ولمن لم يعرف بصفاته أنه لا يقدر قدره. **قوله: (الصيف)** بالصاد المهملة ضدّ الشتاء. **قوله: (إنّ الله يبغض الحبر السمين)**؛ لأنه يدلّ على الحُمق والجهل، ولأنه من كثرة التنعّم بالأكل والشرب في الأكثر، والحِبْر ـ بكسر أوّله وفتحه ـ العالم الفصيح، والسَّمين ضدّ المهزول. **قوله: (راموا)** في مختار الصّحاح: رام الشيء طلبه، وبابه قال. اهـ. **قوله: (وبالياء في الثلاثة)** أي يجعلونه ويُبدونها ويخفون (مكيّ) أي ابن كثير المكّيّ **(وأبو عمرو)** البصري على إسناده للكفار مناسبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾... الخ. والباقون

ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ **(حال من ﴿ذَرۡهُمۡ﴾ أو «من خوضهم»)**.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ على نبيّنا ﷺ ﴿مُبَارَكٞ﴾ كثير المنافع والفوائد ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ **(وبالياء: أبو بكر، أي الكتاب)** وهو معطوف على ما دلّ عليه صفة الكتاب كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ مكة، وسميت أُم القرى لأنها سرة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس **(يؤمونها)** ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ **(أهل الشرق والغرب)** ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يصدقون بالعاقبة ويخافونها ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ بهذا الكتاب فأصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ خصّت الصلاة بالذكر **(لأنها علم الإيمان وعماد الدين)** فمَن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهرًا.

بتاء الخطاب فيهن، أي قل لهم ذلك. **قوله: (حال من ﴿ذَرۡهُمۡ﴾)** أي من مفعول ذرهم **(أو من خوضهم)** أي من ضمير خوضهم، وجاز ذلك لأنه في قوّة الفاعل؛ لأن المصدر مضاف إلى فاعله.

قوله: (وبالياء) أي بياء الغيبة **(أبو بكر)** شعبة عن عاصم **(أي الكتاب)**. والباقون بتاء الخطاب، أي الرّسول عليه الصّلاة والسّلام. **قوله: (يؤمّونها)** أي يقصدونها. **قوله: (أهل الشرق والغرب)** أوّله لعموم بعثته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَأ: الآية ٢٨]، واللفظ متحمّل له وردًا على مَنْ تمسّك بها؛ لأنه مُرسل للعرب خاصّة، ولا متمسّك فيها لما سمعت على أنه خصّهم، لأنهم أحقّ بإنذاره؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشُّعَراء: الآية ٢١٤]، ولذا نزّل كتاب كل رسول بلسان قومه، مع أنه استدلال لإرساله للعرب، وليس فيه حجّة على نفي غيره. **قوله: (لأنها عَلَم الإيمان)** بمعنى علامته، ولذا أطلق الإيمان عليها مجازًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] أي صلاتكم. **قوله: (وعِماد الدِّين)** أي أصله ورأسه، فقِوام الدِّين ليس إلّا بها، كما أن البيت لا يقوم إلّا على عموده.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿(وَمَنْ أَظْلَمُ) مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ هو مالك بن الصيف ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ هو (مسيلمة) الكذاب ﴿وَمَن قَالَ﴾ في موضع جر عطف على ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي وممن قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي سأقول وأملي هو (**عبد الله بن سعد بن أبي سرح**) كاتب الوحي، وقد أملى النبيّ عليه السلام عليه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إلى ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤] فجرى على لسانه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٤]. فقال عليه السلام: «اكتبها فكذلك نزلت» فشكّ وقال: إن كان محمد صادقًا فقد أُوحي إليّ كما أُوحي إليه، وإن كان

قوله: (﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾). . . الخ. استفهام إنكاريّ معناه النفي، والمراد أنه أظلم من جميع المخلوقات.

قوله: (**مسيلمة**) بكسر اللام، لأن ما بعد ياء التصغير يلزم كسره، والعامّة تغلط فتفتحها، وهو من بني حنيفة أهل اليمامة ادّعى النبوّة في زمن النبيّ ﷺ، وقُتل في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**عبد الله بن سَعْد بن أبي سَرْح**) بن الحارث بن حُبيب ـ بضم الحاء المهملة وإسكان المثناة تحت ـ قاله الكلبي وابن ماكولا، وقال ابن حبيب: هو بتشديد الياء. قال الكلبي: إنما شدّده حسّان للحاجة، وهو حبيب بن جذيمة ـ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ـ ابن حِسْل ـ بكسر الحاء المهملة ـ ابن عامر بن لؤيّ بن غالب القرشي العامريّ، كنيته أبو يحيىٰ، وهو أخو عثمان بن عفّان من الرضاعة أرضعته أُمّ عثمان، أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتدّ وسار إلى مكّة، وقال لقريش: كان يُمْلي عليّ عزيز حكيم، فأقول أو عليم حكيم، فيقول: كلٌّ صواب، فلمّا كان يوم الفتح أمر النبيّ ﷺ بقتله وقتل عبد الله بن خطل ومقيس بن صُبابة، ولو وُجدوا في أستار الكعبة؛ ففرّ ابن أبي سَرْح إلى عثمان فغيّبه ثم أتابه النبيّ ﷺ بعدما اطمأنّ أهل مكّة

كاذبًا فقد قلت كما قال، فارتدّ ولحق بمكة. أو (**النضر بن الحارث**) كان يقول: والطاحنات طحنًا فالعاجنات عجنًا فالخابزات خبزًا كأنه يعارض ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف أي لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يريد الذين ذكرهم من اليهود و(**المتنبئة**) فتكون اللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس فيدخل هؤلاء لاشتماله ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ شدائده وسكراته ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن التشديد في (**الإزهاق**) من غير (**تنفيس وإمهال**) ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أرادوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع. والهون: (**الهوان**) الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك: «رجل سوء» (**يريد العراقة**) في الهوان والتمكّن

فاستأمنه له فصَمَت طويلًا ثم قال: «نعم»، فلما انصرف عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «ما صمتّ إلا لتقتلوه»، فقال رجل: أهلّا أومأت إلينا يا رسول الله؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبيّ أن يكون له خَائِنَةَ الأعين»، ثم أسلم بعد ذلك اليوم عبد الله بن أبي سَرْح وحَسُن إسلامه ولم يظهر منه بعده ما ينكر، وهو أحد العقلاء والكُرماء من قريش ثم ولّاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين، ففتح الله على يديه أفريقيّة، وكان فتحًا عظيمًا بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهبًا، وشهد معه هذا الفتح عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن سعد هذا فارس بني عامر بن لؤيّ، وغزا بعد أفريقيّة الأساود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وغزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم، وحين قُتِل عثمانُ بن عفّان اعتزل عبد الله ابن أبي سَرْح الفتنة، فأقام بعسقلان، وقيل بالرَّمْلة، وكان دعا بأن يختم عمره بالصلاة، فسلَّم من صلاة الصبح التسليمة الأُولى ثم همّ بالتسليمة الثانية عن يساره، فتوفي سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سبع وثلاثين، وقيل: سنة تسع وخمسين، والصحيح عندهم الأوّل.

قوله: (النضر بن الحارث) ـ بالضاد المعجمة ـ أُسر يوم بدر، وقُتِل كافرًا.

قوله: (المتنبّئة) في لسان العرب: تنبّأ الرجل ادّعى النبوّة. **قوله: (الإزهاق)** أي الإخراج. **قوله: (تنفيس)** أي إمهال، **وقوله: (وإمهال)** عطف تفسير. **قوله: (الهَوان)** ضدّ العِزّ. **قوله: (يريد العَراقة)** ـ بالعين المهملة ـ الأصالة وأصلها ثبات العروق في الهَوان والتمكّن فيه، كأنه قيل: لا بدّ في الإضافة من الدّلالة على

فيه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ من أن له شريكًا وصاحبة وولدًا. ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ مفعول ﴿تَقُولُونَ﴾ أو وصف لمصدر محذوف أي قولًا غير الحق ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تؤمنون بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للحساب والجزاء ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كأسير وأسارى ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ في محل النصب صفة لمصدر ﴿جِئْتُمُونَا﴾ أي مجيئًا مثل ما خلقناكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئات التي وُلدتم عليها في الانفراد ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾ ملكناكم ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ولم تحتملوا منه (نقيرًا) ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ (في استعبادكم) ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بينكم (وصلكم) عن

اختصاص المضاف إليه، فما وجه اختصاص العذاب بالهوان والذلّة، فأجاب عنه بأنه لمّا لم يقصد بالعذاب شيء سوى الهون والحقارة صار العذاب أصيلًا في الهوان متمكّنًا فيه، فأُضيف إليه فأفاد هذا المعنى.

قوله: (نقيرًا) النّقير النّقرة في ظهر النّواة، ويكنى به عن الشيء الحقير. **قوله:** (في أستعبادكم) تفسير فيكم، كأنه على حذف المضاف، ولم يجعل المضاف المقدّر عبادتكم؛ لأن جعلهم شركاء في العبادة كان على الحقيقة لا الزعم، وإنما المزعوم كونهم شركاء في اتّخاذهم عبيدًا، لأنهم لمّا سمّوها آلهة وعبدوها كان ذلك زعمًا منهم أنها اتّخذتهم عبيدًا كما الله اتّخذهم عبيدًا. **قوله:** (وصلكم) على قراءة مَنْ قرأ بينكم بالرفع، وهم ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر، فإنهم جعلوا بين اسمًا غير ظرف، وجعلوه لفظًا مشتركًا اشتراكًا لفظيًّا يستعمل للوصل والفراق؛ كالجون للأسود والأبيض، فيُعرب على حسب استدعاء العامل، وقيل في وجه قراءة الرفع أن بين ظرف، إلّا أنه اتّسع في هذا الظرف حيث جعل مسندًا إليه، كما قيل: فويلٌ خلفكم وأمامكم فصار كسائر الأسماء للتصرّف فيها على حسب استدعاء العامل، ويدلّ عليه قوله

(الزجاج) والبين: الوصل والهجر قال:

فوالله (لولا البين) لم يكن الهوى ولولا الهوى (ما حنّ للبين) آلف

(﴿بَيْنَكُمْ﴾ مدنيّ وعلي وحفص) أي وقع التقطع بينكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ وضاع وبطل ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (أنها شفعاؤكم عند الله).

تعالى: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٥]، فاستُعْمِل مجرورًا بمِنْ، وقوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: الآية ٧٨]، وقوله: ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ [الكهف: الآية ٦١]، وقوله تعالى: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦] جعل بين في هذه المواضع مضافًا إليه متصرّفًا فيه، ولو كان لازم الظرفية لما جاز استعماله إلّا منصوبًا.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين، وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم، وله كتاب الأمالي، وكتاب ما فسّر مِنْ جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان وغير ذلك، وأخذ الأدب عن المبرّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثمّ تركه واشتغل بالأدب فنُسِب إليه. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّة عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (لولا البَيْن) أي الوصل. **قوله:** (ما حَنّ للبَيْن) أي لأجل الفراق آلِف، ومُحبّ. **قوله:** (﴿بَيْنَكُمْ﴾) بنصب النون (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وعلي**) الكسائي. (**وحفص**) بأن يكون تقطع مسندًا إلى ضمير مصدره : لأن تقطع لا بدّ له من فاعل، وبينكم ظرف وليس بفاعل، ففاعله التقطع، والتقدير تقطع التقطع إلّا أنه لا بدّ أن يؤوّل الكلام بأن يجعل تقطع بمعنى وقع؛ لأنه لو أبقى قولنا: تقطع التقطع على أصل معناه حصل الوصل، وهو ضدّ المقصود، فكان معنى الكلام وقع التقطّع بينكم، كما يقال: جمع بين الشيئين بمعنى جمع الجمع بين الشيئين، أي أوقع الجمع بينهما. **قوله:** (**أنها شفعاؤكم عند الله**) ساد مسدّ مفعولي تزعمون، فإنّ ما في قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ﴾ سواء كانت موصولة أو موصوفة لا بدّ أن تشتمل الجملة الواقعة بعدها على ضمير يعود إليها، وأن تزعمون لا بدّ له من مفعولين، فقدّر الجميع في هذا القول.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالنبات والشجر أي فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة، والفلق: الشق، وعن **(مجاهد)**: أراد الشقّين اللذين في النواة والحنطة ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ النبات **(الغضّ)** النامي من الحب اليابس ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ الحب اليابس من النبات النامي، أو الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، فاحتجّ الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لأنهم أنكروا البعث فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياء فهو يقدر على بعثهم. وإنما قال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ بلفظ اسم الفاعل لأنه معطوف على فالق الحب لا على الفعل و﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ موقعه موقع الجملة المبينة لقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان دليله قوله: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: الآية ١٩]. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي تحقّ له الربوبية لا الأصنام ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره بعد وضوح الأمر بما ذكرنا.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ هو مصدر سُمِيَ به الصبح **(أي شاقّ عمود الصبح)** عن سواد

قوله: (مجاهد) بن جَبْر تابعيّ ﷺ. **قوله: (الغضّ)** أي الطري، كما في لسان العرب.

قوله: (أي شاق عمود الصبح)... الخ. عمود الصبح: ضوء المشبّه به، وهذا جواب عمّا يقال: ما معنى فلق الصبح؟ والظلمة هي التي تفلق عنه، وحاصله أن الصبح صبحان: صادقٌ وكاذب، تعقبه ظلمة، فإن أُريد الأوّل فالمراد فالقه عن بياض النهار، أو في الكلام مضاف مقدّر، أي فالق ظلمة الإصباح. وإن أُريد الثاني، فالمراد فالقه عن ظلمة آخر اللّيل التي تعقبه وشاقة منه. اهـ شهاب باختصار. وقال العلّامة الشيخ زاده رحمه الله: فإن قيل: ظاهر الآية يدلّ على أنه تعالى فلق الصبح، وليس الأمر كذلك، فإنّ الحقّ تعالى فَلَق الظلمة بالصبح، فكيف

الليل أو خالق نور النهار «وجاعِلُ اللَّيلِ» (﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾ كوفي) لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي، فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه ﴿جَعَلَ﴾ لتوافقهما معنى ﴿سَكَنًا﴾ مسكونًا فيه من قوله: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: الآية ٦٧] أي ليسكن فيه الخلق عن (كدّ المعيشة) إلى نوم الغفلة، أو عن وحشة الخلق إلى الأنس بالحق ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ انتصبا بإضمار فعل يدلّ عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر ﴿حُسۡبَانٗا﴾ أي جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما. (والحُسبان) بالضم

الوجه فيه؟ فالجواب الأوّل: أنه تعالى كما يشقّ الظلمة الخالصة الواقعة في الليل ويخرج منها عمود الصبح، وهو صبح المستطيل الذي شبّهه العرب بذنب[1] السّرحان[2]، ويعقبه ظلمة خالصة، كذلك يشقّ ذلك العمود ويخرج منه الظلمة الخالصة، ويخرج منه أيضًا بياض النهار وإسفاره، فإنّ الصبح والصباح والإصباح عبارات عن أوّل ما يبدو من النهار، وأوّل ما يبدو منه صبحان؛ فالصبح الأوّل هو الصبح المستطيل الذي يعقبه الظلمة الخالصة، ثم يطلع بعده الصبح المستطيل في جميع الأُفق، فيصح أن يقال: إنه تعالى فالق الإصباح الأوّل عن ظلمة آخر اللّيل، وفالق الظلمة عن بياض النهار أيضًا. والجواب الثاني: أنّ المراد فالق ظلمة الإصباح على حذف المضاف، والمراد بظلمة الإصباح الغبش الذي يلي الإصباح المستطيل ويعقبه. والغبش ـ بالتحريك ـ البقيّة من الليل، ويقال: إنه ظلمة آخر اللّيل.

قوله: (﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾) بفتح العين واللام من غير ألف فعلًا ماضيًا، واللّيل بالنصب مفعول به (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي. والباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض الليل بالإضافة.

قوله: (**كدّ المعيشة**) الكَدّ الشّدّة في العمل وطلب الكسب، وبابه رد وكدّه أتعبه، فهو لازم ومتعدّ. اهـ مختار الصّحاح. **قوله:** (**والحُسبان**) بالضمّ بمعنى

---

(١) بالتحريك واحد الأذناب. اهـ قاموس. وفي المصباح: ذنب الفرس والطائر وغيره، جمعه أذناب مثل سبب وأسباب. اهـ. وأيضًا فيه: وذنب السوط طرفه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بالكسر الذئب. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(مصدر حسب كما أن الحِسبان بالكسر مصدر حسب يحسب) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى جعلهما حسبانًا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي قهرهما وسخرهما ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبيرهما وتدويرهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ خلقها ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي في ظلمات الليل بالبر وبالبحر، وأضافها إليهما لملابستها لهما **(أو شبّه مشتبهات الطرق بالظلمات)** ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قد بينا الآيات الدالّة على التوحيد لقوم يعلمون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هـــي آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ **(فمستقِرّ)** بالكسر: **(مكيّ وبصريّ)**. فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله، ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها، أو فمنكم مستقِر ومنكم مستودع ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ **(وإنما قيل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ثم ﴿يَفْقَهُونَ﴾ هنا)** لأن الدلالة ثَمَّ أظهر وهنا أدق، لأن إنشاء الإنس من نفس

الحساب **(مصدر حسب)** يحسب من باب نصر، **(كما أن الحسبان بالكسر)** بمعنى الظنّ والتَّخمين **(مصدر حسب يحسب)** من باب عَلِم، فالماضي من الأوّل بالفتح، ومن الثاني بالكسر.

قوله: (أو شبّه مشتبهات الطرق بالظلمات) أي استعارة تصريحيّة تحقيقيّة، وعلى الأوّل المجاز في الإضافة. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (فمستقِرّ) بكسر القاف اسم فاعل **(مكّي)** أي ابن كثير المكّيّ **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصريّ، وكذا يعقوب البصريّ برواية رَوْح. والباقون بفتحها. **قوله:** (﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾) أي بيّنّاها على وجه انفصل بعضها عن بعض. **قوله:** (وإنما **قيل:** ﴿يَعْلَمُونَ﴾ **ثم** و﴿يَفْقَهُونَ﴾ **هنا**) . . . الخ. يعني أن الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفيّ، وأصل تركيب الفقه يدلّ على الشقّ والفتح، والفقيه العالم

واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ **(من السحاب)** مطرًا ﴿(فَأَخْرَجْنَا) بِهِۦ﴾ بالماء

الذي يشقّ الأحكام ويفتّش عن حقائقها ويفتح ما استُغلق منها. رُوِي أنّ سلمان نزل على نبطيّة بالعراق، فقال: هٰهنا مكان نظيف أصلّي فيه، فقالت: طهّر قلبك وصلِّ حيث شئت، فقال: فقهت وفَطِنْتِ للحقّ، أي نظرت نظرًا دقيقًا، فظهر أن الفقه إنما يُطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر، وسُمِّي علم الشريعة فقهًا لأنه عِلْمٌ مُستنبط بالقوانين والأدلّة والأقْيِسة والأنظار الدّقيقة فيها، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ إشارة إلى آيات الآفاق، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إشارة إلى آيات الأنفس، ولا شكّ أن آيات الآفاق أظهر وأجلّ، وآيات الأنفس أدقّ وأخفى؛ فكان ذكر الفقه لها أنسب وأوْلى، كما أنّ نفس بني آدم أدقّ صنعًا وأجمع لآثار القدرة ودلائلها، فكذا الاستدلال بها على وجود الصانع وكمال قدرته أدقّ وأخفى.

قوله: (من السحاب) سمّى السحاب سماء؛ لأن العرب تسمّي كل ما فوقك سماء، فتقول لسقف البيت: سماء البيت، وقال أبو عليّ الجبائيّ في تفسيره: إنّ الله تعالى يخلق المطر في السماء ثم يُنزله من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض؛ قال: لأن ظاهر النصّ يقتضي نزول المطر من السماء والعدول عن الظاهر إلى التأويل، إنما يحتاج إليه عند قيام الدّليل على أنّ إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن، وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره. **قوله:** (﴿فَأَخْرَجْنَا﴾) على تلوين الخطاب، أي تغييره إلى لون آخر حيث التفت من طريق المغايبة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ إلى الإخبار عن نفسه بنون العظمة، وهي ليست نون الجمع، حتى يقال: المخرج هو الله تعالى وحده لا شريك له فيه، فما وجه إيراد لفظ الجمع في

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (نبت كل صنف من أصناف النامي) أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات (﴿خَضِرًا﴾) أي شيئًا غضًا أخضر. يقال: أخضر وخضر (وهو ما تشعّب من أصل النبات الخارج من الحبة) ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ وهو السنبل الذي تراكب حبّه ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ هو رفع بالابتداء ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبره و(﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدل منه) كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو (العذق) نظيره «صنو» و«صنوان». ﴿دَانِيَةٌ﴾ من المجتبي لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها، وفيه اكتفاء أي وغير دانية لطولها (كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾) [النحل: الآية ٨٢] ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي وأخرجنا به جنّات ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي مع النخل وكذا ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ (﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بالرفع: الأعشى) أي وثم جنات من أعناب أي مع النخل ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ يقال: اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرًا وتقديره: والزيتون

قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾؟ فإنّ الملك العظيم يعبّر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيمًا له. **قوله:** (نبت كل صنف من أصناف النامي) النّبت والنبات ما يخرج من الأرض من النّاميات سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم، والمعنى: أخرجنا نبات كل صنف كنبات الحنطة والشعير والرمّان والتفاح وغيرها. قال الفرّاء: قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يقتضي أن يكون كل شيء نبات، وليس الأمر كذلك؛ فالمراد فأخرجنا به نبات كل شيء له نبات، فما لا يكون له نبات لا يكون داخلًا في قوله: كل شيء، والمصنّف رحمة الله عليه أفاد ما قاله الفرّاء بقوله: كل صنف من أصناف النامي. **قوله:** (وهو ما تشعّب من أصل النبات الخارج من الحبّة) يعني أغصان الشجر وشعب النجم. **قوله:** (﴿مِن طَلْعِهَا﴾) الطّلع أوّل ما يُرى من عذق النّخلة، والواحدة طلعة. **قوله:** (بدل منه) بدل بعض من كلّ. **قوله:** (العذق) بالكسر، ويقال له الكباسة أيضًا، وهو التمر بمنزلة العنقود للعنب. **قوله:** (كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨١])، ولم يقل: وسرابيل تقيكم البرد؛ لأن ذكر أحد الضدّين يدلّ على الثاني، فكذا هٰهنا. **قوله:** (﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بالرفع) والخبر محذوف، أي ثَمّ (الأعْشى) أي أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى عن أبي بكر بن عياش عن عاصم رحمه الله.

متشابهًا وغير متشابه، والرمان كذلك يعني بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ إذا أخرج (ثمره) كيف يخرجه ضعيفًا لا ينتفع به ﴿وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ ونضجه أي انظروا إلى حال نضجه كيف يعود شيئًا جامعًا لمنافع، نظر اعتبار واستدلال على قدرة مُقدِّره ومدَبِّره وناقله من حال إلى حال ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾ (وكذا ما بعده): حمزة وعلي (جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال: ثمرة وثمر وثمار وثمر).

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ (إن جعلت ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ مفعولي ﴿وَجَعَلُواْ﴾ كان ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ بدلًا من ﴿شُرَكَآءَ﴾) وإلا كان ﴿شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ مفعولين قدم ثانيهما على الأول، وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكًا أو جنيًا أو غير

قوله: (ثمره) بضم الثاء والميم، (وكذا ما بعده) أي موضع هذه السورة حمزة وعليّ الكسائي (جمع ثمار، فهو جمع الجمع، يقال: ثمرة وثمر وثمار وثُمُر). وفي الإتحاف: بضم الثاء والميم جمع ثمرة كخشبة وخشب. اهـ. وفي المصباح: الثَّمَر ـ بفتحتين ـ والثمرة مثله، فالأول مذكّر ويُجمع على ثمار مثل جبل وجبال، ثم يجمع الثمار على ثمر، ومثل كتاب وكتب، ثم يُجمع على أثمار مثل عنق وأعناق. والثاني مؤنّث والجمع ثمرات مثل قصبة وقصبات. اهـ. وفي مختار الصّحاح: الثّمرة واحدة الثمر والثمرات وجمع الثَّمَر ثمار كجبل وجبال، وجمع الثمار ثُمُر مثل كتاب وكتب، وجمع الثمر أثمار مثل عنق وأعناق. اهـ. والباقون بفتحهما اسم جنس كشجر وشجرة وبقر وبقرة وحرز وحرزة. اهـ إتحاف وغيره. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضمّ الثاء وسكون الميم بتخفيف ميم ثمر، كقولهم: رسل ورسل. والباقون بفتح الثاء والميم على أنه جمع ثمرة، نحو بقر وبقرة، وشجر وشجرة. اهـ.

قوله: (إن ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ مفعولي ﴿وَجَعَلُواْ﴾ كان ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ بدلًا من ﴿شُرَكَآءَ﴾) على أن يكون شركاء مفعولًا أوّلًا، ولله متعلّقًا بمحذوف وهو المفعول الثاني، والجنّ بدل من شركاء مفسّر له، فإنّ البدل قد يُقصد به تفسير المبدل منه، فإن

ذلك، والمعنى أنهم أطاعوا الجن فيما (سوّلت) لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكًا لخالقه؟ والجملة حال، أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره؟ ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ أي (اختلقوا) يقال: خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى، أو هو من خرق الثوب إذا شقّه أي اشتقّوا له ﴿بَنِينَ﴾ كقول أهل الكتابين في المسيح وعزير ﴿وَبَنَاتٍ﴾ كقول بعض العرب في الملائكة. (﴿وَخَرَّقُوا﴾ **بالتشديد**) للتكثير: (مدني) لقوله: ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميًا بقول عن جهالة، وهو حال من فاعل ﴿وَالْأَرْضَ﴾ أي جاهلين بما قالوا ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الشريك والولد.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقال بدُع الشيء فهو بديع وهو من إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعلها (**يعني بديع سمٰواته**) وأرضه، أو هو بمعنى المبدع أي مبدعها (**وهو خبر مبتدأ محذوف**) أو مبتدأ وخبره ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ أو هو فاعل ﴿وَتَعَالَى﴾ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلا من

قلت: كيف يجوز أن يكون الجنّ بدلًا من شركاء وشرط البدل أن يصح حلوله محلّ المبدلِ منه، ولا يصح ذلك هنا، فإنه لا يصح أن يقال: وجعلوا لله الجنّ؟

والجواب: لا نسلم أنه يجب في كل بدل أن يصحّ حلوله محل المبدل منه، ألا ترى أنه يصح أن يقال: زيد مررت به أبي عبد الله، ولو قلت: زيد مررت بأبي عبد الله لم يجز لعدم العائد إلى المبتدأ. **قوله:** (سوّلت) أي زيّنت. **قوله:** (**اختلقوا**) بمعنى كذبوا. **قوله:** (﴿وَخَرَّقُوا﴾ **بالتشديد**) أي بتشديد الراء للتكثير (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. والباقون بالتخفيف.

قوله: (**يعني بديع سمٰواته**) أي مكوّنه من غير سبق مثال، كما يقال: فلان بديع الشّعر أي بديع شعره، والإبداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مثال.
قوله: (وهو) أي بديع (**خبر مبتدأ محذوف**) أي هو بديع.

صاحبة ولا صاحبة له، ولأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسمًا حتى يكون له ولد ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي ما من شيء إلا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيًا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ (وما بعده أخبار) مترادفة وهي ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة أي من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه (ولا تعبدوا من دونه) من بعض خلقه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال (رقيب) على الأعمال.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣)﴾

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم. و(تشبث) المعتزلة بهذه الآية (لا يستتب) لأن المنفي هو الإدراك لا الرؤية، والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده، وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته، فنزل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم، ونفي الإحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به فهكذا هذا، على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفي إدراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لأن كل ما يرى لا يدرك، وإنما التمدح بنفي الإدراك مع تحقق الرؤية إذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات، فكانت الآية حجة لنا عليهم. ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا

قوله: (وما بعده أخبار)؛ لأن الله تعالى علم لا يجوز أن يقع صفة لاسم الإشارة. **قوله:** (ولا تعبدوا من دونه) لانتفاء ما يستحقّ به العبادة من الصّفات التي جُعلت مناط الاستحقاق. **قوله:** (رقيب) أي حافظ.

قوله: (تشبّث) أي تعلّق. **قوله:** (لا يستتبّ) أي لا يستقيم.

(التفصي) عن عهدتها، ومَن ينفي الرؤية يلزمه نفي أنه معلوم موجود وإلا فكما يعلم موجودًا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئي، وهذا لأن الرؤية تحقق الشيء بالبصر كما هو، فإن كان المرئي في الجهة يرى فيها وإن كان لا في الجهة يرى لا فيها ﴿وَهُوَ﴾ للطف إدراكه ﴿يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ أي العالم بدقائق الأمور ومشكلاتها ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ العليم بظواهر الأشياء وخفياتها **(وهو من قبيل اللفّ والنشر)**.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ البصيرة نور القلب الذي به يستبصر القلب كما أن البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق وآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر وإياها نفع ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنه وضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ فعلى نفسه عمى وإياها ضرّ **(بالعمى)** ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر **(والله هو الحفيظ)** عليكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الكاف في ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في موضع نصب صفة المصدر المحذوف أي نصرف الآيات تصريفًا مثل ما تلونا عليك **(﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ جوابه محذوف أي ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ نصرفها)** ومعنى ﴿دَرَسْتَ﴾ قرأت كتب أهل

قوله: (التفصّي) أي الخروج. **قوله: (وهو من قبيل اللفّ والنشر)**، فإنّ اللطيف يُناسِبُ كونه غير مُدرَك ـ بالفتح ـ والخبير يناسب كونه مدرِكًا ـ بالكسر ـ.

قوله: (بالعَمى) بفتحتين. **قوله: (والله هو الحفيظ)** يعني أن تقديم الضمير وإيلائه حرف النفي للحصر، وإنْ كان الخبر صفة لا فعلًا، أي الحفيظ غيري، وهو الله لا أنا. وأمّا تقديم عليكم، فللاهتمام ورعاية الفاصلة فيمن يجوز تقديم الظّرف المعمول لما بعد حرف جرّ المزيد، وإلّا فبمحذوف. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ جوابه محذوف، أي ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ نصرفها) مراده بالجواب المتعلّق. قال المعرب: سمّاه جوابًا لأنه يقع جوابًا للسّائل الذي يقول:

الكتاب. («دارست» مكيّ وأبو عمرو أي دارست أهل الكتاب. ﴿دَرَسَتَ﴾ شاميّ أي قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا: أساطير الأولين) ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ أي القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلومًا أو الآيات لأنها في معنى القرآن. (قيل: اللام الثانية حقيقة، والأولى لام العاقبة والصيرورة) أي لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا

أين متعلّق هذا الجار؟ وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: **قوله**: (جوابه محذوف) أي معلّله تشبّهًا له بجواب الشرط الذي هو مسبّب، والشرط سبب، وقدّر المحذوف متأخرًا للاختصاص المناسب للمقام. **قوله**: (دارست) بألف بعد الدال وسكون السّين وفتح التاء على وزن قاتلت (مكّيّ) أي ابن كثير (وأبو عمرو، أي دارست أهل الكتاب ﴿دَرَسَتَ﴾) بغير ألف وفتح السين وسكون التاء بزنَة ضربت (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (أي قدَمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الأوّلين). والباقون بغير ألف وسكون السين وفتح التاء، أي حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأوّلين.

قوله: (قيل: اللام الثانية حقيقة، والأولى لام العاقبة والصيرورة)... الخ. في مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير: اعلم أنه تعالى قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ ثم ذكر الوجه الذي لأجله صرف هذه الآيات، وهو أمران: أحدهما قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾، والثاني قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. أمّا هذا الوجه الثاني، فلا إشكال فيه؛ لأنه تعالى بيّن أنّ الحكمة في هذا التصريف أن يظهر منه البيان والفهم والعلم، وإنّما الكلام في الوجه الأوّل، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾؛ لأن قولهم للرسول: دارست كفرٌ منهم بالقرآن والرسول، وعند هذا الكلام عاد بحث مسألة الجبر والقدر. فأمّا أصحابنا، فإنهم أجروا الكلام على ظاهره، فقالوا: معناه أنّا ذكرنا هذه الدّلائل حالًا بعد حال، ليقول بعضهم دارست فيزداد كفرًا على كفر، وتثبيتًا لبعضهم فيزداد إيمانًا على إيمان، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]. وأمّا المعتزلة، فقد تحيّروا. قال الجبائيّ والقاضي: وليس فيه إلّا أحد وجهين: الأوّل أن يحمل هذا الإثبات على النفي والتقدير: وكذلك نصرّف الآيات لئلّا يقولوا درست، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن

درست وهو كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: الآية ٨] وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ليصير لهم قرّة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة، فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبّه به. وقيل: ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الحق من الباطل.

تَضِلُّواْ﴾ [النّساء: الآية ١٧٦]، ومعناه: لئلّا تضلّوا. والثاني: أن تحمل هذه اللام على لام العاقبة، والتقدير: أنّ عاقبة أمرهم عند تصريفنا هذه الآيات أن يقولوا هذا القول مستندين إلى اختيارهم عادلين عمّا يلزم من النظر في هذه الدّلائل. هذا غاية كلام القوم في هذا الباب، ولقائلٍ أن يقول:

أمّا الجواب الأوّل، فضعيف من وجهين: الأوّل أنّ حمل الإثبات على النفي تحريف لكلام الله وتغيير له، وفتح هذا الباب يوجب أن لا يبقى وثوق لا بنفيه ولا بإثباته، وذلك يُخرجه عن كونه حجّة، وأنه باطل. والثاني: أن بتقدير أن يجوز هذا النّوع من التصرّف في الجملة، إلّا أنه غير لائق البتّة بهذا الموضع؛ وذلك لأن النبيّ ﷺ كان يظهر آيات القرآن نجمًا نجمًا، والكفار كانوا يقولون: إنّ محمدًا يضمّ هذه الآيات بعضها إلى بعض ويتفكّر فيها ويُصلحها آية فآية ثم يُظهرها، ولو كان هذا بوحي نازل إليه من السماء، فلِمَ لَمْ يَأْتِ بهذا القرآن دفعة واحدة؟ كما أن موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام أتى بالتوراة دفعةً واحدةً؟! إذا عرفت هذا، فنقول: إنّ تصريف هذه الآيات حالًا فحالًا هي التي أوقعت الشبهة للقوم في أنّ محمّدًا ﷺ إنما يأتي بهذا القرآن على سبيل المدارسة مع التفكّر والمذاكرة مع أقوام آخرين. وعلى ما يقول الجبائي والقاضي، فإنه يقتضي أن يكون تصريف هٰذه الآيات حالًا بعد حالٍ يوجب أن يمتنعوا من القول بأنّ محمّدًا عليه الصّلاة والسّلام إنما أتى بهذا القرآن على سبيل المدارسة والمُذاكرة، فثبت أنّ الجواب الذي ذكره إنما يصحّ لو جعلنا تصريف الآيات علّة لأنْ يمتنعوا من ذلك القول، مع أنّا بيّنّا أن تصريف الآيات هو المُوجِب لذلك القول، فسقط هذا الكلام.

وأمّا الجواب الثاني، وهو حمل اللام على لام العاقبة، فهو أيضًا بعيد؛ لأن حمل هذه اللام على لام العاقبة مجاز، وحمله على لام العرض حقيقة، والحقيقة

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ ولا تتبع أهواءهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ اعتراض **(أكد به إيجاب اتباع الوحي)** لا محل له من الإعراب **(أو حال** ﴿مِن رَّبِّكَۖ﴾**)** مؤكدة ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ في الحال إلى أن يرد الأمر بالقتال ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي إيمانهم فالمفعول محذوف ﴿مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾ بيّن أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فأشركوا بمشيئته ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ﴾ مراعيًا لأعمالهم مأخوذًا بإجرامهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ بمسلط.

أقوى من المجاز؛ فلو قلنا: اللام في قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ لام العاقبة، وفي قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ للحقيقة، فقد حصل تقديم المجاز على الحقيقة في الذِّكر، وأنه لا يجوز فثبت بما ذكرنا ضعف هذين الجوابين، وأنّ الحقّ ما ذكرنا أنّ المراد منه عين المذكور في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦]، وممّا يؤكد هذا التأويل قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، يعني: أنا ما بيّناه إلّا لهؤلاء، فأمّا الذين لا يعلمون فما بيّنا هذه الآيات لهم، ولما دلّ هذا على أنه تعالى ما جعله بيانًا إلّا للمؤمنين ثبت أنه جعله ضلالًا للكافرين، وذلك ما قلنا، والله أعلم. اهـ.

قوله: (أكّد به إيجاب اتباع الوحي)؛ لأن مَنْ هذا وصفه يجب اتّباعه. **قوله: (أو حال** ﴿مِن رَّبِّكَۖ﴾**)** مؤكّدة على تجويزها بعد الجملة الفعلية. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ. قسم ابن مالك في التسهيل الحال المؤكّدة إلى مؤكّدة لعاملها، نحو ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ [النَّمل: الآية ١٠] ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠] وغيرها. ومؤكّدة لغيره في بيان فخر أو يقين أو تعظيم أو نحوه، ويجب أن يتقدّم عليها جملة اسمية ويحذف عاملها وجوبًا، فمن قال: وكونها واقعة بعد الجملة الاسميّة شرط لوجوب حذف عاملها لا لصحتها؛ كقوله: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠]، فقد خلط بين الحال وقسميها. اهـ شيخ زاده وشهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

وكان المسلمون يسبّون آلهتهم فنهوا عنه لئلا يكون سبّهم سببًا لسبّ الله بقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ منصوب على جواب النهي ﴿عَدْوًا﴾ ظلمًا وعدوانًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من أُمم الكفار ﴿عَمَلَهُمْ﴾ وهو كقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: الآية ٨] **(وهو حجة لنا في الأصلح)** ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ مصيرهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه.

قوله: (وهو حجّة لنا في الأصلح) في ضوء المعاني شرح بدء الأمالي للعلامة العمدة الفهّامة عليّ القاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وما إنْ فعل أصلح ذو افتراض على الهادي المقدّس ذي التعالي)

ما نافية، وكذا إن وجمع بينهما تأكيدًا، وتزن البيت بنقل حركة همزة أصلح إلى ما قبله من تنوين فعل المرفوع على أنه اسم ما، وأصلح صفته. وقوله: ذا افتراض بالنصب خبرها على اللغة الفصحى؛ كقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: الآية ٣١]، وقوله: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: الآية ٢]. وفي أكثر النسخ: ذو افتراض بالرفع، فيُحمل على اللغة الأخرى. والحاصل أنّ مذهب أهل السنّة أنّ الأصلح للعبد ليس بواجب على الله تعالى، وجمهور المعتزلة على أنه واجب، وذهب بعضهم إلى وجوب رعاية المصلحة لا وجوب الأصلح، وردّ كلامهم أوّلًا بأن الألوهيّة تنافي الوجوب المختصّ بالعبوديّة لا يسأل عمّا يَفعل. وثانيًا بأنّ الأصلح بحسب الظاهر أن يهدي الخلق جميعًا، وقد قال سبحانه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [النحل: الآية ٩٣] مع قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: الآية ٩]، فما أراد باختلاف العباد إلّا إظهار عدله وإيثار فضله، وأيضًا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٨]، مع أنّ الإملاء لزيادة الإثم ليس بصلاح عند العُقلاء، فللّه الحجّة البالغة والحكم السابقة.اهـ. وقال العلّامة الإمام رضيّ الدين أبو القاسم بن الحسين في شرح بدء الأمالي: واعلم أنّ

....

الفعل الأصلح ليس بواجب على الله تعالى للعباد؛ لأنه مالك المُلك يتصرّف في ملكه كيف يشاء. وقالت المُعتزلة: الأصلح واجب على الله تعالى حتى لو لم يفعل يصير ظالمًا وجائرًا. قلنا: حاشا لله أن يُوصف بالظلم والجور، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السَّجدَة: الآية ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يُونس: الآية ٩٩]؛ فعلم أنّ الأُلوهيّة تنافي الوجوب عليه، بل له أن يفعل بالعباد ما يشاء إلّا أنه خصّ البعض بالإيمان فضلًا، وخصّ البعض بالكفر عدلًا؛ ولأنه لو كان الأصلح واجبًا على الله تعالى لأعطى الإيمان لِمَنْ في الأرض كلّه، والأمر بخلافه؛ فعلم أنه ليس بواجب على الله تعالى، والله أعلم بالصواب. اهـ. وفي جوهرة التوحيد:

وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور ما عليه واجب
ألم يروا إيلامَه الأطفال وشبهها فحاذِر المحال

قوله: وشبهها أي كالدوابّ والعَجَزة، فإنهم لا نفع لهم في إنزال الأسقام بهم، وقوله: فحاذِرْ المحالا ـ بكسر الميم ـ بمعنى العقاب. قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرّعد: الآية ١٣]، ويصح قراءته بفتح الميم بمعنى الشكّ، وبالضمّ بمعنى الممتنع؛ فالمعنى على الأوّل: فاحذر عقاب الله النازل بهم على إضلالهم. وعلى الثاني: فاحذر الشكّ في ذلك. وعلى الثالث: فاحذر الممتنع، وهو وجوب شيء عليه تعالى. اهـ تحفة المريد على جوهرة التَّوحيد. وأيضًا فيها: واعلم أنّ للمعتزلة عبارتين: الأُولى وجوب الصّلاح، والمراد به ما قابل الفساد؛ كالإيمان في مقابلة الكفر، فيقولون: إذا كان هنا أمران: أحدهما صلاح والآخر فساد، وجب على الله أن يفعل الصلاح منهما دون الفساد، والثانية وجوب الأصلح، والمراد به ما قابل الصلاح ككونه في أعلى الجِنان في مقابلة كونه في أسفله، فيقولون: إذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح منه وجب على الله أن يفعل الأصلح منهما دون الصلاح، والمصنّف تكلّم في إبطال مذهبهم على الأُولى دون الثانية؛ لأن الصلاح أعمّ من الأصلح، وإذا بطل الأعمّ بَطُل الأخصّ، وفي كلام المصنّف

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ جهد مصدر وقع موقع الحال أي جاهدين في الإتيان بأوكد الأيمان ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ وهو قادر عليها لا عندي فكيف آتيكم بها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يدريكم ﴿أَنَّهَا﴾ أن الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك، وكان المؤمنون يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى: وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى إنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون («إنها» بالكسر: مكيّ وبصريّ وأبو بكر) على أن الكلام تم قبله أي وُما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: إنها إذا جاءت (لا يؤمنون) البتة. ومنهم مَن جعل «لا» مزيدة في قراءة الفتح كقوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٥] «لا تؤْمِنونَ» (شاميّ وحمزة).

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن قبول الحق ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عن رؤية الحق عند نزول الآية التي اقترحوها فلا يؤمنون بها. قيل: هو عطف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ داخل

إجمال في نسبة القول بذلك إليهم لعدم تعلّق غرضه بمذهبهم، وإنما غرضه الردّ عليهم، والحاصل أنهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى، ثم اختلفوا؛ فذهب معتزلة بغداد إلى أنه يجب على الله تعالى مُراعاة الصلاح والأصلح لهم في الدِّين والدُّنيا، وذهب معتزلة البصرة إلى أنه يجب عليه تعالى مراعاة الصلاح والأصلح لهم في الدِّين فقط، ثم اختلفوا أيضًا في المراد بالأصلح؛ فعند البغداديّة أوْفق في الحكمة والتدبير، وعند البصريّة الأنفع.اهـ.

قوله: (إنها ـ بالكسر ـ مكيّ) أي ابن كثير المكّي، (وبصريّ) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصريّ، وليس من السبعة. (وأبو بكر) بخلف عنه عن عاصم ﷀ. والباقون بالفتح. **قوله:** (لا تؤمنون) بالخطاب (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (وحمزة). وقرأ الباقون بالغيب.

في حكم ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كما كانوا عند نزول آياتنا أولًا لا يؤمنون بها ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قيل: وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم يعمهون ويتحيّرون.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما قالوا: لولا أنزل علينا الملائكة ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما قالوا فأتوا بآبائنا ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا ﴿كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ (كفلاء) بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل (قِبلًا مدنيّ وشاميّ) أي عيانًا وكلاهما نصب على الحال ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أي هؤلاء لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

(﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات

قوله: (كُفلاء) جمع كفيل. **قوله:** (قِبلًا) بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى مقابلة، أي معاينة (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بضمّ القاف والباء جمع قبيل بمعنى كفيل.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾).. الخ. وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه، ولا شكّ أنّ تلك العداوة معصية وكفر؛ فلزما أن يكون خالق الخير والشرّ والمعصية والإيمان والكفر هو الله تعالى لا العبد، فتكون الآية حجّة لنا على المعتزلة، وقالوا في تأويل الآية: المراد بهذا الجعل هو الحكم والبيان، فإنّ الرجل إذا حكم بكفر إنسان قيل: إنه أكفر فلانًا، وإذا أخبر عن

والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾ أو على أنه من المفعول الأول و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثانٍ ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض، وعن (مالك بن دينار): إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن لأني إذا تعوّذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا. وقال ﷺ: «قرناء السوء شر من شياطين الجن» ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ ما زيّنوه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ﴿غُرُورًا﴾ خدعًا وأخذًا على (غرّة) وهو مفعول له ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الإيحاء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم أنه (أجزل) في

عدالته قيل: عدّله، فكذا هٰهنا. إنه تعالى لمّا بيّن للرسول ﷺ كونهم أعداء لهم لا جرم قال: إنه جعلهم أعداء له.

قوله: (مالك بن دينار) أبو يحيىٰ البصري، كان عالمًا زاهدًا كثير الورع قنوعًا لا يأكل إلّا مِنْ كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، ورُوِي عنه أنّه قال: قرأت في التوراة أنّ الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته، وكان يومًا في مجلس وقد قصّ فيه قاصّ فبكى القوم، ثم ما كان بأوشك من أن أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها، فقيل لمالك: كُلْ، فقال: إنما يأكل الرؤوس مَنْ بكى وأنا لم أبكِ، فلم يأكل منها، وله مناقب عديدة وآثاره شهيرة، فمِنْ ذلك ما حكاه أبو القاسم خلف بن بشكوال الأندلسيّ في كتابه الذي سمّاه كتاب المستغيثين بالله تعالى، فإنه قال: بينا مالك بن دينار يومًا جالس إذ جاء رجل، فقال: يا أبا يحيىٰ ادع الله لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كربٍ شديدة، فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلّا أننا أنبياء، ثم قرأ ثم دعا، فقال: اللّهمّ هذه المرأة إنْ كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلامًا، فإنك تمحو ما تشاء وتُثْبت وعندك أُمّ الكتاب، ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم، وجاء رسول إلى الرجل وقال: أدْرِك امرأتك، فذهب الرجل فما حطّ مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلى رقبته غلام جعد قطط ابن أربع سنين قد اسْتَوَتْ أسنانه ما قطع سراره، وكان من كبار السادات. وتوفي في سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة قبل الطاعون بيسير رحمه الله تعالى. **قوله:** (غرّة) بالكسر بمعنى الغفلة. **قوله:** (أجزل) أي أعظم.

الثواب ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ عليك وعلى الله فإن الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ولتميل إلى زخرف القول قلوب الكفار وهي معطوفة على ﴿غُرُورًا﴾ أي ليغروا ولتصغى إليه ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكمًا يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ المعجز ﴿مُفَصَّلًا﴾ حال من الكتاب أي مبينًا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء. ثم (عضد) الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي (عبد الله بن سلام) وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ (مُنَزَّلٌ﴾ شاميّ وحفص) ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه أيها السامع، أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق، ولا يَرِبْكَ جحود أكثرهم وكفرهم به.

قوله: (عَضَد) من باب قتل، أي أيّد. **قوله:** (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيليّ الأنصاري ثم الخزرجيّ الصحابي، كنيته أبو يوسف. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بآخر. توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة.

قوله: (﴿مُنَزَّلٌ﴾) بتشديد الزاي (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وحفص). والباقون بتخفيفها.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ **(أي ما تكلم به. كلمات ربك)** حجازي **(وشاميّ وأبو عمرو)** أي تمّ كل ما أخبر به وأمر ونهي ووعد وأوعد ﴿صِدْقًا﴾ في وعده ووعيده ﴿وَعَدْلًا﴾ في أمره ونهيه. وانتصبا على التمييز أو على الحال ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا أحد يبدل شيئًا من ذلك ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لإقرار مَن أقرّ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بإصرار مَن أصرّ أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي الكفار لأنهم الأكثرون ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وهو ظنّهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في أن الله حرم عليهم كذا وأحلّ لهم كذا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ أي هو يعلم الكفار والمؤمنين. من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام[١] والخبر ﴿يَضِلُّ﴾ وموضع الجملة نصب بـ «يعلم» المقدر لا بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ **(لأن أفعل لا يعمل في الاسم الظاهر)** النصب ويعمل الجر. وقيل: تقديره أعلم بمن يضلّ بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين.

قوله: (أي ما تكلّم به) يعني أن الكلمة قد يُراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد، كما يقال: قال زُهَيْر في كلمته، أي في قصيدته، فكذلك كلمات الله تعالى كلمة واحدة من حيث إنها كلام الله المنزّل لهداية الخلق. **قوله: (كلمات ربك)** بالألف على الجمع حجازيّ، إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي ابن كثير المكّي ونافع المدنيّ. **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(وأبو عمرو)**. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بغير ألف بين الميم والتاء على التوحيد.

قوله: (لأن أفعل) أي أفعل التفضيل **(لا يعمل في الاسم الظاهر)** إلّا عند الكوفيّين، فإن أفعل يعمل عمل الفعل عندهم، ولا يعمل عند غيرهم لا رفعًا ولا نصبًا لعدم كونه بمعنى الفعل؛ لأنّ الفعل لا يدلّ على التفضيل.

---

(١) لفظها لفظ استفهام ولكنّ معناها (اسم موصول بمعنى الذي).

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ هو مسبب عن إنكار اتباع المضلّين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون الحلال، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم. فقيل للمسلمين: إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم **(أو مات حتف أنفه)**.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾ «ما» استفهام في موضع رفع بالابتداء. و﴿لَكُمْ﴾ الخبر أي وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ بيّن لكم ﴿مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مما لم يحرم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣]، **(«فصّل» و«وحُرِّم» كوفي غير حفص وبفتحهما**

قوله: (أو مات حتف أنفه) في المصباح: الحَتْف الهلاك. قال ابن فارس وتبعه الجوهري: ولا يبنى منه فعل يقال: مات حتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل، زاد الصغاني: ولا غرق ولا حرق. وقال الأزهريّ: لم أسمع للحتف فعلًا، وحكاه ابن القوطيّة فقال: حتفه الله يحتفه حتفًا، أي من باب ضرب إذا أماته، ونَقْل العدل مقبول ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفّس حتى ينقضي رَمَقُه، ولهذا خُصّ الأنف، ومنه يقال للسّمك يموت في الماء ويطفو: مات حَتْف أنفه، وهذه الكلمة تكلّم بها أهل الجاهلية. قال السموأل:

وما مات منّا سيّدٌ حَتْف أنفه

قوله: («فصّل») على بناء الفاعل **(«وحُرِّم»)** على بناء المفعول على وفق قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الأنعام: الآية ٩٧]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣] **(كوفي غير حفص)**، أي حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، **(وبفتحهما)** على بناء الفاعل فيهما، أي فصّل الله ما حرَّم عليكم بإسناد كل واحد من الفعلين إلى ضمير الجلالة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾

مدني وحفص وبضمهما غيرهم) ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ (مما حرّم عليكم) فإنه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة إلى أكله ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ﴾

[الأنعَام: الآية ١١٨] (مدنيّ) أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة، (وحفص) عن عاصم (وبضمّهما) على البناء للمفعول فيهما (غيرهم) أي ابن كثير المكّي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي بناءً على أنّ قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المَائدة: الآية ٣] تفصيل لما أجمل في هذه الآية؛ فلما وجب في التفصيل أن يقال: حرّمت على بناء المفعول وجب ذلك أيضًا في المُجمل، وهو قوله تعالى: ﴿فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وهو مالك الأعيان ومبيِّن الحلال والحرام، وقال الجمهور المفسرون رحمهم الله: المراد بقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ المحرّمات المذكورة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]، وأورد الإمام فخر الدّين الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا إشكالًا، فقال في سورة الأنعام مكّية، وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة، وقوله: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ﴾ يجب أن يكون ذلك المفصّل متقدِّمًا على هذا المجمل والمدنيّ متأخّر عن المكّيّ فيمتنع كونه متقدّمًا، ثم قال: بل الأوْلى أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥]، وهذه الآية وإنْ كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل، إلّا أن هذا القدر من المتأخّر لا يمنع أن يكون هو المراد.

قال كاتبه: ولِمَا ذكره المفسّرون وجه، وهو أنّ الله لمّا علم أنّ سورة المائدة متقدّمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير في قوله: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ إلى ما هو متقدّم في الترتيب، وهو قوله ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المَائدة: الآية ٣] الآية، والله أعلم بمراده. اهـ خازن.

قوله: (مما حرَّم عليكم) بيان لما اضطررتم إشارة إلى أن الاستثناء متّصل، والمستثنى منه ما حرّم على أنّ ما مصدرية بمعنى المدّة، أي وقد فصّل لكم الأشياء التي حرِّمت عليكم في جميع الأوقات إلّا وقت الاضطرار إليها، وما إن جُعلت موصولة تبيّن أن يكون الاستثناء منقطعًا؛ لأن ما اضطرّ إليه حلال، فلا يدخل تحت ما حرّم عليكم، إلا أنّ يقال: المراد بما حرّم جنس ما حرّم مع قطع النظر

(﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ كوفي) ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي يضلّون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلّق بشريعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بالمتجاوزين من الحق إلى الباطل.

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ علانيته وسرّه **(أو الزنا في الحوانيت والصديقة في السر)** أو الشرك الجليّ والخفيّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون في الدنيا (﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾)

عن كونه حلالًا أو محرّمًا، فحينئذ لا يكون الاستثناء منقطعًا؛ لأن ما اضطرّ إليه داخل في ذلك الجنس. **قوله:** (﴿لَّيُضِلُّونَ﴾) بضمّ الياء **(كوفيّ)** أي عاصم وحمزة والكسائيّ وخلف. والباقون بالفتح، يقال: ضلّ في نفسه وأضلّ غيره، فالمفعول محذوف على قراءة الضمّ، أي يضلون بأنفسهم، أو يضلون غيرهم على قراءتي الفتح والضمّ.

قوله: (أو الزّنا في الحوانيت) في لسان العرب: كانت العرب تسمّي بيوت الخمّارين الحوانيت، وأهل العراق يسمّونها المواخير، واحدها حانوت وماخور. أهـ. **(والصديقة)** أي الزّنا بالحبيبة **(في السرّ)**. **قوله:** (﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾). . . الخ. الآية عامّة في جميع المأكولات والمشروبات، فلهذا ذهب عطاء إلى أنّ كل ما لم يُذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب، فهو حرام. وأمّا سائر الفقهاء، فقد أجمعوا على تخصيصه بالحيوان الذي زالت حياته، فهو مُنحصر في ثلاثة أقسام؛ لأن ما زال حياته ولم يُذكر عليه اسم الله إمّا أن لا يكون مذبوحًا، وهو الميتة. وإمّا أن يكون مذبوحًا، ثم إنه لا يخلو من أن يُذكر عليه اسم غير الله أو لا يذكر عليه اسم الله ولا اسم غير الله، ولا خلاف في حرمة القسمين الأوّلين، وإنما الخلاف في القسم الثالث، وهو الحيوان الذي ذبحه أهل الذّبح ولم يُسمّ عليه أصلًا، ففيه ثلاثة أقوال: الأوّل أنه حرام مطلقًا، نظرًا إلى عموم الآية للأقسام الثلاثة. والثاني: أنه حلال مطلقًا، وعليه الإمام الشافعي، فإنه

عند الذبح ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن أكله ﴿لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ ليوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من المشركين ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾ بقولهم: لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما

ذهب إلى حلّ متروك التسمية سواء تركت عمدًا أو خطأ إذا كان الذّابح أهلًا للذّبح، وخصّص الآية بالقسمين الأوّلين، أي الميتة وما ذُبح على غير اسم الله بناءً على أن التسمية على ذكر المؤمن وفي قلبه ما دام مؤمنًا، فلا يتحقّق منه عدم الذِّكر، فلا يحرم مِنْ ذبيحته إلّا ما أُهلّ به لغير الله؛ ولأنه تعالى جعل أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه فسقًا، حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾، وقد أجمع المسلمون على أنه لا يفسق بأكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية؛ إذ لا يفسق المَرْء بفعل ما هو في محلّ الاجتهاد، فدلّ ذلك على أن المراد بما لم يُذكر اسم الله عليه أحد القسمين الأولين، ويدلّ عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾، فإنّ مجادلتهم إنما كانت في مسألتين: مسألة الميتة حيث قالوا للمسلمين: ما يقتله الصقر والكلب تأكلونه، وما يقتله الله فلا تأكلونه. ومسألة ما ذُبح على اسم غير الله من الأصنام، حيث قالوا للمسلمين: لكم إلٰه ولنا آلهة، ونحن نأكل ما تذبحون على اسم إلٰهكم، فلِمَ لا تأكلون ما نذبحه على اسم آلهتنا؟ فلمّا لم تكن مجادلتهم إلّا في القسمين الأوّلين دلّ ذلك على خصوص النهي بهما، ويدلّ عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، وإنما يكفر الإنسان لو أطاع الكفار في إباحة الميتة والمذبوح على اسم الصنم، لا في أكل متروك التسمية. والقول الثالث أنه حرام إنْ تُرِك اسم الله عمدًا، وحلال إنْ تُرِك سهوًا، وإليه ذهب أبو حنيفة، فإنه قال: الآية عامّة للأقسام الثلاثة دالّة على حُرْمتها، إلّا أنّ متروك التسمية بالنسيان خارجٌ عنها لوجهين: أحدهما أنّ الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ يرجع إلى ترك التسمية، وهو أقرب؛ فالأَوْلى رجوع الضمير إليه. ولا شكّ أنّ إهمال التسمية إنما يكون فسقًا إذا كان عمدًا إذا كان الناسي خارج غير مكلّف، فيكون المعنى: ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عمدًا، فيكون التارك الناسي خارجًا عن الآية. وثانيهما أنّه عليه الصّلاة والسّلام سُئِل عن ترك التسمية نسيانًا، فقال: «كلوه، فإنّ تسمية الله تعالى في قلب كلّ مؤمن»، فإنّه عليه الصّلاة والسّلام لم يجعل الناسي تاركًا حيث جعل تسمية الله تعالى في قلب كل مؤمن، ولم يلحق به العامد؛ لأنه لمّا ترك التسمية عامدًا صار كأنه نفى ما في قلبه. اهـ

تذبحون بأيديكم، والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسي ذاكرًا تقديرًا ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال ما حرّمه الله ﴿إِنَّكُمْ

شيخ زاده رحمه الله. وفي تفسيرات الأحمدية: فالحاصل أن النصّ يقتضي حُرْمة متروك التسمية، وقد اختلفت المذاهب في هذا الباب، فقال أبو حنيفة رحمه الله: يُحرم إذا كان عمدًا، ويحلّ إذا كان ناسيًا. وقال أحمد بن حنبل وكذا رُوِي عن داود الطائي أنه يحرم متروك التسمية عمدًا كان أو سهوًا. وقال الشافعي رحمه الله بخلافه، أي: يحلّ متروك التسمية مطلقًا عمدًا كان أو سهوًا؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أي ذكر اسم غير الله عليه، مثلًا اللات والعُزى، أو ماتت حَتْف أنفها؛ وذلك لأن الله تعالى قال في آخر السورة: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، إلى أن قال: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فقد أوقع أهلَّ صفة الفسق وسمّى المذبوح لغير الله ـ أي الأصنام ـ فسقًا في تلك الآية، وقد حصر فيها المحرّمات بكلمة لا وإلّا، وهٰهنا أيضًا قال: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، والواو فيه لا يحسن للعطف للزوم عطف الاسمية على الفعليّة، فيكون للحال، فيكون التقدير: ولا تأكلوا منه حال كونه فسقًا. ومِنَ المعلوم أن الفسق الذي لم يُذكر اسم الله عليه هو الذي ذكر اسم غير الله عليه البتّة، لا أن يترك فيه ذكر اسم الله فقط، سواء ذكر اسم غير الله أو لم يذكر على ما تقرّر من قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فلم يبقَ للآية دِلالة على حُرمه متروك التسمية عمدًا كان أو سهوًا، فيكون حلالًا بمقتضى حصر ﴿قُل لَّا أَجِدُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥] صرّح به في المدارك، ونحن نقول: إنّ ظاهر الآية يقتضي حُرمة متروك التسمية مطلقًا على ما ذهب إليه أحمد رحمه الله، ولكنّا جوّزناه إذا كان ناسيًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، وقوله عليه السّلام: «تسمية الله تعالى في قلب كل مسلم»، فقلنا: إذا كان متروك التسمية عمدًا لا يحلّ، وإذا كان ناسيًا يحلّ لقيام ملّة الإسلام مقام الذِّكر.

والجواب عن دليل الشافعي رحمه الله ما ذُكِر في شرح الوقاية، وهو أنه لا ضرورة في جعل الواو للحال، وحمل معناه على قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥]، بل كما أنه يسمّي ذلك فسقًا يسمّي هذا فسقًا أيضًا،

﴿لَمُشْرِكُونَ﴾ لأن مَن اتبع غيرِ الله في دينه فقد أشرك به، ومن حق المتديّن أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم. ومن أوَّلَ الآية بالميتة

والحصر المذكور في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥] لا يُوجب ذلك؛ لأنّا نقول: إنه إخبار عمّا أُوحيَ إليه من المحرَّمات، وهو قد كان نازلًا قبل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾، فقد أخبر عمّا كان نازلًا في ذلك الزّمان، ثم نزل حُرمة متروك التسمية بعده، فلا يلزم الكذب، هذا حاصل كلامه.

على أنّي أقول: إنّ الحصر ثمّة إضافي بالنسبة إلى ما اعتقدوه من تحريم الشاة الحلال وغيرها كما مرّ؛ لأنه لو كان حقيقيًّا لزم الكذب بحرمة كثير من الأشياء سوى ما ذكر فيه كذي ناب وذي مخلب وغير ذلك، ولعلّه إنما لم يتعرّض لهذا الجواب صاحب شرح الوقاية؛ لأنه حمل الحصر على الحصر الحقيقي بجعل المراد بما أُوحي إليّ ما أوحى إليه في القرآن خاصّة، ولذا اكتفى في نفي الكذب بجعل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾ نازلًا بعده، لكن يجب على هذا التقدير أن يقال: آية المنخنقة والموقوذة إلى آخره أيضًا نازل بعد قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥] لئلّا يلزم الكذب، والأَوْلى أن يقال: إنّ مراده بما أوحى إليّ ما أُوحي في ذلك الزَّمان، ويجعل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾، وآية المنخنقة وحرمة ذي الناب وذي المخلب وغيرها نازلًا بعده؛ فلا إشكال. وبالجملة حاصل المذهب جواز متروك التسمية ناسيًا، ومن هٰهنا زعم الشافعي رحمه الله علينا أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عامّ مخصوص البعض عندكم لتخصيص الناسي، فيكون ظنّيًّا عندكم، فيجوز تخصيصه في حقّ العامد أيضًا بخبر الواحد وهو قوله عليه السلام: «المسلم يذبح على اسم الله سمّى أو لم يسمّ»، وبالقياس على الناسي. وحاصل ما ذكر أهل الأصول في جوابه في بحث العام أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عامّ قطعيّ لم يلحقه خصوص أصلًا؛ لأن تخصيص الناسي ليس بتخصيص، بل هو في معنى الذَّاكر، فلا يجوز تخصيصه بخبر الواحد والقياس هذا لفظهم؛ فلعلّ ما قال صاحب المدارك رحمه الله: أنّ الآية تحرّم متروك التسمية وخصّت حالة النسيان بالحديث محمول على صورة التخصيص لا حقيقة لئلّا يخالف ضابطة الأُصول، هذا هو تحقيق مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى.

وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ وقال: إن الواو في ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ للحال لأن عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون

وأمّا مذهب مالك، فلم نطّلع على ما في كتبه، والمذكور في كتب غيره مُذَبْذب، حيث قال في الهداية وشرح الوقاية: وعند مالك رحمه الله لا يحلّ في النسيان أيضًا، فعُلِم أنه مع أحمد وداود رحمه الله. وذكر في البيضاوي لفظ مالك عطف على الشافعي، حيث قال: وقال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى بخلافه، أي بخلاف أحمد رحمه الله؛ فعُلِم أنه مع الشافعي رحمه الله، حتى يحلّ متروك التسمية عنده مطلقًا، وهكذا ذكر في الحسيني والكشاف. وقال الشيخ العصام: وفي رواية وهو مع أبي حنيفة رحمه الله كما ذكر صاحب الانتصاف، وهو مالكيّ، وعليك بتأمّل ما في كتبه ليحصل اليقين، والله أعلم. اهـ باختصار.

قال كاتبه غفر الله ذنوبه وستر عيوبه في شرح الإمام العالم العلّامة الشيخ الدردير المالكي على مختصر الشيخ خليل: «ووجب» في الذكاة بأنواعها نيّتها، أي قصدها، وإنْ لم يلاحظ حلية الأكل احترزًا عمّا لو ضرب حَيرانًا بآلة فأصاب منحره أو أصابت صيدًا أو قصد مجرّد إزهاق روحه من غير قصد تذكية لم يؤكل، «وتسمية» عند التذكية وعند الإرسال في العقر (إن ذكر) وقَدِر، فلا تجب على ناسٍ ولا أخرس ولا مُكره، فالشرط راجع لتسمية فقط، ومحل اشتراطها إنْ كان المذكّي مُسلمًا. وأمّا النيّة، أي قصد الفعل لتؤكل لا قتلها، أي مجرّد إزهاق روحها، فلا بدّ منها حتى من الكتابي، والمراد بالتسمية ذكر الله من حيث هو لا خصوص بسم الله، ولكنه الأفضل، وكذا زيادة والله أكبر. اهـ بحروفه. وفي شرح العلّامة أبي الحسن المالكي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه «وليقل الذابح عند الذبح بسم الله والله أكبر»، وهذا أعني الجمع بين التسمية والتكبير هو الذي مضى عليه عمل الناس. أمّا التكبير، فسنّة. وأمّا التسمية، فتؤخذ من كلامه بعد، وهو مذهب المدوّنة أنها واجبة مع الذّكر والقدرة ساقطة مع العجز والنسيان، وإن اقتصر عليها أجزأه؛ لقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، فلم يشترط سوى مجرّد اسم الله تعالى، قالوا: ولا يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم، لأنّ هذا ليس موضعه بخلاف الأكل والشرب والوضوء وقراءة القرآن، فإنه يقولها: «وإن زاد الذّابح» على التسمية والتكبير في ذبح الأضحيّة أو

التقدير: ولا تأكلوا منه حال كونه فسقًا والفسق مجمل فبين بقوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلًا لغير الله به فيكون ما

الهدي أو النسك أو العقيقة «ربّنا تقبّل منّا، فلا بأس بذلك»، قيل: استعمل لا بأس هنا بمعنى الاستحباب، وقيل: بمعنى الإباحة. «ومَنْ نسي التسمية في ذبح أُضحية أو غيرها، فإنها تؤكل، وإنْ تعمّد ترك التسمية لم تؤكل»، هذا على مذهب المدونة أنها فرض مع الذِّكر، ساقطة مع النّسيان. «وكذلك مَنْ نَسِي التسمية عند إرسال الجوارح» أو رمي السهم وغيره مما يُصاد به «على الصّيد»، فإنه يؤكل، وإنْ تعمّد ترك التسمية لم يؤكل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٤]. اهـ. وفي حاشية الشيخ العالم العلّامة علي الصعيدي العدوي المالكيّ على شرح أبي الحسن على رسالة ابن أبي زيد القيروانيّ رحمه الله: قوله: على مذهب المدونة ومقابلة ما نقله ابن شعبان عن أشهب أنه أجاز ترك التسمية مع العمد. اهـ. وفي الخازن نقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين فيما إذا ترك التسمية عامدًا، وإن تركها ناسيًا حلّت. اهـ. وفي شرح معونة أُولي النهى للعلامة زين الدين منصور البُهوتي الحنبلي في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه: تسقط التسمية بسهوٍ لا جهل؛ لحديث شدّاد بن أوس مرفوعًا: «ذبيحة المسلم حلال، وإنْ لم يُسمِّ إذا لم يتعمّد» أخرجه سعيد، ولحديث: «عُفِيَ لأُمّتي عن الخطأ والنسيان»، والآية - أي: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ - محمولة على العمد جمعًا بين الأخبار. اهـ. وأيضًا فيه في كتاب الصيد الشّرط «الرابع: قول بسم الله» لا من أخرس «عند إرسال جارحة» وعند (رَمْي) لنحو سهم أو مِعْراض أو نصب، نحو منجل؛ لأن الفعل الموجود من الصائد فاعتبرت التسمية عنده، (كما) تُعتبر «في ذكاته» وتجزىء بغير عربية، ولو ممّن يحسنها صحّحه في الإنصاف، «إلّا أنها لا تسقط هنا» أي في الصيد «سهوًا» لنصوصه الخاصّة ولكثرة الذبيحة، فيكثر فيها السّهو وأيضًا الذبيحة يقع فيها الذّبح في محلّه، فجاز أن يتسامح فيه بخلاف الصيد. اهـ.

وفي كشف المحذّرات ورياض المزهرات شرح أخصر المختصرات لمحمد بن بدر الدّين بن عبد القادر بن بلبان الخزرجيّ القادريّ الحنبليّ في فقه الحنبلي: «وتسقط» التسمية (سهوًا) ولا تسقط هٰهنا جهلًا. اهـ.

سواه حلالًا بالعمومات المحلّة منها قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية. فقد عدل عن ظاهر اللفظ.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ أي كافرًا فهديناه لأن الإيمان حياة القلوب ﴿مَّيْتًا﴾ (مدني) ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ مستضيئًا به والمراد به اليقين ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ أي صفته ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي **(خابط)** فيها ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ لا يفارقها ولا يتخلص منها **(وهو حال)**. قيل: المراد بهما

وأيضًا: «ولا تسقط» التسمية «معها» أي في الصيد «بحال» أي ولو سهوًا بخلاف الذكاة. اهـ.

وفي هداية الراغب لشرح عمدة الطالب لنيل المآرب للإمام العلّامة الشيخ منصور بن يونس البُهوتي الحنبلي في فقه الحنبلي: «فإن تركها» أي التسمية عمدًا أو جهلًا لم تبح الذبيحة، لما تقدّم، أي لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾، «ولا» تحرم إن تركها «سهوًا»؛ لقوله ﷺ: «ذبيحة المسلم حلال، وإن لم يسمّ إذا لم يتعمّد» رواه سعيد، وسقطت التسمية هنا بالسّهو بخلاف ما يأتي في الصيد، مع أن قياس الشرط أن لا يسقط به لكثرة وقوع الذكاة مع غلبة السّهو. اهـ.

وأيضًا فيها: والشرط الرابع (قول) صائد «بسم الله عند إرسال جارحة» أو إرسال سهم «فلا يسقط عمدًا ولا سهوًا» ولا جهلًا فيما يظهر، فلا يُباح ما لم يسمّ عليه مطلقًا؛ لمفهوم قوله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك المعلّم وذكرت اسم الله عليه فكُلْ» متّفق عليه. اهـ. فافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

قوله: («ميتًا») بتشديد الياء مع الكسرة **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. والباقون بإسكانها. **قوله: (خابط)** الخبط كل سير على غير هدى، أو على غير جادّة. اهـ تاج العروس. **قوله: (وهو حال)** من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل بينه وبين الحال بالخبر، والمعنى: هو كالذي صفة أنه مستقرّ في الظلمات حال كونه مقيمًا فيها لا يفارقها بحال.

(حمزة) و**(أبو جهل)**. والأصح أن الآية عامّة لكل مَن هداه الله ولكل مَن أضلّه الله، فبين أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجُعل مستضيئًا يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل مَن هو في الظلمات التي لا يتخلص منها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما زيّن للمؤمن إيمانه ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بتزيين الله تعالى كقوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: الآية ٤] ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي أعمالهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما جعلنا في مكة **(صناديدها)** ليمكروا الناس فيها ﴿جَعَلْنَا﴾ صيّرنا ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ ليتجبروا على

قوله: (حمزة) بن عبد المطّلب عمّ رسول الله ﷺ ورَضِي عنه، يقال له: أسد الرحمٰن، وأسد رسول الله ﷺ، وعمّه وأخوه من الرّضاعة، كنيته أبو عمارة كُنّي بابنٍ له يقال له عمارة من امرأة من بني النجّار، وقيل: كنيته أبو يعلى كني بابنه يعلى ولم يعقب حمزة، وأُمّه هالة بنت أُهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي بنت عمّ آمنة بنت وهب أُمّ رسول الله ﷺ، وهو شقيق صفيّة بنت عبد المطلب أُمّ الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهم، وكان حمزة أسنّ مِنْ رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة. أسلم حمزة في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وبارز وأبْلى فيها بلاءً عظيمًا، وقاتل بسيفين. قال أبو الحسن المدينيّ: أوّل لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطّلب حين بعثه في سريّة إلى سيف البحر ـ بكسر السين ـ من أرض جُهينة، وخالفه ابن إسحٰق، فقال: أوّل لواء عقده لعبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب. استشهد يوم أُحد في نصف شوّال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قَتَل أحد وثلاثين من الكفّار، ودُفِن عند أُحد في موضعه وقبره مشهور يُزار ويُتبرّك به، وحَزِن عليه رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله تعالى عنهم.

قوله: (أبو جهل) عدوّ الله فرعون هذه الأُمّة، اسمه عمرو بن هشام، قُتل يوم بدر كافرًا.

قوله: (صناديدها) أي أشرافها وعُظمائها، الواحد صِنْديد.

الناس فيها ويعملوا بالمعاصي. واللام على ظاهرها عند أهل السنّة وليست بلام العاقبة، وخصّ الأكابر وهم الرؤساء لأن ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم، دليله ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: الآية ٢٧] ثم سلى رسوله ﷺ ووعد له النصرة بقوله: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن مكرهم يحيق بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه **(يحيق)** بهم ﴿أَكَٰبِرَ﴾ مفعول أول والثاني ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدل من ﴿أَكَٰبِرَ﴾ أو الأول ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ والثاني ﴿أَكَٰبِرَ﴾ والتقدير: مجرميها أكابر. ولما قال أبو جهل: **(زاحمنا بني عبد مناف في الشرف)** حتى إذا صرنا **(كفرسي رهان)** قالوا: منا نبيّ يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، نزل:

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي الأكابر ﴿ءَايَةٌ﴾ معجزة أو آية من القرآن بالإيمان ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ أي نعطى من الآيات مثل ما أعطي الأنبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوّة فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ (رِسَالَتَهُۥ﴾ **مكيّ وحفص)** «رسالاته»: **(غيرهما)** ﴿حَيْثُ﴾ مفعول به والعامل

قوله: (يحيق) أي يحيط. **قوله: (زاحمنا بني عبد مناف)** يعني نافسناهم **(في الشرف)**. **قوله: (كفرسي رهان)** هو مثل يُضرب للتساوي، ولمّا كان فرسا الرّهان لا يلزمهما التساوي؛ إذ قد يسبق أحدهما، فسّره في النهاية بقوله: سابقان إلى غاية، وقال غيره: المراد التشبّه باعتبار ابتداء الجري، والخروج للرهان، لا باعتبار الرهان. اهـ شهاب رحمه الله. وقال العلّامة ابن التمجيد: **قوله: (كفرسي رهان)** هو عبارة عن المساواة في الشرف، أي كفرسين يتسابقان في المضمار أيّهما يسبق الآخر، فصاحبه يأخذ الرهان، والرهان ما يرهن به عند أمين يأخذه مَنْ سبق فرسه، فالمعنى حتى إذا صرنا معه مُتساويَيْنِ في الشرف قالوا.. الخ. اهـ.

قوله: (﴿رِسَالَتَهُۥ﴾) بالإفراد مع نصب التاء **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وحفص)** عن عاصم رسالاته بالجمع مكسور التاء **(غيرهما)**.

محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ من أكابرها ﴿صَغَارٌ﴾ (ذل) و(هوان) ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في القيامة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ في الدارين من القتل والأسر وعذاب النار ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ في الدنيا.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ يوسعه وينوّر قلبه. قال عليه السلام: «إذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح» قيل: وما علامة ذلك؟ قال: «(الإنابة) إلى دار الخلود (والتجافي عن دار الغرور) والاستعداد للموت قبل نزول الموت» «وَمَن يُرِدْ» أي الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ (﴿ضَيِّقًا﴾ مكي ﴿حَرَجًا﴾) «حرِجًا» (صفة لـ ﴿ضَيِّقًا﴾ مدني وأبو بكر بالغًا في الضيق ﴿حَرَجًا﴾ غيرهما وصفًا بالمصدر) ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ كأنه كلّف أن يصعد إلى السماء إذا دُعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه إذا ضاقت عليه الأرض، فطلب مصعدًا في السماء أو (كعازب) الرأي طائر القلب في الهواء («يصْعَد» مكيّ «يصّاعد» أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون «يصّعّد») وأصله يتصعد ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ

قوله: (ذُلّ) الذُّل ضد العزّ. **قوله:** (هَوان) الهَوان نقيض العِزّ.

قوله: (الإنابة) إلى دار الخلود بمعنى المَيْل إلى ما يقرب من الجنّة. **قوله:** (والتجافي) أي البُعد (عن دار الغرور) أي عن الدنيا. **قوله:** (﴿ضَيِّقًا﴾) بسكون الياء مخفّفًا (مكّي) أي ابن كثير المكّي. والباقون بالكسر مشدّدًا. **قوله:** (﴿حَرَجًا﴾) بكسر الراء (صفة لـ ﴿ضَيِّقًا﴾، مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وأبو بكر) عن عاصم (بالغًا في الضّيق) أي أضيق الضيق (﴿حَرَجًا﴾) بفتحها (غيرهما وصفًا بالمصدر) للمبالغة. **قوله:** (كعازب) أي كغائب، في مختار الصِّحاح: عَزَبَ بَعُد وغابَ وبابه دخل وجلس. **قوله:** («يصْعَد») بسكون الصاد وتخفيف العين مضارع صعد، أي ارتفع (مكّيّ) أي ابن كثير المكي («يصّاعد») بتشديد الصاد وبعدها ألف وتخفيف العين (أبو بكر) شعبة عن عاصم، (وأصله يتصاعد) أي يتعاطى الصعود ويتكلّفه، فأدغم التاء في الصاد تخفيفًا (الباقون: ﴿يصعد﴾) بفتح الصاد مشدّدة وبتشديد العين دون ألف بينهما مضارع تصعد، أي تكلّف الصعود، وأصله يتصعد فأدغم كما في قراءة شعبة.

اَللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب في الآخرة واللعنة في الدنيا ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والآية حجة لنا على المعتزلة في إرادة المعاصي.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ أي طريقه الذي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر مَن أراد هدايته وجعله ضيقًا لمَن أراد ضلاله ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ عادلًا (مطردًا وهو حال مؤكدة) ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون ﴿لَهُمْ﴾ أي لقوم يذكرون ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ (دار الله) يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيمًا لها، أو دار السلامة من كل آفة و(كدر)، أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله: (﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾) [يونس: الآية ١٠]. (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) [الواقعة: الآية ٢٦] ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (في ضمانه) ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ محبّهم أو ناصرهم على أعدائهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

قوله: (مطردًا) إشارة إلى أن الاستقامة بمعنى الاطّراد والدوام. **قوله:** (وهو حال مؤكّدة) أي ليست قيدًا يتقيّد بها عاملها، ويتبيّن بها هيئة تعلّق العامل بذي الحال كالمنتقلة، بل هي أمر لازم لمضمون الجملة التي قبلها، فصار مضمون الحال كأنه عيّن مضمون الجملة المتقدّمة مؤكّد له؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٩١]، فإنّ التصديق لازم لحقيقة القرآن، وكذا الاستقامة فإنها لازمة للمشار إليه من صراط الله تعالى، فصارت كل واحدة منهما كأنها عين مضمون ما قبلها مؤكّدة له، فجعلت مؤكّدة له بهذا الاعتبار.

قوله: (دار الله) إشارة إلى أن السلام اسمه تعالى أُضيف إليه للتشريف، أو بمعنى السلامة من المكاره، أو دار تحيّتهم به، فيكون السلام بمعنى التسليم. **قوله:** (كدَر) الكَدَر ضدّ الصفو. **قوله:** (﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾) فيما بينهم (﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾). **قوله:** (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) في سورة الواقعة (﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾) أي في الجنّة (﴿لَغْوًا﴾) فاحشًا من الكلام (﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾) ما يؤثم (﴿إِلَّا﴾) لكن (﴿قِيلًا﴾) قولًا (﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾) بدل من قيلًا، فإنهم يسمعونه. **قوله:** (في ضمانه) كذا في تفسير الكشاف والبيضاوي. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: في ضمانه، أي معنى العندية أنه تكفّل بها تفضّلًا بمقتضى وعده، فلا يرد عليه أنه تبع

بأعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا في الدنيا بتوفيق الأعمال وفي العقبى بتحقيق الآمال.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ **(وبالياء حفص)** أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أضللتم منهم كثيرًا وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجنود ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم و**(ساعدوهم)** على مرادهم في إغوائهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعنون يوم البعث **(وهذا الكلام اعتراف)** بما كان منهم من طاعة الشياطن واتباع الهوى، والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ **(منزلكم)** ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال والعامل معنى الإضافة كقوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: الآية ٦٦] فـ ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الإضافة إذ معناه الممازجة والمضامّة والمثوى ليس بعامل لأن المكان لا يعمل في شيء ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي يخلّدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب

الزمخشري فيه، وهو على مذهبه في الوجوب على الله. اهـ. وقال العلاّمة القنوي: قوله: (في ضمانه) أي أنه تعالى وعده، فكأنه في ضمانه وكفالته بمقتضى وعده، فلا يلزم الوجوب هذا لازم لمعنًى عنده، فهو مجاز مُرْسَل.

قوله: (وبالياء) التحتيّة (**حفص**). والباقون بالنون. **قوله:** (**ساعدوهم**) المساعدة المعاونة. **قوله:** (**وهذا الكلام اعتراف**)... الخ. يعني قوله: ربنا استمتع بعضنا إلى هنا، وإنما جعله للتحسّر لعدم فائدة الخبر ولازمها، وهو ظاهر قوله: (**منزلكم**)، يعني: مثوى اسم مكان بمعنى مكان الإقامة. واسم المكان لمّا لم يعمل عمل الفعل لكونه ليس فيه معنى الفعل جعل ناصب الحال معنى الإضافة.

السعير إلى عذاب (**الزمهرير**) ﴿إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ)﴾ فيما يفعل بأوليائه وأعدائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيجزي كلّا على وفق عمله.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ نُتبع بعضهم بعضًا في النار، أو نسلّط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي، ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ عن (**الضحاك**): بعث إلى الجن رسلًا منهم كما بعث إلى الإنس رسلًا منهم لأنهم بهم آنس (**وعليه ظاهر النص**)، وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ لأنه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما (**كقوله**: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾) ٱللُّؤْلُؤُ

قوله: (الزَّمْهَرير) شدّة البرد. **قوله**: (﴿حَكِيمٌ﴾) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه؛ كإكرام المتذكّرين بالآيات بدار السلام، وكونه وليًّا لهم بالحراسة والنّصرة والمعونة وتخليد أولياء الشياطين في النار.

قوله: (**الضحاك**) بن مزاحم أبو محمّد والقاسم الهلالي الخراساني صاحب التفسير، ذُكِر أنه كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبيّ، وكان يركب حمارًا ويدور عليهم إذا عَيِي. اهـ دستور الأعلام. وفي التقريب: الضحاك بن مُزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراسانيّ، صدوق كثير الإرسال من الخامسة، مات بعد المائة. اهـ رحمه الله.

قوله: (**وعليه ظاهر النصّ**) أي ظاهر الآية يدلّ على ذلك؛ لأنه تعالى قال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، فخاطب الفريقين جميعًا. وأُجيب عن ذلك بأن الله تعالى قال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، وهذا يقتضي كون الرُّسل بعضًا من أبعاض هذا المجموع، وإذا كان الرّسل من الإنس كان الرسل بعضًا من أبعاض هذا المجموع، وكان هذا القول أوْلى من حمل لفظ الآية على ظاهرها، فثبت بذلك كون الرّسل من الإنس لا من الجنّ. **قوله**: (**كقوله**: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾)

وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾) [الرحمٰن: الآية ٢٢] أو رسلهم رسل نبيّنا (**كقوله**: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾) [الأحقاف: الآية ٢٩] ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ يقرءون كتبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يعني يوم القيامة ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل إلينا ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ بالرسل.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ تعليل أي الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن «أنْ» مصدرية، ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، والمعنى (**لأن الشأن**) والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه (**أو ظالمًا**)، على أنه لو أهلكهم وهم غافلون

أي من العذب والمالح اللؤلؤ والمرجان، مع أن اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من المالح دون العذب، وإنما جاز ذلك لأن ذكرهما قد جمع في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: الآية ٥٣]، وهو جائز في كلّ ما اتّفق في أصله؛ فلذلك لمّا اتّفق ذكر الجنّ مع الإنس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى أحد الفريقين وهم الإنس، وهذا قول الفرّاء والزجّاج ومذهب جمهور أهل العلم. قال الواحدي: وعليه دلّ كلام ابن عباس؛ لأنه قال: يريد أنبياء من جنسهم، ولم يكن من جنس الجنّ أنبياء. **قوله: (كقوله**: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾) في تفسير الجلالين في سورة الأحقاف: (﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾) أمَلْنا (﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾) جنّ نصيبين باليمن أو جنّ نِينُوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخلة يصلّي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان (﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾) أي قال بعضهم لبعض (﴿أَنصِتُوا۟﴾) اصغوا لاستماعه، (﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾) فرغ من قراءته (﴿وَلَّوْا۟﴾) رجعوا (﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾) مخوّفين قومهم بالعذاب إنْ لم يؤمنوا، وكانوا يهودًا.

قوله: (لأن الشأن) إشارة إلى أنّ اسمها حينئذ ضمير شأن مقدّر. **قوله: (أو ظالمًا)** يعني أن الباء للملابسة، ﴿وبظلم﴾ حال من ربّك، أي ملتبسًا بظلم.

لم يُنهَوا برسول وكتاب لكان ظالمًا وهو متعال عنه (﴿وَلِكُلٍّ﴾) من المكلفين (﴿دَرَجَٰتٌ﴾ منازل ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾) من جزاء أعمالهم، **(وبه استدلَ أبو يوسف ومحمد)** رحمهما الله **(على أن للجن الثواب بالطاعة لأنه ذكر عقيب ذكر الثقلين)** ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بساه عنه **(وبالتاء شاميّ)**.

قوله: (منازل) على ما يعمّ الدرجات والدَّركات تغليبًا أو نظرًا إلى أصل الوضع.

قوله: **(وبه استدلّ أبو يوسف)** هو الإمام يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات ببغداد سنة إحدى أو اثنين وثمانين ومائة. **(ومحمّد)** هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالريّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة رضي الله تعالى عنهما. **(على أن للجنّ الثواب بالطاعة، لأنه ذكر عقيب ذكر الثّقلين)** في تأويلات الإمام أبي منصور الماتريدي رحمه الله: قوله تعالى: (﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾) استدلّ أبو يوسف ومحمّد رحمهما الله تعالى بهذه الآية على أنّ للجنّ الثواب، وبهذه الآية وعليهم العقاب بالمعاصي كالإنس منعًا على أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، فإنه يقول: ليس للجنّ ثواب بالطاعات، ولكن عليهم العقاب بالمعاصي، وقالا: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أخبر أن لكلّ ما سبق ذكره درجات في أعمالهم، وإنما سبق ذكر الفريقين جميعًا، الإنس والجنّ بقوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: الآية ١١٢]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٨]، وقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠]، هذا ذكر ما كان من الفريقين جميعًا من الكفر والعصيان، ثم ذكر فيهم ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥] الآية. وإذا كان ما سبق من الوعد والوعيد للفريقين جميعًا، ولهم صرّح الخطاب بالأمر والنهي؛ فعلى ذلك قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ رجع إلى الفريقين منهم جميعًا إن عَمِلوا خيرًا فخير، وإن عملوا شرًّا فشرّ؛ إلّا أن أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه قال: إنّ قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ إنما ذُكِر على إثر آيات كان الخطاب بها للكَفَرة دون المؤمنين؛ لأنه قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ

....

ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٨]، وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠] دلّ هذا أن الخطاب بهذه الآيات للكفرة؛ فعلى ذلك قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ هذا الوعد لهم خاصّة، ويكون قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي دركات ومراتب من العذاب والعقاب مما عَمِلوا من المعاصي والتكذيب للرُسل عليهم السّلام والشّرك في التوحيد، والله أعلم. ولأن الثواب في روحه فضل وتفضيل منه، والعذاب مما تُوجبه الحكمة؛ لأن في الحكمة أن يلزم العذاب والعقوبة لمن عصى الله تعالى وخالف أمره على الطاعات، وذلك بالاعتقاد لِمَا به يصير من الأعداء والعفو عن الأعداء، ليس بحكمة بخلاف، والخلاف من حيث الفعل مع قيام الإيمان على ما عُرِف. فأمّا الثواب، فوجوبه بطريق الفضل؛ لأنه كان من الله إلى الخلق مِنَ النِّعم والفضائل والإحسان ما لو اجتهدوا كلّ جهدهم ما قدروا على أن يؤدّوا شكر واحد منها، فيكون طاعتهم شكرًا لما أنعم عليه، وإذا كان كذلك لم يجعل لأعمالهم ثوابًا إلّا بالبيان من الله عزّ وجلّ، كما لا يقال للملائكة: إنّ لهم بمقابلة طاعتهم لما أنّ الله تعالى لم يجعل لهم ذلك، والله أعلم.

والدّليل على ما ذهب إليه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ما ذكر خبرًا عن الجنّ بقوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الجن: الآية ١٤]، فذكر القاسطين الظالمين للعقوبة بقوله: ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: الآية ١٥]، وقال في حقّ المسلمين: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجنّ: الآية ١٤] ولم يذكر الثواب، وقال خبرًا عنهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٣١]، ولم يذكر الثواب في الجنّة، والله أعلم. وقال بعض الناس: إنما قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه أن لا ثواب للجنّ من جنس ثواب المؤمنين؛ لأن جنس عملهم من غير جنس عمل البشر، فكذا ثوابهم من جنس طاعتهم، وثواب المؤمنين من جنس طاعتهم، فأمّا أن يقول: لا ثواب لطاعتهم أصلًا، فلا، والله أعلم. اهـ بحروفها.
قوله: (وبالتاء) على تغليب الخطاب على الغيبة لدخول المخاطبين في قوله:

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده وعن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ عليهم بالتكليف ليعرّضهم للمنافع الدائمة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ (أيها الظلمة) ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق المطيع ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ﴿إِنَّمَا﴾ ما بمعنى الذي ﴿تُوعَدُونَ﴾ من البعث والحساب والثواب والعقاب ﴿لَءَاتٍۖ﴾ خبر «إن» أي لكائن ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين رد لقولهم مَن مات فقد فات (المكانة) تكون مصدرًا يقال (مكُن) مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله:

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ يحتمل (اعملوا على تمكنكم) من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، (واعملوا على جهتكم) وحالكم التي أنتم عليها، ويقال للرجل إذا أُمِر أن يثبت على حاله: (على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه) ﴿إِنِّى عَامِلٌۖ﴾ على مكانتي التي أنا عليها أي اثبتوا على كفركم

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ (شامي) أي ابن عامر الشاميّ، وقرأ العامّة بياء الغيبة بناءً على قوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾.

قوله: (أيها الظلمة) خصّهم لأن التخويف يناسبهم، ومنهم من قدّره أيها الناس، وله وجه. **قوله:** (المكانة) تكون مصدرًا بمعنى التمكّن وهو القوّة والاقتدار. **قوله:** (مُكِّن) بالضمّ.

قوله: (اعملوا على تمكّنكم) بأن تكون المكانة على حقيقة معناها المصدريّ، أو (اعملوا على جهتكم) تكون مجازًا عن التي بمعنى المكان. **قوله:** (على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه) لا تنحرف عنه، فهو اسم فعل

وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد، دليل قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ أي فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة، وهذا طريق لطيف في الإنذار ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الكافرون («مكاناتكم» حيث كان: أبو بكر («يكون») حمزة وعلي). وموضع ﴿مَن﴾ رفع (إذا كان بمعنى «أي») وعلق عنه فعل العلم، أو نصب إذا كان بمعنى الذي.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ أي وللأصنام نصيبًا فاكتفى بدلالة قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ («بزعمهم» علي). وكذا ما بعده أي زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى (الضيفان) والتصدّق على المساكين ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ﴾ من إنفاقهم عليها والإجراء على

بمعنى الأمر. **قوله:** (مكاناتكم) بالألف على الجمع ليُطابق المضاف إليه، وهو ضمير الجماعة، ولكلّ واحد مكانة (**حيث كان**)، وهو هنا وهود معًا ويّس والزمر (**أبو بكر**) شعبة عن عاصم، والباقون بالإفراد على إرادة الجنس. **قوله:** (**يكون**) بالتذكير (**حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بالتأنيث، وهما ظاهران؛ إذ التأنيث غير حقيقيّ. **قوله:** (**إذا كان بمعنى أيّ**) يعني إذا كان من استفهاميّة، فهو مبتدأ خبره يكون، وهما مفعولان علّق عنهما فعل العلم بالاستفهام، وإذا كانت موصولة فهو مفعول يعلمون على أنه متعدٍّ إلى مفعول واحد، لكونه بمعنى يعرفون.

قوله: (**بزعمهم**) بضم الزاي (**عليّ**) الكسائي، وكذا ما بعده لغة بني أسد. والباقون بفتحها في الموضعين لغة أهل الحجاز، فقيل: هما بمعنى، وقيل: المفتوح مصدر والمضموم اسم. **قوله:** (**الضّيفان**) في مختار الصِّحاح: الضَّيْف واحد وجمع، وقد يُجْمع على أضْياف والضيوف والضِّيْفان، والمرأة ضيف

(سدنتها). رُوِيَ أنهم كانوا يعيِّنون أشياء من حرث **(ونتاج)** لله وأشياء منهما لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوا لله زاكيًا ناميًا رجعوا فجعلوه للأصنام، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها وقالوا: إن الله غني، وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها. وفي قوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ إشارة إلى أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه. ثم ذم صنيعهم بقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في إيثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم. وموضع «ما» رفع أي ساء الحكم حكمهم أو نصب أي ساء حكمًا حكمهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي كما زيّن لهم تجزئة المال زيّن **(وأد)** البنات ﴿قَتْلَ﴾ مفعول زيّن ﴿أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ هو فاعل زيّن، **(﴿زُيِّنَ﴾ بالضم «قتل» بالرفع** ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ **بالنصب «شركائهم» بالجر: شاميّ على إضافة القتل إلى الشركاء)** أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول

وضَيْفة.اهـ. **قوله:** (سَدَنتها) السَّدنة ـ بالسين المهملة ـ جمع سادن، وهو خادم الصَّنم. **قوله:** (ونِتاج) في المصباح: النِّتاج ـ بالكسر ـ اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها.اهـ.

قوله: (وأد) أي قتل.اهـ شهاب ﷺ. والوأد دفن الابنة في القبر وهي حيّة، يقال: وَأَد ابنته يَئِدُها وَأْدًا إذا دفنها في القبر وهي حيّة.اهـ شيخ زاده ﷺ. **قوله:** (﴿زُيِّنَ﴾ **بالضمّ**) أي بضمّ الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول. **قوله:** (**«قتل» بالرفع**) أي برفع اللام على النّيابة عن الفاعل (﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ **بالنصب**) على المفعول بالمصدر (**شركائهم بالجرّ شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**على إضافة القتل إلى الشركاء**) فاعلًا، وهي قراءة متواترة صحيحة وقارئها ابن عامر أعلى القرّاء السبعة سندًا وأقدمهم هجرةً، من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة؛ كعثمان بن عفّان وأبي الدرداء ومعاوية وفضالة بن عبيد، وهو مع ذلك عربيّ صريح من صميم العرب وكلامه حجّة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللّحن، فكيف وقد قرأ بما تلقّى وتلقّن وسمع ورأى؛ إذ هي كذلك في

وتقديره: زيّن لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ ليهلكوهم بالإغواء.

المصحف الشاميّ. وقال بعض الحفّاظ: إنه كان في حلقته بدمشق أربعمائة عريف يقومون عليه بالقراءة، قال: ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئًا على ابن عامر من قراءته ولا طعَن فيها، وحاصل كلام الطّاعنين كالزمخشري أنه لا يفصل بين المتضايفين إلّا بالظرف في الشعر، لأنهما كالكلمة الواحدة أو أشبها الجار والمجرور، ولا يفصل بين حروف الكلمة ولا بين الجار ومجروره، انتهى. وهو كلام غير معوّل عليه، وإن صدر عن أئمّة أكابر لأنه طعن في المتواتر، وقد انتصر لهذه القراءة مَنْ يُقابلهم، وأوردوا من لسان العرب ما يشهد لصحتها نَثْرًا ونظمًا، بل نقل بعض الأئمّة الفصل بالجملة فضلًا عن المفرد في قولهم: غلام إن شاء الله أخيك، وقُرىء شاذًّا مخلف وعده رسله بنصب وعده وخفض رسله، وصحّ قوله ﷺ: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي»، ففصل بالجار والمجرور. وقال في التسهيل: ويفصل في السّعة بالقسم مطلقًا وبالمفعول إنْ كان المضاف مصدرًا نحو: أعجبني دقّ الثوب القصار. وقال صاحب المغرب: يجوز فصل المصدر المضاف إلى فاعله بمفعوله لتقدير التأخير. وأمّا في الشعر، فكثير بالظرف وغيره، منها قوله:

فسقناهم سوق البغال الأداجل

وقةوله:

سقاها الحجى سقي الرياض السّحائب

وقوله:

لله درّ اليوم من لامها

وقوله:

فزججتها بمزجة زجّ القلوص أبي مزادهْ

وقد علم بذلك خطأ مَن قال: إن ذلك قبيح أو خطأ أو نحوه. وأمّا مَنْ زعم أنه لم يقع في الكلام المنثور مثله، فلا يعوّل عليه لأنه نافٍ، ومَنْ أسند هذه

....

القراءة مثبت وهو مقدَّم على النفي اتّفاقًا، ولو نقل إلى هذا الزّاعم عن بعض العرب ولو أمَة أو راعيًا أنه استعمله في النثر لرجع إليه، فكيف وفيمن أثبت تابع عن الصحابة عن مَنْ لا ينطق عن الهوى ﷺ، فقد بَطُل قولهم وثبت قراءته سالمة عن المعارض، ولله الحمد. وقرأ الباقون: ﴿زَيَّنَ﴾ بفتح الزاي والياء مبنيًّا للفاعل ونصب قتل به أولادهم بالخفض على الإضافة شركاؤهم بالرفع على الفاعلية بزين، وهي واضحة، أي زين لكثير من المشركين شركاؤهم أن قتلوا أولادهم بنحرهم لآلهتهم، أو بالوأد خوف العار والعيلة. اهـ إتحاف. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمة الله عليهما: قرأ العامّة ﴿زَيَّنَ﴾ مبنيًّا للفاعل وبنصب قتل على أنه مفعول وجرّ أولادهم بالإضافة ورفع شركائهم على أنه فاعل زين، وهي قراءة واضحة المعنى والتركيب. وقرأ ابن عامر: ﴿زَيَّنَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٧] على بناء المفعول، ورفع قتل على أنه مفعول ما لم يسمّ فاعله، ونصب أولادهم على أنه مفعول المصدر وجرّ شركائهم على إضافة المصدر إليه، وهذه القراءة صحيحة متواترة لا يصح أن يطعن فيها؛ لأن ابن عامر أعلى القرّاء السبعة سندًا وأقدمهم هجرة أمّا علوّ سنده، فإنه قرأ على أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وفَضَالة بن عبيد ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة المخزوميّ، ورُوِيَ أنه قرأ على عثمان نفسه، وناهيك به. وأمّا قدم هجرته، فإنه وُلِد في حياة رسول الله ﷺ، وابن هشام بن عمّار أحد شيوخ البخاريّ أخذ عن أصحاب أصحابه وفضائله كثيرة، وإنّما ذكرنا هذا تنبيهًا على خطأ من ردّ قراءته ونسبه إلى اللّحن واتّباع مجرّد الرسوم فقط، قائلًا: إنّ التقدير حينئذ زيِّن لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، لكنه فَصَل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهو الأولاد، فإنه مفعول المصدر. قال أبو عليّ الفارسي: وهو قبيح قليل في الاستعمال، ولكنه قد جاء في الشِّعر كما أنشده أبو الحسن الأخفش:

فزججتها بمزجة زجّ القلوص أبي مزادهْ

أي زجّ أبي مزادة القلوص، الزجّ: الطَّعن، والمزجة ـ بكسر الميم ـ الرمح القصير، وأبي مزادة كنية رجل، والقلوص الشابّة من النوق، وأضيف القتل في هذه القراءة إلى الشركاء، وإن لم يتولّوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زيّنوا ذلك ودعوا إليه،

....

فكأنهم فعلوا ذلك. اهـ. وعبارة البيضاوي: وقرأ ابن عامر ﴿زُيِّنَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٧] على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد، وجرّ الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولًا بينهما بمفعوله، وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر؛ كقوله:

فـزججـتـهـا بـمـزجـة زجّ القلوص أبي مزادهْ

اهـ. بحروفها. وعبارة الكشاف: وأمّا قراءة ابن عامر قتل أولادَهم شركائِهم برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضروريات وهو الشعر لكان سمجًا مردودًا كما سُمج ورُدّ زجّ القلوصَ أبي مزادة، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي يحمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركايهم مكتوبًا بالياء، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب. اهـ بحروفها. قال العلّامة شيخ زاده ﵀: قوله: وهو ضعيف في العربية إشارة إلى أن الفصل بالمفعول ليس بضعيف في نفسه، بل هو حسن، ويدلّ على حسنه ورود القرآن عليه، والطريق إثبات حسن التراكيب بوقوعها في القرآن، لا إثبات حسن ما وقع فيه بوقوعه في غيره. قال الكرماني: قراءة ابن عامر وإن ضعفت في العربية للفصل بين المضاف والمضاف إليه، فقويّة في الرواية عالية، انتهى. وذهب صاحب المفتاح إلى تطبيق هذه القراءة بقاعدة أهل العربية بأن حمل الكلام على حذف المضاف إليه من الأوّل وإضمار المضاف في الثاني والتقدير قتلهم أولادهم قتل شركائهم، والثاني بدل من الأوّل بناء على أن تخطئة الثقات والفصحاء أبعد من ذلك، قال صاحب الانتصاف طاعنًا في صاحب الكشاف: لقد ركب المصنّف في هذا الفصل عمياء وتاه في تيهاء وأنا أبرأ إلى الله تعالى وأبرّىء حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به، فإنه تخيّل أنّ القراء أئمّة الوجوه السبعة اختار كلّ منهم حرفًا قرأ به اجتهادًا لا نقلًا ولا سماعًا، فلذلك غلط ابن عامر في قراءة هذه وأخذ يبيّن وجه الغلط بأنه اعتمد في ذلك على رسم مصحف الشام الذي أرسله عثمان رضي الله تعالى عنه إليه حيث رسم شركائهم فيه بالياء، فاستدلّ بذلك على

....

أنه مجرور وتعيّن عنده نصب أولادهم بالقياس؛ إذ لا يُضاف المصدر إلى أمرين معًا؛ فقرأه منصوبًا لذلك.

وقوله: المصنّف يريد به صاحب الكشاف، وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جرّه بالإضافة وإبدال الشركاء منه، وكان ذلك أوْلى مما ارتكبه، يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف إليه الذي لا يسمع في الشعر فضلًا عن النّثر فضلًا عن الكلام المعجز، وهذا كلّه كما ترى ظنّ من الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيًا منه، وكان الصواب خلافه، ولم يعلم الزمخشري أنّ هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه مما نعلم ضرورةً أنّ النبيّ ﷺ قرأها على جبريل كما أنزلها إليه كذلك، ثم تلاها النبيّ ﷺ على عدد التواتر من الأُمّة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها، ويقرؤون بها خلفًا عن سلف إلى أن انتهت إلى ابن عامر، فقرأها أيضًا كما سمعها، وهذا معتقد أهل الحقّ في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملةً وتفصيلًا عن أفصح مَنْ نطق بالضاد، أي عن أفصح العرب، فإنّ النُّطق بحرف الضاد مختصّ بلغة العرب، فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري، ولا بقول أمثاله ممّن لحن ابن عامر، ثم قال: قراءة ابن عامر هذه لا تخالف القياس النحويّ؛ وذلك لأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإنْ كان عسيرًا إلّا أن المصدر إذا أُضيف إلى معموله فهو مقدّر بأنّ مع الفعل وبهذا التقدير عمل، فإضافته إلى معموله وإنْ كانت محضة لكنها تشبه غير المَحْضة، حتى قال بعض النحاة: إنّ إضافته ليست محضة لذلك. فالحاصل أنّ اتّصاله بالمضاف إليه ليس كاتّصال غيره، وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه بالظرف؛ كما في قول الشاعر:

لله درّ اليـوم مَـنْ لامَـهـا

يريد: لله درّ مَنْ لامَها اليوم، وقوله:

لأنت معتاد في الهيجا مصابرة

يريد: لأنت معتاد مصابرة في الهيجا، وهي الحرب. وهذه الأمثلة والشواهد ليست من كلام صاحب الانتصاف، وإنما أدرجتها أنا في أثناء كلامه لتوضيح

....

المقام، وقد جاء الفَصْل بينهما في قوله:

هما أخوا في الحرب مَنْ لا أخا له إذا خاف يومًا نبوة فدعاهما

يريد هما أخَوَا مَنْ لا أخًا له في الحرب، وقد جاء الفصل بينهما بغير الظرف أيضًا على قلّة؛ كالفصل بالنداء في قوله:

وفاق كعب بجير متقذ لك من تعجيل مهلكة والخلد في سقر

يريد: وفاق بجير يا كعب. وقول الآخر:

إذا ما أبا حفص أتاك رأيتها على شعر كل الناس يعلو قصيدها

يريد: إذا ما أتاك يا أبا حفص، وقد جاء الفصل بينهما بالنعت أيضًا؛ كقول معاوية يخاطب به عمرو بن العاص:

نجوت وقد بلّ المراديّ سيفه من ابن أبي شيخ الأباطح طالب

يريد: من ابن أبي طالب شيخ الأباطح، فشيخ الأباطح نعت لأبي طالب فصل به بين أبي وبين طالب. وقول الآخر:

ولئن حلفت على يديك لأحلفنّ بيمين أصدق من يمينك مقسم

يريد: .لأحلفنّ بيمين مقسم أصدق من يمينك فأصدق نعت لقوله: بيمين، فصل به بين يمين وبين مقسم، وبالجملة إذا جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه، فلا أقلّ من أن يتميّز المصدر عن غيره لما بيّناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغّله في الاتّصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبيًّا عنه، فكأنه ذكر إنْ مع الفعل ثم قدَّم المفعول على الفاعل، وقال أبو شامة في شرح الشاطبية: ولا بعد فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى، وذلك أنه قد عهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظًا، فاستمرّت له هذه المرتبة مع الفاعل المرفوع تقديرًا، فإنّ المصدر لو كان منوّنًا لجاز تقديم المفعول على فاعله، نحو: أعجبني ضرب عمرًا زيد، فكذا في الإضافة، ثمّ قال: وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرّ ومجروره مع أن شدّة الاتّصال بينهما أكثر من شدّته بين المضاف

....

والمضاف إليه؛ كقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩] فصل بكلمة ما بين الباء الجارة ومجرورها، ولا التفات إلى قول مَنْ زَعم أنه لم يأتِ في الكلام المنثور مثله؛ لأنه نافٍ، ومَنْ أسند هذه القراءة مثبت، والإثبات مرجح على النفي بالإجماع، ولو نقل إلى بعض الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر لرجع إليه، فما باله لا يكتفي بناقل القراءة عن التابعين عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. اهـ بحروفه.

وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: وهو ضعيف في العربية تبع الزمخشري وهو من سقطاته وسوء أدبه على الله الذي يخشى منه الكفر، كما قاله في الانتصاف القراءات السبعة لا بدّ فيها من نقلٍ صحيح أو متواتر فيما عدا الأداء على المشهور، وأي مسلم يقدم على أن يقرأ كلام الله برأيه ويتبع رسم المصحف من غير سماع خصوصًا هؤلاء الأئمّة الأعلام الواقفين على دقائق الكلام، وهو يظنّ أنّ القرآن يقرأ بالرأي، كما ذهب إليه بعض الجَهَلة، مع أنه ليس بصحيح؛ لأنهم فرّقوا بين المضاف الذي يعمل وغيره، فإنّ الثاني يفصل فيه بالظرف والأول إذا كان مصدرًا ونحوه يفصل بمعموله مطلقًا؛ لأن إضافته في نيّته الانفصال ومعموله مؤخر رتبة ففصله كَلَا فصل، فإن أساغ فيه ولم يخصّ بالشعر كغيره كما صرّح به ابن مالك، وخطأ الزمخشري لعدم فَرْقه بينهما وظنّه أنه ضرورة مطلقًا. وأمّا ادّعاء حذف المضاف إليه من الأوّل، والمضاف من الثاني كما ذهب إليه السكاكي، فتكلّف نحن في غنًى عنه، وكلام الله أحقّ أن تجرى عليه القواعد وترجع إليه، إلّا أن يرجع إلى غيره، والعجب ممّن أثبت تلك القواعد برواية واحد عن جاهليّ من العرب، فإذا جاء إلى النظم توقّف في الإثبات به، ولابن الفاصح في كتاب الطرق هنا كلام نفيس، وهو أنه ذكر أن حمزة رحمه الله رأى ربّ العزّة مرّتين، قال: يا حمزة اقرأ كلامي، فقرأ فقال له: على مَنْ قرأت؟ قال: على فلان، قال: صدق هو كلامي، إلى أن قال: قرأ جبريل عليه الصلاة والسلام، قال: صدق قرأ كلامي، فلمّا انتهى إلى الله قال له: مَنْ قرأ؟ سكت تأدّبًا قال له: قل أنت، وقصّ القصّة قال: ومنها علم أنّ مَن كذّب أحدًا من القرّاء فقد كذّب الله، فنعوذ بالله ونسأله أن ينفعنا

....

بكلامه وببركة نقلته، ونحن نحمد الله لا نشكّ في ذلك، وقد شاهدناه رأي العين. اهـ بحروفه.

وقال العلّامة التفتازاني في حاشية الكشاف: قوله: والذي حمله هذا عُذْر أشدّ من الجرم، حيث طعن في إسناد القرّاء السبعة وروايتهم وزعم أنهم إنما يقرؤون من عند أنفسهم، وهذه عادة المصنّف يطعن في تواتر القراءات السبع، وينسب الخطأ تارة إليهم، كما في هذا الموضع، وتارة إلى الرواة عنهم، وكلاهما خطأ؛ لأن القراءات متواترة، وكذا الروايات عنهم، وهي مما يستشهد بها لا لها، فإذا قد وقع الفَصْل فيها بغير الظرف ينبغي أن يحكم بالجواز. اهـ. قال العلّامة ابن التمجيد ﷺ: قال شرّاح الكشاف: إنّ ابن عامر أحد القرّاء السبعة وقراءته منقولة عن النبيّ ﷺ نقلًا متواترًا مقبولة عند علماء الدِّين لم ينكر عليه أحد إلى هذه الغاية، وقد طعن فيها صاحب الكشاف، فقالوا: لا نسلم أن المضاف والمضاف إليه بغير الظرف في غير مقام الضّرورة قبيح، بل حسن، وورود القرآن عليه يدلّ على ذلك، والطريق إثبات غير القرآن به، لا إثباته بغير القرآن. اهـ. وقال العلّامة القنويّ في حاشية تفسير البيضاوي: قوله: (وهو) أي الفصل بمفعول (ضعيف في العربية) وإنْ كان صحيحًا فصيحًا، لكن عدم الفصل به أفصح، ولا كلام في أبلغية بعض القراءات السبعة بالنسبة إلى بعض آخر، فلا يرد ما أورده المحقّق التفتازاني ﷺ على العلّامة الزمخشري. اهـ بحروفه. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي الجمالين للجلالين للعلامة علي القاريّ ﷺ: قوله: لا يضرّ، أي هذا الفصل، بل الفصل بينهما يدلّ على أنّ هذا الفصل جائز والمطعون مَنْ طعن فيه؛ كالزمخشري، وهذا غاية من الطعن في إسناده قراءة السبعة بزعمه أنهم يقرأون من عند أنفسهم، ونِعْم ما قال التفتازاني: هي مما يستشهد بها لا بها، والعجب من البيضاوي أنه تبع الزمخشري وضعّفه هذا. وفي التسهيل: إنْ كان المضاف مصدرًا جاز أن يُضاف نظمًا ونثرًا إلى فاعله مفصولًا بمفعوله. اهـ بحروفه. وفي غيث النفع في القراءات السبع للعلامة علي النوري الصفاقسي: ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾، قرأ الشاميّ بضمّ لام زاي «زَيَّنَ» وكسر يائه ورفع لام قتل ونصب دال أولادهم وخفض بهمزة شركائهم، والباقون بفتح الزاي

....

والياء ونصب لام قتل وكسر دال أولادهم ورفع همزة شركائهم وتكلّم غير واحد من المفسّرين والنحويّين كابن عطية ومكّيّ وابن أبي طالب والبيضاوي وابن جنيّ والنحاس والفارسي والزمخشري في قراءة الشامي، وضعّفوها للفصل بين المضاف، وهو قتل، والمضاف إليه وهو شركائهم بالمفعول وهو أولادهم، وزعموا أنّ ذلك لا يجوز في النثر وهو زعم فاسد؛ لأن ما نفوه أثبته غيرهم. قال الحافظ السيوطي في جمع الجوامع: له مسألة لا يفصل بين المتضايفين اختيارًا إلّا بمفعوله وظرفه على الصحيح، وجوّزه الكوفيّون مطلقًا. قال في شرحه هَمْع الهوامع تبعًا لابن مالك وغيره وحسّنه كون الفاصل فضلة، فإنه يصلح بذلك لعدم الاعتداد وكونه غير أجنبي من المضاف، أي لأنه معموله ومقدّر التأخير، أي لأن المضاف إليه فاعل في المعنى، انتهى مع زيادة شيء للإيضاح والمثبت مقدَّم على النافي، لا سيما في لغة العرب لاتّساعها وكثرة التكلّم بها. رُوِي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: كان الشعر علم قوم، فلما جاء الإسلام اشتغلوا عنه بالجهاد والغزو، فلمّا تمهّدت الأمصار وهلك مَنْ هلك راجعوه فوجدوا أقلّه، وذهب عنهم أكثره.

ورُوِي عن أبي عمرو بن العلاء قال: ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلّا أقلّه، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير، قال أبو الفتح بن جني في خصائصهٰ بعد أن نقل هذا، فإذا كان الأمر كذلك لم يقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، انتهى وأشدّهم عليه الزمخشري، ونصّه: وأمّا قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورة، وهو الشعر لكان سمجًا مردودًا كما ردّ زجّ القلوص أبي مزاده، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبًا بالياء، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب، انتهى. فانظر رحمك الله إلى هذا الكلام ما أبشعه وأسمجه وأقبحه، وما اشتمل عليه من الغلظة والفظاظة وسوء الأدب، فحكم على قراءة متواترة تلقاها سيّد من سادات التابعين عن أعيان الصحابة وهم تلقّوها من أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء سيّدنا

....

رسول الله ﷺ بالردّ والسماجة، ولا جرأة أعظم من هذه الجملة، والحَامل له على ذلك أنه يرى رأيًا فاسدًا واضح البطلان، وهو أنّ القراءات كلّها آحاد ولا متواتر فيها، ولذلك يطلق عنان القلم في تخطئة القرّاء في بعض المواضع، ولا يبالي بما يقول، وما زعم أنه سمج مردود هو فصيح شائع ذائع، وأدلّة ذلك من الشِّعر كثيرة ذكرها إمام النحّاة أبو عبد الله محمد بن مالك في شرح الكافية عند قوله فيها بعد ما ذكر جواز الفصل: وحجّتي قراءة ابن عامر وكم لها من عاضد وناصر، فلا نطيلِ بها. وأمّا أدلّة ذلك من النثر، فقراءة مِنْ قراءة ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٧] بنصب وعده وجرّ رسله، وما رُوِي منه في الصحيح كثير؛ كقوله ﷺ: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» ما حكاه ابن الأنباري عن العرب أنّهم يفصلون بين المضاف والمضاف إليه بالجملة، فيقولون: هذا غلام إن شاء الله ابن أخيك، وكان ابن الأنباريّ صدوقًا ديّنًا ثقة حافظًا. قال أبو عليّ القالي: كان أبو بكر بن الأنباريّ يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن الكريم، وقيل: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرًا للقرآن الكريم بأسانيدها، وما حكاه الكسائي من قولهم: هذا غلام والله زيد، بجرّ زيد بإضافة الغلام إليه، والفصل بينهما بالقسم.

فإن قلت: لقائلٍ أن يقول: القراءة شاذّة، والأحاديث مرويّة بالمعنى، وما ذكره ابن الأنباريّ والكسائي ليس كمسألتنا.

قلت: لا خلاف بينهم كما نقله السيوطي أن القراءة الشاذّة تثبت بها الحجّة في العربية، ولو نقل لهذا المجترىء الحائد عن طريق الهدى ناقل لم يبلغ في الرتبة أدنى القرّاء، بل ولا عُشْر معشاره كلامًا، ولو عن راعٍ أو أَمَة من العرب لرجع إليه وبنى قواعده عليه، والقرآن المتواتر الذي نقله ما لا يُعَدّ من العدول الفُضَلاء الأكابر عن مثلهم يحكم عليه بالردّ والسماجة. وأمّا الأحاديث، فالأصل نقلها بلفظها وادّعاء أنها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت إلّا بدليل، ومَنْ مارس الأحاديث ورأى تثبّت الصحابة والآخذين عنهم رضي الله تعالى عن جميعهم وتحريهم في النقل حتى أنهم إذا شكّوا في لفظ أتوا بجميع الألفاظ المشكوك فيها أو تركوا روايته بالكلّية عَلِم عِلْم يقين أنهم لا ينقلون الأحاديث إلّا بألفاظها. وأمّا

....

ما نقله ابن الأنباريّ والكسائيّ، فمسألتنا أخرى، لأنهم إذا كانوا يُجيزون الفصل بالجملة، فبالمفرد أوْلى؛ وهذا كلّه على جهة التنزّل وإرخاء العنان، وإلّا فالذي نقوله ولا نلتفت لسواه: أنّ القراءة المشهورة فضلًا عن المتواترة كهذه لا تحتاج إلى دليل، بل هي أقوى دليل، ومتى احتاج مَنْ هو في ضوء الشمس إلى ضوء النجوم، وقد بنى النحويّون قواعدهم على كلام تلقّوه من العرب لم يبلغ في الصحة مبلغ القراءة الشاذّة ولا قارنها، وقبلوا من ذلك ما خرج عن القياس؛ كقولهم: استحوذ، وقياسه استحاذ؛ كما تقول: استقام واستجاب، وكقولهم: للدن غدوة بالنصب والقياس الجرّ، وهو في العربية كثير ليس هذا محلّ تتبّعه والشاميّ هذا رحمه الله ممن يُحتجّ بكلامه؛ لأنه من صميم العرب وفصحائهم، وكان قبل أن يوجد اللَّحن ويتكلّم به لأنه وُلِد في حياة النبيّ ﷺ على قول، وسنة إحدى وعشرين على قولٍ آخر، فكيف بما تلقّاه ورواه عن كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟ كأبي الدرداء وواثلة بن الأسقع ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم، بل نقل تلميذه الذماريّ أنه قرأ على عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه، فهو أعلى القرّاء السبعة سندًا، وكان رحمه الله مشهورًا بالثقة والأمانة وكمال الدين والعلم أفنى عمره في القراءة والإقراء، وأجمع علماء الأمصار على قبول نقله والثقة به فيه، وقد أخذ البخاري عن هشام بن عمّار وهو قد أخذ عن أصحاب أصحابه، قال المحقّق: ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة، ولم يبلغنا عن أحد من السّلف على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدّة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئًا من قراءته، ولا طعن فيها ولا أشار إليها بضعف. اهـ. ويكفي في فضله وجلالته أنّ أفضل الخلفاء بعد الصحابة المُجمع على ورعه وفضله وعدالته، وهو عمر بن عبد العزيز جمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بمسجد دمشق أحد عجائب الدنيا، وهي يومئذ دار الملك والخلافة ومعدن التابعين ومحل محطّ رحال العلماء من كل قطر، وأعظم من هذا كلّه إجماع الصحابة على كتب شركائهم في مصحف الشام بالياء، وقد نَقَل غير واحد من الثقات المتقدّمين والمتأخّرين أنّهم رأوه فيه كذلك، بل نقل العلّامة القسطلاني رحمه الله. عن بعض الثقات أنه رآه في مصحف الحجاز كذلك.

....

فإن قلت: لو كان في مصحف الحجاز كذلك لقرؤوا كقراءته؛ لأن أهل كل قطر قراءتهم تابعة لرسم مصحفهم، ولم يثبت عن أحد من أهل الحجاز أنه قرأ كقراءة الشامي.

قلت: لا يلزم موافقة التلاوة للرسم؛ لأن الرسم سنّة متّبعة قد توافقه التلاوة وقد لا توافقه، انظر كيف كتبوا وجاىء بألف قبل الياء، ولا أذبحنه ولا أوضعوا بألف بعد لا، ومثل هذا كثير. والقراءة بخلاف ما رسم، ولذلك حكم وأسرار تدلّ على كثرة عِلْم الصحابة ودقّة نظرهم تطلب من مظانّها. سمعت شيخنا رحمه الله تعالى يقول: لو لم يكن للصحابة رضي الله تعالى عنهم من الفضائل إلّا رسمهم المصحف، لكان ذلك كافيًا. وقوله: والذي حمله على ذلك... إلى آخره، يقتضي أن هذا السيّد الجليل يقلّد في قراءته المصحف، ولو لم تثبت عنده بذلك رواية، وحاشاه من ذلك؛ فإنّ هذا لا يستحلّه مسلم فضلًا عن سيّد من سادات التابعين؛ لأنه خرقٌ للإجماع. قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن الحاج في المدخل: لا يجوز لأحد أن يقرأ بما في المصحف إلّا بعد أن يتعلّم القراءة على وجهها، أو يتعلّم مرسوم المصحف، وما يخالف منه القراءة، فإنْ فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأُمّة. وقوله: ولو قرأ... الخ. فهذا فحش أو أقبح مما قبله؛ لأنه يقتضي جواز القراءة بما تقتضيه العربية مع صحة المعنى، ولو لم ينقل وهو محرم بالإجماع. قال المحقّق في نشره: وأمّا ما وافق العربية والرسم مع صحة المعنى ولم ينقل البتّة، فهذا ردّه أحقّ ومنعه أشدّ ومُرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر وقد ذكر ذلك عن أبي بكر محمّد بن الحسن بن مقسم البغدادي المقرىء النحويّ، وكان بعد الثلاثمائة. قال الإمام أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان: وقد نبغ نابغ في عصرنا، فزعم أن كل مَنْ صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بدعة ضلّ بها عن قصد السبيل.

قلت: وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقرّاء وأجمعوا على منعه وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه محضر كما ذكره الحافظ أبو بكر بن الخطيب في تاريخ بغداد. اهـ. وأدلّة هذا من أقوال الصحابة والتابعين وأئمّة

﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليخلطوا عليهم و(**يشوبوه**) ودينهم ما كانوا عليه من دين (**إسماعيل**) حتى زلوا عنه إلى الشرك ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ (**وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى**) ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (**وما يفترونه**) من (**الإفك**)، أو وافتراءهم لأن ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾ للأوثان ﴿حِجْرٌ﴾ حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات، وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء، والزعم قول بالظن يشوبه الكذب ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي

القراءة كثيرة تركناها خوف الإطالة، والله أسأل أن يعامل الجميع بفضله ولطفه آمين. اهـ بحروفه.

قوله: (**يشوبوه**) الشوب الخلط، وبابه قال.

قوله: (**إسمٰعيل**) رسول ربّ العالمين ابن إبراهيم خليل الرحمٰن صلّى الله تعالى على نبيِّنا وعليهما الصّلاة والسّلام، قال الإمام أبو منصور موهوب بن أحمد بنِ محمد بن الخَضِر الجواليقي في كتابه المعرّب: أسماء الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام كلّها أعجميّة، نحو إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق وإلياس وإدريس وأيوب، إلّا أربعة: آدم وصالحاً وشُعيبًا ومحمّدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإنّ إسمٰعيل ونظائره يكتب بحذف الألف، وفي إسمٰعيل لغتان هذه أشهرها، وبها جاء القرآن والثانية إسمٰعين، واختلف العلماء في الذبيح: هل هو إسمٰعيل أم إسحٰق؟ والأكثرون على أنه إسمٰعيل، وكان إسمٰعيل أكبر من إسحٰق على نبيِّنا وعليهما الصّلاة والسّلام. **قوله:** (**وفيه دليل على أن الكائنات كلّها بمشيئة الله تعالى**)، فيكون فيه رَدّ على المعتزلة فيما قالوا: إن المعاصي ليست بمشيئته. **قوله:** (وما يفترونه) . . . الخ. يعني أنّ ما موصولة أو مصدريّة. **قوله:** (**الإفك**) الكِذب.

(البحائر والسوائب والحوامي) ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ حالة الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام (﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾) هو مفعول له أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر، وقسم لا يركب، وقسم لا يذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وعيد.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿(وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ) خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ كانوا يقولون في أجنّة البحائر والسوائب: ما ولد منها حيًّا فهو خالص للذكور لا

قوله: (البحائر) كان أهل الجاهليّة إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها، أي شقّوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، واسمها البحيرة. **قوله: (السوائب)** كان يقول: إذا قَدِمتُ من سفري أو بُرئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. **قوله: (والحوامي)** إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن، قالوا: قد حمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من ماء ولا مرعى. **قوله: (﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾)** في التفسيرات الأحمدية: وينبغي أن يعلم أنّ الله تعالى ذكر مسائل المحلّلات والمحرَّمات كثيرًا ردًّا على الكفّار المحلّلين لمحرّمات الله تعالى، والمحرّمين لمحلّلاته بمجرّد افتراء، وتقول بأبلغ ردّ وآكده وأكثر هذه الرسومات البدعة سيما جعل نصيب من الحرث والأنعام للآلهة، وعدم اشتراكه لله تعالى مما قد اشتهر في زماننا بين النساء الناقصات العقل والدِّين، فإنهنّ كثيرًا ما ينذرن نذورًا للشياطين والأجِنّة أو لبعض بني آدم مما جعلنه متديّنًا في زعمهنّ ويحرمن التناول من تلك النذور ما لم يتصدّقن به على وجه اخترعنه باتّباع الهوى النفايسة ويعتقدن أنها إن أخطأنَ فيها أحيانًا يهلك أموالهنّ ويموت أولادهنّ معاذ الله من ذلك، ولعمري إن ما أخبر الله تعالى بشناعة حال الكفار في ذلك ما أصدق دليلًا على بطلان هذه الرسوم التي اشتهَرت بين بعض الأنام، وتفرّد بهذا خاطري، وهو أعلم بحقيقة الحال وحقيقة المقال.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾)... الخ. في التفسيرات الأحمديّة: اعلم أنه قد عرفت في كتب الفقه أن الجنين إذا وُجِد في بطن أمّه حيًّا

يأكل منه الإناث، وما وُلد ميتًا اشترك فيه الذكور والإناث. وأنّث ﴿خَالِصَةٌ﴾ وهو خبر «ما» للحمل على المعنى لأن «ما» في معنى الأجنّة، وذكَّر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ حملًا

يحلّ بالذبح بالاتّفاق، وإذا وُجِد في بطن أُمّه ميتًا؛ فعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يحل، وعند أبي يوسف ومحمّد والشافعي رحمه الله: إذا تمّ خلقه أكل وذكاة الأُمّ ذكاة له، وهذه المسألة وإنْ كانت معروفة في كتب الفقه إلّا أنها لم يثبتها أحد من القرآن ولم يتعرّض له، ونحن نُثْبتها من هذه الآية وهي في بيان رسم آخر للكفار وطريقه أنّ الله تعالى ذكر في هذه الآية أولًا ما يقول الكفار من أن ما في بطون هذه الأنعام، يعني أجِنّة البحائر والسوائب، إن يكنّ حيًّا فهو خالِصَة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهو لجملتنا على السواء من غير تفريق بين الرجال والنساء، ثم اعترض عمّا يقولون بقوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾، أي سيجزيهم جزاء وصفهم للجنين بهذه الصفة بسوء الجزاء وكمال العقاب، وأيضًا ذمّهم بالخسران في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾، والمراد بهم ربيعة ومُضَر وسائر سُفَهاء العرب الذين كانوا يَئِدُون بناتهم مخافة السَّبْي والفقر، وحرَّموا البحائر والسّوائب وسائر ما حلّله الله تعالى. وبالجملة، فعلم أنّ الله تعالى غير راضٍ بهذا الحكم، أي التفريق في الجنين الحيّ بين الذكور والإناث، وعدم التفريق في الجنين الميت بجعله حلالًا للكل، فهٰهنا أمران وعدم رضائه بهذا الحكم يحتمل أن يكون لأجل كِلا الأمرين، ويحتمل أن يكون لأجل الأوّل فقط، ويحتمل أن يكون لأجل الثاني فقط، ولا قائل بالمذهب الأخير، وهو أن يكون لأجل الثاني فقط؛ لأنه حينئذ يكون تفريقهم بين الذكور والإناث في الجنين الحيّ حسنًا، وإنما يُؤاخذون بجعل الكلّ شريكًا في الميت فقط، فتعيّن الأولان ومال الشافعي رحمه الله إلى الثاني منهما، ولذا حكم بأنّ تفريقهم في الجنين الحيّ بين الذكور والإناث باطل، فقال: إن الجنين الحيّ حلال لكلٍّ منهما، وحكم بأن جعل الكفار شريكًا للذكور والإناث جميعًا في الجنين الميت جائز، فقال بأنّ الجنين الميت حلالٌ مطلقًا وسوق النص يقتضي هذا المعنى؛ لأن الآية في بيان تشنيع أن الكفار حرَّموا ما أحلّ الله لهم، والقرينة عليه عموم قوله تعالى فيما بعد: ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾، وإنّما المراد مما رزقهم الله أعمّ من أن يكون بحائر وسوائب أو الجنين، وأنهم لم يُحرِّموا الميتة

على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ أي وإن يكن ما في بطونها ميتة. («وإن تكن ﴿مَّيْتَةً﴾» أبو بكر) أي (وإن تكن الأجنة ميتة، «وإن تكن ميتة» شاميّ على «كان» التامة، ﴿يَكُن﴾ «ميتةٌ» مكيّ) لتقدم الفعل. وتذكير الضمير في ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ لأن الميتة اسم لكل ميت ذكر أو أُنثى فكأنه قيل: وإن يكن ميت فهم فيه شركاء ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في جزائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ باعتقادهم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ (كانوا يئدون) بناتهم مخافة (السبي) والفقر (﴿قَتَّلُوٓاْ﴾ مكيّ وشاميّ).

من الجنين، وإنما حرَّموا الحيّ منها على الإناث، ومال أبو حنيفة رحمه الله إلى الأوّل منهما، يعني كما أنّ تفريقهم في الجنين الحيّ باطل كذلك تعميمهم في الجنين الميت بجعله حلالًا للكل أيضًا باطل، وهذا يحتمل أيضًا وجهين، وهو أن يكون هذا التعميم باطلًا، إمّا لأنه يجري فيه التفريق أيضًا بين الذكور والإناث، وإمّا لأنه ضدّ ما قرّرتم، يعني أنه حرام للكل، والأول باطل؛ لأنه لا قائل به أحد، فتعين الثاني، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله من أنّ الجنين الميت حرامٌ للكل، ولا شكّ أن الاحتياط فيه؛ لأن فيه صرف قوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ إلى إبطال جميع ما اعتقده الكفار، وهذا الذي جرى منّا إنما هو بمجرّد ما نسجه عنكبوت خاطري من غير اطّلاع على الكتب، وبيدك التأمّل والإنصاف، وهو أعلم بما هو الصواب.اهـ. **قوله:** («وإن تكن») بالتأنيث (﴿مَّيْتَةً﴾) بالنصب (أبو بكر) شعبة عن عاصم، أي (وإن تكن الأجنّة ميتة، «وإن تكن») بالتأنيث («ميتةٌ») بالرفع (شاميّ، على كان التامة. ﴿يَكُن﴾) بالتذكير («ميتةٌ») بالرفع (مكيّ) أي ابن كثير المكّيّ. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يَكُن﴾ بالتذكير ﴿مَّيْتَةً﴾ بالنصب.

قوله: (كانوا يئدون) أي يقتلون. **قوله:** (السَّبْي) أي الأسر. **قوله:** (﴿قَتَّلُوٓاْ﴾) بتشديد التاء (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف.

﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (لخفة أحلامهم) وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من البحائر والسوائب وغيرها ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ مفعول له ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الصواب.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ من الكروم ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ (مسموكات) مرفوعات ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ (متروكات) على وجه الأرض لم تعرش، يقال: عرشت الكرم إذا جعلت له (دعائم) و(سمكًا تعطف) عليه (القضبان) ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا﴾ في اللون والطعم (والحجم) والرائحة، وهو حال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفًا وهو كقوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: الآية ٧٣] ﴿أُكُلُهُ﴾ («أُكْله» حجازي) وهو ثمره الذي يُؤكل، والضمير للنخل، والزرع داخل في حكمه لأنه معطوف عليه، أو لكل واحد ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ في اللون ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في الطعم ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ من ثمر كل واحد، وفائدة ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ أن يعلم أن أول وقت الإباحة

قوله: (لخفة أحلامهم) أي عقولهم تفسير للسّفه.

قوله: (مسموكات) أي مرفوعات. **قوله:** (متروكات) على وجه الأرض لم تعرش، وقيل: المعروشات ما عرشه الناس فعرشوه، وغير معروشات ما نبت في البراري[1] والجبال، وبالأوّل اكتفى صاحب المدارك، وذكرهما جميعًا غيره. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (دعائم) الدعامة ـ بالكسر ـ العِماد. **قوله:** (سَمْكًا) أي سقفًا. **قوله:** (تعطف) في المصباح: عطفت الشيء عطفًا ثنيته أو أمَلْته فانعطف. اهـ. **قوله:** (القضبان) في مختار الصّحاح: القَضِيب الغُصْن، وجمعه قضبان ـ بضم القاف وكسرها أيضًا ـ نقلهما الأزهري. اهـ. **قوله:** (والحَجْم) في مختار الصحاح: حَجْم الشيء جسده. **قوله:** («أُكْله») بإسكان الكاف (حجازيّ) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازي، أي نافع المدني وابن كثير المكّيّ.

---

(١) جمع برية معروف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وقت إطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم أنه لا يُباح إلا إذا (أدرك ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ **عشره وهو حجة أبي حنيفة** رحمه الله **في تعميم العشر** ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾

والباقون بالضمّ. **قوله:** (أدرك) أي نضج وتمّ. **قوله:** (﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ **عشره وهو حجّة أبي حنيفة رحمه الله تعالى في تعميم العشر**) ويسمّى هذا زكاة الخارج في الفقه، وبيان المسألة أنّ عند أبي حنيفة رحمه الله في كلّ ما أخرجته الأرض تجب الزكاة إلّا الحطب والقصب والحشيش، ولكن فرّق بين ما سقي بسيح أو سقته السماء، وبين ما سقي بغرب أو دالية، فإنّ الواجب في الأوّل العُشر، وفي الثاني نصفه لكثرة المُؤْنة فيه، وقلّتها في الأول، ولم يشترط بقاءه سنة ولا بلوغه خمسة أوسق عنده وعند أبي يوسف ومحمّد رحمهما الله، هما شرطان لوجوب الزكاة، فليس في الخضروات ولا في القليل زكاة عندهما، وهكذا يوجب العُشر في العسل إذا أُخذ من أرض العُشر؛ لقوله عليه السّلام: «في العسل العُشر». وعند الشافعي رحمه الله: لا يجب؛ لأنه متولّد من الحيوان، فأشبه الإبريسم، ولكن عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: لا فرق بين أن يقلّ العسل أو يكثر، وعن أبي يوسف رحمه الله: أنه يعتبر فيه قيمة خمسة أوسق، وفيه روايات كثيرة عنهما، وهكذا يوجب أبو حنيفة رحمه الله العُشر في جميع ثمار الجبال وعسلها؛ لأن المقصود وهو الخارج حاصل. وعن أبي يوسف رحمه الله: أنه لا يجب؛ لانعدام السبب وهو الأرض النامية، ولكن قول أبي حنيفة رحمه الله راجح لما عرفت من معنى معروشات آخر، وهكذا يجب العُشر في دار جُعلت بستانًا إنْ سقاها المسلم بماء العُشْر. وأمّا إنْ سقاها بماء الخراج فخراج، بخلاف ما إذا سقاها الذمّي، فإنه يجب الخراج، وإنْ سقاها بماء العشر؛ لأنه ليس أهلًا للقربة، وبخلاف الدار التي للسكنى، فإنه لا يجب فيها شيء؛ لأن عمر رضي الله تعالى عنه جعل المساكن عفوًا، وإنما أطْنَبْنا الكلام في هذا الموضع لأنّ الله تعالى جعل الآية مُشتملة على ذكر بستان ثمار وزروع، وذكر من الثمار ثلاثة: النخل والزيتون والرمّان، فبيّنت كلّ واحد منها بملحقاته ناقلًا عن الهداية، وقد أورد هو هذه المسائل كلّها في كتاب الزكاة بتفاصيلها وتفاصيل دلائلها العقليّة والنقليّة، ولعلّه إنما لم يتعرّض لإثباتها من هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ (يَوْمَ حَصَادِهِۦ)﴾ ذهابًا إلى ما عليه الجمهور، وهو أنّ المراد بالحق ما يتصدّق به يوم الحصاد، وكان ذلك واجبًا، ثم نسخه افتراض العُشر أو نصفه لا

بصري وشامي وعاصم، وبكسر الحاء غيرهم. وهما لغتان) ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بإعطاء الكل وتضييع العيال. وقوله: ﴿كُلُواْ﴾ إلى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ اعتراض.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح، أو الحمولة الكبار التي تصلح للحمل

الزكاة المفروضة المعروفة؛ لأن الآية مكِّيّة، والزكاة إنما فُرِضت بالمدينة، كما اختار الشيخ الأجلّ البيضاوي في تفسيره متابعةً لصاحب الكشاف حيث قدَّم هذا التوجيه على غيره، ونقل أنه لمّا نزل الأمر بالإيتاء تصدّق ثابت بن قيس كلّ نخلتها التي كانت قريبة بخمسمائة أو ثلاثمائة حتى لم يبق شيءٌ منها، فنزل النهي عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾، أي لا تعطوا الصدقة بكلّ المال، وقيل: معناه لا تمنعوا الصدقة، أي لا تجاوزوا عن حدّها، بل أعطوها. وقال الإمام القشيري: كلّ ما بذل الإنسان لنفسه فهو إسراف، وإنْ كان مثل سُمْسمة، وما بذله لله الفقراء، فليس بإسراف، وإنْ كان ألفًا من الخزائن، وهو أقرب؛ هكذا في الحسيني. وقال الإمام الزاهد: قيل: معناه: لا تُسرفوا بالزيادة على العُشرِ أو بإمساكه، وهو قريب من الأوّل. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

وقوله: (**أبي حنيفة**) هو الإمام البارع نعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة. **قوله:** (﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾) بفتح الحاء (**بصريّ**) أي أبو عمرو البصريّ، وكذا يعقوب البصريّ، وليس من السبعة. (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وعاصم**) بن أبي النَّجود، ويقال: ابن بَهْدلة، وقيل: اسم أبي النَّجود عبد الله، وبهدلة اسم أُمّه، وهو مولى نضر بن قُعَيْن الأسديّ، ويُكنى أبا بكر، وهو من التابعين لحق الحارث بن حسان وافد بني بكر، وتوفي بالكوفة سنة ثمان، وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة. اهـ تيسير. (**وبكسر الحاء غيرهم، وهما لغتان**) في المصدر؛ كقولهم: جِداد وجَداد.

والفرش الصغار (**كالفصلان والعجاجيل**) والغنم لأنها دانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي ما أحلّ الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرقه في التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ فاتهموه على دينكم.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)﴾

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى، والواحد إذا كان وحده فهو فرد، وإذا كان معه غيره من جنسه سُمِيَ كل واحد منهما زوجًا وهما زوجان بدليل قوله: ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم: الآية ٤٥] ويدلّ عليه قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ثم فسّرها بقوله: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ والضأن والمعز جمع ضائن وماعز (**كتاجر وتجر**. **وفتح عين المعز: مكيّ وشاميّ وأبو عمرو وهما لغتان**).

والهمزة في ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ للإنكار. والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز، وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأُنثى من المعز والمعنى إنكار أن يحرّم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئًا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل الإناث، وذلك أنهم كانوا يحرّمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها (**طورًا**) وأولادها كيفما كانت ذكورًا أو إناثًا أو مختلطة تارة، وكانوا يقولون: قد حرّمها الله فأنكر ذلك عليهم. وانتصب ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ بـ ﴿حَرَّمَ﴾ وكذا ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أي أم حرم الأنثيين وكذا «ما» في ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ﴾

قوله: (كالفصلان) بضم الفاء وكسرها جمع فصيل، والفصيل ولد الناقة إذا فُصِل عن أُمّه. **قوله: (والعجاجيل)** جمع العجل، ولد البقرة.

قوله: (كتاجر وتجر) مثل صاحب وصحب. **قوله: (وفتح عين المعز، مكّي)** أي ابن كثير المكّيّ (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وأبو عمرو**) البصريّ. وقرأ الباقون بسكون العين، (وهما **لغتان**) في جمع ماعز كخادم وخَدْم وتاجر وتَجْر. **قوله:** (طَوْرًا) ـ بالفتح ـ أي تارة.

﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ﴾ أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدلّ على تحريم ما حرمتم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الله حرّمه.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ منهما ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ﴾ أم ما تحمل إناثها ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ «أم» منقطعة أي بل أكنتم شهداء ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ﴾ يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم. ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرّم هذا الذي نحرّمه تهكم بهم في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر. **(فوقع الفاصل)** بين **(بعض المعدود وبعضه اعتراضًا)** غير أجنبي من المعدود، وذلك أن الله تعالى مَنَّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم، فالاعتراض بالاحتجاج على مَن حرّمها يكون تأكيدًا للتحليل، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لأن وحي السنّة قد حرّم غيره، أو من الأنعام لأن الآية في رد البحيرة وأخواتها. وأما

قوله: (فوقع الفاصل) أي ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الآية. **قوله: (بعض المعدود)** وهو قوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾. **قوله: (وبعضه)**، وهو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾. **قوله: (اعتراضًا)** أي للاعتراض.

(الموقوذة) و(المتردية) و(النطيحة) فمن الميتة، وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس ﴿مُحَرَّمًا﴾ حيوانًا حرّم أكله ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ على آكل يأكله ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة («أن تكون» مكيّ وشاميّ وحمزة «ميتةٌ» شاميّ) ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ مصبوبًا سائلًا فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ نجس ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطف على المنصوب قبله. وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ منصوب المحل صفة لـ ﴿فِسْقًا﴾ أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله، وسُمِيَ بالفسق (لتوغله) في باب الفسق ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله (تارك لمواساته) ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوز قدر حاجته من تناوله ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا (كُلَّ) ذِى ظُفُرٍ﴾ أي (ما له أصبع) من دابّة أو طائر ويدخل فيه الإبل والنعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ أي

قوله: (الموقوذة) التي أثخنوها ضربًا بعصًى أو حجر حتى ماتت. **قوله:** (المتردّية) التي تردَّت من جبل أو في بئر، فماتت. **قوله:** (النَّطيحة) المنطوحة، وهي التي نطحتها أخرى، فماتت بالنّطح. **قوله:** («أن تكون») بالتاء على التأنيث (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ، (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وحمزة). والباقون بالياء على التذكير. **قوله:** («ميتةٌ») بالرفع (شامي) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بالنصب. **قوله:** (لتوغله) في مختار الصّحاح: توغّل في الأرض إذا سار فيها وأبْعَد. اهـ. **قوله:** (تارك لمواساته) المواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزة فقُلِبت واوًا تخفيفًا. اهـ لسان العرب.

قوله: (﴿كُلَّ﴾ ما له أصبع) وذوات الأظلاف، وهي البقر والغنم والظباء لا أصبع لها، فهي محلّلة لهم سواء كان ما بين أصابعه منفرجًا؛ كأنواع السباع

حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه، ولم يحرم من البقر والغنم إلا الشحوم وهي **(الثروب)** وشحوم **(الكلى)** ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من **(السَّحفة)** ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء **(واحدها حاوياء أو حوية)** ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ وهو **(الألية)** أو **(المخ)** ﴿ذَٰلِكَ﴾ مفعول ثانٍ لقوله: ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ والتقدير جزيناهم ذلك ﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبَّب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحليل الحرام حيث قال: (﴿وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾) [البقرة: الآية ١٨٧].

والكلاب والسنانير(١)، أو لم يكن منفرجًا؛ كالإبل والنّعام والإوزّ والبطّ. **قوله: (الثروب)** جمع ثَرب ـ بالثاء المثلّثة والراء المهملة والموحدة ـ وزان فلس وهو شحم رقيق على الأمعاء والكرش.

قوله: (الكُلى) بضم الكاف كُلْيَة معروفة. **قوله: (السّحفة)** وهي ـ بفتح السين وسكون الحاء المهملة ـ الشحمة التي على الظهر الملتصقة بالجلد فيما بين الكتفين إلى الوركين، وفي الكواشي: هو ما عَلِق بالظهر والجنب من داخل. **قوله: (واحدها حاوياء)** كقاصعاء وقواصع **(أو حويّة)** كسفينة وسفائن. **قوله: (الألْية)** بالفتح.

قوله: (المخ) الودك الذي في العظم. **قوله: (﴿وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾)** كان الرجل إذا أمسى حلّ له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلّي العشاء الأخيرة أو يرقد، فإذا صلّاها أو رقد ولم يفطر حرُم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إنّ عمر رضي الله تعالى عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الأخيرة، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبيّ ﷺ وأخبره بما فعل، فقال ﷺ: «ما كنت جديرًا بذلك»؛ فنزل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ حين تُبتم مما ارتكبتم من المحظور، وعفا عنكم ما فعلتم قبل الرخصة؛ فالآن باشروهنّ وجامعوهنّ في ليالي الصوم، وهو أمر إباحة.

---

(١) جمعه سِنَّوْر، والسنور الهرّ، والأنثى سنورة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما أوحيت إليك من هذا ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ بها يمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه مع سعة رحمته ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إذا جاء فلا تغترّ بسعة رحمته عن خوف نقمته.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إخبار بما سوف يقولونه ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نشرك ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ ولكن شاء فهذا عذرنا، يعنون أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم (ما أحلّ الله) لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كتكذيبهم إياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم و(تشبثوا) بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك إذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء، ولأنهم جعلوا مشيئته حجة لهم على أنهم معذورون به وهذا مردود لأنّ الإقرار بالمشيئة، أو معنى المشيئة هنا الرضا كما قال (الحسن): (أي) رضي الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضي، ألا ترى أنه قال ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الإيمان بل شاء من البعض الإيمان ومن البعض الكفر، فيجب حمل المشيئة هنا على (ما) ذكرناه دفعًا للتناقض ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ حتى أنزلنا عليهم العذاب ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ فتظهروه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون.

قوله: (ما أحل الله) مفعول تحريمهم. **قوله:** (تشبّثوا) التشبّث بالشيء التعلّق به. اهـ مختار الصّحاح.

قوله: (الحسن) البصري رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أي ما) أي الذي.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾ عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته (﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾) أي فلو شاء هدايتكم **(وبه يبطل)** صولة المعتزلة ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ هاتوا شهداءكم وقربوهم، **(ويستوي في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث)** عند الحجازيين، **(وبنو تميم تؤنث وتجمع)** ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا﴾ أي ما زعموه محرمًا ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلّم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدًا منهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن مَن كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقًا بالآيات موحدًا لله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ هم المشركون ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون الأصنام.

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿قُلْ﴾ للذين حرموا الحرث والأنعام ﴿تَعَالَوْا۟﴾ هو من الخاص الذي صار عامًا وأصله أن يقول: مَن كان في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه

قوله: (﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾)، فإن المنتفي فيه هو المشيئة فقط دون الرّضا، فإنّ هداية الجميع مرضية، وإنْ لم يتعلّق بها المشيئة.

قوله: (وبه يبطل) قول المعتزلة، وفي بعض النسخ: وبه تبطل صولة المعتزلة. **قوله:** (**ويستوي في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث**)، نحو: هلمّ يا زيد يا زيدان يا زيدون يا هند يا هندان يا هندات. **قوله:** (**وبنو تميم تؤنّث وتُجمع**)، فيقال: هلمّ هلمّا هلمّوا هلمّي هلمن.

(ثم كثر حتى عمّ) ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ الذي حرّمه ربكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من صلة حرم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ «أن» مفسرة لفعل التلاوة و«لا» للنهي ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأحسنوا بالوالدين إحسانًا. ولما كان إيجاب الإحسان تحريمًا لترك الإحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الأوامر ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ من أجل فقر **(ومن خشيته)** كقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ لأن رزق العبيد على مولاهم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ما بينك وبين الخلق ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ ما بينك وبين الله، ما ظهر **(بدل من الفواحش)** ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقصاص والقتل على الردة والرجم ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ أي المذكور مفصلًا أمركم ربكم بحفظه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لتعقلوا عظمها عند الله.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بالخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أشده مبلغ حلمه فادفعوه إليه **(وواحده شدّ)** كفلس وأفلس ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالسوية والعدل ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا

قوله: (ثم كثر حتى عمّ) حيث قاله وتكلّم به كلّ مَنْ طلب أن يتقدّم ويصل إليه شخص، سواء كان الطالب في علوّ أو سفل أو غيرهما. **قوله: (ومن خشيته)**... الخ. إشارة إلى أن الآية شاملة لقتل الأولاد للفقر الحاصل بالفعل أو لخشية الفقر في المستقبل، والقرآن يفسّر بعضه بعضًا. وقيل: إنّ الخطاب في كلّ آية لصنف منهم، وليس خطابًا واحدًا، فالمخاطَب بقوله: ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ من ابتلي بالفقر، وقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] مَنْ لا فقر له، ولكنه يخشى الفقر؛ ولهذا قدّم رزقهم هنا، فقيل: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وقدَّم رزق أولادهم في مقام الخشية، فقيل: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] وهو كلامٌ حسن. **قوله: (بدل من الفواحش)** بدل اشتمال.

قوله: (وواحده شدّ) كفلس وأفلس، مثل كَلْب وأكْلُب.

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلا ما يسعها ولا تعجز عنه، وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفوّ عنه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ فاصدقوا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله: (﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾) [النساء: الآية ١٣٥] ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ يوم الميثاق أو في الأمر والنهي والوعد والوعيد والنذر واليمين ﴿أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ﴾ أي ما مرّ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالتخفيف حيث كان: حمزة وعلي وحفص على حذف إحدى التاءين. غيرهم بالتشديد أصله «تتذكرون» فأدغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتتعظوا.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ ولأن هذا صراطي فهو علّة الاتباع بتقدير اللام، (﴿وَأَنْ﴾ **بالتخفيف شاميّ، وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث. «وإنَّ» على الابتداء: حمزة وعلي**) ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات

قوله: (﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾) ولو كانت الشهادة على أنفسكم، والشهادة على نفسه هي الإقرار على نفسه؛ لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحقّ، وهذا لأنّ الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها في الإخبار عن حقّ لأحد على أحد، غير أن الدّعوى إخبار عن حقٍّ لنفسه على الغير، والإقرار للغير على نفسه، والشهادة للغير على الغير (﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾)، أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأُمّهاتكم وأقاربكم، كذا أفاده المصنّف رحمة الله عليه في تفسير سورة النساء.

قوله: (**﴿وأنْ﴾ بالتخفيف**) أي بفتح الهمزة وتخفيف النون (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن، والحديث، وإنَّ**) بكسر الهمزة وتشديد النون (**على الابتداء حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير اللام.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ **(فتفرقكم أيادي سبأ)** عن صراط الله المستقيم وهو دين

قوله: (فتفرّقكم) يشير إلى أن الباء للتعدية **(أيادي سبأ)** في موضع الحال، أي حال كونكم مثل أيادي سبأ، أو في موقع المصدر، أي تفرّقًا مثل تفرّقهم، وهو تفرّق لا اجتماع بعده، والفاء في فتفرّق جواب النهي، والمضارع المحذوف التاء منصوب بإضمار أن، وفاعله ضمير السبل. **قوله: (أيادي سبأ)** أي في طرق شتّى، واليد في كلام العرب تُطلق على الطريق، يقال: أخذ يد البحر، أي طريقه. وقيل: أيادي سبأ أولاده؛ لأن الأولاد أعضاد للرجل لتقوّيه بهم، والمعنى: مثل تفرّق أولاد سبأ. وفي المفصل: الأيادي الأنفس كنايةً أو مجازًا وهو أحسن من تفسيره بالطرق، وبالأولاد وسبأ مهموز في الأصل غير أنه التزم التخفيف في هذا المثل.

في مجمع الأمثال: «ذهبوا أيدي سبأ وتفرّقوا أيدي سبأ»، أي تفرّقوا تفرّقًا لا اجتماع معه. أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدّثنا أبو خليفة، حدّثنا أبو همام، حدّثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي جناب، عن يحيىٰ بن هانىء، عن فروة بن مسيك[١] قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة؟ فقال: «هو رجل من العرب وَلد عشرة تيامن منهم ستّة وتشاءم منهم أربعة. فأمّا الذين تيامنوا، فالأزد وكنده ومَذْحِج[٢]، والأشعرون، وأنمار منهم بجيلة. وأمّا الذين تشاءموا، فعاملة، وغسان، ولخم، وجذام، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم، وذلك أنّ الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن فردموا ما بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الرّدم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الثاني، ثم من الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذّبوا رسولهم بعث الله جرذًا[٣] نقبت ذلك الردم حتى انتقض فدخل الماء جنّتيهم فغرقهما ودفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سَبَأ: الآية ١٦]»، والعرم جمع عرمة. وهي

---

(١) بمهملة مصغرًا. اهـ تقريب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) كمجلس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) كَصُدَدٍ ضرب من الفار. ١٢ منه عمّ فيضهم.

الإسلام. (**رُوِيَ أن رسول الله ﷺ خط خطًا مستقيمًا**) ثم قال: «هذا سبيل الرشد

السَّكْر[١] الذي يحتبس الماء. وقال ابن الأعرابي: العرم السَّيْل الذي لا يُطاق. وقال قتادة ومقاتل: العرم اسم وادي سبأ. وأخبرنا الإمام علي بن أحمد أيضًا، أخبرنا أبو حسان المزكي، أخبرنا هٰرون بن محمد الأستراباذي، أخبرنا إسحٰق بن أحمد الخزاعيّ، أخبرنا أبو الوليد الأرزقي، حدّثنا جدّي، حدّثنا سعيد بن سالم القدَّاح، عن عثمان بن ساج، عن الكلبيّ، عن أبي صالح قال: ألقيت طريقة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيًا ابن ماء السماء، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكانت قد رأت في كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب، وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنّتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكّة، فأقاموا بمكّة وما حولها، فأصابتهم الحُمّى، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمّى، فدعوا طريقة فشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا، قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: مَنْ كان منكم ذا همّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد؛ فكانت أزد عمان، ثم قالت: مَنْ كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدَّهر، فعليه بالأراك من بطن مرّ؛ فكانت خزاعة، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النَّخل؛ فكانت الأوس والخزرج، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير ويلبس الدِّيباج والحرير، فليلحق ببصرى وغوير، وهما من أرض الشام؛ فكان الذين سكنوها آل جفنة من غسان، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الثياب الرّقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدّم المهراق، فليلحق بأرض العراق؛ فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة وآل محرّق. اهـ.

قوله: (رُوِي أنّ رسول الله ﷺ خطّ خطًا مستقيمًا)... الخ. هكذا ذكره جماعة أيضًا، فعلم أن تلاوة رسول الله ﷺ هذه الآية حين أقام تلك الخطوط أنّ

---

(١) وهي سدّ النهر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وصراط الله فاتبعوه» ثم خطّ على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال: «هذه سبل

المراد بالطريق الواحد والطرق المختلفة الفرق التي تكون في أُمّته من ثلاثة وسبعين، فاثنان وسبعون منها هالكة، وواحدة منها ناجية، وهكذا يُفهم من الحديث المشهور، وهو قوله عليه السلام: «ستفترق أُمّتي على ثلاثة وسبعين فرقة، واحدةٌ منها ناجية والبواقي هالكة»، أو «كلّهم في النار إلا واحدة»، وفي بعض الروايات: «على بضع وسبعين فرقة»، وفي بعضها: «على اثنين وسبعين فرقة»، والأصحّ هو الأوّل، وهو أنّ الناجية واحدة والهالكة اثنان وسبعون، ولمّا كان هٰهنا مذكور الفرق الإسلامية ونجاتهم وهلاكهم أوردنا بذيل الآية بيان أسمائهم وتفاصيل أقوالهم وعقائدهم ليكون تذكرةً للإخوان وتبصرةً لذوي الأذهان؛ فنقول: الفرقة التي هي ناجية من الجميع، وإنْ كانت مُبهمة يصرفها كل مؤول إلى مَنْ يشاء، ولكن بالتحقيق والصدق مَنْ كان على طريق السنّة والجماعة، أي تابعًا لما كان عليه الصحابة والتابعين ومضى عليه السّلف الصالحون، إذ رُوِي أنه استُفْسِر عليه السلام عنها، فقال: «مَنْ كان على السنّة والجماعة»، وفي رواية: «ما أنا عليه وأصحابي»، وفي رواية عن ابن عباس أنه «مَنْ كان فيه عشر خصال: تفضيل الشيخين، وتوقير الختنين، وتعظيم القبلتين، والصلاة على الجنازتين، والصلاة خلف الإمامين، وترك الخروج على الإمامين، والمسح على الخفّين، والقول بالتقديرين، والإمساك عن الشهادتين، وأداء الفريضتين»، يعني تفضيل أبي بكر وعمر، وتوقير عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهم، وتعظيم بيت المقدس والكعبة، والصلاة على جنازة الفاسق والصالح جميعًا، وكذا الصلاة خلف الإمام الفاسق والصالح جميعًا، وترك الخروج على السلطان الجائر والعادل جميعًا، والمسح على الخفّين في الحضر والسفر جميعًا، والقول بأن تقدير الخير والشرّ كلاهما من الله تعالى، والإمساك عن شهادة الجنّة والنار لأحد بعينه سوى العشرة المبشّرة ونحوهم، وأداء فرض الصلاة والزكاة جميعًا، ولعلّ هذا معظم مسائل أهل السنّة والجماعة، وإلّا فمثل حقيّة عذاب القبر ورؤية الله تعالى وغير ذلك أيضًا مما هو مختصّ بالسنّة والجماعة، أو نقول: إنّ شرائط السنّة والجماعة هي العشرة، والمسائل الأُخر ليست مشروطًا لها، وإنْ كانت مختصّة بها. والفرق الأُخر التي هالكة جميعًا في الأصل ستّة: الروافض، والخوارج، والجبريّة، والقدريّة،

على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها» وتلا هذه الآية. ثم يصير كل

والجهميّة، والمرجئة، ثم يصير كلّ منها اثنا عشر، فيصير اثنين وسبعين. ففرق الروافض علويّة إبرية شيعيّة إسحٰقيّة زيديّة عباسيّة إماميّة متناسخيّة ناوسيّة لاعنيّة راجعيّة مترابطيّة. وفرق الخوارج: أزارقة إباحيّة تعليّة حازميّة خلفيّة نوريّة معتزلة ميمونيّة كنزيّة محكميّة أخنسيّة ثمراخيّة. وفرق الجبرية: مضطريّة أفعاليّة لعبيّة مفروعيّة نجّارية مطيميّة كسليّة شايقيّة حبيبيّة خوفيّة مكرميّة مكسليّة. وفرق القدريّة: أحمديّة نبويّة كساسيّة شيطانيّة شريكيّة وهميّة رويديّة ناكسيّة مبريّة ناسطيّة نظاميّة منزليّة. وفرق الجهميّة: مخلوقيّة غبريّة وافعيّة قربيّة زنادقيّة نغطيّة رابعيّة متراقبيّة واردسيّة فانيّة محربعيّة معطّليّة. وفرق المرجئة: تاركية شائيّة راجيّة ساكيّة بهتيّة عمليّة منقوصيّة مشيّة أسيريّة بدعيّة حشرويّة مشخصيّة؛ هذه أسامي الفرق، وكلّ منها باطلة عقائدهم فاسدة مذاهبهم؛ لأن الروافض بأجمعهم لا يُسِنّون الجماعة والإقامة والمسح على الخفّين والتراويح ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة والتعجيل في الإفطار وصلاة المغرب، ويظنّون تفضيل فاطمة على عائشة، ويلعنون الصحابة كلّهم إلّا عليًا رضي الله تعالى عنهم، ويلعنون طلحة والزبير وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، وييأسون من الرحمة، ولا يقولون بإيقاع الطلاق الثلاث بلفظ واحد حتى يفردها. والخارجيّة بأجمعهم لا يسنّون الجماعة، ويُكفّرون أهل القبلة بالذنب، ويرون الخروج على الإمام الظالم، ويلعنون عليًا رضي الله تعالى عنه. .والجبرية يقولون: لا اختيار للعبد أصلًا، وإنما عليه الجبر؛ ففيه إبطال الثواب والعقاب والحلال والحرام والفرائض والواجبات، ويقولون: المال محبوب الله تعالى. والقدريّة يقولون: الفعل كلّه للعبد، فيلزم فيه الشّرك لله تعالى، ولا يلزم أحد من المحظورين في مذهبنا؛ لأنهم لا يقولون: الخالق لأفعال العباد هو الله، والكاسب هو العبد؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصّافات: الآية ٩٦]، ويقولون: يجوز أن يكون الشيء كفرًا عند الله إيمانًا عند الخلق، ولا يُوجبون صلاة الجنازة ويُنكرون الميثاق، ويزعمون أنّ التوفيق قبل الفعل؛ كما أنّ الجبرية يقولون: إنه بعد الفعل، وعندنا الاستطاعة مقارن مع الفعل لا قبله ولا بعده، ولا يقولون بحقّية المعراج المعروف، بل يظنّون أنه في النّوم معاذ الله عن ذلك. والجهميّة يقولون: الإيمان بالقلب فقط دون اللّسان، ويُنكرون تكلّم موسى

واحد من الاثني عشر طريقًا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين، وعن ابن عباس ﵄: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب. وعن (كعب):

عليه السلام مع الله تعالى، وكذا يُنكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير والحوض والكوثر، ويُنكرون ملك الموت، ويزعمون أنه أوهام وخيالات، وإنما القابض للأرواح هو الله تعالى. والمُرجئة يقولون: بأنّ الله تعالى خلق آدم على صورته، وبأن له جسمًا وتحيّزوا العرش مكانه، وبأن العبد لا يضرّه ذنب بعد الإيمان، والمعروض على العباد وهو الإيمان فقط، ويُنكرون الصلاة والزكاة وغيرهما من الفرائض والواجبات، ويزعمون أن النساء مثل الرياحين فليأخذها مَنْ يشاء بغير نكاح، وفي هذه الأقوال إنكار كثير من الآيات والسنن وأقوال الصحابة والتابعين، ثبّتنا الله تعالى على عقيدة السنّة والجماعة، وحَفَظنا الله تعالى عن البدعة والضلالة، ونبيّن الردّ على كلِّ واحدٍ منهم مما وجدته في القرآن بحسب الوِسْع والإمكان إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ كلّاً من الستّة من هذه الأُصول كما اتّفقوا فيما بينهم في هذه المسائل، فلهم أقوال مختلفة فيما بينهم أيضًا، وفي ذكرها إطناب وإملال، وهذا كله رواية من رسالة ابن السراج.

وفي شرح الوقاية: جعل المعطليّة أصلًا، والجهميّة فرعًا منها، وكذا جعل المشبه أصلًا والمرجئة فرعًا منها بالإجمال. وقيل: الأُصول اثني عشر، ولكلٍّ منها ستّة فروع على ما يشير إليه كلام المفسّرين، وقد ذكرها صاحب المواقف بوجهٍ آخر من حيث جعل الأُصول ثمانية: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمُرْجِئة، والنجاريّة والجبريّة، والمشبّهة، والناجية؛ فالمعتزلة عشرون، والشيعة اثنان وعشرون، والخوارج عشرون، والمُرجئة خمسة، والنجّارية ثلاثة، والجبرية واحدة، وكذا المشبّهة والناجية، وذكر أسمائهم وعقائدهم فيما أجمعوا عليه وفيما اختلفوا فيه على تفصيل مخالف لما سبق تركتها للإملال وخوف الإطناب. اهـ تفسيرات الأحمدية.

قوله: (كعب) بن مَاتع ـ بالتاء المثناة فوق ـ وهو كعب الأحبار التابعي المشهور، أدرك زمن النبيّ ﷺ ولم يرَه، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في

إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتكونوا على رجاء إصابة التقوى. ذكر أولًا ﴿تَعْقِلُونَ﴾ ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾ لأنهم إذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أي اتعظوا فاتقوا المحارم.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا﴾ أي ثم أخبركم أنّا آتينا أو هو عطف على ﴿قُلْ﴾ أي ثم قل آتينا، أو «ثم» مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [يونس: الآية ٤٦] ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ على مَن كان محسنًا صالحًا يريد جنس المحسنين دليله قراءة (عبد الله) «على الذين أحسنوا» أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وبيانًا مفصلًا لكل ما يحتاجون إليه في دينهم ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون أي بالبعث والحساب وبالرؤية.

خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وصحب عمر وأكثر الرواية عنه، ورَوى أيضًا عن صُهيب. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو هريرة وخلائق من التابعين، منهم ابن المسيّب، واتّفقوا على كثرة عِلْمه وتوثيقه، وكان قبل إسلامه على دين اليهود. مات في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، سنة اثنتين وثلاثين، ويقال له: كعب الأحبار، وكعب الحِبْر ـ بكسر الحاء وفتحها ـ لكثرة عِلمه، ومناقبه وأحواله وحِكَمِه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**عبد الله**) بن مسعود، هو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب، وأُمّه أُمّ عبد ودّ بن سواء أسلمت وهاجرت، فهو صحابي ابن صحابيّة. أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطّاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلْبسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لترحموا ﴿أَن تَقُولُوا﴾ **(كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا)** ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ أي أهل التوراة وأهل الإنجيل، وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ عن تلاوة كتبهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ لا علم لنا بشيء من ذلك «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والأصل: وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن، والخطاب لأهل مكة والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ﷺ كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَٰتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ كراهة أن تقولوا ﴿لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لحدة أذهاننا و**(ثقابة)** أفهامنا و**(غزارة)** حفظنا **(لأيام العرب)** ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾

مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد والسواك والنعل. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستّين، وانفرد البخاري بإحدى وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستّين سنة.

قوله: (كراهة أن تقولوا، أو لئلّا تقولوا) حمله البصريّون على حذف المضاف، والكوفيّون على حذف لا.

قوله: (ثقابة) بمثلّثة وقاف وموحّدة بمعنى نفوذ. **قوله: (غزارة)** أي كثرة. **قوله: (لأيام العرب)** أي وقائعها.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي إن صدقتم فيما كنتم تعدّون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع، فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بعدما عرف صحتها وصدقها ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وهو النهاية في (النكاية) ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بإعراضهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فما ينتظرون في ترك الضلالة بعدها ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي ملائكة الموت لقبض أرواحهم (﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ **حمزة وعلي**) ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمر ربك وهو العذاب أو القيامة، وهذا لأن الإتيان متشابه وإتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد إليه (﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾) أي (**أشراط**) الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ لأنه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة ﴿نَفْسًا﴾ ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أي إخلاصًا كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضًا أو توبته وتقديره: لا ينفع إيمان مَن لم يؤمن ولا توبة مَن لم يتب قبل ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾ إحدى الآيات الثلاث ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ بكم إحداها.

قوله: (**النكاية**) بالكسر، أي الانتقام.

قوله: (﴿يَأْتِيَهُمُ﴾) بالياء على التذكير (**حمزة وعلي**) الكسائي. والباقون بالتأنيث؛ لأن لفظ مؤنّث. **قوله:** (﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾) في التفسيرات الأحمديّة: هذه الآية يُفهم منها أوّلًا أن للقيامة علامات تظهر عند أوانها، ويُفهم منها ثانيًا بيان طلوع الشمس من مغربها خاصّة؛ إذ ذكر الله تعالى قوله: ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ مرّتين. وقال في الحسيني: المراد من الأوّل أشراط الساعة مطلقًا، ومن الثاني طلوع الشمس من مغربها. وبيان الأوّل أنّ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ﴾

....

معطوف على يأتي الأوّلِ، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ للإنكار، ومعنى الآية: أنّا أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدونه من الضلالة، فما ينتظرون في ترك الإيمان بعدها ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي ملائكة العذاب أوالموت لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي أمره، وهو العذاب أو القيامة، أو كلّ آياته، يعني آيات يوم القيامة والهلاك الكلّي. وبالجملة لا يستقيم هذا إلّا بحذف المضاف. ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، يعني أشراط الساعة وعلاماتها، والكفار وإن لم ينتظروا في حقّ الإيمان بهذه الأشياء، ولكن لمّا علم الله أنهم اضطرّوا إلى الإيمان عند معاينة هذه المذكورات نزّلهم منزلة المنتظرين لذلك. فالحاصل أنه يثبت أن للقيامة علامات تظهر عند قربها، فبطل بعض ما يتوهم أن القيامة إنما تجيء بغتةً لا علامات لها، مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]، فمعنى البغتة عندنا أنه بعد ظهور العلاماتِ لا توقيت لها بالأيام والساعات، بل إنما تجيء بغتةً، فلها علامات صغرى وكبرى، وعلاماتها الصغرى كثيرة والمعظم منها وهو الكبرى عشرة، ولعلّه هو المراد هٰهنا. وهو ما نُقِل عن حُذيفة والبراء بن عازب ﵄: إنّا كنا نتذاكر الساعة إذ اطّلع علينا رسول الله ﷺ، فقال: «ما تذاكرون»؟ قلنا: نتذاكر الساعة، قال: «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشرة آيات»، فذكر: الدخان، ودابّة الأرض، وخسفًا بالمشرق، وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرَةِ العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، ونارًا يخرج من عدن يمن يطرد الناس إلى محشرٍ لهم، هذا لفظ الحديث والله تعالى قد نصّ في كتابه طلوع الشمس من مَغْرِبها، وبيان الدخان والدابّة، ونزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وخروج يأجوج ومأجوج، ولم أطّلع على بيان الخسوف والدجال والنار في كتاب الله تعالى، وسأذكر كلّاً منها في محالّها مفصّلًا إن شاء الله تعالى، هذا ما هو المشهور.

وذكر الإمام الزاهد في سورة النمل في بيان دابّة الأرض برواية ابن مسعود ﵁ أن أشراط القيامة عشرة: خمسٌ منها مضى، وهي: وجود النبيّ ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان، واللزام، والبطشة، وقيل: هو واللزام واحد كلاهما

....

عذاب يوم بدر. وخمسة بقيت، وهي: خروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وطلوع الشمس من المغرب، ونزول عيسى على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وخروج الدابّة من الأرض؛ وهذه الرواية مخالفة لما هو المشهور. وبيان الثاني: أن قوله تعالى: ﴿نَفْسًا﴾ مفعول لقوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِيمَٰنُهَا﴾ فاعله وهو قوله تعالى: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة لها. وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿ءَامَنَتْ﴾ داخل تحت النفي، ومعنى الآية: يوم يأتي بعض آيات ربّك وهو طلوع الشمس من مغربها لا ينفع الإيمان لمن لم تكن قد آمنت من قبل، أو لم تكن كسبت في إيمانها خيرًا، أي لم تعمل صالحًا من قبل، وهذا على مذهب مَنْ يدخل الأعمال في الإيمان ظاهرًا. وأمّا على مذهبنا، فمشكل وجوابه ما أشار إليه صاحب المدارك: أنّ المراد بالخير الإخلاص أو التوبة، فيكون المعنى على الأول: لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفسًا لم تكسب في إيمانها إخلاصًا، أعني كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها، ولا يقبل إخلاص المنافق أيضًا. وعلى الثاني: لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفس توبتها لم تعمل صالحًا، أعني كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها، كذلك لا يقبل توبة المؤمن الذي لم يتب من قبل، فحينئذ يكون العمل غير داخل في الإيمان، سواء كان في ذلك اليوم أو في غيره، هذا ما ذُكِر في المدارك. وقد ضعّف الجواب الأول الإمام الزاهد، بأنه يدلّ على وجود مطلق الإيمان للمنافق، وليس كذلك. وأوّل الجواب الثاني بأنّ توبة المؤمن وقت طلوع الشمس من مغربها في مشيئة الله تعالى، لا أنه غير مقبول البتّة، كما هو حال توبة اليأس على ما فصّلناه سابقًا، ولكن نُقِل في الحسيني عن المعالم على وفق الحديث أن إيمان الكافر وتوبة الفاسق لا يُقبل في هذا اليوم. وذكر في بيان قصة طلوع الشمس من مغربها أنه قد جاء في الأثر أنّ ليلة يوم طلوع الشمس فيه من مغربها كانت طويلة غاية الطول يدرك طولها العباد والمتهجّدون، حتى أنهم إذا فرغوا من أورادهم وتهجّدهم انتظروا الصبح ولم يظهر، ثم اشتغلوا بالعبادة زمانًا طويلًا وبعدها انتظروا الصبح حتى لم يظهروه، فعلموا أنّ فيه سرًّا من أسرار الله تعالى ونوعًا من البلايا والآفات، فاشتغلوا بالتضرّع

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ اختلفوا فيه وصاروا فرقًا كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث («**افترقت اليهود**) على إحدى وسبعين فرقة كلها

والتوبة والاستغفار حتى رأوا أثر الصبح اطلع من الأفق الغربي، وشاهد ذلك جميع الناس وتحيّروا واضّطروا، واشتغل الكفار بالإيمان والفاسقون بالتوبة، لكنه لا ينفع؛ لأنه حالة الاضّطرار لا الاختيار، وفّقني الله تعالى للتوبة من المعاصي التي تصدر قبل طلوع الشمس من مغربها. وقد ذكر القاضي البيضاوي في توجيه الآية عند مَنْ لم يدخل الأعمال في الإيمان ثلاث وجوه: الأول، وهو الحقّ: تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم، أي يوم طلوع الشمس من مغربها، أو يوم الموت كما قيل. وأمّا الجواب: أن الآخران اللذان ذكرهما القاضي البيضاوي من أنه يحتمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى أنه لا ينفع نفسًا لم تكن آمنت أو لم تكن كسبت في الإيمان خيرًا حتى نفسًا خلت عنهما، لا أنها خلت عن العمل فقط، ومن أنه يعطف كسبت على لم تكن، يعني لا ينفع نفسًا إيمانها التي أحدثته حينئذ، وإن كسبت في إيمانها أخيرًا، فمحجوبان بوجوه، ذكرها الشيخ العصام درايةً عن نفسه وروايةً عن غيره، والكلام فيها لا يخلو من إطناب.

وفي التلويح أيضًا كلامٌ يخالفه، وهو أن أو إذا استُعلمت في النفي يفيد شمول العدم إلا إذا قامت قرينة، فيفيد عدم الشمول، كما في هذه الآية حمله جار الله على عدم الشمول، ولهذا قال: يدلّ على عدم الفرق بين النفس الكافرة إذا آمنت عند ظهور أشراط الساعة، وبين النفس التي آمنت قبلها، ولم تكسب خيرًا ولم يحمل على شمول العدم، بمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ للنفس التي لم تقدم الإيمان ولا كسبت الخير في الإيمان؛ لأنه يكون ذكر نفي كسب الخير في الإيمان بعد نفي الإيمان تكرارًا. اهـ.

قوله: (أشراط) جمع شَرَط ـ بفتحتين ـ بمعنى العلاّمة.

قوله: (افترقت اليهود). . . الخ. وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان وصححه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(في الهاوية) إلا واحدة وهي الناجية، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية وإلا واحدة، وتفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي **(السواد الأعظم»)** وفي رواية «وهي ما أنا عليه وأصحابي» وقيل: فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. (**«فارقوا دينهم» حمزة وعلي**) أي تركوا ﴿وَكَانُوا (شِيَعًا)﴾ فرقًا كل فرقة تشيع إمامًا لها ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي من السؤال عنهم وعن تفرّقهم أو من عقابهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟﴾ فيجازيهم على ذلك.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ﴾ **(تقديره عشر حسنات أمثالها)** إلا أنه أقام صفة الجنس المميز المقام الموصوف.

قوله: (في الهاوية) هي من أسماء النار، سُمّيت به لكونها ذات هويّ يسقط المجرمون فيها، يقال: هوى يهوي هويًا إذا سقط. **قوله: (**السواد **الأعظم)** يعبّر به عن الجماعة الكثيرة. **قوله: (فارقوا دينهم)** بألف بعد الفاء وتخفيف الراء من المفارقة، وهي الترك؛ لأن مَنْ آمنَ بالبعض وكفر بالبعض فقد ترك الدِّين القيِّم، أو فاعل بمعنى فعل من التفرقة والتجزئة، أي آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. **(حمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون بتشديد الراء بلا ألف فيهما. **قوله:** (﴿شِيَعًا﴾) يقال: شائعة يشايعه شياعًا، أي تبعه.

قوله: (تقديره عشر حسنات أمثالها) يعني أن ظاهره أن يقال: عشرة أمثالها بإلحاق التاء؛ لأن الأمثال جمع مثل وهو مذكّر، وقد تقرّر أن ثلاثة إلى عشرة إذا أُضيف إلى مذكر يجب إلحاق التاء بالعدد، نحو ثلاثة رجال إلى عشرة رجال، ولم يُلحق التاء بالعشرة هٰهنا لأن الأمثال ليس مميّزًا للعشرة، بل مميّزها هو الحسنات والأمثال صفة لمميّزها. روى أبو ذرّ رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصّلاة والسّلام قال: «الحسنة عشرًا وأزيد، والسيّئة واحدة أو أحقر، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره»، وقال عليه الصّلاة والسلام حكايةً عن الله تعالى: «إذا همّ عبدي بحسنة فاكتبوها، وإنْ لم يعملها. وإذا عملها فعشر أمثالها، وإنْ همّ بسيّئة فلا تكتبوها،

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ (بنقص الثواب وزيادة العقاب).

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾ («رَبِّيَ» أبو عمرو ومدني) ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا﴾ نصب على البدل من محل ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ لأن معناه هداني صراطًا بدليل قوله: ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح: الآية ٢٠] (قيّمًا) («قيمًا») فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم ﴿قِيَمٗا﴾ (كوفي وشامي وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان)

فإنْ عملها فسيّئة واحدة»، فإن قيل: كفر ساعة يوجب عقاب الأبد على نهاية التغليظ، فما وجه المماثلة؟ وأجيب بأن الكافر على عزم أنه لو عاش أبدًا لبقي على ذلك الاعتقاد، فلمّا كان العزم مؤبّدًا عُوقب بعقاب الأبد بخلاف المسلم المذنب، فإنه يكون على عزم الإقلاع عن ذلك الذنب، فلا جرم كانت عقوبة منقطعة. **قوله:** (بنقص الثواب وزيادة العقاب) أي ليس نقص الثواب وزيادة العقاب ظلمًا، لأن له أن يعذّب المطيع ويعفو عن المُسيء؛ إذ لا إيجاب عندنا، فليس هذا مذهب المعتزلة.

قوله: («رَبِّيَ») بفتح ياء الإضافة وصلًا (أبو عمرو ومدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. والباقون بالإسكان. **قوله:** («قَيِّمًا») بفتح القاف وكسر الياء المشدّدة على أنه صفة مشبّهة «فَيْعِل من قام».. الخ. فأصله قيوم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت، أي دينًا مستقيمًا، قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو: «قِيَماً» بكسر القاف وفتح الياء مخفّفة (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وهو مصدر بمعنى القيام)، والمعنى دينًا قائمًا ثابتًا لا زوال له، مثل رجل عدل. (وصف به) الدِّين مبالغة أو بمعنى ذا قيم. **قوله:** (﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ **عطف بيان**)، فإنّ الملّة والدِّين وإنْ كانا عبارتين عمّا شرّعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصّلوا باتّباعه إلى أجلّ ثوابه، إلّا أن المِلّة لما ذُكرت مضافة كان فيها زيادة التوضيح، فصلُحَت أن تكون عطف بيان للدِّين، والمِلّة من

﴿حَنِيفًا﴾ (حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾) ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله يا معشر قريش.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ أي عبادتي، والناسك العابد أو ذبحي أو حجّي ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ (وما أتيته) في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالصة لوجهه. «محياي ومماتي» بسكون الياء الأول وفتح الثاني: (مدني). وبعكسه غيره ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في شيء من ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (**لأن إسلام كل نبيّ متقدم على إسلام أُمته**).

أمْلَلت الكتاب، أي أمليته وما شرعه الله تعالى لعباده سُمّي ملّة من حيث إنه يدوّن ويُملى ويُكتب ويتدارس بين مَن اتّبعه من المؤمنين، ويُسمّى دينًا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنّهُ، أي جعله لهم سننًا وطريقًا. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: الدِّين هو الطريقة المخصوصة الثابتة من النبيّ ﷺ يسمّى من حيث الانقياد له دينًا، ومن حيث يُملى ويبيَّن للناس مِلّة، ومن حيث بيّنها الله، ومن حيث يردها الواردون المتعطّشون إلى زلال نَيْل الكمال شرعًا وشريعة؛ فالدِّين يُضاف إلى الله تعالى وإلى النبيّ ﷺ وإلى آحاد الأمّة والمِلّة إلى النبيّ ﷺ وإلى الأُمّة، وكذا الشريعة. اهـ. **قوله: (حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾)** وجاز الحال في مثل هذا المضاف إليه لكونه في المعنى بمنزلة الحال عن المضاف الذي هو معمول الفعل. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وما أتيته) يريد أن المَحْيا والممات مجازان عمّا يقارنهما ويكون معهما من الإيمان والعمل الصالح؛ لأنه المناسب للحكم عليه بكونه خالصًا لوجه الله؛ كالصلاة وسائر العبادات، إلّا أنه لا يكفي في العبادات أن يأتى بها كيف كانت، بل يجب أن يُؤتى بها مع تمام الإخلاص، وأنه تعالى لا يقبل إلّا ما كان خالصًا لوجهه. **قوله: (مدني)** أي نافع المدني رحمه الله. **قوله: (لأن إسلام كل نبيّ متقدّم على إسلام أُمّته)**، وإليه الإشارة بقوله **في الحديث**: «أوّل ما خلق الله نوري». اهـ شهاب رحمه الله.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم. والهمزة للإنكار أي منكر أن أطلب ربًّا غيره، وتقديم المفعول للإشعار بأنه أهم ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ جواب عن قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: الآية ١٢] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الأديان التي فرقتموها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ لأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين فأُمته قد خلفت سائر الأُمم، أو لأن بعضهم يخلف بعضًا أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرّفون فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في الشرف والرزق وغير ذلك ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ مفعول ثانٍ، أو التقدير إلى درجات، أو هي واقعة موضع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف (**بالوضيع**) والغني بالفقير والمالك بالمملوك ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن كفر ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن قام بشكرها، ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آتٍ قريب (﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾) [النحل: الآية ٧٧] (**عن النبي** ﷺ: «**مَن قرأ ثلاث**

قوله: (**بالوضيع**) في المصباح: وضع في حسبه بالبناء للمفعول فهو وضيع، أي ساقط لا قدر له. اهـ. **قوله:** (﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾) في قرب كونها وسرعة قيامها (﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾) كرجع طرف، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يُعرف زمان أقلّ منه (﴿أَوْ هُوَ﴾) أي الأمر (﴿أَقْرَبُ﴾)، وليس هذا الشكّ المخاطَب، ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار، وقيل: بل هو أقرب، كذا أفاده المصنف رحمه الله في تفسير سورة النّحل. **قوله:** (**عن النبيّ** ﷺ: «مَن قرأ ثلاث

آيات من أول الأنعام حين يصبح وكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة»).

آيات من أوّل الأنعام حين يصبح وكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه، وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة»). أخرج أبو الشيخ عن حبيب أبي محمّد العابد، قال: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أوّل الأنعام إلى ﴿تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعَام: الآية ٣] بعث الله له سبعين ألف ملك يدعونه إلى القيامة، وله مثل أعمالهم، فإذا كان يوم القيامة أدخله الجنّة وأسقاه من سلسبيل وغسله من الكوثر، وقال: أنا ربك حقًّا وأنت عبدي حقًّا». وأخرج ابن الضّريس عن حبيب بن عيسى العمّيّ ابن محمد الفارسي قال: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام بعث الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة، وله مثل أُجورهم، فإذا كان يوم القيامة أدخله الله الجنّة وأظلّه في ظلّ عرشه وأطعمه من ثمار الجنّة، وأشربه من الكوثر، واغتسل من السلسبيل، وقال الله: أنا ربّك وأنت عبدي». وأخرج السلفي بسنده عن ابن عباس مرفوعًا: «من قرأ إذا صلّى الغداة ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام إلى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الآية ٣] نزل إليه أربعون ألف ملك يكتب له مثل أعمالهم، ونزل إليه ملك من فوق سبع سمٰوات معه مرزبّة من حديد، فإن أوحى شيطان في قلبه شيئًا من الشيء ضربه ضربة حتى يكون بينه وبينه سبعون حجابًا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: أنا ربك وأنت عبدي، امْشِ في ظلّي واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل وادخل الجنّة بغير حساب ولا عذاب». وأخرج الديلمي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلّى الفجر في جماعة وقعد في مصلّاه وقرأ ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام وُكِّل به سبعون ملكًا يسبّحون الله ويستغفرون له إلى يوم القيامة».

اللّهمّ كما يسّرت لنا إتمام التشرّف بسورة الأنعام يسّر لنا الإتمام، وأجرِ ما عوّدتنا من بدائع الإنعام، في مطلع كل ابتداء ومقطع كل اختتام، واهد عنّا لنبيّك محمّد ﷺ أفضل صلاة وسلام، ومثل ذلك لآله وصحبه الكرام، على مدى الليالي والأيام، تمّ ما يتعلّق بسورة الأنعام، بعون الله الملك العلّام.

(سورة الأعراف)

(مكيّة وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفيّ ومدنيّ)

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾﴾

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾ قال (الزجاج): المختار في تفسيره ما قال (ابن عباس) رضي الله عنهما: أنا الله أعلم وأفصل ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ صفته والمراد بالكتاب السورة ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ شك فيه، وسُمي الشك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأعراف مكِّية، وهي مائتان وخمس آيات بصري وستّ كوفي ومدني)، وكلماتها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة، وحروفها أربعة عشر ألفًا وثلاثمائة وعشرة أحرف.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمّد النّحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب، فنُسِب إليه. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى.

قوله: (ابن عباس) بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكِّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، كُني بابنه العباس وهو أكبر أولاده، وكان يقال لابن عباس: حبر الأُمّة والبحر لكثرة علمه، دعا له رسول الله ﷺ بالحكمة وحنّكه بريقه حين وُلد وهم في الشعب، وقال ابن مسعود: نِعْم ترجمان

حرجًا **(لأن الشاك ضيق الصدر حرجه)** كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي

القرآن ابن عباس. وعاش ابن عباس بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشدّ إليه الرحال ويُقصد من جميع الأقطار، ومشهور في الصحيحين تعظيم عمر بن الخطاب لابن عباس واعتداده به وتقديمه مع حداثة سنة، وعاش بعده ابن عباس نحو سبع وأربعين سنة يُقصد ويُستفاد ويُعتمد، وهو أحد العبادلة الأربعة: ابن عمر، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وابن الزبير. وكان ابن عباس أحد الستة من الصحابة الذين هم أكثرهم رواية عن رسول الله ﷺ، وهم: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم جابر، وابن عباس، وأنس، وعائشة رضي الله تعالى عنهم. رُوِي لابن عباس عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستّ مائة حديث وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. رَوى عنه ابن عمر وأنس وأبو الطفيل وأبو أُمامة بن سهيل، وروى عنه خلائق لا يُحصون من التابعين. وُلِد ابن عباس عام الشّعب في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن عشر، وهو ضعيف، وقيل: ابن خمس عشرة، ورجّحه أحمد بن حنبل وغيره. وتوفي بالطائف سنة ثمان وستّين، قاله الواقدي وابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وابن نمير. وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة سبعين، وحكى ابن الأثير قولًا أنه سنة ثلاث وسبعين، وضعّفه وهو غريب ضعيف أو باطل، وصلّى عليه محمّد ابن الحنفية، وقال: اليوم مات ربّانيّ هذه الأُمّة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (لأن الشاك ضيق الصدر حرجه)، أي الصدر لمّا فسَّر الحرج بالشكّ، ومن المعلوم أن لفظ الحرج ليس حقيقةً فيه، فتعيّن كونه مجازًا فيه احتاج إلى بيان العلاقة بين المعنى الأصليّ والمجازي أن الحرج من لوازم الشكّ، واللفظ المستعمل في الملزوم مع عدم إمكان إرادة المعنى الأصلي مجازًا؛ إذ لا يمكن هٰهنا إرادة الحرج، إذ لا معنى لتحرّج القلب من نفس الكتاب، أو من نفس إنزاله، أو من نفس استناد إنزاله إلى الله تعالى، فإنّ كل ذلك يتمثّل في القلب ويرتسم فيه، فلا يحرج من الجزم بكونه منزّلًا من عند الله تعالى، وإنّما المتصوّر أن يحرج القلب من عدم التيقّن بكونه منزّلًا من عند الله تعالى، فإن الشكّ في

لا شك في أنه منزّل من الله **(أو حرج منه بتبليغه)** لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم، **(والنهي متوجّه إلى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه)**، والفاء للعطف أي هذا الكتاب أنزلته إليك فلا يكن بعد إنزاله حرج في صدرك. واللام في ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ متعلّق بـ ﴿أُنزِلَ﴾ أي أنزل إليك لإنذارك به، أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم، وكذا إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار به لأن صاحب اليقين **(جسور)** متوكل على ربه ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل النصب

الحكم لا يستقرّ في قلبه أحد طرفي النسبة فيضيق قلبه منه، ومَنْ في قوله: منه سببّية، أي لا يمكن في قلبك حرج بسببه، وضمير منه يرجع إلى الإنزال المُسنَد إليه تعالى المدلول من قوله: أنزلناه. **قوله: (أو حرج منه بتبليغه)**، فحينئذ يكون الحرج عل أصل معناه، ويُقدّر المضاف، فإنّ الحرج حقيقةً لا يختصّ بالأجسام والضيق المكاني. **قوله: (والنهي متوجّه إلى الحرج، وفيه من المبالغة ما فيه)** مع أنّ الحرج ليس مما يُؤمر ويُنهى بالكون في الصدر أو عدم الكون فيه، والنهي من باب التهييج والإلهاب ليداوم على اليقين ويزيد فيه؛ كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ [يونس: الآية ٩٤]، وقيل: المراد نهي أُمّته عن الشكّ؛ لأن الأمر والنهي إنما يتعلّقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والتّرك، والحرج ليس كذلك، إلّا أنه لما قصد المبالغة في نهي المخاطَب عن كونه في حرجٍ عبّر عن عدم كونه في حرج بعدم كون الحرج في صدره على طريق ذكر اللازم وإرادة الملزوم، فإنّ الكناية أبلغ من الصريح، فإنّ قولك: لا أرينك هٰهنا أبلغ من أن يقال: لا تكوننّ هٰهنا، ولا تحضرنّ فيه، فإنّ عدم كون المخاطب في ذلك المكان ملزوم رؤية المتكلّم إيّاه فيه، فعبّر عن الأول بالثاني لكون نهي المتكلّم عن نفسه عن رؤية المخاطب فيه أبلغ في نهي المخاطَب عن الحضور فيه، لكون النهي الأول كالبيّنة للثاني، ولا شكّ أن إثبات الشيء ببيّنة أبلغ من مجرّد الإثبات، ومثله في الأمر قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٣]، فإنّ ظاهره أمر الكفار بأن يجدوا في المؤمنين غلظة، والمراد أمر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفار، ولمّا كان وجدان الكفّار غلظة في المؤمنين لازمًا لغلظة المؤمنين عليهم، وكان طلب المؤمنين اللازم أبلغ من طلب الملزوم عبّر عن غلظة المؤمنين عليهم بذلك. **قوله: (جسور)** في

بإضمار فعلها أي لتنذر به وتذكر تذكيرًا، فالذكرى اسم بمعنى التذكير، أو الرفع بالعطف على ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي هو كتاب وذكرى للمؤمنين، **(أو بأنه خبر مبتدأ محذوف، أو الجر بالعطف على محل** ﴿لِتُنذِرَ﴾) أي للإنذار وللذكرى.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي القرآن والسنة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون الله ﴿أَوۡلِيَآءَۗ﴾ أي ولا تتولوا من دونه شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره و﴿قَلِيلٗا﴾ نصب بـ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون تذكرًا قليلًا. و«ما» مزيدة لتوكيد القلّة (**«يتذكرون» شاميّ**).

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾

﴿وَكَم﴾ مبتدأ ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ تبيين والخبر ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ **(أي أردنا إهلاكها)** كقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: لآية ٦] ﴿فَجَآءَهَا﴾ جاء أهلها ﴿بَأۡسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين، يقال: بات بياتًا حسنًا ﴿أَوۡ

مختار الصِّحاح: جَسِر على كذا أقدم، يجسر ـ بالضم ـ جسارة ـ بالفتح ـ وتجاسر أيضًا، والجسور ـ بالفتح ـ المِقدم. اهـ. **قوله: (أو بأنه خبر مبتدأ محذوف)**، أي هو ذكرى عطفًا على جملة هو كتاب، فيكون كل من الحكمين مستقلاً بخلاف ما إذا جُعل عطفًا على كتاب، فإنّ المعنى أنه جامع بين كونه كتابًا وتذكيرًا. **قوله: (أو الجرّ بالعطف** على **محل** ﴿لِتُنذِرَ﴾)، فإنّ الفعل فيه منصوب بأن المضمرة بعد لام كي، فانسبك منهما المصدر، فكأنه قيل للإنذار والتذكير، فإنّ ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير.

قوله: («يتذكرون») بياء قبل التاء مع تخفيف الذال **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بتاء فوقية واحدة بلا ياء قبلها، وخفّف الذال حفص وحمزة والكسائي وخلف على أصلهم. والباقون بالتشديد.

قوله: (أي أردنا إهلاكها) قدّر الإرادة لدلالة قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ على تقديرها؛ إذ لو لم تقدّر لزم أن يكون مجيء البأس بعد الإهلاك وعقيبه، وليس كذلك، بل الأمر بالعكس.

﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾ حال معطوفة على ﴿بَيَٰتًا﴾ كأنه قيل: فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين. وإنما قيل: ﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾ بلا «واو» ولا يقال: «جاءني زيد هو فارس» بغير واو، لأنه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالًا لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل. وخصّ هذان الوقتان لأنهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيما أشد وأفظع. وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر، وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة. وقيل: ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا أي ليلًا وهم نائمون أو نهارًا وهم قائلون.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ **(دعاؤهم وتضرّعهم)** ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ لما جاءهم أوائل العذاب ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك. و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ اسم «كان» و﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ الخبر ويجوز العكس ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أرسل مسند إلى إليهم أي فلنسألن المرسل إليم وهم الأمم عما أجابوا به رسلهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عما أجيبوا به.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم وعما وجد منهم **(ومعنى السؤال التوبيخ)** والتقريع **(والتقرير إذا فاهوا)** بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم.

قوله: (دعاؤهم وتضرّعهم)، فإنّ الدَّعوى قد تجيء بمعنى الدعاء والتضرّع، ومنه ما حكاه الخليل: اللّهمّ أشركنا في صالح دعوى المسلمين، أي في صالح دعائهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ١٥]، والمعنى لم يكن دعاؤهم ربّهم إلّا هذا القول لعلمهم بأن ليس الحين حين دعاء.

قوله: (ومعنى السؤال التوبيخ)... الخ. جواب عمّا يقال: المقصود من السؤال أن يُخبر المسؤول عن كيفيّة أعماله، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنّهم كانوا يقرّون بأنهم كانوا ظالمين، فما فائدة هذا السؤال؟ وتقرير الجواب أنهم لمّا أقرّوا

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ أي وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم يسأل الله الأمم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي العدل صفته (ثم قيل: توزن **صحائف الأعمال**) بميزان (له لسان وكفتان

بأنهم كانوا ظالمين مقصّرين سُئِلوا بعد ذلك عن سبب ظلمهم وتقصيرهم تقريعًا وتوبيخًا، وكذلك الرُّسل يُسألون مع العلم بأنهم لا يصدر منهم التقصير البتّة يظهر عدم تقصيرهم في تبليغ ما حملوه من الرسالة، ويلحق التقصير كلّه بالأُمّة، فيتضاعف إكرام الله تعالى للرسل لظهور براءتهم من جميع مُوجبات التقصير، ويتضاعف الخزي والإهانة في حقّ الكفار. **قوله:** (**إذا فاهوا**) أي تكلّموا، يتعلق بقوله: (**والتقرير**)، يعني إذا تكلّموا بألسنتهم، فكان تقرير الاستحقاق الوعيد. اهـ محشيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**ثم قيل: تُوزن صحائف الأعمال**). . . الخ. في تفسير وزن الأعمال قولان: الأوّل ما ورد في الخبر أنّ الله تعالى ينصب ميزانًا له لسان وكفّتان يوم القيامة يُوزن به أعمال العباد خيرها وشرّها، إمّا بأن تصوّر أعمال المؤمنين بصورة حسنة، وتصوّر أعمال الكافر بصورة قبيحة، فتُوزن تلك الصورة أو توزن الصحف التي كتبت فيها أعمال العباد. والقول الثاني، وهو قول مجاهد والضحاك والأعمش أنّ المراد من الميزان العدل والقضاء وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى هذا القول، وحَمْل لفظ الوزن على هذا المعنى شائع في اللغة، فإنّ العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر له أثر إلّا بالكيل والوزن في الدنيا، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل بأن يذكر وزن الأعمال، ويُراد القضاء بالعدل في أمر المُجازاة عليها، ويعبّر عن القضاء بالعدل بالوزن لكون الوزن طريقًا لظهور العدل، ويقوّي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره، يقال: إنّ فلاناً لا يقيم لفلان وزنًا، قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥].

قوله: (**له لسان**) في لسان العرب: لسان الميزان عَذبَتَه. اهـ. وأيضًا فيه: العَذَبَة الخَيْط الذي يرفع به الميزان. اهـ. **قوله:** (**وكفتان**) بكسر الكاف وفتحها. اهـ مختار الصِّحاح. وفي لسان العرب: كفّة الميزان الكسر فيها أشهر، وقد حُكِي فيها

إظهارًا للنصفة) وقطعًا للمعذرة. وقيل: هو عبارة عن القضاء السويّ والحكم العادل والله أعلم بكيفيته ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات أو ما توزن به حسناتهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ هم الكفّار فإنه لا إيمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون في ميزانهم خير فتخف موازينهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها في غير موضعها أي جحودها وترك الانقياد لها ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جعلنا لكم فيها مكانًا وقرارًا، أو مكنّاكم فيها وأقدرناكم على التصرّف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما. **(والوجه تصريح الياء)** لأنها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة، **(وعن نافع)** أنه همز تشبيهًا بصحائف ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ مثل ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: الآية ٤٢].

الفتح وأباها بعضهم.اهـ. **قوله: (إظهارًا للنُّصفة)** وقطعًا للمعذرة بيان لحكمة الوزن، وقوله: النُّصفة، في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عامَلته بالعدل والقسط، والاسم النَّصَفة ـ بفتحتين ـ.اهـ

قوله: (والوجه تصريح الياء) وعليه الجمهور. **قوله: (وعن نافع)**... الخ. ورُوِي عن نافع: معائش بالهمزة، فقال النحويّون: إنه غلط؛ لأنه لا يهمز عندهم بعد ألف الجمع إلا الياء الزائدة، كصحيفة وصحائف. وأمّا معايش، فياؤه أصليّة في عين الكلمة؛ لأنها من العيش، حتى قال أبو عثمان: إنّ نافعًا لم يكن يدري العربية، وردّ هذا بأن العرب قد تشبه الأصلي بالزائد لكونه على صورته، وقد سمع عنهم هذا في مصائب ومناير ومعايش؛ فالمغلط هو الغالط، والقراءة، وإنْ كانت شاذَّة غير متواترة مأخوذة عن الفُصحاء الثقات. وأمّا قول سيبويه: إنها غلط، فإنه عنى أنها خارجة عن الجادّة والقياس، وهو كثير ما يستعمل الغلط في كتابه بهذا المعنى، وإلى ما ذكر أشار المصنّف رحمة الله عليه.اهـ شهاب. وفي غيث النفع

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينًا غير مصوّر ثم صوّرناه بعد ذلك دليله ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ممن سجد لآدم عليه السلام ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ «ما» رفع أيْ أيّ شيء منعك من السجود؟ «ولا» زائدة بدليل ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صٓ: الآية ٧٥]، ومثلها ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: الآية ٢٩] أي ليعلم ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فيه دليل على أن الأمر للوجوب، والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ وهي جوهر نوراني ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ وهو ظلماني وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل **(لرزانته)** ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار، وفي النار **(الطيش)** والحدة والترفع وذلك دعاه إلى الاستكبار. والتراب عدة الممالك، والنار عدة المهالك. والنار مظنّة الخيانة والإفناء، والتراب **(مئنة)** الأمانة والإنماء، والطين يطفىء النار ويتلفها، والنار لا تتلفه. وهذه فضائل غفل عنها إبليس حتى زلّ بفاسد من المقاييس. وقول نافي

في القراءات السبع: معايش هو بالياء من غير همز ولا مدّ لكل القرّاء، وشذّ خارجة فرواه عن نافع بالهمز وهو ضعيف جدًا، بل جعله بعضهم لحنًا؛ لأنه جمع معيشة وأصلها مفعلة بكسر العين ثم نُقلت حركة الياء إلى العين تخفيفًا، فالميم زائدة لأنها من العيش والياء أصلية متحرّكة، فلا تُقلب في الجمع همزة، نحو مكايل ومبايع. أمّا لو كانت زائدة أصلها في الواحد السكون لهمزتها في الجمع نحو سفائن وصحائف ومدائن؛ لأن مفرده فعيلة والياء فيه زائدة ساكنة، وكذا تهمز في الجمع إذا كان موضع الياء ألف أو واو زائدتان نحو عجائز ورسائل؛ لأن الواحد عجوز ورسالة. اهـ.

قوله: (لرزانته) الرَّزانة الوَقار. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله:** (الطّيش) الخفّة. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (مَئِنّة) أي مَظِنّة.

القياس: أول مَن قاس إبليس قياس. على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس إبليس عناد للأمر المنصوص. وكان الجواب لـ ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ أن يقول: «منعني كذا» وإنما قال: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ لأنه قد استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب ـ كأنه قال: منعني من السجود فضلي عليه، **(وزيادة عليه وهي)** إنكار الأمر واستبعاد أن يكون **(مثله)** مأمورًا بالسجود **(لمثله)**، إذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء لأنه كان فيها وهي مكان المطيعين والمتواضعين. والفاء في ﴿فَاهْبِطْ﴾ جواب لقوله: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أي إن كنت تتكبّر فاهبط ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فما يصح لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وتعصى ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ من أهل **(الصغار والهوان)** على الله وعلى أوليائه، يذمّك كل إنسان ويلعنك كل لسان لتكبّرك، وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار.

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ أمهلني إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ إلى النفخة الأولى. وإنما أجيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء، وفيه تقريب لقلوب الأحباب أي هذا بري بمن يسيئني فكيف بمن يحبني! وإنما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه في الحال علمه بحلم ذي الجلال.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أضللتني **(أي فبسبب إغوائك)** إياي. والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب إغوائك أقسم،

قوله: (وزيادة عليه) أي على الجواب. **قوله: (وهي)** الزيادة إنكار الأمر، أي أمر الله سبحانه وتعالى إبليس بالسجود. **قوله: (مثله)** أي إبليس عليه اللّعنة. **قوله: (لمثله)** أي آدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام.

قوله: (الصّغار) ـ بالفتح ـ الذُّلّ. **قوله: (الهَوان)** نقيض العزّ.

قوله: (أي فبسبب إغوائك) إشارة إلى أن الباء سببية، وما مصدريّة.

(أو تكون الباء للقسم) أي فأقسم بإغوائك ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لأعترضن لهم على طريق الإسلام مترصدًا للرد متعرضًا للصد كما يتعرض العدو على الطريق **(ليقطعه)** على **(السابلة)**. وانتصابه على الظرف كقولك «ضرب زيد الظهر» أي على الظهر. وعن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل قدري فقال له **(طاوس)**: تقوم **(أو تقام)**. فقام الرجل فقيل له: أتقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إبليس أفقه منه ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ وهو يقول أنا أغوي نفسي.

﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أشككهم في الآخرة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أرغبهم في الدنيا ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل الحسنات ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قبل السيئات وهو جمع

قوله: (أو تكون الباء للقسم) ولا يقسم إلا بما هو عظيم الشأن وجليل القدر، والإغواء لكونه من صفات الله تعالى الفعلية صحّ أن يقسم به، كأنه قيل: بقدرتك ونفاذ سلطانك فيّ لأقعدنّ لهم على الطريق المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنة بأن أُزيّن لهم الباطل وما يكسبونه من المأثم، ويدلّ على كونها قسمية قوله تعالى في سورة صَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [صَ: الآية ٨٢]. **قوله: (ليقطعه)** أي الطريق.

قوله: (السابِلة) أبناء السبيل. **قوله: (طاوس)** بن كيسان، أبو عبد الرحمٰن الخولاني اليماني التابعي، أحد الأعلام من أبناء الفرس، كان أعلم التابعين بالحلال، أخذ عن عائشة ﵂ وطائفة. اهـ دستور الأعلام. وفي تهذيب الأسماء: كان يسكن الجَنَد ـ بفتح الجيم والنون ـ بلدة معروفة باليمن، هو من كبار التابعين والعلماء الفُضلاء الصالحين. سمع ابن عباس وابن عمرو وابن عمر وجابر وأبا هريرة وزيد بن ثابت وابن أرقم وعائشة ﵃. روى عنه ابنه عبد الله الصالح ابن الصالح ومجاهد وعمرو بن دينار وخلائق من التابعين، واتّفقوا على جلالته وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وتثبته. قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا قطّ مثل طاوس. توفي بمكّة في سابع ذي الحجّة سنة ستّمائة، هذا قول الجمهور. وقال الهيثم بن عدي وأبو نعيم: سنة بضع عشر ومائة، والمشهور الأوّل، وقالوا: وكان له بضع وسبعون سنة رحمة الله تعالى عليه. اهـ. قال الصاغاني: والاختيار أن يكتب الطاوس علمًا بواو واحدة كداود. **قوله: (أو تقام)** بغير إرادتك.

شمال يعني ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الأغلب. وعن (**شقيق**): ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم (**فاقرأ** ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾) [طه: الآية ٨٢]. ومن خلفي فيخوفني (**الضيعة**) على (**مخلفي**) فاقرأ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: الآية ٦] وعن يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: الآية ٨٣] وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: الآية ٥٤] ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة، وقال في الأولين: «من» لابتداء الغاية وفي الأخيرين «عن» لأن «عن» تدلّ على الانحراف ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ مؤمنين قاله ظنًّا فأصاب لقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: الآية ٢٠] أو سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى إياهم.

قوله: (شقيق) بن إبراهيم البلخي من مشائخ خراسان له لسان في التوكّل حسن الكلام فيه، صاحَبَ إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق وهو أستاذ حاتم الأصمّ، وكان قد خرج إلى بلاد التّرك للتجارة وهو حدث، فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعالمهم: إنّ هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء، فقال له: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف قال زعمت أن لك خالقًا قادرًا على كل شيء وقد تغيّبت إلى هٰهنا تطلب الرزق؟ قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع وتصدّق بجميع ما يملك وطلب العلم، وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمة الله تعالى عليه، ذكره ابن الجوزيّ في الشذور، وفي دستور الأعلام بمعارف الأعلام شقيق بن إبراهيم البلخي، أبو علي الزاهد شيخ خراسان، سافر مرّة وفي صحبته ثلاثمائة مريد، وهو شيخ حاتم الأصمّ. اهـ.

قوله: (فاقرأ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾)، أي فادع هذه الوسوسة بهذه الآية لأنها تدلّ على أنّ الغفران منوط بالتوبة والإيمان والعمل الصالح، فمَنْ ليس له هذا المجموع كيف يأمن.

قوله: (الضَّيعة) أي إيضاع. **قوله: (مُخَلَّفِي)** مخلف الرجل مَنْ يخلف بعده؛ كالأولاد والأقارب.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ من الجنة أو من السماء ﴿مَذْءُومًا﴾ معيبًا من ذأمه إذا ذمّه **(والذأم والذم)** العيب ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا مبعدًا من رحمة الله. واللام في ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ موطئة للقسم وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط ﴿مِنكُمْ﴾ منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب ﴿أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَـٰٓـَٔادَمُ﴾ وقلنا يا آدم بعد إخراج إبليس من الجنة ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ اتخذها مسكنًا ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ وسوس إذا تكلّم كلامًا خفيًّا يكرره وهو غير متئد، ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذي يُلقى إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما. وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور، وأنه لم يزل مستقبحًا في الطباع والعقول. فإن قلت: ما للواو المضمومة في ﴿وُۥرِىَ﴾ لم تقلب همزة كما في «أو يصل» تصغير واصل وأصله «وويصل» فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين؟ قلت: لأن الثانية مدة كألف «واري» فكما لم يجب همزها في «وعد» لم يجب في ﴿وُۥرِىَ﴾ وهذا لأن الواوين إذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما إذا كانت الثانية ساكنة، وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا إبدالها في موضع الثقل لا في غيره. وقرأ **(عبد الله)** «أوري» بالقلب ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ

قوله: (والذأم) من المهموز العين، **(والذمّ)** من المضاعف.

قوله: (عبد الله) بن مسعود، هو أبو عبد الرحمـٰن عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب، وأُمّه أُمّ عبد بنت عبد وَدّ بن سواء أسلمت وهاجرت، فهو صحابي ابن صحابية. أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم

﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ (إلا كراهة أن تكونا) ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء. (وقُرىء ﴿مَلِكَيْنِ﴾) لقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٠] ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وأقسم لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنهما من اثنين.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرّهما به من القسم بالله وإنما يخدع المؤمن بالله.

سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلبسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد والسواك والنعل. رُوي له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستّين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستّين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (إلا كراهة أن تكونا) إشارة إلى أنه استثناء مفرغ من أعمّ المفعول له، أي ما نهاكما لأمرٍ ما إلّا كراهة أن تكونا ملكين، بتقدير المضاف عند البصريّين، وقدّره الكوفيّون: إلا أن تكونا وأوهمهما الخبيث بهذا الكلام أنكما إن أكلتما منها تكونان بمنزلة الملائكة، أو تكونان من الخالدين، فرغّبهما في أكلها طمعًا لحصول أحد الأمرين لهما، وقيل: أو هنا بمعنى الواو؛ لأن الترغيب في مجموع الأمرين أدخل في حصول غرض الخبيث من الوسوسة. **قوله: (وقرىء ﴿مَلِكَيْنِ﴾)** بكسر اللام قارئه ابن عباس والحسن والضحاك ويحيىٰ ابن أبي كثير والزهري وابن حكيم عن ابن كثير، وهذه القراءة شاذّة.

وعن (ابن عمر) رضي الله عنهما: من خدعهما بالله انخدعنا له ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ وجدا

قوله: (ابن عمر) أي عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنهما القريشي العدويّ المدنيّ الصحابي الزّاهد، أُمّه وأُمّ أخته حفصة زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحي. أسلم مع أبيه قبل بلوغه وهاجر قبل أبيه، وأجمعوا على أنه لم يشهد بدرًا لصغره، وقيل: شهد أُحدًا، وقيل: لم يشهدها، وثبت في الصحيحين عنه أنه قال: عُرِضت على النبيّ ﷺ عام أُحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجِزْني، وعُرِضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وفتح أفريقيّة، وثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر، قال: أوّل يوم شهدته يوم الخندق، وكان شديد الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه ينزل منازله ويصلّي في كلّ مكان صلّى فيه ويُبرك ناقته في مبرك ناقته، ونَقلوا أن النبيّ ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تَيْبس. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستّمائة حديث وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على مائة وسبعين، وانفرد البخاري بأحد وثمانين، ومسلم بأحد وثلاثين. رَوى عنه أولاده الأربعة: سالم وحمزة وعبد الله وبلال وخلائق لا يُحصون من كبار التابعين وغيرهم، ومناقبه كثيرة مشهورة، بل قلّ نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ في كل شيء من الأقوال والأفعال وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتطلّع إلى الرئاسة وغيرها، وكان ابن عمر كثير الصّدقة، فربما تصدّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا. قال نافع: كان ابن عمر إذا اشتدّ عجبه بشيء من ماله تقرّب به إلى الله تعالى، وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما لزم أحدهم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: إنّهم يخدعونك، فيقول: مَنْ خدعنا بالله انْخَدعنا له، وكان ابن عمر يسرد الصوم، وهو أحد الصحابة السّاردين للصوم، منهم عمر وابنه وأبو طلحة وحمزة بن عمرو وعائشة، واعلم أنّ ابن عمر أحد الستّة الذين هم أكثر الصحابة روايةً عن النبيّ ﷺ، وهم ستّة: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس، وابن عباس، وجابر، وعائشة؛ وهو أحد العبادلة الأربعة، ومناقب ابن عمر وأحواله كثيرة مشهورة. توفي ابن عمر بمكّة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل: بستّة أشهر، وقال يحيىٰ بن بكير:

طعمها آخذين في الأكل منها وهي (**السنبلة أو الكرم**) ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ ظهرت لهما عوراتهما (**لتهافت اللباس عنهما**) وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر. وقيل: كان لباسهما من جنس الأظفار أي كالظفر بياضًا في غاية اللطف واللين فبقي عند الأظفار تذكيرًا للنعم وتجديدًا للندم ﴿وَطَفِقَا﴾ وجعلا يقال: طفق يفعل كذا أي جعل ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ يجعلان على عورتهما من ورق التين أو (**الموز**) ورقة فوق ورقة ليستترا بها (**كما يخصف النعل**).

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ. ورُوِيَ أنه قال لآدم عليه السلام: ألم يكن لك فيما (**منحتك**) من شجر الجنة (**مندوحة**) عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى ولكن ما ظننت أن أحدًا يحلف بك كاذبًا قال: فبعزّتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكدّ يمين وعرق جبين، فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد و(**داس**) و(**ذرى**) و(**طحن**) و(**عجن**) و(**خبز**) ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

توفي ابن عمر بمكّة بعد الحجّ، ودُفِن بالمحصب. قال: وبعض الناس يقول: بفخّ، وفخّ ـ بالخاء المعجمة ـ موضع بقرب مكّة.

قوله: (السنبلة) من الحنطة معروفة. **قوله:** (أو الكرم) وزان فلس: العنب. **قوله:** (لتهافت اللّباس عنهما) التهافت التساقط ويخصّ بما يُكره. **قوله:** (الموز) فاكهة معروفة الواحد موزة، مثل تمر وتمرة، وهو الطَّلح. اهـ مصباح. **قوله:** (كما يخصف النعل) أي يخرز طرفه، أي طاقه وجلده فوق أخرى. في المصباح: خصف الرجل نعله خصفًا من باب ضرب خصاف، وهو فيه كرقع الثوب. اهـ. وأيضًا فيه: خرزت الجلد خرزًا من باب ضرب وقتل، وهو كالخياطة في الثياب. اهـ.

قوله: (منحتك) أي أعطيتك. **قوله:** (مندوحة) أي سعة وكفاية. **قوله:** (داس) الرجل الحنطة يدوسها دوسًا ودياسًا مثل الدّراس، ومنهم من ينكر كونه الديّاس من كلام العرب، ومنهم من يقول: هو مجاز، وكأنه مأخوذ من داس الأرض دوسًا إذا شدّد وطأه عليها بقدمه. اهـ. **قوله:** (ذرّى) في المصباح: ذرّيت الطعام تذريةً إذا خلصته من تبنه. اهـ. **قوله:** (عجن) من باب ضرب. **قوله:** (طحن) من باب نفع. **قوله:** (خبز) من باب ضرب.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لأن إبليس هبط من قبل، ويحتمل أنه هبط إلى السماء ثم هبطوا جميعًا إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار أو موضع استقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ وانتفاع بعيش ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم. وعن **(ثابت البناني)**: لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها: خلّي ملائكة ربي فإنما أصابني ما أصابني فيك. فلما تُوفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترًا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له قبرًا **(ودفنوه بسرنديب)** بأرض الهند وقالوا لبنيه: هذه سنّتكم بعده.

قوله: (ثابت) بن أسلم **(البُناني)** ـ بضمّ الموحدة ونونين مخفّفان ـ أبو محمد البصري، ثقة عابد مات سنة بضع وعشرين بعد المائة، وله ستّ وثمانون. **قوله: (ودفنوه بسَرَنْدِيب)** بأرض الهند. في أخبار الدول وآثار الأُول: دفنوه في جبل أبي قبيس في مكانٍ يقال له: غار الكبرى، فلم يزل آدم عليه السلام في ذلك الغار حتى كان زمن الغرق فاستخرجه نوح وحمله في تابوت معه في السفينة، فلمّا خرج ردَّه إلى مكانه، وقيل: ذهب به إلى بيت المقدس، ويؤيّد ذلك ما ذكره في إتحاف الأَخِصَّاء: أنّ قبر آدم في بيت المقدس، رأسه عند مسجد إبراهيم عليه السلام، ورجلاه عند الصخرة الشريفة، وبينهما ثمانية عشر ميلًا، فإذا كان يوم القيامة أقامه الله تعالى على رجليه ثم يحشر ذرّيته إليه، ويقول الله تعالى: يا آدم إليك حشرت ذرّيتك لكرامتك عليّ. وقيل: دُفِن في مسجد الخَيْف بمنًى، وقيل: دُفِن في مشارق الفردوس عند قرية هي أوّل قرية كانت في الأرض، وعاشت حوّاء بعده سنة واحدة ثم ماتت ودُفنت مع زوجها، وقيل: دُفِنت بجدّة. اهـ. وأيضًا فيها: سرنديب جزيرة في بحر كند بأقصى بلاد الصّين، وهي ثمانون فرسخًا في مثلها، وبها معدن الذهب والفضة ومغاص اللؤلؤ، وبها الجبل الذي أُهبط عليه آدم عليه

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ في الأرض ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ للثواب والعقاب (﴿تَخْرُجُونَ﴾ **حمزة وعلي**) ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ جعل ما في الأرض منزلًا من السماء لأن أصله من الماء وهو منها ﴿يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ يستر عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين: لباسًا يواري سوءاتكم ولباسًا يزيّنكم ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ولباس الورع الذي يقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر، (**أو ﴿ذَٰلِكَ﴾ صفة للمبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ كأنه قيل: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ المشار إليه**) خير، أو (﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾) خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين، ثم قال ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وقيل: ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن. ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (**مدنيّ وشاميّ**) وعلي عطفًا على ﴿لِبَاسًا﴾ أي وأنزلنا عليكم لباس

السلام وبها أثر قدمه مغموسة في الحجر، ويُرى كل ليلة في هذا الجبل مثل البرق من غير سحاب وغيم، ولا بدّ له كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام. اهـ.

قوله: (﴿تَخْرُجُونَ﴾) بفتح التاء وضمّ الراء مبنيًّا للفاعل (**حمزة وعلي**) الكسائي، وكذا ابن ذكوان. والباقون بضمّ التاء وفتح الراء مبنيًّا للمفعول. **قوله:** (**أو ﴿ذَٰلِكَ﴾ صفة للمبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ**)... الخ. أي ويجوز أن يكون اسم الإشارة صفة للمضاف إلى المعرّف باللام، وقد تقرّر أن حقّ الموصوف أن يكون أخصّ من الصفة أو مساويًا لها بناءً على أنه المقصود بالنسبة، ولا يجوز أن يكون المقصود أقلّ رتبةً من غير المقصود، واسم الإشارة أخصّ من المُعرّف باللام؛ فبالأَوْلى أن يكون أخصّ من المضاف إلى المعرّف باللام، فكيف يكون صفة له؟ أشار إلى الجواب عنه بقوله: (**كأنه قيل: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ المشار إليه**)، وتقريره أنّ اسم الإشارة هٰهنا في تأويل المشار إليه أو المذكور، فجاز أن يقع صفة للمضاف إلى المُعرّف باللام. **قوله:** (﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾) بنصب السين (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشامي

التقوى ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالّة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرفوا عظيم النعمة فيه، وهذه الآية واردة على سبيل (الاستطراد) عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهارًا للمنّة فيما خلق من اللباس، ولما في (العري) من الفضيحة وإشعارًا بأن التستر من التقوى.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)﴾

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال أي أخرجهما نازعًا لباسهما بأن كان سببًا في أن نزع عنهما. والنهي في الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني آدم أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ عوراتهما ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن والحديث ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ﴾ تعديل لنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو (المداجي) يكيدكم من حيث لا تشعرون ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير ﴿يَرَىٰكُمْ﴾ المؤكد بـ ﴿هُوَ﴾، ولم يعطف عليه لأن معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وإنما يعطف على ما هو معمول الفعل ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ قال (ذو النون): إن

وعليّ الكسائي، والباقون بالرفع. **قوله: (الاستطراد)** سَوْق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصود بالذَّات، بل بالعرض. اهـ التعريفات للسيد الشريف. **قوله: (العُرْي)** في لسان العرب: العري خلاف اللّبس، عَري من ثوبه يَعْرى عُرْيًا فهو عارٍ. اهـ.

قوله: (المداجي) في مختار الصحاح: **المُداجاة المداراة**، يقال: داجاه إذا داراه، كأنه ساتره العداوة. اهـ. **قوله: (ذو النون)**، هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، كان أوحد وقته علمًا وورعًا وحالًا وأدبًا وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه، وذكر ابن يونس عنه في تاريخه: أنه كان حكيمًا فصيحًا، وكان أبوه نوبيًا، وسُئِل عن سبب توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحاري، ففتحت عينيّ فإذا أنا

كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله (**الكريم**) الستّار الرحيم (**الغفّار**) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيه دلالة خلق الأفعال.

بقُنْبُرة[1] عمياء[2] سقطت من وكرها على الأرض، فانشقّت الأرضُ فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضّة، وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا، فقلت: حسبي قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلني، وكان قد سعوا به إلى المتوكّل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكّل وردّه مُكرَّمًا، وكان المتوكّل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي، ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيّ هلا بذي النون، وكان رجلًا نحيفًا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللّحية وشيخه في الطريقة شقران العبّاد، ومحاسن الشيخ ذي النون كثيرة، وتوفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين، وقيل: ستّ وأربعين، وقيل: ثمان وأربعين ومائتين رضي الله تعالى عنه بمصر، ودُفن بالقرافة الصغرى وعلى قبره مشهد مبنيّ.

قوله: (**الكريم**) أي كثير الجود والعطاء الذي لا ينفذ عطاؤه ولا يفنى خزائنه، وهو الكريم المطلق. وقيل: المتفضّل بلا مسألة ولا وسيلة، وقيل: المتجاوز الذي لا يستقصي في العقاب ولا يستحصي في العتاب، وقيل: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على المتمنّي، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإذا رفعت الحاجة إلى غيره لا يرضى، ويقول: إنّ لنا للآخرة والأُولى، وقيل: المقدّس عن النقائص الموصوف بالنفائس.

قوله: (**الغفّار**) أي الذي يستر العيوب، وإن كانت كثيرة، والذنوب وإنْ كانت كبيرة في الدنيا بإسبال السَّتْر عليها، وفي العُقبى بترك المُعاتبة والمعاقبة لها، وهو لزيادة بنائه أبلغ من الغفور. وقيل: المبالغة في الغفار باعتبار الكمّية، وفي الغفور باعتبار الكيفية، وأصل الغفر السّتر، فهو من أسماء الأفعال.

---

(١) قنبره بهندى ابابيل. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) إذا صاح القنبر قال: إلـهي العن مبغض آل محمد. ١٢ جمل.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت **(عُراة)** وشركهم ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آبائهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم، وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرنا عليها إذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان، لأن أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾ **(إذ المأمور به لا بد أن يكون حسنًا وإن كان فيه على مراتب على ما عُرِف في أصول الفقه)** ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ.

قوله: (**عُراة**) جمع عارٍ. **قوله:** (**إذ المأمور به لا بدّ أن يكون حسنًا، وإنْ كان فيه**) أي المأمور به في الحسن (**على مراتب على ما عُرف في أصول الفقه**) في شرح مرقاة الوصول المسمّى بمرآة الأُصول، (ولا بدّ له) أي للمأمور به من الحسن لا بمعنى كونه صفة الكمال كالعلم أو موافقًا للغرضِ كالعدل، أو ملائمًا للطبع كالجلاوة، فإنّ ذلك يُدْرَك بالعقل ورد به الشرع أم لا بالاتّفاق، بل (بمعنى كونه) أي المأمور به (متعلّق المدح) عاجلًا في الدّنيا، (و) متعلق الثواب آجلًا في العقبى، أي كون الفعل بحيث يستحقّ فاعله في حكم الله تعالى المدح والثواب، فإنّ هذا هو محلّ النزاع. (قال الأشاعرة): هو أي الحسن بهذا المعنى (موجب الأمر) أي أثره الثابت به، فالفعل أمر به فحسن، لا أنه حسن، فأمر به والحاكم به، أي بالحسن والمُوجب له هو الشرع[1]، ولا دخل للعقل فيه، (وإنما العقل آلة بفهم الخطاب) الشرعي (ومنّا) أي من الحنفيّة (مَنْ وافقهم) أي الأشاعرة في هذا الرأي، (و) قالت (المعتزلة): الحسن (مدلوله) أي الأمر بمعنى أنه ثابت قبله، وهو دليل عليه، فالفعل عندهم حسن، فأمر به **على** عكس ما عند الأشاعرة (والحاكم) بالحسن والمُوجب له (العقل) بمعنى أنه يقتضي المأمور به شرعًا، وإنْ لم يرد، كما أنهم يحكمون بوجوب الأصلح على الله تعالى عنه علوًّا كبيرًا، ولا دخل للشرع في الحكم، (بل الشرع مبين) للحسن في البعض الذي لا يُدركُ العقل فيه الحسن ابتداءً، فإنه ربما يظهر أنه

(١) أي مقصور على الشرع، وهو السمع. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

مقتضى العقل الحاكم عند خفاء الاقتضاء، وإنْ لم يظهر وجه اقتضائه كما في وظائف العبادات، وما في وجوب صوم آخر رمضان، ونحو ذلك. (ومنّا) أي من الحنفية؛ كالشيخ أبي منصور وكثير من مشائخ العراق (مَنْ وافقهم) لا مطلقًا، بل (في إيجاب المعرفة)، فإنهم قالوا؛ العقل حاكم بوجوب معرفة الله تعالى، حتى قالوا بوجوب الإيمان على الصبي العاقل. قال صاحب الكشف: هذا ليس بصحيح؛ لأن الإيجاب على الصبي مخالف لظواهر النصوص وظواهر الآيات. (وقيل) القائل صاحب الميزان: (مدلوله) أي الحسن مدلول الأمر، كما ذهب إليه المعتزلة، لكن لا مطلقًا، بل (في المفهوم) أي فيما يفهم العقل حسنه؛ كالإيمان، وأصل العبادات والعدل والإحسان (موجبه) أي الحسن أثر الأمر كما ذهب إليه الأشاعرة، لا مطلقًا أيضًا، بل (في غيره) أي غير المفهوم كأكثر الأحكام الشرعية، وأدلّة كلّ مِنَ المذاهب مسطورة في المطوّلات، فلا حاجة إلى إيرادها. (والمختار) عندنا (أنه مدلوله مطلقًا)، أي سواء كان في المفهوم أو غيره (لحكمة الآمر، فإنه) تعالى حكيم لا يأمر إلا بما هو حسن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]. واعلم أنّ إفادة ما ذكر هٰهنا وما تُرِك من الأدلّة على المختار حسن المأمور به بالمعنى المتنازَع فيه في غاية الإشكال، فلا علينا أن نطوي عن الاشتغال بها كشحَ المقال. (والحاكم) بالحسن (هو الشرع) كما هو رأي الأشاعرة (و) ليس (العقل) مجرّد آلة فهم الخطاب، بَل (هو يعرفه) أي الحسن (في بعض) من الأُمور (الحسنة قبل السمع) متعلّق بيعرفه، وكذا قوله: (بلا كسب) كحسن الصدق النافع، (أو به) كحسن الكذب (النافع) ويعرفه (في) بعض (آخر بعده) أي بعد السمع كأكثر أحكام الشرع. واعلم أن المتنازعين في الحسن متنازعون في القُبْح أيضًا، وإنما تركنا القبح واقتصرنا على الحسن؛ لأن الكلام في حسن المأمور به، وقد علم حكم القُبْح منه. وأمّا أقسامه، فستأتي في مباحث النهي إن شاء الله تعالى. (فالمأمور به) أي إذا كان الحسن مدلول الأمر مطلقًا لا موجبه، فالمأمور به (إمّا حسن لحسن في نفسه) أي يتّصف بالحسن باعتباره حسن ثابت في ذاته، سواء كان لعينه أو لجزئه، بخلاف الحسن لغيره، فإنه يتّصف بحسن ثبت في غيره، فظهر أنّ المراد بالمعنى في قول الجمهور: أمّا حسن لمعنى في نفسه هو الحسن لا أمر آخر حتى يحتاج إلى تكلّف ارتكبه صاحب

....

التنقيح. (حقيقته) بأن لا يكون فيه شبه الحسن لغيره، (فأمّا أن لا يقبل) ذلك الحسن (سقوط التكليف) وهو إلزام ما فيه كلفة، وفي اختياره على قول فخر الإسلام: أمّا أن لا يقبل سقوط هذا الوصف يعني وصف الحسن فائدتان: الأُولى دفع ما يرد إليه أنه لا يلزم[1] من جواز سقوط الإقرار بالإكراه سقوط حسنه حتى لو صبر، فقتل كان مأجور. الثانية: أن التكليف مطلقًا أعمّ من التكليف بنفس الموصوف بالحسن، كما في الصلاة، ومن التكليف بالسعي في حصوله، كما في التصديق، فإنه كيف أو انفعال لا اختيار[2] في حصوله بنفسه مع ورود الأمر به؛ (كالتصديق) في الإيمان وهو التصديق المنطقيّ المُعبّر عنه في الفارسية: بگرويدن وراست گوئي داشتن، وحاصله الإذعان والقبول لوقوع النسبة أو لا وقوعها وتسميته[3] تسليمًا زيادة[4] التوضيح للمقصود وجعله مغايرًا للتصديق المنطقي وهم، وحصوله للكفار ممنوع، ولو سلم في البعض يكون كفره باعتبار جحوده باللّسان واستكباره عن إظهار الإذعان، ثم لا يخفى أنه لا يحتمل سقوط التكليف به في حالٍ من الأحوال، فإقرار المنافق ليس إيمانًا في نفس الأمر، وعندنا إذا علمناه. وأمّا إجراء أحكام الإسلام على الإقرار، فلخفاء التصديق (أو يقبله) أي سقوط التكليف؛ كالإقرار باللّسان، فإنه يسقط حال الإكراه؛ لأن الأصل هو التصديق وهو قلبيّ ليس اللّسان معدنه، وقيام السيف يدلّ على عدم تبدّله، لكن ترك متمكّنه من غير عذر يدلّ على فواته، فلا يكون مؤمنًا، ولو عند الله تعالى لا المصدق الغير المتمكّن، ولو كان نادرًا، ولا المتمكّن عند الإجبار على الإقرار والإنكار، فإنّ الإكراه المُلجىء لا يعدم الاختيار، بل يفسده، والإسلام مما يثبت بالشبهة؛ لأنه يَعْلو ولا يُعلى عليه، فيكفي فيه الاختيار الفاسد. (والصلاة) فإنها تسقط بعذر الجنون والإغماء والحيض والنفاس، وهي وإنْ شاركته في احتمال السقوط، لكن بينهما فرق من وجهين أشار إلى الأول بقوله: (لكنها دونه) أي الصلاة أدنى من الإقرار؛ إذ ليست ركنًا مثله لا حقيقة، وهو

---

(١) أنه لا يلزم بيان ما؛ لأن مَنْ محذوفة من أنّ المفتوحة قياسًا بالاتّفاق كالحذف من المفاعيل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) صفة كيف أو انفعال. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) منصوب بواو مع. ١٢ حامدي.

(٤) مفعول للتسمية. ١٢ حامدي.

....

ظاهر، ولا إلحاقًا؛ إذ لا تدلّ عليه عدمًا، كالإقرار حال الاختيار، ولا وجودًا إلّا على هيئةٍ مخصوصة، وسرّه أنّ كمال الإيمان في الإنسان بالجمع بين باطنه وظاهره كما هو مجموع من روحه وجسده، فتعيّن لذلك فعل اللّسان؛ لأنه الموضوع للبيان، ولذا جعل رأس الشكر الحمد لا عمل سائر الأركان، وأشار إلى فرق الثاني بقوله: (وتسقط) أي الصلاة (بأعذار) كما سبق، (و) يسقط (هو) أي الإقرار (بعذر) واحد وهو الإكراه، (أو) حسن لحسن في نفسه، لكن لا حقيقةً (بل حكمًا؛ كالصوم) فإنه ليس بحسن في ذاته حقيقة؛ إذ فيه تجويع النفس ومنع نعَم الله عن مملوكه مع النصوص المُبيحة لها، وإنما يحسن بواسطة حسن قهر النفس الأمّارة بالسوء التي هي أعدى أعداء الإنسان زجرًا لها عن ارتكاب العصيان، (والزكاة) فإنّها أيضًا ليست بحسنة في ذاتها حقيقة؛ لأن فيها إضاعة المال، وإنما حَسُنَت بواسطة حسن دفع حاجة الفقير والإحسان إليه، (والحجّ) فإنه في نفسه قطع للمسافة إلى أمكنة مخصوصة وزيارة لها بمنزلة السفر للتجارة وزيارة البلدان، وإنما حسن بواسطة زيارة البيت الشريف بتشريف الله تعالى إيّاه، لكن هذه الوسائط لا تُخرجها عن أن تكون حسنة لعينها؛ لأنّ النفس وإنْ كانت بحسب الفطرة محلّاً للخير والشرّ، إلّا أنها للمعاصي أقبل وإلى الشهوات أمْيَل، حتى كأنّها بمنزلة أمر جبليّ بمنزلة الإحراق للنار، فبالنظر إلى هذا المعنى لا يحسن قهرها؛ إذ لا قبح في الاضّطراري، والفقير إنما يستحقّ الإحسان من جهة الرحمٰن لا من جهة فقره، والبيت لا يستحق الزيارة والتعظيم لنفسه؛ لأنه بيت كسائر البيوت، فسقط حسن قهر النفس ودفع الحاجة وزيارة البيت عن درجة الاعتبار، وصار كل من الصوم والزكاة والحجّ حسنًا لمعنى في نفسه من غير واسطة وعبارة خالصة بمنزلة الصلاة، ولهذا جُعِلت حسنة لحسن في نفسها شبيهة بالحسن لحسن في غيره بدون العكس، وإنما قلنا: إنّ الوسائط هذه الأُمور دون الشهوة والحاجة وشرف المكان؛ لأن الواسطة ما يكون حسن الفعل لأجل حسنها، وظاهر أن نفس الحاجة والشهوة والشرف ليس كذلك، فإنْ قيل: لا تغاير في الخارج بين تلك الوسائط وبين الزكاة والصوم والحجّ، قلنا: لو سلم فيكفي التغاير الذهني، فليتأمّل. (وحكمه) أي حكم الحسن لحسن في نفسه حقيقيًا كان أو حكميًا (عدم سقوط إلا بالأداء) أو بسبب (عروض ما يسقطه) مثل الحيض والنفاس

....

للصلاة والصوم (بعينه) احتراز عن الحسن لحسن في غيره؛ كالوضوء والسعي، فإنه يسقط بسقوط الغير ويبقى ببقائه، كما سيأتي. فإن قيل: المراد بالساقط إنْ كان ما ثبت في الذمّة بالسبب يصح قوله أو عروض ما يسقط بعينه؛ لأنه قد يسقط بعد الوجوب بالعوارض الحادثة في الوقت، ولكن لا وجه لإيراده في هذا الموضع؛ لأنه في بيان حسن ما ثبت بالأمر، وإنْ كان المراد به ما ثبت بالأمر، وهو وجوب الأداء لا يستقيم قوله أو عروض ما يسقط بعينه؛ لأن وجوب الأداء بعد ما ثبت لا يسقط بعارض، أُجيب بأن الصلاة قد تسقط بعارض الحيض والنفاس بعد ما ثبت وجوب أدائها بالأمر، فإنّ الخطاب يتوجّه عند ضيق الوقت بحيث لا يسع غير الوقتيّة ثم تسقط عنها إذا حاضت أو نفست في آخر الجزء كما سبق في مباحث المقيد بالوقت.
(وأمّا حسن لحسن في غيره، فأمّا أن يتأدّى ذلك) الغير (بنفس المأمور به) من غير احتياج إلى فعل آخر؛ (كالجهاد) فإنه ليس بحسن لذاته، لأنه تخريب البلاد وتعذيب العباد، وإنما حَسُن لِمَا فيه من إعلاء كلمة الله تعالى، (وصلاة الجنازة) فإنها ليست بحسنة في ذاتها؛ لأنها بدون الميت عبث، وعلى الكافر قبيحة، وإنما حَسُنت لما فيه من قضاء حقّ الميت، (وهذا) الضرب من الحسن لحسن في غيره شبيه (بالأوّل) أي الحسن لحسن في نفسه. وجه المشابهة أنّ مفهوم الجهاد هو القتل والضرب ونحوهما، وهو ليس بمفهوم إعلاء كلمة الله تعالى، لكن لا مغايرة بينهما في الخارج والإعلاء حسن بمعنى في نفسه، فما يتّحد به يكون شبيهًا به، وكذا الحال في صلاة الجنازة، فإن قيل لِمَ شبه هذا بالأول ولم يشبه الحكمي منه بهذا، قلنا: لأنه لا جهة هٰهنا لارتفاع الوسائط وصيرورتها في حكم العدم بخلافها ثمّة، (أو لا يتأدّى ذلك) الغير (بها) أي بنفس المأمور به، بل يحتاج إلى فعل آخر (كالوضوء) فإنه في ذاته تبرّد وإضاعة ماء، وإنما حسن بكونه وسيلة إلى الصلاة (والسعي) إلى الجمعة، فإنه في نفسه تعب، وإنما حسن لكونه وسيلة إلى أداء الجمعة ثم الصلاة لا تتأدّى بالوضوء ولا الجمعة بالسعي، بل بفعل مقصود بعد حصول كل واحد منهما، «**وحكمه**» أي حكم الحسن لحسن في غيره (وجوبه بوجوب الغير الذي) هو الواسطة (وسقوطه به) أي سقوط وجوبه بسقوط وجوب ذلك الغير حتى لو أسلم الكفار يسقط وجوب الجهاد معهم، وإنْ بقي مع البالغين، ولو بغى مسلم أو قطع الطريق

....

يسقط وجوب الصلاة عليه، ولو حاضت يسقط الوضوء، ولو مرض أو سافر يسقط وجوب السّعي. (والأمر المطلق) عن قرينته يدل على الحسن لحسن في نفسه أو غيره (يقتضي الضرب الأوّل)، وهو ما لا يحتمل السقوط (من) القسم (الأوّل) وهو الحسن لحسن في نفسه (لاقتضاء الكمال) أي كمال الأمر، وهو المطلق (الكمال) أي كمال حسن المأمور به، (ثم التكليف). اعلم أنّ ما لا يُطاق على ثلاث مراتب أدناها ما يمتنع لعلم الله تعالى بعدم وقوعه أو لإرادته ذلك، ولا نزاع في وقوع التكليف به فضلًا عن الجواز، فإنّ مَنْ مات على كفره يُعدّ عاصيًا إجماعًا وأقصاها ما يمتنع لذاته كقلب الحقائق وجمع الضدَّيْن أو النقيضين، والإجماع منعقد على عدم وقوع التكليف به والاستقراء أيضًا شاهد على ذلك، والآيات ناطقة به، والمرتبة الوسطى ما أمكن في نفسه، لكن لم يقع متعلّقًا لقدرة العبد أصلًا؛ كخلق الجسم، أو عادة كالصعود إلى السماء، وهذا هو محل النزاع، ولهذا قلت: ثم التكليف أي طلب تحقيق الفعل والإتيان به لا على قصد التعجيز وإظهار عدم القدرة (بما لا يقدر عليه المأمور) مطلقًا (مُحال). أمّا عقلًا، فلأن طلب حصول المحال لا يليق من الحكيم المُتعال، فإنْ قيل: هذا يمنع الوقوع فقط. قلنا: بل الجواز أيضًا، لأنّا لا نمنع الوجوب بمقتضى الحكمة والوعد والفضل، كما لا نمنع الإيجاب بتخلّل الاختيار. وأمّا نقلًا؛ فلقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨] وغير ذلك، وكلّ ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه يستحيل وقوعه، وإلّا أمكن كذبه وإمكان المحال محال، فظهر أنه ليس دليلًا على عدم الوقوع فقط، وإذا كان التكليف بالمحال محالًا؛ (فلا بدّ له) أي للمأمور (من قدرة) لا بمعنى الاستطاعة المقارنة للفعل، فإنها علّة تامّة، بل بمعنى سلامة الأسباب والآلات المفسّرة بقدرة (بها يتمكّن) المأمور (من أداء ما لَزِمه)، وإنما قال: (بلا حرج غالبًا) ليخرج الحجّ بلا زاد وراحلة، فإنه نادر، وبلا راحلة فقط كثير. وأمّا بهما، فغالب. (وهي) أي القدرة المفسّرة بما ذكر (شرط لوجوب الأداء لا الأداء نفسه لوجوده) أي الأداء (قبلها) أي قبل القدرة المفسّرة كحجّ الفقير والزكاة قبل الحول، فلو كانت شرطًا للأداء لما تقدم عليها. (ولا شرط لنفس

....

الوجوب؛ لأنه) أي الوجوب نفسه (جبريّ)[١] غير محتاج إلى القدرة، ولذا يتحقق في النائم والمُغمى عليه إذا لم يؤدّ إلى الحرج ولا قدرة ثمّه، فإنْ قيل: نفس الوجوب لا ينفكّ عن التكليف المُستلزم للقدرة، فكيف ينفكّ عن لازمه؟ قلنا: عدم الانفكاك ممنوع، ولو سلم فمعنى استلزام التكليف للقدرة أنّ الله تعالى لا يأمر العبد إلّا بما يستطيعه عند إرادة إحداثه، فهذه القدرة لا تلزم التكليف مطلقًا، بل حالئذ[٢]، وهي القدرة نوعان: النوع الأول أدنى ما ذكر من قدرة يتمكّن بها من أداء ما لزمه بلا حرج غالباً، (ويسمّى) هذا النوع الممكنة، لكونه وسيلة إلى مجرّد التمكّن والاقتدار على الفعل من غير اعتبار يسر زائد، وهو أي هذا النوع شرط لوجوب أداء كلّ واجب (مطلقًا) بدنيًا كان أو ماليًا وحسنًا لنفسه (أو لغيره)، ولذا ـ أي لكونه شرطًا لوجوب الأداء مطلقًا ـ (لم يلزم ذكر الأداء) في الجزء (الأخير) من الوقت إذا حدث فيه الأهلية، فإنّ الأداء فيه ممتنع، فلو وجب لأدّى إلى التكليف بما لا يُطاق. (قلنا) في جوابه أنه إنما يؤدّي إلى ذلك التكليف إذا كانت بالأداء في ذلك الجزء من الوقت، وهو ممنوع، بل التكليف إنما هو بالأداء مطلقًا، وذلك يتصوّر بوقوع الشروع في الوقت، فإنه (إذا شرع في الوقت يكون) الفعل (أداء)، وإن تمّ بعد الوقت كما سبق، (أو) نقول: سلّمنا أنّ التكليف بالأداء فيه، لكن (لزومه) أي لزوم الأداء ليس لكونه مطلوبًا في نفسه حتى يلزم التكليف بما لا يطاق، بل لزومه (لخلفه) وهو القضاء، فإنّ بعض الأحكام قد يجب أداؤه ثم يخلفه خلفه للعجز عنه، كالوضوء للتيمّم، وكمن حلف على مسّ السماء أو تحويل الحجر ذهبًا، ووجود القدرة بالنظر إلى الخلف الذي هو القضاء كافي. (والجواب) المشهور (بأن) شرط وجوب الأداء ليس إلّا (القدرة بمعنى سلامة الأسباب وهي موجودة) هٰهنا (وكذا) الجواب المشهور (بأنّ القضاء) ليس مبنيًا على وجوب الأداء حتى يلزم ما ذكرتم، بل هو (مبنيّ على نفس الوجوب)، فما يكون سببًا لنفس الوجوب يكون سببًا للقضاء والجزاء الأخير صالح للأوّل؛ لأن نفس الوجوب جبري، كما سبق، فيكون صالحًا

---

(١) أي منسوب إلى جبر الله؛ لأن نفس الوجوب جبر من الله تعالى، بلا اختيار من العبد، لأنه سبب ولا اختيار للمكلّف في السبب. ١٢ حامدي.

(٢) أي حال إرادة إحداث الفعل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

للثاني أيضًا (ضعيف) خبر الجواب. أمّا ضعف الجواب الأوّل، فلأن الوقت الصالح للأداء من جملة الأسباب، فإذا انتفى الصلاحية لا تبقى السلامة. وأمّا ضعف الجواب الثاني، فلأن وجوب القضاء للتكليف، فلو بنى على مجرّد نفس الوجوب وليس القدرة شرطًا له لوقع التكليف بدون شرطه وهو باطل، فليتأمل. (و) النوع (الثاني أقصاه) أي أعلى ما ذكر من القدرة، (ويُسمّى هذا) النوع (الميسرة) لتحصيلها اليُسْر بعد الإمكان، فهي زائدة على الشرط المَحْض اشترطت لوجوب بعض الواجبات كرامةً من الله تعالى وفضلًا، ولذا اشترطت في أكثر الواجبات المالية لكون أدائها أشقّ على النفس عند العامّة، (وبقاؤه) أي بقاء النّوع الثاني (شرط لبقاء الواجب) في الذمّة (لئلّا ينقلب اليسر عسرًا) اعترض عليه أولًا بأنه يؤدّي إلى فوت أداء الزكاة فيما إذا أخّر أداءها خمسين سنة، ثم هلك المال حيث لا يجب عليه شيء، وثانيًا بأنّا لا نسلم أنه يلزم من عدم اشتراط بقائها انقلاب اليسر عسرًا، بل إنما يلزم ثبوت أحد اليسرين، وهو النّماء مثلًا دون الآخر، وهو البقاء، فإنّ حصول القدرة الميسّرة يُسر وبقاؤها يُسرٌ آخر، وأُجيب عن الأوّل بالتزام الفوات في صورة هلاك المال، (ولا محذور في ذلك)؛ لأنه فوّت بهذا الحبس على أحد ملكًا ولا يدًا، بل المال حقّه ملكًا ويدًا، وإنما حقّ الفقير في أن يعين محلاً للصّرف إليه، ولصاحب المال الخيار في اختيار محل الأداء، فلعلّه حبس هذا المحلّ ليؤدّي من محلٍّ آخر، فلا يضمن ألّا يرى أنّ منع المشتري الدار عن الشفيع حتى صار بحرًا، ومنع المولى العبد المديون عن البيع أو العبد الجاني عن أولياء الجناية (من غير اختيار الأرش) حتى هلك لا يوجب الضّمان. وعن الثاني بأنّ معنى انقلاب اليُسر عسرًا أنه وجب بطريق إيجاب القليل من الكثير يسرًا وسهولة، فلو أوجبناه على تقدير الهلاك لو جنب بطريق الغرامة والتضمين فيصير عسرًا، وليس المراد أن نفس اليسر يصير عسرًا، فإنه مُحال عقلًا، وإنما يصير اليسير عسيرًا وبالعكس (دون) بقاء النّوع (الأوّل) فإنه ليس شرطًا لبقاء الواجب؛ (إذ) المفتقر إلى حقيقة هذه القدرة وبقائها هو حقيقة الأداء، (والتمكّن من الأداء) والاقتدار عليه (يستغني عن البقاء) أي بقاء القدرة، بل يكفي مجرّد إمكانها وتوهّمها، وذلك لأنّ القدرة المُمكنة كما كانت شرطًا للتمكّن من الفعل وإحداثه كانت شرعًا محضًا ليس فيه معنى العلّة، فلم يشترط

....

بقاؤها لبقاء الواجب؛ إذ البقاء غير الوجود، وشرط الوجود لا يلزم أن يكون شرطًا للبقاء، كالشهود في النكاح شرطٌ للانعقاد لا البقاء بخلاف الميسرة، فإنها شرطٌ فيه معنى العلّة؛ لأنها غيّرت صفة الواجب من العسر إلى اليسر، فأثرت فيه وأوجبته بصفة اليسر، فيشترط دوامها نظرًا إلى معنى العلّيّة؛ لأن هذه العلّة مما لا يمكن بقاء الحكم بدونها؛ إذ لا يتصوّر بدون اليسر، فلهذا اشترط بقاء القدرة الميسرة دون المُمكنة، مع أن ظاهر النظر يقتضي أن يكون الأمر بالعكس؛ إذ الفعل لا يتصوّر بدون الإمكان، ويتصوّر بدون اليسر. (ولذا) أي ولذلك الاستغناء (قيل) القائل فخر الإسلام ومَنْ تبعه: (لم يشترط) أي بقاء القدرة (للقضاء) بدليل أنّ في النفس الأخير من العمر يلزمه تدارك ما فات من الصلاة والصيامات والحجّ وغيرها، وظاهر أنه ليس بقادرٍ على تداركها، ولا يلزم منه تكليف ما لا يُطاق؛ لأن هذا ليس ابتداء تكليف، بل بقاء التكليف الأوّل على ما هو المختار أنّ القضاء إنما هو بالسبب الأوّل، وليس ذلك كالجزء الأخير من الوقت في حقّ الأداء؛ لأنه إنما اعتبر ليظهر أثره في خلفه كما سبق، ولا خلف للقضاء، كذا قالوا، وفيه بحث، ثم إنه فرع على اشتراط بقاء القدرة الميسرة لبقاء الواجب وعدم اشتراط بقاء الممكنة له، بقوله: (فلا تبقى الزكاة والعشر والخراج بهلاك المال النامي)، فإنّ كلّ واحد منها لمّا وجب بالقدرة الميسّرة انتفى بانتفائها. أمّا الزكاة، فلأنها تجب بالنّماء الذي يحصل به يسر الأداء، فإنّ النصاب لمّا لم يغيّر الواجب من العسر إلى اليسر؛ لأن إيتاء الخمسة من المائتين وإيتاء واحد من الأربعين سواء في اليسر لم يعد من القدرة الميسّرة، بل جعل من شرائط الأهليّة كالعقل والبلوغ أو شرط وجوب الأداء؛ لأن حسن الإغناء لا يتحقّق غالبًا إلّا بالمعنى الشرعيّ. فإنْ قيل: فينبغي أن لا تسقط الزكاة بهلاك النصاب، قلنا: إنما تسقط لفوات القدرة الميسّرة التي هي وصف النّماء، لا لفوات الشرط الذي هو النصاب، ولهذا لا تسقط بهلاك بعض النصاب، مع أن الكلّ ينتفي بانتفاء البعض، ومن هذا ظهر فائدة تقييد المال بالنامي. وأمّا العشر، فلأنّ الله تعالى خصّه بالخارج من الأرض الذي هو نماؤها، وأوجب قليلًا من الكثير؛ إذ القدرة على أداء العشر تستغني عن تسعة الأعشار، وذلك دليل اليسر. وأمّا الخراج، فقد خصّه الله تعالى بنماء الأرض، وهو الخارج حتى لو كانت الأرض سبخة لا يجب عليه،

....

وكذا إذا لم يحصل الخارج بأن زرعها ولم يخرج شيء. وأمّا إذا تمكّن من الزراعة وتركها، فيجب عليه لوجود الخارج تقديرًا؛ لأن التقصير من جهته، فكأنه عسر على نفسه كالاستهلاك في الزكاة بخلاف العشر، فإنه إنما يجب بالخارج تحقيقًا، وإنما كان كذلك لأنّ الواجب في الخراج غير جنس الخارج، فأمكن القول بوجوب الخراج مع انعدام الخارج تحقيقًا بخلاف العشر، فإنّ الواجب فيه جزء من الخارج، فلا يمكن إيجاب جزء من الخارج بدون الخارج، وبقوله: (بخلاف الحجّ وصدقة الفطر) فإنّ كلًّا منهما لمّا وجب بالقدرة المُمكنة لم يشترط بقاؤها لبقائه. أمّا الحجّ، فلأنه وجب بالزّاد والراحلة، وهما من الممكنة؛ لأن غالِبَ التمكّن بهما؛ إذ بدون الزّاد نادر، وبدون الراحلة، وإنْ كان كثيرًا لكنه ليس بغالب، وإنما لم يُعتبر توهّم القدرة بالمشي وغيره فيه كما اعتُبر توهّم الامتداد في وقت الصّلاة، مع أن هذا أقرب منه؛ لأن اعتباره هٰهنا يفضي إلى التلف، ولا خلف حتى يظهر أثره فيه، بخلاف وقت الصلاة. وأمّا صدقة الفطر، فلأنها تجب بنصاب فاضل عن الحاجة الأصليّة، وإن لم يتم حتى لو ملك من ثياب البذلة ما يفضل عنها، أو ملك نصابًا ليلة الفطر يلزمه صدقة الفطر، واعتبار النصاب ليس لليسر، بل ليصير المخاطَب به غنيًّا، فيكون إهلالًا للأغنياء؛ لقوله عليه السلام: «اغنوهم عن المسألة»، وإنما اليسر بالنماء وهو غير معتبر هٰهنا. اهـ بحروفه. وفي حاشية للعلامة الأزميري ﷺ: قوله: (ولا بدّ له من الحسن) اعلم أن قضية لزوم الحسن للمأمور به إيجابًا أو ندبًا من قضايا الشرع لا من قضايا اللغة؛ لأن صيغة الأمر قد تتحقّق في القبيح أيضًا؛ كالكفر والظلم والسّفه. ألا يرى أنّ السلطان الجائر إذا أمر إنسانًا بالزنى والسرقة والقتل بغير حقّ كان أمرًا حقيقة لغويّة حتى إذا خالفه المأمور يقال: خالف أمر السلطان، إلّا أن الشارع لمّا كان حكيمًا لا يفعل إلا لحكمة وفائِدة ولا يأمر بالفحشاء، قالوا: لا بدّ من الحسن في أمره، ثم اختلفوا في أن الحسن من مُوجبات الأمر، أو من مقتضياته كما سيأتي بيانه، ولا بدّ أوّلًا من معرفة معاني الحسن حتى يظهر محلّ النزاع، قالوا: الحسن والقُبح يُطلقان على أربعة معاني: الأول كون الشيء صفة كمال ونقصان؛ كالعلم والجهل وأفعال الله تعالى وأوصافه تتّصف بهذا المعنى. والثاني: كونه ملائمًا للغرض ومنافرًا له؛ كالعدل والظلم. والثالث: كونه متعلّق الثواب والعقاب في

....

الآخرة. والرابع: كونه متعلّق المدح والذَّم في الدنيا في حكم الله تعالى. والأوّلان يثبتان بالعقل بالاتفاق ورد به الشرع أو لا. والثالث يثبت بالنّقل بالاتّفاق؛ إذ لا مدخل للعقل فيه، واختلفوا في الرابع، والشارح جعل الثالث مع الرابع معنى واحدًا كما في التوضيح، وجعله محلاً للنّزاع، ولما ورد عليه أن يكون المأمور به متعلّق الثواب والعقاب في الآخرة ممّا لا نزاع في ثبوته بالنقل لعدم مدخليّة العقل فيه، وإنما النزاع في الرابع جعلنا كلّاً منهما معنًى مستقلاً ليتّضح محل النزاع.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن الأشاعرة وبعض أصحابنا منهم شمس الأئمّة ذهبوا إلى أن الحسن بالمعنى المنازَع فيه من مُوجبات الأمر، بمعنى أن الحسن ثابت بالأمر ويُعرف به لا بمعنى أنه ثابت العقل، والأمر دليلٌ عليه؛ ولهذا قالوا: الفعل أمر به فحسن، بناء على أن لا حَظّ للعقل فيه أصلًا عندهم، وإنّما يُوجبه الأمر ويُثبته لا العقل، وإنما العقل آلة لمعرفة الأمر المُوجب له، وإليه أشار الشارح رحمه الله بقوله: والحاكم به والمُوجب له هو الشرع ولا دخل للعقل فيه، وإنما العقل آلة لفهم الخطاب الشرعيّ، أي لا آلة لفهم حسن المأمور به نفسه، فكان العقل عندهم مهدرًا في حقّ إيجاب حسن المأمور به، وفي حقّ كونه آلة لمعرفة حسنه، ومعتبرًا في حقّ فهم الأمر المُوجب لحسنه، وإليه أشار فخر الإسلام أيضًا، فإنه قال: أولًا عرف حسنه بكونه مأمورًا لا بالعقل نفسه؛ إذ العقل غير موجب بحال، ثم قال في باب بيان العقل: ليس بمهدر بالكلّيّة، بل هو معتبر في إثبات الأهليّة بكونه آلة لفهم الخطاب الشرعي، هذا ما ظهر من كلام الشارح. لكن قال في التقرير: إنّ إثبات الأهليّة بالعقل واعتبار العقل في فهم الخطاب الشرعي هو مختار فخر الإسلام لا الأشاعرة، والأشاعرة على إهدار العقل بالكلّيّة. وقالت المعتزلة وجماعة من أصحاب الشافعي رضي الله عنه: إنّ الحسن مقتضى الأمر، أي لازمه المقدَّم، بمعنى أنه ثابت بالعقل قبل ورود الأمر، وإنّما الأمر دليلٌ عليه، ولهذا قالوا: الفعل حسن، فأمر به والحاكم بالحسن والمُوجِب له هو العقل عندهم، بمعنى أنه يحكم بلزوم الأمر بالفعل على الشارع لكونه أصلح لمعرفة حسنه كما يحكم عليه بوجوب الأصلح للعباد، بناءً على أن حسن الشيء يقتضي المأمور به، وإن لم يرد به الأمر ولا دخل للشرع في الحكم عندهم أصلًا، بل الشرع إذا ورد فيما أدرك العقل حسنه ابتداء؛

....

كالإيمان يكون مؤكّدًا لما أدركه العقل من الحسن، وإذا ورد فيما لا يُدرك العقل حسنه ابتداءً يكون مظهر لمقتضى العقل الحاكم لخفاء اقتضائه؛ كمقادير العبادات، وهذا ما قال في الكشف أنّ الحسن والقُبح ضربان: ضربٌ عُلِم بالعقل كحسن العدل والصدق النافع وشكر النّعمة وقُبح الظلم والكذب الضارّ وكفران النّعمة. وضربٌ عُرِف بالسَّمع؛ كحسن مقادير الأعمال وقبح الزنى وشرب الخمر، وسبيل السمع إذا ورد بموجب العقل أن يكون وروده مؤكّدًا لما في العقل، وهو مذهب المعتزلة، وإليه ذهب كثيرٌ من أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه سيّما العراقيون منهم، فكان العقل عندهم موجبًا لحسن المأمور به قبل ورود الأمر به، إلّا أنّ إيجابه في النّوع الأوّل ظاهر قبل ورود الأمر، فكان الأمر مؤكّدًا له، وفي النوع الثاني خفي، فكان الأمر مزيلًا لخفائه مظهرًا لمقتضاه من الحسن. وقول الشارح: لا مطلقًا بل في إيجاب المعرفة؛ يُشعر بأن هذه الفرقة من أصحابنا لم يوافقوهم إلّا في إيجاب معرفة الله تعالى. قلت: بل وافقوهم أيضًا في الحكم بحسن العدل والصّدق النافع وإنقاذ الغرقى والحرقى؛ كما في شرح البزدوي. وقوله: حتى قالوا بوجوب الإيمان، ذكر الإمام نور الدين في الكفاية: أنّ وجوب الإيمان بالعقل مرويّ عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وذكر الحاكم الشهيد في المنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لا عُذْر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السمٰوات والأرض وخلق نفسه. أمّا في الشرائع، فمعذور حتى تقوم عليه الحجّة. ورُوِي أنه قال: لو لم يبعث الله تعالى رسولًا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم، قال: وعليه مشائخنا من أهل السنّة والجماعة، حتى قال الشيخ أبو منصور في الصبيّ العاقل: أنه يجب عليه معرفة الله تعالى، وهو قول أكثر مشائخ العراق؛ لأنه إنما أوجب على العاقل البالغ لكمال عقله بحيث يقدر على الاستدلال، فإذا بلغ عقل الصبي هذا المبلغ يجب عليه الاستدلال أيضًا، وحمل هؤلاء قوله عليه السلام: «رُفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم» الحديث، على الشرائع. وفي الكشف: هذا القول مُوافق لقول المعتزلة من حيث الظاهر، أي في إيجاب الإيمان على الصبيّ العاقل سوى أنهم يجعلون نفس العقل مُوجبًا، وهؤلاء يقولون: الموجب هو الله والعقل معرّف لإيجابه، والصحيح ما اختاره فخر الإسلام في البزدوي؛ لأن الإيجاب

....

على الصبيّ مخالف لظاهر النص. أقول الفرق بين ما اختاره فخر الإسلام وبين قول هؤلاء مشكل؛ لأن حاصل ما اختاره فخر الإسلام: أن حسن المأمور به، إنما يثبت بالأمر ويُعرف به، ولا مدخل للعقل في إثباته ومعرفته، إلّا كونه آلة لمعرفة الخطاب الشرعي، كما سبق، وكذا حاصل قول هؤلاء؛ فإن قيل: الفرق أنّ هؤلاء يُوجبون الإيمان على الصبيّ العاقل دون فخر الإسلام. قلنا: إنّ فخر الإسلام قائلٌ بذلك أيضًا؛ لأن سبب إيجابهم عليه فهمه الخطاب بعقله، وهذا مما لم ينكره فخر الإسلام، بل هو قائلٌ به أيضًا، فالفرق بينهما مشكل. ثم الظاهر من كلام الشارح أنّ مذهب صاحب الميزان العقل مُوجب بحسن الشيء وقبحه مثل مذهب المعتزلة، لكن قال في التقرير: إنّ أصحابنا لم تقل بكون العقل مُوجبًا أصلًا، تأمّل قوله: (وأدلّة كل من المذاهب مسطورة) احتجّت الأشاعرة بوجوه، منها أن العقل منهدر بالكلّية لا عِبْرة له أصلًا بدون السمع؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: الآية ١٦٥]؛ فلو كان العقل حجّة بدون السمع لما نفى العذاب قبل البعثة، ولكانت حجّة قبل البعثة قائمة في حقّهم، فلا عِبْرة إلا بالسمع. قلنا: لا نصّ في الشرع على أنّ العقل مهدر بالكلّية، وغير الشرع لغوٌ عندكم، فإهدار العقل بالعقل لغو وتناقض، ولا دليل لهم في الآية؛ لأنه يجوز أن يكون المراد بالتعذيب المذكور فيها التعذيب الدنيوي بطريق الاستئصال، أي قَطْع نسلهم بالكلّية لا الأُخرويّ، ولو سلم أنه الأُخرويّ لكن نفيه لا ينافي استحقاقه المُعتبر في مفهوم الواجب، فإنّ المُعتبر في مفهومه الاستحقاق للتعذيب بالتّرك لا التعذيب بالفعل، والمراد بالرسول فيها هو رسول العقل؛ لأن العقل رسول من الله تعالى إلى الخلق كافّة، فكان معناها حتى نبعث العقل على ما فسّره الإمام النّسفي، ويحتمل أن يخصّص عمومها، فيكون معناها: وما كنا معذّبين في الأعمال التي لا سبيل للعقل إليها حتى نبعث رسولًا كما فسّره بعض مشايخنا. ومنها: أنّ الأفعال كلّها متساوية ليس في شيءٍ منها جهة محسنة أو مقبحة في نفسه أو في صفته، حتى يُدرك بالعقل، وإلا لزم قيام العرض بالعرض، وذلك باطل، فالحسن ما حسّنه الشرع، والقبيح ما قبّحه الشرع. أُجيب عنه بوجوه: الأول: إن أردتم بالقيام الاتّصاف به بحيث يصير أحدهما منعوتًا

....

ومحلاً، والآخر ناعتًا وحالاً، فلا نسلم امتناعه، فإنه واقع نحو هذه الحركة سريعة وتلك بطيئة، وإن أردتم به أن العرض لا يقوم بعرضٍ آخر، بل لا بدّ له من جوهر يقوم العرضان به، فالقيام بهذا المعنى لا يلزم على تقدير كون الحسن أو القبح لذات الفعل أو لصفة الجواز أن يكون صفة للفعل ثابتًا له، ولا يكون تابعًا له في التخيير، بل يكون تابعًا للجوهر الذي يقوم به الفاعل كالفاعل؛ إذ لا بدّ من فاعل يتقوّم به الفعل والحسن، وإن أردتم به معنًى آخر، فلا بدّ من بيانه. الثاني: أنّ الحسن أمرٌ اعتباريّ لا وجود له في الأعيان، فقيامه بالفعل لا بدّ أن يكون من باب قيام العرض بالعرض. فإن قيل: إنّ نقيضه لا حسن أمر عدميّ، وإلا لما صدق على المعدوم أنه ليس بحسن ضرورةً أن الوجودي يقتضي محلاً موجودًا، فيكون الحسن أمرًا موجودًا في الخارج لا معدومًا، وإلا لزم ارتفاع النقيضين. قلنا: إن الصدق على المعدوم لا يقتضي العدميّة لجواز أن يكون مفهومًا كليًا يصدق على موجود وعلى معدوم؛ كاللّاممتنع الصادق على الواجب والمعدوم المُمكن. والحاصل أن عدميّة صورة النفي موقوفة على كون ما دخل عليه حرف النفي وجوديًا بدليل أن اللامعدوم وجودي، فلو أثبت وجودية ما دخل عليه حرف النفي، أعني الحسن لعدميّة صورة النفي لزم الدور. (الثالث): أنه مشترك الإلزام لأن الحسن الشرعي الذي أثبتم أيضًا عرض، فيلزم من اتّصاف العقل به قيام العرض بالعرض.

فإن قلتم: إنّ الحسن الشرعيّ أمرٌ اعتباريّ ثبت باعتبار الشارع. قلنا: إنّ الحسن العقلي أيضًا أمرٌ اعتباري، كما عرفت. ومنها: أن فعل العبد إن كان لازم الصدور عنه فاضّطراريّ، وإلّا فإن افتقر إلى مرجح، فإنْ كان ذلك المرجح لازم الصدور عنه فاضّطراريّ أيضًا، وإلّا احتاج إلى مرجّح آخر؛ فتسلسل المرجّحات وهو باطل، وإن لم يفتقر إلى مرجّح، بل يصدر عنه تارة ولا يصدر أخرى مع تساوي الحالين من غير تجدّد أمر من الفاعل، فهو اتّفاقي والاضّطراري والاتّفاقي لا يوصف إنْ بالحسن والقبح عقلًا بالاتّفاق. حاصله أن لا اختيار للعبد في فعله، بل كل أفعاله اضّطراريّ أو اتّفاقي، فلا يوصف بالحسن والقبح عقلًا أُجيب عنه بوجوه:

الأول: إنّا نجد تفرقة ضروريّة بين حركة الآخذ وحركة المرتعش، بأن الأُولى اختيارية، والثانية اضّطرارية، فيكون دليلكم في مقابلة الضرورة، فلا يسمع ورد بأن

....

المعلوم ضرورةً، وهو وجود القدرة لا تأثيرها، فلا يكون دليلنا في مقابلة الضرورة. الثاني: أنه يجري بعينه في فعل الباري، فيلزم أن لا يكون مختارًا في فعله، وهو باطل وردّ بأن مرجح فاعليّته تعالى هو إراداته القديمة، فلا يحتاج إلى مرجّح متجدّد؛ إذ علّة الاحتياج إلى المرجّح عندنا هو الحدوث. الثالث: أنه يلزم أن لا يُوصف بحسن ولا قُبح شرعًا، لأنهما يكونان بالتكليف عندكم، والتكليف بغير المختار غير واقع عندكم، فلا يتّصف بهما، وردّ بأن وجود القدرة وكون الفعل مقدورًا له كافٍ في اتّصافه بالحسن الشرعي، بلا حاجة إلى تأثيرها، ونحن لا نُنكر وجود القدرة، وإنما نُنكر تأثيرها ووجودها كافٍ في التكليف، فكذا في الاتّصاف بالحسن والقُبح الشرعيّين. الرابع: إنّا نختار أنه يحتاج إلى مرجّح، وهو الاختيار، وسواء قلنا يجب الفعل عنده أو لا يجب، يكون اختياريًّا؛ إذ لا معنى للاختياريّ. أمّا ما يترجح بالاختيار حاصله أنّ الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار، وردّ بأنّ ذلك المرجّح لا يكون اختيار العبد، وإلا لزم التسلسل، فيكون اختياره تعالى فيبطل استقلال العبد في فعله فيقبح التكليف، لأن مجرّد القدرة لا يكفي في صحة التكليف عندكم، وإذا بطل التكليف لا يتّصف بالحسن والقُبح. الخامس: وهو أقواها الذي اختاره صاحب التوضيح مبنيًّا على المقدّمات الأربع المشهورة، وهو لازم الصدور؛ لأن كل ممكن يجب صدوره عند تمام علّته، ولا يلزم منه الاضطرار المانع عن اتّصافه بالحسن والقبح؛ لأنّ اختيار العبد داخل في العلّة التامّة ضرورةً لأنه لا يجوز أن تكون العلة التامّة بأسرها موجودات محضة، وإلا لزم انتفاء الواجب أو قدم الحادث؛ لأن تلك الموجودات لا بدّ أن تستند إلى واجب قطعًا للتسلسل، فإن لم ينتفِ شيء من تلك الموجودات أصلًا يلزم قدمها ضرورةً دوام المعلول بدوام علّته، وإن انتفى شيءٌ منه يلزم انتفاء الواجب ولا معدومات محضة؛ لأن المعدوم لا يكون علّة للموجود ولا مركبة منهما؛ لأنها لو كانت مركّبة منهما لزم أن لا يكون وجود جميع تلك الموجودات التي كانت جزء من العلّة التامّة مستلزمًا لوجود ذلك الحادث ضرورةً توقفه على المعدومات أيضًا لكونها جزء من العلّة التامّة واللازم باطل لما تحقّق وتقرّر أنه كلّما وجد جميع الموجودات التي يفتقر إليها وجود زيد مثلًا يوجد زيد البتّة من غير توقّف على عدم شيءٍ مّا؛ إذ لو توقف على عدم شيء ولنفرضه عدم عمرو

....

مثلًا، فإمّا أن يتوقّف على عدمه السابق أو عدمه اللاحق، وكلاهما باطلان. أمّا الأوّل، فلأن عدمه السابق قديم، فيلزم قدم زيد أيضًا ضرورةَ تحقّق جميع ما يتوقّف عليه وجوده من الموجودات أو المعدومات في الأزل. أمّا المعدومات، فظاهر. وأمّا الموجودات، فلاستنادها إلى الواجب بالذّات. وأمّا الثاني، فلأن عدمه اللاحق، أعني عدمه بعد وجوده لا يمكن إلّا بزوال شيء مما يتوقّف عليه وجوده، فلذلك الجزء الذي حدث عدم عمرو بزواله إمّا أن يكون موجودًا محضًا أو معدومًا محضًا أو مركبًا منهما، ولا يجوز أن يكون زواله بزوال الموجود المَحض لاستلزامه انتفاء الواجب، كما في القسم الأوّل، بل بزوال المعدوم المحض أو بزوال المركّب من الموجود والمعدوم، وزوال المعدوم لا يتصوّر إلّا بزوال عدمه، وزوال العدم وجود، ولنفرضه وجود بكر فيكون وجود زيد بعد تحقّق مجموع ما يتوقّف عليه من الموجودات موقوفًا على وجود بكر ضرورةَ توقّفه على عدم عمرو الموقوف على زوال جزء علّته الموقوف على وجود بكر هذا خلف؛ لأنّ ما فرضناه مجموع الموجودات التي يتوقّف عليها وجود زيد لا يكون مجموعًا ضرورةَ بقاء بكر الموجود، فإذا ثبت بطلان كون العلّة التامّة بحادث موجودات محضة، أو معدومات محضة، أو مركّبة منهما؛ فلا بدّ أن يدخل فيها أمر لا موجود ولا معدوم غير مخلوق أصلًا، وهو المسمّى بالحال عندهم، وهو القصد والاختيار، فيكون الفعل حينئذٍ واجبًا بالاختيار عند تمام علّته، والوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار، بل يحقّقه، فلا يكون اضّطراريًا.

فإن قيل: ننقل الكلام إلى ذلك الاختيار، فإنْ كان لازم الصدور عن العبد يكون الفعل اضّطراريًا، وإن لم يكن لازم الصدور عنه، بل قد يصدر وقد لا يصدر يلزم الترجيح بلا مرجّح في صدور الاختيار عنه. قلنا: إنه غير لازم الصدور، وبطلان الترجيح بلا مرجح من الفاعل المختار ممنوع، وإنّما المُحال هو الترجيح بلا مرجح، بمعنى وجود الممكن بلا موجود ولا إيجاد، وذلك غير لازم هٰهنا؛ إذ لا وجود للاختيار، بل أمر لا موجود ولا معدوم، وهو أمرٌ اعتباريّ لا يحتاج إلى الخلق والإيجاد، وقد يُجاب عنه بأنه لازم الصدور من العبد لكن لا يلزم منه كون الفعل اضّطراريًا؛ لجواز أن يكون المرجّح المُوجب للاختيار اختيارٌ آخر إلى غير

....

النهاية لجواز التسلسل في الأُمور الاعتبارية، فيكون الاختيار أيضًا واجبًا بالاختيار، أو يكون اختيار الاختيار عينه، فلا يتسلسل. واحتجّت المعتزلة بقصة إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام حين قال لأبيه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعَام: الآية ٧٤]، وكان ذلك قبل الوحي، ولو لم يكن العقل حجّة مُوجبة لكانوا معذورين، لا في ضلالٍ مبين. قلنا: سلّمنا ذلك، ولكنه لا يلزم منه كون العقل مُوجبًا بنفسه حاكمًا بذاته، لجواز كفاية كونه آلة لإدراك الحسن في إسقاط العذر، وفي بعض شروح المختصر: أن النزاع بين الأشاعرة والمعتزلة لفظي؛ لأن المعتزلة أرادوا بالحسن ما يكون موافقًا للغرض ولا نزاع في كونه عقليًا والأشاعرة أرادوا بمعنى ما يستحقّ فاعله المدح ولا نزاع للمعتزلة في كونه شرعيًا، وفيه نظر؛ لأنهم صرَّحوا أن نزاعهم في هذا المعنى فيكون معنويًا. قوله: (والمختار عندنا)، حاصلة التوسّط، فإنّ المعتزلة أفرطوا في جعل العقل حاكمًا حتى أوجبوا الإيمان على الصبي العاقل، وأهل الفطرة والأشاعرة فرّطوا في تعطيل العقل وإهداره حتى أبطلوا إيمان الصبي العاقل، وتوسّط أصحابنا وقالوا: إنّ للعقل مدخلًا في معرفة حسن بعض الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع، وليس بحاكم، بل الحاكم هو الله تعالى. قوله: (إنه مدلوله مطلقًا) أي ثابت للمأمور به قبل ورود الأمر، سواء كان ممّا فهمه العقل أو لا، والأشاعرة قالوا: إنه ثابت بالأمر لا قبله. قوله: (لحكمة الآمر)؛ فإن قيل: إذا كان لحكمة الآمر، فكيف يصح تقسيمه إلى حسن بعينه وحسن لغيره، والحسن لغيره لا يكون لعينه، والحسن لحكمة الآمر حسن لغيره. قلنا: إن كونه مأمورًا به من الحكيم دليلٌ على اتّصافه بالحسن لا موجب له، فلا يمنع أن يكون حسنه الذي دلّ عليه بكون الآمر حكيمًا لعينه ولغيره. قوله: (ما ذكر هٰهنا) أعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]، ووجه الإشكال فيه أنه إنما أفاد حسن العدل لكونه مأمورًا به، وقد تقدّم آنفًا أن حسن العدل بمعنى الموافق للغرض، لا بمعنى المتنازع فيه. قوله: (فلا علينا) أي فلا بأس علينا، فكان اسم لا محذوفًا لعدم اللّبس، كما هو المشهور. قوله: (بل هو يعرفه) من المعرفة، ويجوز أن يكون من التعريف. قوله: (إمّا حسن لمعنًى في نفسه)، قال في التقرير: معنى قولهم: حسن لمعنًى في نفسه، أنّ اتّصافه بالحسن إنما هو بالنظر إلى ذات المأمور به مع قطع النظر

....

عن الأُمور الخارجية عنه، كما يقال: إنّ الدار حسنة في نفسها، أي مع قطع النظر عن الأُمور الخارجية، وتحقيقه أن العقل لو كان موجبًا لمعرفة الحسن لدلّ عليه حين النظر في المأمور، وإن فرض عدم كونه مأمورًا به بأمرٍ صادر عن الحكيم؛ كالإيمان مثلًا، فإنه إذا نظر العقل في ماهيّته وجدها شكرًا للمُنعم بتوحيده وتصديقًا له وغير ذلك من محاسنه، فلو فرضنا أنه لا يكون مأمورًا به لكان حسنًا، والحسن لمعنًى في غيره هو ما يكون على خلاف ذلك؛ كالجهاد مثلًا، فإنه تخريب البلاد وقتل العباد، وإذا جرّد العقل النظر إليه قد لا يجده حسنًا إنْ لم يكن مأمورًا به، وكذا الغسل من الجنابة في أيّام الشتاء في البلاد الباردة بالماء البارد. فإن قيل: هذا البيان يستقيم على القول المختار عندنا. وأمّا مذهب الأشاعرة ومَنْ معهم منّا من أن الحسن ثابت بالأمر لا قبله، فما معنى قولهم: حسن لمعنًى في نفسه؟ فالجواب: معناه أنّ الحكيم أمر به مستقلاً بذاته من غير أن يكون بواسطة غيره، أو أن يكون واسطة لغيره، والحسن لمعنًى في غيره على خلاف ذلك، وهو أنّ الشارع أمر به لا مستقلاً بذاته، بل باعتبار أنه واسطة لغيره أو غيره واسطة له، وقيل: معنى الحسن لنفسه عند الأشعري كون الفعل مأمورًا به، فتكون كل المأمورات حسنة لمعنًى في نفسها بهذا المعنى، فلا يتمشّى التقسيم المذكور عنده. قوله: (إلى تكلّف ارتكبه صاحب التنقيح)، قال: والمأمور به في صفة الحسن نوعان: حسن لمعنًى في نفسه، وحسن لغيره؛ وذلك الغير لا بدّ أن يكون حسنًا لعينه قطعًا للتسلسل، وهو إمّا أن يكون جزء ذلك الفعل أو خارجًا عنه، والجزء إمّا صادق على الكلّ؛ كالعبادة تصدق على الصلاة، وهي جزؤها؛ كالإنسان بالنسبة إلى زيد. والحسن لمعنًى في نفسه يعمّ الحسن لعينه، والحسن لجزئه والخارج إمّا صادق على ذلك الفعل نحو الجهاد إعلاء كلمة الله، فالجهاد حسن لكونه إعلاء، والإعلاء خارج عن مفهوم الجهاد. وإمّا غير صادق؛ كالوضوء حسن للصلاة، والصلاة لا تصدق على الوضوء، هذا ما ذكره. ولما ورد على قوله: إن الحسن لمعنًى في نفسه يعمّ الحسن لعينه والحسن لجزئه أنّ هذا إنما يصح في الحسن لجزئه ضرورةَ أن جزء الشيء معنى كائن فيه، ولا يصح في الحسن لعينه؛ إذ ليس ذات الشيء معنًى فيه. أجاب عنه بوجهين: أحدهما أنّ إطلاق الحسن لمعنًى في نفسه على الحسن لعينه إنما هو اصطلاح، ولا مَشاحة في الاصطلاح،

....

وكأنه تغليب باعتبار أن عامّة الأشياء يكون حسنها باعتبار الأجزاء. وثانيهما: أن الحسن لعينه هو الفعل المطلق؛ كالعبادة مثلًا، وهو لا يوجد إلّا في ضمن جزئيّاته الموجودة، وبحثنا في تلك الجزئيّات المعلوم وجودها حسًّا، وهي لا تكون حسنة إلّا لمعنًى في نفسها، أو حسنة لغيرها، ولمّا حمل الشارح قولهم حسن لمعنًى في نفسه على ما ذكره لم يرد عليه ذلك، ولا حاجة إلى ما تكلّف من الجوابين. قوله: (فإمّا أن لا يقبل) شروع في تقسيم الحسن لحسن في نفسه وحسن في غيره، والجملة هٰهنا أن المأمور به في باب صفة الحسن ينقسم إلى نوعين: وحسن لحسن في نفسه وحسن لحسن في غيره، والأوّل ينقسم إلى ما لا يقبل السقوط بحال، وإلى ما يقبله، وإلى ما يكون حسنًا في نفسه ومشابهًا لما حسن لحسن في غيره. والثاني ينقسم إلى ما يتأتّى ذلك الغير بنفس المأمور به، وإلى ما لا يتأتّى به، وهٰهنا قسمٌ آخر، وهو ما حسن لحسن في شرطه بعدما كان حسنًا لحسن في نفسه؛ كالصلاة والزكاة وشرطهما هو القدرة على الأداء، وعدّ هذا القسم في شروح البزدوي من أقسام الحسن لغيره؛ لأن الشرط يُغاير المشروط وسمّوه قسمًا جامعًا لكونه جامعًا للحسن لعينه ولغيره. قوله: (وفي اختياره على قول فخر الإسلام) قال فخر الإسلام: الحسن لمعنًى في نفسه ثلاثة أضرب: ضربٌ لا يقبل سقوط هذا الوصف بحال، وضرب يقبله، وضرب يلحق بهذا القسم، لكنه مُشابه لما حسن لمعنًى في غيره... إلى آخره. والمراد بالوصف وصف الحسن، واعترض عليه بأنّ حسن الإقرار في حالة الإكراه حتى لو صبر وقتل كان شهيدًا مأجورًا، فكيف يكون حسنه ساقطًا بالإكراه، وإنما يسقط به وجوبه، ولا يلزم من سقوط وجوبه سقوط حسنه؛ لأن عدم الوجوب لا يستلزم عدم الحسن؛ كالمندوب، على أنّا لا نسلم أنّ وجوبه ساقط. وأُجيب عنه بأنه لا يلزم من كون الصابر عليه شهيدًا إبقاء حسن الإقرار؛ لأنه لو سقط حسنه لا يلزم منه إباحة ضدّه وهو إجراء كلمة الكفر، بل بقي ذلك حرامًا كما كان، إلّا أنّ الترخص ثبت رعايةً لحقّ نفسه، فإذا صبر حتى قُتل كان شهيدًا بناءً على بقاء حرمة إجراء كلمة الكفر لا على بقاء حسن الإقرار، ولما ورد على هذا الجواب أنّ سقوط أصل الإقرار بالإكراه إنّما كان لرعاية حقّ نفسه، ولا مدخل له في سقوط حسنه أعرض عنه المصنّف كصاحب التنقيح إلى لفظ التكليف، فإنه كما سقط الإقرار

....

حالة الإكراه سقط التكليف به أيضًا. فإن قيل: إن القابل من شرطه أن يوجد مع المقبول والإقرار والتكليف به؛ إذا سقط لم يكن موجودًا. قلنا: إن السقوط وصف اعتباريّ، واشتراط القابل مع المقبول وجودًا إذا كان المقبول وصفًا وجوديًا، ومنه ظهر الجواب عمّا يتوهّم أنّ بقاء الحسن مع سقوط أصل الإقرار محال؛ لأن بقاء الحال بدون المحل مُحال، فإنّ العرض لا يقوم بدون المحلّ، وجهه أنّ ذلك في الوصف الحقيقي والحسن لما كان وصفًا اعتباريًا لا يقتضي محلاً موجودًا يقوم به حقيقة. قوله: (إنّ التكليف مطلقًا أعمّ)، أي لفظ التكليف مع قطع النظر عن وقوعه في هذين الموضعين أعمّ من المعنيين، وإلّا فلفظ التكليف في قوله: لا يقبل سقوط التكليف بمعنى التكليف بالسعي لا أعمّ منه، ومن المعنى الأوّل. وفي قوله: أو يقبله على عكس هذا الأعمّ أيضًا. قوله: (فإنه كيف أو انفعال) إنّ فسّر الصورة الحاصلة في الذّهن يكون كيفًا، وإن فسّر بانتقاش النفس بتلك الصورة يكون انفعالاً.
اعلم أنّ المراد بالتصديق المُعتبر في الإيمان ليس مجرّد معرفة نسبة الصدق إلى محمّد عليه الصّلاة والسّلام، أو إلى قوله: ووقوعها في القلب من غير إذعان وقبول، فإنّ كثيرًا من الكفّار يعرفون صدقه ويقع في قلوبهم نسبة صدقه يقينًا ولا يصدّقونه عنادًا واستكبارًا، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤٦]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: الآية ١٤]، بل المراد به إذعان تلك النسبة وقبولها واطمئنان النفس بها بترك التكبّر والعناد، بحيث يصحّ أن يطلق عليه اسم التسليم، كما صرّح به الغزالي، لكنهم اختلفوا في أن هذا التصديق هل هو من قبيل الأفعال الاختياريّة أو من قبيل العلوم والإدراكات التي هي من مقولة الكيف أو الانفعال؛ فذهب بعضهم إلى الأوّل مستدلاّ بأنّ العلم حاصل للمعاندين من الكفار دون التصديق المُعتبَر في الإيمان، وبأنّ الإيمان مأمورٌ به، والمأمور به لا بدّ وأن يكون فعلًا اختياريًّا، والعلم ليس بفعل، بل كيف أو انفعال، وحصولهما ليس باختياريّ، بل تحصيلهما اختياريّ، وبأنّ الإيمان عبارة عن القبول والتسليم، وهو فعل لا عِلم. وعلى هذا القول يقع التكليف بنفس التصديق، كما في الصلاة بلا حاجة إلى جعله للسعي، ثم فسّر بعضهم ذلك الفعل الاختياريّ المُعبّر عنه بالتصديق بربط القلب بالاختيار على ما علم من جملة المؤمن به، وبعضهم بنسبة الصدق إلى

....

المُخبر بالاختيار، وقالوا: إنّ كلّاً من الرّبط والنسبة الاختياريّتين أمرٌ كسبيّ من قبيل الفعل، ولهذا يُثاب عليه. وذهب بعضهم إلى الثاني، ثم اختلفت هذه الفرقة إلى فرقتين: فرقة ذهبت إلى أنه نوع من التصديق المنطقي الذي قسم العلم إليه وإلى التصوّر في أوائل كتب المنطق، وهو التصديق الخاص المقيّد بقيود؛ كالكسب والاختيار وترك الجحود والتصديق المنطقي أعمّ منه، وفرقة أخرى ذهبت إلى أنه عين الصدق المنطقيّ لا نوع منه، واختاره أكثر المحقّقين مستدلّين بأنّا لا نفهم من لفظ التصديق في اللغة والعُرف إلّا نسبة الصدق إلى المخبر، ولا نفهم من تلك النسبة أيضًا إلّا إذعانها وقبولها وإدراكها بالقلب من غير أن يتصوّر هناك فعل وتأثير من القلب أصلًا. ولا شكّ أنّ هذا كيفيّة للنفس قد تحصل بالكسب والاختيار، وقد تحصل بدونهما؛ فغاية الأمر أنه يشترط في التصديق المُعتبر في الإيمان أن يكون تحصيله بالكسب والاختيار على ما هو قاعدة كون الشيء مأمورًا به. وأمّا كون هذا فعلًا وتأثيرًا من النفس لا كيفيّة لها، وكون الاختيار معتبرًا في مفهومه حتى يكون نوعًا خاصًا من التصديق المنطقي؛ فممنوع. كيف وأنّ لفظ التصديق إنما يُطلق على ما يُعتبر في الإيمان بالمعنى المُعتبَر في اللغة؟ إذ الأصل عدم النقل والاختيار غير مُعتبر في معناه اللغوي قطعًا، فإن قيل: الإيمان في الشرع هو التصديق بأُمور مخصوصة، وفي اللغة: هو التصديق المطلق، فيكون من المنقولات الشرعية. قلنا: هذا ليس نقلًا من معنًى لغويّ إلى معنًى آخر، بل معناه في اللغة والشرع واحد، وهو المُعبّر عنه في الفارسية: بگر ويدن، غاية الأمر بيان الفرق بينهما باعتبار متعلّقهما إلا بأصل المعنى، فيكون متعلّقه في اللغة عامًّا وفي الشرع خاصًّا. وأمّا ما قيل إنّ الإيمان مأمورٌ به، فيكون فعلًا اختياريًا. قلنا: ممنوع؛ إذ كثيرًا ما يكون العلم مأمورًا به أيضًا، نحو: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمّد: الآية ١٩]، وكذا ما قيل: إنّ العلم حاصل للكافر المُعاند دون الإيمان، فيكون فعلًا ممنوع أيضًا؛ إذ لا يلزم من حصول مطلق العلم للكافر حصول التصديق المُعتبَر في الإيمان له، وباقي الأبحاث ذكرناها في شرحنا على ما رتّبنا في الكلام.

إذا عرفت هذا، فالشارح أشار بقوله: إنه كيف انفعال إلى أن التصديق المُعتبَر في الإيمان من مقولة العلم لا الفعل، ثم صرّح بأنه عين التصديق المنطقيّ المعتبر فيه

....

الإذعان والقبول، لا مجرّد نسبة الصدق في القلب. ثم أشار إلى ردّ مَنْ ذهب إلى أنه عبارة عن التسليم والقبول الذي هو من مقولة الفعل بقوله وتسميته تسليمًا زيادة توضيح للمقصود؛ وذلك لأن المقصود من الإيمان هو تسليم ما جاء به والانقياد إليه، ولفظ التسليم دلّ عليه ثم أشار إلى ردّ مَنْ ذهب إلى أنه نوعٌ خاصّ من التصديق المنطقي، بقوله: وجعله مغايرًا للتصديق المنطقي وَهْم، فإن قيل: لو لم يكن مغايرًا له لزم حصول الإيمان في الكافر، فأجاب بمنع حصول التصديق المنطقيّ في الكافر، وعلى تقدير حصوله لبعض الكفّار لا يلزم منه حصول الإيمان لهم لوجود الجحود باللّسان طوعًا واستكبارًا، فإن قيل: قد صرّح أولًا بأنه عين التصديق المنطقيّ، وقوله: يكون كفره باعتبار جحوده باللّسان واستكباره، يُشعر بأنّه غيره، وأنه نوعٌ خاصٌ منه باعتبار هذا القيد. قلنا: لا يلزم من اعتبار هذا القيد كونه نوعًا خاصًا منه؛ لجواز أن يكون هذا القيد شرطًا خارجيًا. قوله: (في حالٍ من الأحوال) أي حال الإكراه وحال الطَّوع حتى لو تبدّل التصديق بضدّه في حال منهما لكان كافرًا. قوله: (وقيام السيف) إشارة إلى أنّ المراد بالإكراه المُعتبر في إسقاط الإقرار هو الإكراه بالقتل أو بالقطع. قوله: (عدم تبدّله) أي التصديق. قوله: (متمكّنه) أي الإقرار. قوله: (على فواته) أي التصديق؛ لأن الإقرار دليلٌ عليه قائمٌ مقامه لكونه أمرًا باطنًا تعذّر الوقوف عليه، فكان تركه بغير عذر دليلًا عليه؛ لأن انتفاء الدليل انتفاءُ المدلول. قوله: (لا المصدّق الغير المتمكّن، ولو كان نادرًا) معطوف على متمكّنه، أي لا يدلّ المصدق الغير المتمكّن من الإقرار على فوات التصديق، فيكون مؤمنًا. قال فخر الإسلام: ومَنْ لم يصادف وقتًا يتمكّن فيه من البيان، وكان مختارًا في التصديق كان مؤمنًا إن تحقّق ذلك، انتهى. وقال في التقرير: قيّد بكونه مختارًا احترازًا عن التصديق حالة اليأس، فإنه لا ينفع أصلًا. وقوله: أن يحقّق ذلك؛ لأن التصديق الاختياريّ مع عدم التمكّن من الإقرار وما يقوم مقامه في غاية النّدرة، فأشار الشارح إلى هذا بقوله: ولو كان نادرًا، لكنه ترك الاختيار لظهوره. وقوله: ولا المتمكّن عطف على الغير المتمكّن، أي لا يدلّ ترك المصدق المتمكّن من الإقرار عند الإجبار على الإقرار على فوات التصديق، بل يحكم بإسلامه؛ كالكافر أجبر على الإسلام فأقرّ، فإنه يُحكم بإسلامه عندنا ذمّيًا أو حربيًا، وكذا المسلم لو أُكره على

....

الإنكار فأنكر، فإنه لا يُحكم بكفره، فإنّ الإكراه المُلجيء لا يعدم الاختيار بل يفسده، فإجبار الكافر على الإقرار والمسلم على الإنكار لا يعدم اختيارهما، وإن أفسده، والاختيار الفاسد معتبر في الإسلام؛ لأنه يعلو ولا يُعلى، فيكفي فيه الاختيار الفاسد.

واعلم أنّ مذهب المحقّقين مِنْ أصحابنا أنّ الإيمان هو التصديق والإقرار ليس جزءً منه، وإنما هو شرط إجراء الأحكام الشرعيّة عليه حتى أنّ من صدّق بقلبه ولم يُقِرّ بلسانه مع تمكّنه منه كان مؤمنًا عند الله تعالى غير مؤمن في أحكام الدنيا، أي لا يجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا. وقال كثير من أصحابنا ومن الفقهاء: إنّ الإيمان هو مجموع التصديق والإقرار، واستدلّوا عليه بظواهر النصوص من قوله عليه الصّلاة والسّلام: «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلّا الله» الحديث. وقوله عليه الصّلاة والسلام: «أُمِرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلّا الله» إلى غير ذلك، إلّا أنهم لما تقنطوا السقوط الإقرار مع بقاء كون الرجل مؤمنًا، قالوا: إنّ التصديق ركنٌ أصليّ لا يحتمل السقوط أصلًا، حتى لو تبدّل بضدّه طوعًا أو كرهًا كان كافرًا، والإقرار ركن مُلحق بالتصديق في كونه ركنًا لكونه دالًّا عليه، ويقبل السقوط بعذر الإكراه المُلجيء حتى لو تبدّل بضدّه لم يكن كافرًا؛ لأن اللّسان ليس معدن التصديق، والأصل هو التصديق؛ فاللّسان ليس معدن الأصل، فاشتغاله بضدِّه لا يدلّ على الكفر، واختار رحمه الله مذهب الأكثر، كما هو الظاهر في مواضع من كتابه، لكن اعترض بعض المحقّقين على دليلهم بأن تلك النصوص تدلّ على أنّ الإيمان هو الإقرار وحده؛ إذ ليس فيه ذكر التصديق، وهو خلاف ما عليه أهل السنّة، ويستلزم أن يكون المنافقون مؤمنين، فيكون متروك الظاهر، وخبر الواحد المتروك الظاهر، وكذا المشهور المتروك الظاهر لا يفيد الركنية في الأُمور القطعيّة. واستدلّ على مذهب المحقّقين بأنّ الإيمان في اللغة والعُرف هو التصديق فقط، ولا تعلّق له باللسان، فإطلاقه على غير التصديق إخراج عن معناه الحقيقيّ، وبأنّ الشيء لا يوجد إلّا مع ركنه، وكلّ مَنْ آمن موصوف بالإيمان على التحقيق من حين آمن إلى أن مات، بل إلى الأبد، فيكون مؤمنًا بوجود الإيمان وقيامه به حقيقة، ولا وجود للإقرار حقيقةً في كل لحظة، بل يكفي وجوده مرّة في عمره؛ فدلّ أنه مؤمن لما معه

....

من التصديق القائم من التصديق القائم بقلبه الدائم بتجدّد أمثاله، أو لبقاء الأعراض، لكن الله أوجب الإقرار ليكون شرطًا لإجراء أحكام الدنيا؛ إذ لا وقوف للعباد على ما في القلب، فلا بدّ لهم من دليل ظاهر ليمكّنهم بناء الأحكام عليه والنصوص معاضدة لهذا القول أيضًا؛ كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢]، ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «ثبت قلبي على دينك». قوله: (إذ ليست ركنًا مثله) أي ليست الصلاة ركنًا من الإيمان، مثل الإقرار أشار به إلى أن الأعمال خارجة عن الإيمان لا داخلة فيه، كما قال الشافعي رحمه الله. قوله: (إذ لا تدلّ عليه عدمًا)؛ إذ يلزم من ترك الصلاة اختيارًا عدم الإيمان بخلاف الإقرار، كما عرفت. قوله: (إلّا على هيئة مخصوصة) أي إلّا كائنة على هيئة مخصوصة؛ كالصلاة بجماعة، فإنه يحكم بوجود إيمان مَنْ صلّى بالجماعة لكونها من خصائص هذه الأُمّة بخلاف الصّلاة منفردًا، فإنها لا تدلّ على وجود الإيمان. قوله: (وسرّه)، أي سرّ دخوله الإقرار في الإيمان دون الأعمال، حاصله أنّ الإيمان وصف للإنسان، يقال: إنه مؤمن والإنسان مركّب من الروح والبدن والتصديق عمل الروح القائم في القلب، فجعل عمل شيء من البدن أيضًا داخلًا فيه تحقيقًا لكمال اتّصاف الإنسان بالإيمان ظاهرًا وباطنًا، وتطبيقًا بين الصفة والموصوف في التركيب وتعين فعل اللّسان؛ لأنه المتعيّن لبيان ما في الباطن بحسب الوضع، ولهذا جعل الحمد الذي هو فعل اللّسان رأس الشكر، فكان الإيمان مركّبًا من الدال والمدلول. قوله: (لا حقيقةً بل حكمًا)، وإنما جعل هذا القسم مقابلًا للقسمين المذكورين نظرًا إلى أنه لا ينقسم إلى ما لا يقبل السقوط، وما يقبله، بل كلّه يقبل السقوط. واعلم أن للحسن لعينه درجات أعلاها حسن التصديق، فإنه لا يسقط بحال، ثم حسن الإقرار؛ لأنه وإن كان ركنًا، إلّا أنه يحتمل السقوط، ثم حسن الصلاة لأنها حسنة لعينها بحيث لا تشبه الحسن لغيره، إلّا أنها تحتمل السقوط وليست بركن من الإيمان؛ كالإقرار، فكانت دونه ثم حسن الصوم والزكاة والحجّ، فإنّها مع احتمال السقوط وعدم ركنيّتها تشبه الحسن لمعنًى في غيره، وتحقيقه أن حسن كلّ مِنْ هذه الثلاثة بالغير، إلّا أنه لا اعتبار بحسن ذلك الغير، حتى أنه في حكم العدم، فصار كلّ منها كأنه حسن لا بواسطة أمر، فجعل بهذا الاعتبار من قبيل الحسن لمعنًى في

....

نفسه، فصار هٰهنا مقامان: أحدهما أن هذه الأفعال ليست حسنة في نفسها، بل بواسطة أُمور يعرف العقل أنها المطلوبة بالأمر والمتّصف بالحسن. وثانيهما أنه لا عِبْرة بهذه الوسائط، وأنها في حكم العدم حتى كان المقصود بالأمر هو نفس الأفعال التي ورد الأمر بها. أمّا الأوّل، فلأن الصوم في نفسه تجويع النفس والإضرار بها ومنع نِعَم الله عن عباده مع إباحتها لهم، وإنما تَحْسُن بواسطة حسن قهر النفس. والزكاة في نفسها إضاعة المال، وإنما تحسن بواسطة حسن دفع حاجة الفقير، والحجّ في نفسه قطع للمسافة إلى أمكنة مخصوصة، وزيارة بمنزلة السفر للتجارة وزيارة البلدان والأماكن، وإنما يحسن بواسطة زيارة البيت الشريف المضاف إلى الله تعالى حيث يقال: بيت الله، ففيه تعظيم له. وأمّا الثاني، فهو ما أشار إليه بقوله: لكن هذه الوسائط لا تُخرجها عن أن تكون حسنة لعينها، إلى قوله: بمنزلة الصلاة، وقيل: إنّ هذه الوسائط لم تُعتبر هٰهنا؛ لأنه لا دخل فيها لقدرة العبد واختياره، فلم يجعل الحسن باعتبارها، بل باعتبار نفس الأفعال المطلوبة، واعترض عليه بأنّ هذه الوسائط لا شكّ في كونها باختيار العبد، نعم لو كانت الوسائط نفس الحاجة وشهوة النفس وشرف الأمكنة لكانت مما لا دخل فيه لقدرة العبد، لكنها ليست كذلك. وأُجيب بأنّ قهر النفس ودفع الحاجة وزيارة البيت نفس الصوم والزكاة والحجّ، فكيف تكون وسائط حسنها، وإنما الوسائط هي الحاجة والشهوة وشرف المكان والاختيار للعبد فيها، وردّ بأنّ الواسطة ما يكون حسن الفعل لأجل حسنها، وظاهر أنّ نفس الزيارة والحاجة والشهوة ليست كذلك، ولهذا قال: إنّ الوسائط هي القهر والدّفع والزيارة المخصوصة، ولا خفاء في أنها ليست نفس الصَّوم والزكاة والحجّ، ولو سلم اتّحادهما في الخارج، فلا خفاء في تغايرهما في الذّهن، وهو كافٍ هٰهنا. أقول: فيه نظر؛ لأن كلًّا من القهر والدفع والزيارة لا حسن فيها باعتبار وجودها في الذهن، وإنما يعرض الحسن باعتبار وجودها في الخارج، وإذا اتّحدا في الخارج فكيف يصح أن تكون واسطة باعتبار وجودها في الذهن؛ إذ لا حسن باعتبار وجودها في الذهن حتى تكفي المغايرة فيه، ولعلّه أشار بالتأمّل إلى هذا، فالجواب منع اتّحادهما في الخارج. قوله: (وعبادة خالصة بمنزلة الصلاة) إشارة إلى منشأ حسن الأُمور المذكورة، أعني كونها عبادة؛ كما في الصلاة، فإن قيل: إنها إذا كانت عبادة

....

خالصة مثل الصلاة، فلِمَ لم يجعل حسنها بجزئها بدون المشابهة بالحسن في غيره، كما في الصلاة؟ فالجواب عنه بوجهين: أحدهما أنّ كونها عبادة خالصة لا يقتضي كون العبادة جزء منهما؛ لجواز أن تكون خارجة عنها صادقة عليها، كيف لا وأن العبادة ليست جزء من مفهوم الصوم والزكاة والحجّ بخلاف الصلاة، فإنّ العبادة جزءٌ منها؛ وذلك لأن هذه الأفعال إنما هي عبادة بالنسبة إلى الوسائط، وذاتي الشيء لا يكون بالإضافة إلى شيءٍ آخر، وكون الصلاة عبادة ليس بالنسبة إلى شيءٍ آخر، بل هي عبادة في نفسها، فتكون ذاتيّة لها. والثاني: أن الوسائط المذكورة وإنْ جُعِلت معدومة إلّا أن تصوّر وجودها جعل الأُمور المذكورة شبيهة بالحسن لغيرها بخلاف الصلاة؛ إذ لا واسطة فيها أصلًا، فإن قيل: يجوز أن يكون حسن الصلاة بواسطة استحقاق الله تعالى العبادة، ولهذا لا تحسن هي لغير الله تعالى، فيكون حسنًا بالواسطة لا لعينها، أُجيب بأنّ هذا لا ينافي كون حسنها لعينها، بل يؤكّده. ألا ترى أنّ الإيمان بالله تعالى حسن لعينه بخلاف الإيمان بغير الله، وكذا الكفر بالله تعالى قبيحٌ لعينه، وبالجبت والطاغوت حسن لعينه؛ فالمتّصف بالحسن هو الأفعال المُضافة التي ورد الأمر بها من الإيمان بالله والصلاة لا الأفعال المُطلقة عن الإضافة، فمعنى قولهم: إنّ الإيمان والصلاة والصوم والزكاة حسنة لعينها أو لغيرها أنّ هذه الأفعال مضافة إلى الله تعالى حسنة لعينها أو لغيرها؛ فالإضافة إلى الله تعالى مما لا دخل لها في جعل الحسن لعينها أو لغيرها، إلّا أنّ بعض الأفعال حسنها بالنظر إلى نفس الفعل المضاف إلى الله تعالى؛ كالإيمان والصلاة، وبعضها بالنظر إلى الغير بأن يكون المقصود الأصلي بالأمر ذلك الغير، لا نفس الفعل المضاف؛ كالوضوء والجهاد، وبعضها بالنظر إلى نفس الأفعال المضافة، لكنها تشبه بالحسن للغير؛ كالصوم والزكاة والحجّ، فإنها حسنة لعينها لعدم اعتبار الواسطة المذكورة، وتشبّه بالحسن لغيره بالنظر إلى تصوّر الواسطة. فإن قيل: إنّ الوسائط المذكورة، وإن اعتُبرت معدومة، لكن كونها عبادة خارج عنها كما عرفت، فكيف يكون حسنها لعينها، مع أن الحسن لعينه إمّا لذاته أو لجزئه ولم يوجد شيءٌ منهما؟ قلنا: الحسن لعينه نوعان: نوعٌ يكون حسنه لذاته أو لجزئه مع قطع النظر عن كونه عبادة ومأمورًا به؛ كالإيمان، فإنه حسن في ذاته مع قطع النظر عن كونه عبارة ومأمورًا به؛ وكالصلاة، فإنها حسنة

....

لجزئها مع قطع النظر عن كونها عبادة، فإنّ الركوع والسجود حسن في نفسه مع قطع النظر عن كونه مأمورًا به، وكونها حسنة بكونها عبادة أيضًا لا ينافي ذلك، ونوعٌ يكون حسنه باعتبار كونه عبادة ومأمورًا به؛ كما في الصوم والزكاة والحجّ، فلا يضرّ خروج العبادة عنها في كونها حسنة لعينها، بمعنى النوع الثاني. قوله: (فإنه يسقط بسقوط الغير، فإن قيل): إن الوضوء يسقط عدم وجدان الماء بعينه وتألّم عضو الوضوء، وكذا السعي إلى الجمعة يسقط أشياء بعينها، وإنّ الحيض والنفاس يسقطان الصلاة بواسطة إسقاط الطهارة. قلنا: سقوط الوضوء لعدم الماء وتألّم العضو ممنوع، بل الوجوب ثابت إلّا أنه يخرج عن العهدة بالخلف، وهو التيمّم. ولا نسلم أنّ الحيض والنفاس يسقطان الصلاة بواسطة إسقاط الطهارة، بل تسقط بهما الصلاة لفوات الأهليّة شرعًا، فتسقط الطهارة بناءً عليه؛ وهذا لأنّ الحدث الدائم لا ينافي وجوب الطهارة بالإجماع. قوله: (بعد الوجوب) كالصلاة تسقط بعد وجوبها بدخول الوقت بالعوارض، وكذا بعد دخول الشهر. قوله: (أُجيب) هذا باختيار الشقّ الثاني، وأجاب عنه صاحب التحقيق باختيار الشقّ الأوّل بأنّ المراد منه ما ثبت بالسبب، إلّا أن السبب لما عُرِف بالأمر صحّت إضافة ما ثبت به إلى الأمر بواسطة، كما صحّت إضافة ما ثبت بالمقتضى اسم مفعول إلى المقتضي اسم فاعل. قوله: (وأما حسن لحسن في غيره)، قال فخر الإسلام: والذي حَسُن لمعنًى في غيره ثلاثة أضرب أيضًا: ضربٌ منه ما حَسُن لمعنًى في غيره، وذلك الغير قائم بنفسه مقصودًا لا يتأدّى بالذي قبله بحال. وضربٌ منه ما حسُن لمعنًى في غيره، لكن ذلك الغير يتأدّى بنفس المأمور به، فكان شبيهًا بالذي حَسُن لمعنًى في نفسه. وضربٌ منه ما حَسُن لحُسن في شرطه بعد ما كان حسنًا لمعنًى في نفسه أو ملحقًا به، وهذا يسمّى جامعًا. أمّا الضرب الأوّل، فمثل السعي إلى الجمعة، بأنه ليس بفرض مقصود، وإنما حسن لإقامة الجمعة؛ وكالوضوء، إنما حسن لإقامة الصلاة. وأمّا الضرب الثاني، فالجهاد وصلاة الجنازة إنما صارا حسنين لمعنى كفر الكافر وإسلام الميت، وذلك معنًى منفصل عن الصلاة والجهاد، وإنّما عدل عنه المصنّف وقدّم الضرب الثاني لكونه وجوديًا، ولأنه أقرب إلى الحسن لعينه، لكونه مشابهًا له واقتصر على ما ذكره في الإجمال، وصرّح بأنّ المراد بالغير هو إعلاء كلمة الله تعالى وقضاء حقّ الميت لا ما

....

ذكره في التفصيل؛ لأنّ كفر الكافر وإسلام الميت ليس مما يتأدّى بنفس المأمور به، وهو الجهاد وصلاة الجنازة؛ لأن الكفر قائم بالكافر، والإسلام بالميت، والجهاد بالمجاهد، والصلاة بالمصلّي؛ ولأنه لا معنى لقوله: وذلك معنى منفصل عنها؛ لأن المقام ليس مقام بيان انفصالهما عنهما، بل مقام بيان عدم انفصالهما بمعنى تأدّيهما بنفس المأمور به، لأن مراده بالانفصال وعدمه عدم التأدّي بنفس المأمور به، والتأدّي ولهذا تركه واقتصر على التأدّي وعدمه. قوله: (فما يتّحد به) أي في الخارج، يعني أنّ الاتّحاد الخارجيّ يصحّح مشابهته بالأول، والمغايرة الذهنية تصحّح الواسطة على ما ذكره في الحكمي من الأول، وفيه ما فيه. قوله: (بهذا) أي بالأول حاصله أن نحو الجهاد وصلاة الجنازة جعل من الحسن لغيره شبيهًا لعينه، ولم يجعل نحو الصوم والزكاة والحجّ كذلك، بل جعل حسنًا لعينه شبيهًا لغيره، مع أن حسن كلّ منهما بالواسطة. وحاصل الجواب أنّ الوسائط في نحو الصوم والزكاة والحجّ جُعِلت كالعدم ولا جهته هٰهنا لارتفاع الوسائط وصيرورتها كالعدم، فكان حسن هذا لغيره شبيهًا لعينه، وحسن ذلك على عكسه. قوله: (أو لا يتأدّى ذلك الغير) عبارة فخر الإسلام هكذا، وذلك الغير قائمٌ بنفسه مقصودًا لا يتأدّى بالذي قبله، والمراد بالغير هو الصلاة والجمعة، فإنهما لا يتأدّيان بالوضوء والسعي، وإنّما أعرض عنه المصنّف؛ لأن المراد بالقيام بنفسه أن لا يتأدّى بالإتيان بالمأمور به، بل يفتقر إلى إتيان به على حدّه، وكذا مراد صاحب التنقيح بقوله: فلذلك الغير إمّا منفصل عن المأمور به أنْ لا يتأدّى بالإتيان بالمأمور به لا ما لا يفتقر في التحيّز والإشارة إلى التبعيّة للغير، كما في الجواهر؛ لأن الصلاة عرض لا يصح قيامها بهذا المعنى. قوله: (والأمر المطلق عن قرينة تدلّ). اهـ. قال فخر الإسلام: والأمر المطلق في اقتضاء صفة الحسن يتناول الضرب الأوّل من القسم الأوّل؛ لأن كمال الأمر يقتضي كمال صفة المأمور به، وكذلك كونه عبادة يقتضي هذا المعنى، ويحتمل الضرب الثاني بدليل، انتهى. واختلفوا في تفسيره، فقال بعضهم: المراد بالضرب الأول ما لا يحتمل السقوط أصلًا، وبالقسم الأوّل الحسن لعينه مطلقًا حقيقةً أو حكمًا، وقال بعضهم: المراد بالضرب الأول الحسن لعينه، وبالقسم الأول هو التقسيم الأوّل من تقسيم المأمور به إلى الحسن لمعنًى في نفسه، وإلى حسن لمعنًى في غيره،

....

فالمصنّف اختار التفسير الأوّل كما ترى، وترك قوله: وكذلك كونه عبادة يقتضي هذا المعنى؛ لأن هذا المعنى، أي كمال الحسن، ليس من مقتضى كونه عبادة، بل من مُوجبه، فإن قيل: فلِمَ لَمْ يقل وكونه عبادة يُوجب هذا المعنى أيضًا، كما قال في التنقيح: قلنا: لأن المقصود بيان أن مقتضى الأمر ما هو من أقسام الحسن، لا بيان موجب كونه عبادة، فقال: إنّ مقتضى الأمر المطلق هو الضرب الأوّل من القسم الأوّل من أنواع الحسن؛ فعلم منه أنّ ما عدا الضرب الأوّل المفسّر بالتفسير المذكور هو مقتضى الأمر المقيّد بقرينة تدلّ على حسن المأمور به، ولهذا ترك قول فخر الإسلام، ويحتمل الضرب الثاني؛ لكونه معلومًا، فكان الحسن لمعنًى في غيره كالجهاد، وما يحتمل السقوط كالإقرار والصلاة وما يشبه الحسن لغيره من الحسن لمعنًى في نفسه؛ كالصوم والزكاة من مقتضيات الأمر المقيّد بالقرينة؛ ففي الجهاد دلّ الدليل على كونه حسنًا لغيره، وفي الإقرار والصلاة دلّ على احتمال السقوط، وفي الصوم والزكاة على كونها شبيهة بالحسن لغيره. والحاصل أنّ مشائخنا اختلفوا في مقتضى الأمر المطلق عن القرينة الدالّة على حسن المأمور به لعينه أو لغيره، فذهب بعضهم إلى أنّ مقتضاه الحسن لغيره، مستدلّا بأنّ الحسن فيه ضرورة حكمة الأمر، والضرورة تندفع بالأدنى، وهو الحسن لغيره، فلا يُصار إلى الأعلى. وذهب الجمهور إلى أنّ مقتضاه الحسن لعينه مستدلّين بأنّ المطلق ينصرف إلى الكامل، وكمال الأمر يقتضي كمال صفة المأمور به، وهو ما يكون حسنًا لعينه. فإنْ قيل: لو كان مقتضى الأمر المُطلق كمال حسن المأمور به، وهو ما لا يحتمل السقوط أصلًا لزم أن لا يجوز ظُهر المقيم الغير المعذور إذا أدّاه في بيته يوم الجمعة قبل فوت الجمعة، كما قال الشافعي وزُفَر؛ لأن أمر ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩] يقتضي حسن المأمور به، وهو الجمعة حسنًا لعينه، ولا يحتمل السقوط أصلًا، مع أنه يجوز عندنا، وأن لا ينتقض ظُهر المعذور الذي أدّاه في بيته يوم الجمعة ثم حضر الجمعة مع الإمام، كما قال الشافعي رحمه الله؛ لأن المعذور غير مخاطَب بالجمعة، فأمر المطلق اقتضى في حقّه فرضيّة الظهر، فإذا أدّاه لم ينتقض لكونه مقتضى الأمر المُطلق، فالجواب أنه لا خلاف في أن الأمر المُطلق يقتضي كمال حسن المأمور، وإنّ الصحيح المقيم مأمورٌ بالسعي إلى الجمعة، ولكن الشأن في معرفة كيفيّة الأمر

....

بالجمعة في قوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩]، أهو بطريق النسخ كما قلتم، أم بطريق التقرير كما قلنا؟ لا سبيل إلى ما قلتم؛ لأنه بعد فوات الجمعة يصلّي الظهر، وليس ذلك قضاء عن الجمعة؛ لأنه لا يصلح قضاءً لها لاختلافهما اسمًا ومقدارًا وشروطًا، ولو سلم صلاحيتها لقضاء الجمعة، فالجمعة لا تقضى بالإجماع، فثبت أن أداء الظهر بعد فوات الجمعة عَوْدٌ إلى الأصل، وثبت أنّ قضية قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩] إقامة الجمعة مقام الظهر، فصار الأمر بالجمعة مقرّر للظهر لا ناسخًا له، إلّا أن الأمر في حقّ الغير المعذور حتم دون حقّ المعذور، فإنه رخّص له أن لا يقيمها مقام الظهر، فلو صلّى الصحيح المقيم الظهر في بيته يوم الجمعة صح؛ لأنه فرض وقته ولم يُنسخ بالجمعة، كما في حقّ المعذور، لأنهما سواء في كَوْن الظهر مشروع الوقت في حقّهما، وإن اختلفا في وجوب الفعل وعدم وجوبه، ولهذا يأثم الصحيح المقيم بأداء الظهر وترك الجمعة، وإنْ كان ما صلّاه فرض الوقت؛ لأنه منهيٌّ عنه، والنهي لغيره لا يمنع المشروعيّة، ولا يأثم المعذور لعدم وجوب الجمعة في حقّه لسقوطها عنه رخصة، لئلّا يلزم الحرج بالسعي إليها، وسقطت عنه رخصة، فلو صلّى الظهر في بيته ثم حضر الجمعة مع الإمام انتقض ظهره، لئلّا يعود على موضوعه بالنقض، فإنها سقطت عنه رخصة لدفع الحرج، فلو لم تجر جمعته بعدما حضر وصلّى مع الإمام اختيارًا للعزيمة كان فيه إثبات الحرج، ولهذا ينتقض ظهره. قوله: (ثم التكليف) شروع في بحث التكليف بما لا يُطاق، وقد فصّله في التنقيح بعنوان الفصل لكثرة مباحثه؛ ولأن القدرة التي هي مَناط التكليف ليست من أقسام المأمور به، بل من شرطه، ومورد القسمة في أقسام الحسن هو المأمور به في صفة الحسن، فلا وجه لدرجه في الأقسام المذكورة، وإنما تركه المصنّف وعطف بكلمة ثم التي للتراخي إشارة ما ذكره فخر الإسلام أنّ مِنْ ضروب الحسن لغيره ضربًا ثالثًا سمّي الجامع وهو ما يكون حسنًا لحسن في شرطه بعدما كان حسنًا لمعنى في نفسه، وهو القدرة التي يتمكّن العبد بها من أداء ما لزمه. قوله: (اعلم أنّ ما لا يطاق). اهـ. واعلم أنّ كلمات القوم هـٰهنا مختلفة جدًّا، فلا بدّ أن يعلم أوّلًا مراتب ما لا يُطاق، فنقول: ما لا يُطاق على ثلاث مراتب أدناها ما يمكن في نفسه، ومن العبد ويمتنع لعلم الله تعالى بعدم وقوعه أو لإرادته ذلك، أو لإخباره

....

به ولا نزاع في وقوع التكليف به فضلًا عن الجواز، فإنّ مَنْ مات على كفره، ومَنْ أخبر الله تعالى بعدم إيمانه؛ كأبي جهل يُعدّ عاصيًا بالإجماع، ولو لم يقع التكليف بالإيمان لم يكن عاصيًا، واللازم باطل بالإجماع، فكذا الملزوم. وإنّما النزاع في هذه المرتبة في كونه مما يطاق أو مما لا يطاق، فالمانعون يجعلونه مما يُطاق بالنظر إلى إمكانه من العبد وفي نفسه، فيكون مراتب ما لا يطاق اثنتين لا ثلاثًا، والمجوّزون يجعلونه ممّا لا يُطاق بالنظر إلى امتناعه. الحاصل من تعلّق عِلْمه تعالى وإرادته، فتكون مراتب ما لا يُطاق عندهم ثلاثًا، وأقصاها ما يمتنع لذاته؛ كقلب الحقائق وجمع الضدَّيْن أو إعدام القديم، ولا نزاع في عدم جواز التكليف به فضلًا عن وقوعه، واستدلّوا عليه بالإجماع وشهادة الاستقراء وبالنصوص، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، وبأنه لو صحّ التكليف بالممتنع لذاته، لكان الممتنع لذاته مستدعٍ للحصول، واللازم باطل. أمّا المُلازمة، فلأن معنى التكليف طلب حصول المكلّف به من المكلّف. وأمّا بطلان اللازم، فلأن الممتنع لذاته لا يتصوّر وقوعه وطلب حصوله فرع تصوّر وقوعه؛ إذ لا يمكن طلب حصول المجهول، فإذا انتفى تصوّر وقوعه انتفى طلبه أيضًا، وإنما لا يتصوّر وقوعه لأنه لو تصوّر لتصوّر مُثبتًا، واللازم باطل؛ لأنه يلزم منه تصوّر الأمر على خلاف ماهية تنافي ثبوته، وإلّا لم يكن ممتنعًا لذاته، فما يكون ثابتًا فهو غير ماهية الممتنع لذاته، فإن قيل: لو لم يتصوّر المُمتنع لذاته لامتنع التصديق بإحالة اجتماع النقيضين، لأنّ التصديق بصفة الشيء فرع تصوّر الشيء. قلنا: إنّا لا ندّعي انتفاء تصوّره مطلقًا، بل انتفاء تصوّره مثبتًا، ولا يلزم من انتفاء تصوّر الخاص انتفاء مطلق التصوّر والتصديق باستحالة اجتماع النقيضين، إنما يستدعي تصوّره مطلقًا لا تصوّره مثبتًا، وقد نتصوّره منفيًا بمعنى أنه ليس لنا شيء موهوم أو محقّق يصدق عليه اجتماع النقيضين ونحكم عليه بالحكم الثبوتي، أعني أنه محال، وهذا التصوّر ليس تصوّر وقوعه، فإن قيل: الممتنع لذاته قد يتصوّر ثبوته ذهنًا؛ لأنا نحكم عليه بالحكم الثبوتي بأنه معدوم، وثبوت الشيء للشيء فرع ثبوت ذلك الشيء، وما ليس بثابت في الخارج، فهو ثابت في الذهن، وثبوته في الذهن كافٍ في طلبه. قلنا: إنّ الممتنع لذاته هو الوجود الخارجي، ولا يتصوّر ثبوته في الخارج، والمتصوّر هو الثبوت في

....

الذهن، وليس بمُحال؛ فلا يكون مما نحن فيه. فإن قيل: كيف يصح دعوى الاتّفاق في عدم جواز التكليف بالممتنع لذاته، وقد قال في شرح المقاصد: إنّ كلام كثير من المحقّقين يدلّ على أنّ التكليف بالمُمتنع لذاته كجمع النقيضين جائز، بل واقع شرعًا، فإنّ الله تعالى أمر أبا جهل بأن يصدقه ويؤمن في جميع ما يُخبر عنه، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن، فقد أمره بأن يصدقه، وذلك جمع بين النقيضين؛ هكذا ذكره نقلًا عن إمام الحرمين. ثم قال نقلًا عن الإمام الرازي: إنّ الأمر بتحصيل الإيمان مع حصول العلم بعدم الإيمان أمرٌ بجمع الوجود والعدم؛ لأن وجود الإيمان يستحيل أن يحصل مع العلم بعدم الإيمان. أُجيب عنه تارة بأنّا لا نسلم أنّ ما ذكره عن الإمامين يدلّ على أنّ المكلّف به هو الجمع بين التصديق وعدمه، بل تحصيل الإيمان، وهو مُمكن في نفسه ومن العبد بحسب أصله، وإن امتنع بالنظر إلى علمه تعالى وإرادته وإخباره بأنه لا يؤمن، فيكون التكليف به جائزًا، بل واقعًا بالاتفاق، وأخرى بأنّ الإيمان في حقّ مثل أبي لهب وأبي جهل هو التصديق بما عدا هذا الإخبار، وفي كلّ من الجوابين بحث. أمّا في الأوّل، فلأن الكلام فيمن وصل إليه هذا الخبر، أعني أنه لا يؤمن، وكُلّف بالتصديق به على التعيين، فيلزم الجمع بين التصديق والتكذيب بالضرورة. اللّهمّ إلّا أن يقال: إنه يجوز أن لا يخلق الله تعالى العلم بالتصديق لأبي لهب ونحوه، فلا يلزم اجتماع التصديق والتكذيب. نعم إنّ خلق العلم بالعلم ضروري عادي، فيلزم أن يكون من المرتبة الوسطى، وهو يستلزم وقوع التكليف بالمرتبة الوسطى مع أنه غير واقع، وإنْ جاز على ما سنذكره. وأمّا في الثاني، فلأنه يستلزم اختلاف حقيقة الإيمان بالنسبة إلى بعض الأشخاص، وقد يُجاب عن أصل الإشكال، فإنه ليس المراد بالاتفاق اتّفاق جميع العلماء، بل اتّفاق أكثرهم؛ كما صرّح به الفاضل الحليمي، والمرتبة الوسطى ما أمكن في نفسه غير ممكن من العبد لعدم وقوعه متعلّقًا لقدرة العبد أصلًا؛ كخلق الأجسام، أو عادةً؛ كالصعود إلى السماء وحمل الجبل، وهذا هو الذي وقع النّزاع في جواز التكليف به بمعنى طلب تحقيق الفعل والإتيان به واستحقاق العقاب على تركه لا على قصد التعجيز وإظهار عدم الاقتدار على الفعل، كما في التحدّي بمعارضة القرآن. فقال الأشعري والماتريديّ: يجوز التكليف به عقلًا لجواز أن يخلق الله تعالى فيه قدرة على ذلك

....

الفعل على خلاف العادة، ومنعه المعتزلة لقبحه عقلًا قياسًا على الشاهد، فإنّ مَنْ كلّف الأعمى بنقط المصاحف، والزَّمِن بالمشي، وعبده بالطيران إلى السماء يُعدّ سفيهًا. قلنا: قياس الغائب على الشاهد فاسد، كيف والمكلّف حكيمٌ مطلق، فإن قيل: تكليف الجماد ليس بأبعد منه الجواز أن يخلق الله تعالى فيه الحياة والعلم والقدرة، مع أنهم قالوا: تكليف الجماد لا خلاف في امتناعه. قلنا: إنّ شرط التكليف الفهم، ولا فهم للجماد حين هو جماد؛ (لأن الجمادية تضادّ الفهم).
أقول: هذا القول من الأشعريّ مشكل مع قوله: إنّ العقل مهدرٌ بالكلّيّة؛ إذ لا حكم للعقل أصلًا عندهم كما مرّ، فكيف بقوله: يجوز التكليف به عقلًا؟ ثم النزاع في هذه المرتبة في الجواز؛ إذ لا نزاع في عدم وقوعه بالإجماع، وما نُقِل عن الأشعريّ من وقوع التكليف بما لا يُطاق محمولٌ على المرتبة الأُولى؛ لأنها من قبيل ما لا يُطاق عنده. قوله: (ولا نزاع في وقوع التكليف به)، وإنما النزاع فيه في كونه مما يطاق أو مما لا يطاق، فذهبت الأشاعرة إلى أنه مما لا يُطاق بالنظر إلى امتناعه بتعلّق عِلمه وإرادته تعالى بعدمه، وبالنظر إلى أصلهم من أنّ القدرة الحادثة لا تأثير لها أصلًا، وأنها غير سابقة على الفعل، بل معه، والتكليف لا بدّ أن يكون مقدَّمًا على الفعل، فيكون مقدَّمًا على ما مع الفعل أيضًا، فلا قدرة وقت التكليف. وذهب جمهور الماتريديّة إلى أنه مما يُطاق بالنظر إلى إمكانها من العبد في نفسها مع قطع عن تعلّق علم الله تعالى وإرادته وبناءً على أصلهم من أن علم الله تعالى وإرادته لا يجعلان نقيض متعلّقهما ممتنعًا أصلًا؛ لأن العلم تابع للمعلوم عندهم والإرادة تابعة للعلم التابع للمعلوم، والله تعالى إنما يريد على وفق علمه، والمعلوم فيما نحن فيه هو عدم الإيمان باختيارهم، فكذا المراد، فلا امتناع في الإيمان. فإن قيل: الاستطاعة مع الفعل أيضًا عندنا، فلا قدرة حين التكلف، فيكون مما لا يُطاق. قلنا: المُعتبر عندنا في صحة التكليف هو القدرة بمعنى سلامة الأسباب والآلات، وهذه القدرة توجد قبل الفعل. فإن قيل: نعم، إلّا أنّ التكليف بدون القدرة الحقيقية التي هي مع الفعل محال لامتناع الفعل بدونها. قلنا: امتناع التكليف بدونها ممنوع مع وجود القدرة بمعنى سلامة الأسباب، ولو سلم لكن انتفاء القدرة الحقيقيّة وقت التكليف ممنوع بناءً على أن القدرة الحقيقية صالحة للضدَّيْن عندنا، حتى أنّ القدرة على الإيمان هي

....

بعينها القدرة على الكفر، فالكافر قادرٌ على الإيمان قدرة حقيقيّة. فإن قيل: يلزم أن تكون القدرة الحقيقية قبل الفعل، والمذهب أنها مع الفعل. قلنا: كونها قبل الفعل بمعنى صحة تعلّقها به بدل ضدّه، أي لو لم تتعلّق بضدّه لصحّ تعلّقها به لا ينافي كونها مع الفعل، بمعنى أنها توجد وقت حدوث الفعل وتتعلّق به تعلّق الكسب بالمكسوب. قوله: (والإجماع متعقد) أي إجماع الأكثر وإلّا فقد حُكِي عن إمام الحرمين والرازي أن التكليف بالممتنع لذاته جائز وواقع كالتكليف بإيمان نحو أبي لهب كما ذكرناه، واستدلّ المانعون بالإجماع والنصوص والعقل كما ذكرناه، واستدلّ المجوّزون بوجهين: أحدهما لو لم يجز لم يقع؛ لأن الوقوع مسبوق بالإمكان، لكنه وقع لأن العاصي كلّف بالفعل مع أنه ممتنع لعلمه تعالى بعدم وقوعه؛ ولأن الكافر مكلّف بالإيمان مع أنه يمتنع منه الإيمان لعلمه تعالى وإرادته وإخباره بأنه لا يؤمن، ولأن مَنْ مات قبل تمكّنه من الفعل مكلّف به، مع أنه يمتنع منه لموته قبله، وكذا مَنْ نسخ عنه قبل تمكّنه منه مكلّف به مع امتناعه منه لنسخه قبله، ولأن المكلّف لا قدرة له على الفعل وقت التكليف لكون الاستطاعة مع الفعل والتكليف قبل وجود الفعل لاستحالة التكليف بإيجاده الموجود، فيكون التكليف قبله تكليف بالمحال لعدم قدرته عليه وقت التكليف؛ ولأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، فلا يكون مقدورًا للعبد وإلّا لزم وقوع مقدور واحد بقدرة قادرَيْن، وهو محال، فكان التكليف به تكليفًا بالمحال. أُجيب عنه بوجهين: الأول: لا نسلم أن تكليف العاصي بالطاعة والكفار بالإيمان، ومَنْ مات أو نُسِخ عنه قبل التمكّن بالفعل تكليف بالممتنع بالذات؛ لأنّ الطاعة والإيمان والفعل يمكن تصوّر وقوعها من المكلّف بحسب ذواتها، وإن امتنع صدورها منه بالنظر إلى علمه تعالى وإرادته وإخباره ونسخ المكلّف به وموت المكلّف قبل التمكّن، فلا يكون شيءٌ منها في محل النّزاع؛ لأن النزاع في الممتنع لذاته ومدار صحة التكليف قبل القدرة الحقيقية التي تكون مع الفعل على وجود القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب كما تقدم، وكون الفعل مخلوقًا لله تعالى لا ينافي كون ذلك الفعل مقدورًا للعبد أيضًا بالقدرة الكاسبة، والأمر كذلك لأن كلّ فعل اختياري للعبد مقدور لله تعالى بالقدرة المؤثّرة، وللعبد بالقدرة الكاسبة، فلا يكون تكليفًا بالمحال. والثاني: أنّ الأمر لو كان على ما ذكرتم لزم أن يكون جميع

....

التكليف تكليفًا بالمحال، واللازم باطل. أمّا استلزام الوجهين الأخيرين، فلأن القدرة الحقيقيّة في الجميع، وأنّ الكل مخلوق لله تعالى. وأمّا الوجوه الباقية، فلأنه لو وجب كل ما علم الله تعالى وقوعه، وامتنع كلّ ما علم الله عدم وقوعه لكانت الأفعال كلّها إمّا واجبة أو ممتنعة، والتكليف بهما محال إمّا بالممتنع؛ فلكونه ممتنعًا بالذات، وإمّا بالواجب فلأن التكليف بإيجاد ما يجب وجوده محال. والحاصل أن الممكن لا يجب وجوده بالذات، ولا يمتنع بالذات بتعلق علمه تعالى وإرادته، وثانيهما أنه لو لم يجز لم يقع لكنه وقع، فإنه كلّف أبا جهل بالإيمان وهو تكليف بجمع النقيضين كما تقدم عن الإمامين، وأجيب عنه بوجهين كما ذكرناه. قوله: (وهذا هو محل النزاع)، لا يخفى عليك أن الظاهر من التلويح أنّ النزاع في هذه المرتبة في الوقوع وعدمه، حيث قال: ما لا يطاق إمّا أن يكون ممتنعًا لذاته؛ كإعدام القديم والإجماع منعقد على عدم وقوع التكليف به، وإمّا أن يكون ممتنعًا لغيره بأن يكون ممكنًا في نفسه، لكن لا يجوز وقوعه من المكلّف لانتفاء شرط أو وجود مانع؛ فالجمهور على أن التكليف به غير واقع خلافًا للأشعري، انتهى. فإنّ المراد بالممتنع لغيره هو المرتبة الوسطى لا الأقصى، وهو ظاهر، ولا الأدنى لأنه ذكره بعد هذه، ولأنه لا خلاف في وقوع التكليف بها، وهذا مخالف لما في شرح المقاصد، فإنّه صرَّح فيه بأنّ النزاع في المرتبة الوسطى إنما هو في الجواز لا في الوقوع؛ إذ الوقوع منفيّ قطعًا، وهو الظاهر من المواقف أيضًا حيث قال: نحن نجوّزه وإن لم يقع بالاستقراء ويمنعه المعتزلة، وبه صرّح المولى الخيالي. قوله: (ولهذا) أي ولكون محل النزاع ما لم يكن متعلّقًا لقدرة العبد. قلت: ثم التكليف بما لا يقدر عليه المأمور، ولم أقل ثم التكليف بما لا يُطاق على ما وقع في كثير من الكتب إشعارًا بمحلّ النزاع؛ لأن لفظة ما لا يقدر عليه المأمور أدلّ عليه. قوله: (لا على قصد التعجيز) كما في التحدّي بمعارضة القرآن، بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣]، فإنّ الأمر فيه للتعجيز لا للتكليف؛ إذ لا نزاع في عدم جوازه. قوله: (بما لا يقدره) أي بما لا يقع متعلّقًا لقدرة المأمور أصلًا أو عادة. قوله: (محال) أي غير جائز على ما هو النزاع؛ إذ لا نزاع في عدم الوقوع كما ذكرنا، ولهذا عمّم الدّليل الذي ذكره بعدم الجواز، حيث قال: بل الجواز أيضًا. ثم

....

الظاهر منه أنّ عدم جواز التكليف بالمرتبة الوسطى مما ذهب إليه أصحابنا، والظاهر من المواقف وغيره أنّ عدم الجواز هو قول المعتزلة فقط، وأصحابنا مع الأشعري في القول بجوازه. قوله: (فلأن طلب حصول المحال) أي المحال من العبد بأن يقع متعلّقًا لقدرته أصلًا، أو عادة لا في نفسه، بل هو ممكن في نفسه. قوله: (لا يليق) اهـ. إذ لو كلّف به يلزم الترك بالضرورة لعدم تعلّق قدرته، فيستحقّ العقاب بترك ما كلّف به، وذلك لا يليق بالحكمة والفضل، وما لا يليق بالحكمة سفه، فالتكليف به سفه. قوله: (هذا) أي الدليل المذكور يمنع وقوع التكليف؛ لأن الترك إنما يلزمه وقوع التكليف لا جوازه. قوله: (لا تمنع الوجوب بمقتضى الحكمة) يعني أن عدم جواز تكليف ما لا يطاق بالمرتبة الوسطى عند المعتزلة مبني على أنه يجب على الله ما هو أصلح لعباده، ولا خفاء في أن عدم تكليف ما لا يطاق أصلح، فيكون واجبًا، فيكون التكليف ممتنعًا، وعند أصحابنا مبنيٌّ على أنه لا يليق بالحكمة والفضل أن يكلّف عباده بما لا يُطيقونه، وما لا يليق بالحكمة والفضل سفه وهو قبيح لا يجوز صدوره عن الحكيم المُتعال، وما لا يجوز صدوره عنه يجب تركه، فيجب ترك التكليف به بمقتضى حكمته وفضله. والحاصل أنّ بين وجوب الترك، ولو بمقتضى حكمه وبين عدم جواز فعله مُلازمة. قوله: (كما لا تمنع الإيجاب) يعني أنّا نقول: إنّ المعلوم يجب وجوده عند وجود جميع ما لا بدّ منه، فيجب إيجاده على الله تعالى، وهذا قول بالإيجاب على الله إلّا أنه إيجاب بالاختيار، فلا تمنعه؛ لأن إرادة الله تعالى واختياره داخل في تلك الجملة، فيجب عليه تعالى إيجاده باختياره. قوله: (وكلّ ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه) دفع لما يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨] دليلٌ على عدم الوقوع لا على عدم الجواز توضيحه أنه مما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه، وكلّ ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه، فوقوعه محال لأنه يلزم من فرض وقوعه محال، وهو إمكان كذبه تعالى، وكلّ ما يلزم من فرض وقوعه محال فهو محال، فوقوع ما أخبر الله بعدمه محال، فلا يجوز التكليف به؛ ففي كلامه حذف صغرى القياس الأوّل، وكبرى الثاني، وفيه نظر؛ لأن كلّية الكبرى ممنوع، وإنما يصدق لو كان لزوم المحال له لذاته. أمّا لو كان لعارض،

....

كإخباره تعالى بعدمه، فلا تصدق كلّيته لجواز أن يكون هو ممكنًا في نفسه ومنشأ لزوم المحال هو ذلك العارض. قوله: (وإذا كان التكليف بالمحال) من العبد بأن لم يقع متعلّقًا لقدرته أصلًا أو عادة. قوله: (أي للمأمور) لو قال: أي للتكليف من قدرة المأمور، لكان أوْلى. قوله: (المقارنة للفعل) أي توجد حال حدوث الفعل بمعنى الحاصل بالمصدر وتتعلق به حال حدوثه لا قبله، خلافًا للمعتزلة؛ فإنهم قالوا: إنها توجد قبل الفعل وإلّا لما كان الكافر مكلّفًا بالإيمان، ولأن القدرة بهذا المعنى، أي الحقيقة، يلزمها كون الفعل محتاجًا إليها في وجوده، وكونها مع الفعل يلزمه أن يستغني الفعل عنها وقت وجوده، فتنافى اللازمان، وذلك يستلزم تنافي الملزومين أيضًا، فبين مفهوم القدرة وبين كونها مع الفعل منافاة، ولأنها لو لم تكن قبل الفعل يلزم إمّا قدم العالم أو حدوث قدرة الله تعالى ضرورةَ عدم انفكاك أحدهما عن الآخر. والجواب عن الأول: أنّا لا نسلم تلك الملازمة بناءً على جواز التكليف بما لا يُطاق، كما هو رأي الأشعري، ولو سلم أنه لا يجوز لكن صحة التكليف تعتمد على القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، لا على القدرة الحقيقية، ولو سلم أنها تعتمد عليها لكن لا نسلم لزوم وجودها حقيقةً وقت التكليف، لِمَ لا يكفي توهّم وجودها، ولو سلّم لزوم وجودها حقيقةً. لكن لا نسلّم انتفاءها وقت التكليف به بناءً على ما رُوِيَ عن أبي حنيفة وأصحابه أنّ القدرة الحقيقية صالحة للضدَّيْن، حتى أنّ القدرة على الكفر هي بعينها تصلح للإيمان أيضًا بدل الكفر، فتلك الصلاحية تصحّح التكليف، فالكافر حال كفره قادر على الإيمان قدرة حقيقية، فيكون مكلّفًا به. فإن قيل: كيف يصح تعلّقها بالإيمان بدل الكفر، مع أنها توجد ابتداءً إلا وقت حدوث الكفر، وتعلّقت به في ذلك الوقت لا قبله حتى يصح تعلّقها بالإيمان بدل الكفر؟ قلنا: إنها وإن لم توجد إلّا وقت حدوث الكفر، إلّا أنه لم يجب الكفر بها لدخول الاختيار فيها، فإذا لم يجب الكفر بها صح تعلّقها بالإيمان بدل الكفر. فإن قيل: قد تحقّق في محلّه أنّ المعلول يجب وجوده عند تمام علّته والفرض أنّ القدرة الحقيقية عبارة عن جملة ما يتوقّف عليه، فيجب وجود الكفر عندنا. قلنا: نعم إلّا أنّ الوجوب الحاصل من هذه الجملة هو الوجوب بالاختيار، وهو لا يقتضي الوجوب بالذّات، فيمكن التخلّف عنها وعن الثاني بأنا لا نسلّم أن الفعل حال حدوثه مستغني

....

عن القدرة، بل يحتاج إليها وما يتوهم من لزوم إيجاد الموجود ممنوع؛ إذ لم يوجد قبل هذا الإيجاد، بل وُجِد بهذا الإيجاد. وعن الثالث بأنّ كلامنا في قدرة العبد لا في قدرة الله حتى يلزم ما ذكرتم، بل قدرة الله تعالى قديمة ولها تعلّقات حادثة، واستدل أصحابنا بوجوه:

الأول: أنها علّة تامّة، فلو كانت قبل الفعل لزم تخلّف العلّة التامّة عن المعلول. الثاني: أنها عرض، والعرض لا يبقى زمانين، ولو كانت قبله لانعدمت حال الفعل، فيلزم وجود المقدور بدون القدرة. الثالث: أنها لو كانت قبله لكان الفعل قبل زمان وقوعه مقدورًا، فيلزم أن يكون وقوعه قبله مقدورًا، لكنه محال؛ لأنه يلزم من فرض وقوعه قبله أن يكون الفعل موجودًا ومعدومًا معًا، لأنه معدوم قبل وقوعه، وأنْ لا تكون الحالة التي فرضناها سابقة عليه، بل مقارنةً له، وهٰهنا أبحاث ذكرناها في الكلام. قوله: (فإنها علّة تامّة)، فلا تكون قبل الفعل، فلا تكون مَناطًا للتكليف، وفي تعريف هذه القدرة اختلاف كثير ذكرناه في الكلام. قوله: (بل بمعنى سلامة الأسباب) قال في البزدويّ: وهذا فضلٌ من الله تعالى ومنّة عندنا خلافًا للمعتزلة، فإنه عندهم واجب كما عُرف في مسألة الأصلح، واعترض عليه بأنّ هذا الكلام من فخر الإسلام يدلّ على جواز التكليف بدون هذه القدرة عنده، كما هو مذهب الأشعريّة، وما ذكره في بعض مصنّفاته يدلّ على خلافه، فإنّه قال في بعض مصنّفاته: إنّ القدرة بمعنى سلامة الآلات جعلت شرطًا لازمًا للتكليف عدلًا وحكمة كما هو مذهب عامّة أهل السنّة.

وأُجيب عنه تارةً بالتوفيق بينهما بأنّ مراده بما في البزدوي أنّ إعطاء هذه القدرة التي يصير العبد بها أهلًا للتكليف فضلٌ من الله ومنّة؛ لأنه لا يجب على الله تعالى شيء، وبناء التكليف على هذه القدرة واشتراطها فيه عدل وحكمة، كإعطاء العقل، فإنه فضل ومنّة من الله تعالى، وبناء صحة الخطاب عليه واشتراط في صحة الخطاب عدل وحكمة وأخرى بصرف اسم الإشارة إلى اشتراط القدرة دون إعطائها، وبيان كون اشتراطها فضلًا ومِنّة من الله تعالى أنّ جواز التكليف مبنيّ على القدرة الحقيقيّة التي بها يوجد الفعل إلا أنها لم تسبق الفعل، بل قارنته، والتكليف لا بدّ وأن يوجد قبل الفعل نقل الحكم عنها إلى سلامة الآلات والأسباب التي

....

تحدث هذه القدرة بها عند إرادة الفعل عادةً، فشرطت لصحة التكليف سلامة الآلات والأسباب، مع أن التكليف صحيح بدونها بناءً على توهم وجود القدرة الحقيقيّة عند الفعل فضلًا ومنّة من الله تعالى. هذا والمصنّف رحمه الله لم يذكر أنّ اشتراط هذه القدرة هل هو فضل من الله تعالى ومنّة أو حكمة وعدل إشارة إلى جواز الأمرين. قوله: (بها يتمكن المأمور) أي سواء كان المأمور به حسنًا لعينه أو لغيره حتى أجمعوا أن الطهارة لا تجب على العاجز عنها ببدنه بأن لم يقدر على استعمال الماء ولم يجد مَنْ يستعين به، بل يتيمّم. وأمّا إنْ وجد مَنْ يستعين به، فهل يجوز له التيمّم؟ ففي المبسوط: أنه لا يجوز، وفي قاضيخان: إنْ كان المعين حرًّا أو امرأته جاز له التيمّم في قول أبي حنيفة رحمه الله، لأنه لا يجب عليهما الإعانة له، وإنْ كان مملوكه اختلف المشائخ على قول أبي حنيفة، والفرق على أحد القولين أنّ العبد وجب عليه الإعانة له، فكان بمنزلة بدنه بخلاف الحرّ، ومن هذا قالوا: إنْ كان المُعين يعينه ببدل ويقدر عليه لا يجوز له التيمّم عند الكلّ. قوله: (من أداء ما لزمه) أي لزمه بهذا الأمر لا قبله، تأمّل. قوله: (ليخرج الحجّ) أي ليخرج بقيد غالبًا، يعني إنما قيّد بالغالب لأنه قد يتمكّن من أداء ما لزمه بلا حرج بدون الزّاد والراحلة، وقد يتمكّن منه بلا حرج بدون راحلة فقط، فينقض اشتراط الزّاد والراحلة في الحجّ، وإذا قيّد بالغالب خرج هاتان الصورتان؛ لأن إحداهما نادرة، والأخرى كثيرة لا غالبة، وإنما الغالب بلا حرج هو التمكّن منه بهما، والفرق بين الغالب والكثير أنّ كل ما ليس بكثير نادر، وليس كلّ ما ليس بغالب نادرًا، بل قد يكون كثيرًا، واعتبر بالصحة والمرض والجذام، فإنّ الأول غالب، والثاني كثير، والثالث نادر. قوله: (إذا لم يؤدِّ إلى الحرج) بأن لم يكن الفائت أكثر من صلاة يومٍ وليلة. قوله: (عدم الانفكاك) ممنوع، أي عدم انفكاك نفس الوجوب عن التكليف ممنوع؛ لأن التكليف عبارة عن طلب إيقاع الفعل من العبد، وهو صفة المكلِّف الآمر، ونفس الوجوب عبارة عن لزوم الفعل في ذمّة المكلَّف، وهو صفة الفعل ولا تلازم بين الصفتين؛ لأن نفس الوجوب يلزم بسببه كدخول الوقت والتكليف يلزم عند تحقّق وجوب الأداء. قوله: (فمعنى استلزام التكليف للقدرة). اهـ.

....

حاصله أن المراد بالقدرة التي كانت لازمة للتكليف هي القدرة الحقيقيّة التي مع الفعل لكن لا مطلقًا، بل باعتبار وجودها عند إرادة العبد إحداث الفعل، فهذا المعنى يتحقّق في النائم والمغمى عليه، وإنما المنتفي عنهما هو القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، ويوضح هذا الجواب ما ذكره في الكشف أن جواز التكليف مبني على القدر الحقيقية إلا أنها لمّا لم تسبق الفعل والتكليف لا بدّ وأن يكون قبله نقل الحكم عنها إلى القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، فاشتراط القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، مع أن التكليف صحيح بدونها بناءً على توهم وجود القدرة الحقيقية عند وجود الفعل فضلٌ من الله تعالى ومنّة على عباده.

قوله: (وحسنًا لنفسه أو لغيره) ذكره بالواو إشارة إلى أنه تفسير آخر لمطلقًا، تأمّل.

قوله: (لم يلزم زفر الأداء) قال: إذا صار أهلًا للتكليف في آخر الوقت بأن أسلم أو بلغ أو طهرت أو أفاق فيه لا يجب عليه أداء الصلاة لعدم قدرته عليه حقيقة لفوات الوقت الذي هو من ضرورات القدرة، وما قيل أن القدرة التي هي شرط التكليف، وإن لم توجد حقيقة، لكن يحتمل أن توجد باحتمال امتداد الوقت، كما وقع لسليمان عليه السلام، وتوهّم القدرة كافٍ لصحة التكليف ممنوع؛ لأن ما يكفي توهّمه هو القدرة الحقيقيّة لا القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، بل لا بدّ من وجودها حقيقةً وإلّا لجاز التكليف بالحجّ بتوهّم الزاد والراحلة، ويصوم الشيخ الفاني بتوهّم القدرة عليه وبالركوع والسجود والقيام بتوهم زوال المرض واللازم باطل فكذا الملزوم، وردّ بأن توهّم هذه القدرة إنما لا يكفي إذا كان المطلوب منه عين ما كلّف به. أمّا إذا كان المقصود غير ما كُلّف به، فهو كافٍ لصحته وهٰهنا المقصود هو الخلف، فيكفي توهّم القدرة فيه. وحاصل ما ذكره المصنّف رحمه الله من الجواب أنّا لا نسلّم أنّ الوجوب في ذلك الجزء يؤدي إلى التكليف بما لا يُطاق، وإنما يُؤدّي إليه أنْ لو كلّف بالأداء في ذلك الجزء، وليس كذلك، ولو سلم ذلك، ولكن لزوم الأداء فيه ليس لكونه مطلوبًا لعينه، بل لكونه مطلوبًا لخلفه وهو القضاء، فلا يلزم التكليف بما لا يطاق، وهذا لأن بعض الأحكام يكلّف به لخلفه كالوضوء يكلف به للتيمّم عند عدم القدرة على استعمال الماء، وكمن حلف ليمسنّ السماء فإنه ينعقد اليمين موجبة للبرّ لتصوّره عقلًا باحتمال القدرة عليه، ثم

....

يحنث للعجز عنه ويلزمه خلفه وهو الكفارة. والحاصل أنّ القدرة على نوعين: حقيقية، وهي مع الفعل. وبمعنى سلامة الآلات والأسباب، وهي مناط التكليف ومتقدمة على الفعل، وهذا النوع على نوعين: أحدهما يصير الفعل به غالب الوجودِ ظاهر التحقيق عادةً كمن أدرك سِعةً في الوقت مع كونه أهلًا لأداء الصلاة، وهذا النوع يظهر أثره في لزوم الأداء لعينه، بمعنى أنه يأثم بترك الأداء. والثاني: يصير الفعل به في حيِّز الجواز عقلًا، وإنْ كان يندر وقوعه، وهذا النوع يظهر أثره في لزوم الأداء لخلفه لا لعينه. قوله: (إنما هو بالأداء مطلقًا) أي سواء أتمّ في الوقت أو بعده، كما هو مقتضى الجواب الأوّل، أو سواء كان مطلوبًا لنفسه أو مطلوبًا لخلفه، كما هو مقتضى الجواب الثاني. قوله: (فإذا انتفى الصلاحية لا تبقى السلامة). قلت: فيه نظر؛ لأنه إن أراد انتفاء الصلاحية للخلف فممنوع، وإنْ أراد انتفاءها للأصل فمسلم ولا يضرّ؛ لأنّ المقصود هٰهنا إيجاب الخلف، فيشترط سلامة آلات الخلف لا سلامة آلات الأصل، كما في الكشف حيث قال: إذا كان المطلوب من التكليف عين ما كلّف به لا يكفي فيه توهّم القدرة التي بمعنى سلامة الآلات والأسباب، وإذا كان المطلوب منه خلفه فتوهّم تلك القدرة كافٍ لصحة التكليف؛ كالأمر بالوضوء إذا كان المقصود منه حقيقة الوضوء لا يصح إلّا عند وجود الماء حقيقةً. وأمّا إذا كان المطلوب منه خلفه وهو التيمّم فتوهّم الماء، وإن كان بعيدًا كافٍ لصحة الأمر به ليظهر أثره في حقّ خلفه، ويشترط أثره في حقّ خلفه، ويشترط حينئذ سلامة الآلات الخلف؛ لأنه هو المقصود لا سلامة آلات الأصل، وفي مسألتنا المقصود من هذا التكليف إيجاب خلفه لا حقيقة الأداء، فيشترط سلامة الآلات في حقّ الخلف وهو القضاء، لا سلامة آلات الأصل وهو الأداء، انتهى. قوله: (فليتأمّل) لعلّه إشارة إلى أنه لو أراد بالقدرة القدرة بمعنى العلّة التامّة، فالملازمة ممنوعة. وإنْ أراد القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، فالملازمة مسلمة، وبطلان اللازم ممنوع، كيف وأنّ التكليف لا يحتاج إلى القدرة بمعنى سلامة الآلات، وإنما شرطت هذه القدرة فضلًا من الله ومِنّة على عباده، كما تقدَّم عن الكشف. قوله: (أي أعلى ما ذكر) لأنها شرط فيه معنى العلّة بخلاف الأُولى، فإنها شرط محض. قوله: (لتحصيلها اليسر) أي يسر الأداء على العبد بعد

....

ثبوت الإمكان إشارة إلى تحقيق ما قالوا أنّ القدرة الميسّرة مغيّرة صفة الواجب إلى اليسر، يعني ليس مرادهم أنها تجعل الواجب متّصفًا بصفة اليسر بعد أنْ كان واجبًا بصفة العسر، بل مرادهم أنها تجعل الواجب ابتداءً مما يتّصف بصفة اليسر بعد إمكان وجوبه بدون صفة اليسر بالقدرة الممكنة تيسيرًا للأمر على عباده فضلًا ومنّة، فكانت هذه القدرة مغيّرة للواجب من الإمكان إلى اليسر. قوله: (فهي زائدة على الشرط المحض) أي الذي ليس فيه معنى العلّة، فلم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب؛ إذ البقاء غير الوجود، وشرط الوجود لا يلزم أن يكون شرط البقاء كالشهود في النّكاح شرط للانعقاد دون البقاء بخلاف اليسر. قوله: (في أكثر الواجبات المالية) كالنماء في الزكاة، والخارج في العشر والخراج. قوله: (حيث لا يجب عليه شيء) يحتمل أن يتعلق بيؤدّي، فتكون الحيثيّة للتعليل، لكن الأوْلى حينئذ أن يقول حيث لم يبق عليه واجب، ويحتمل أن يتعلق بهلك، فتكون للتقييد وعلى التقدير فالاعتراض معارضة. قوله: (في صورة هلاك المال) احتراز بالهلاك عن الاستهلاك بأن ينفق في حاجته أو استبدل مال التجارة بغير مال التجارة بأن ينوي في البدل عدم التجارة عند استبدال السائمة بسائمة من جنسها أو من غير جنسها أو بغير سائمة دراهم أو عروض، فإنّ هذه الصور كلّها استهلاك يلزمه ضمان الزكاة؛ لأن اشتراط بقاء القدرة الميسرة إنّما كان نظرًا للمكلّف، وقد خرج بالتعدّي عن استحقاق النظر له فلم يسقط الوجوب عنه، ولأنا نجعل القدرة الميسرة باقية تقديرًا زجرًا على المتعدّي وردًّا لما قصده من إسقاط الحقّ الواجب عن نفسه، ونظراً للفقير، ثم سقوط الزكاة في صورة الهلاك عندنا. وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: يضمن إذا هلك بعد التمكّن من الأداء بعد الحول بأنْ ظفر بمن يدفع إليه الصدقة من الفقراء والساعي، وبالتمكّن من الأداء تقرّر الواجب في الذمّة، فلا يسقط بالعجز بعده، كما في صدقة الفطر والحجّ وديون العباد، ولأنه منعه بعد كونه مطالبًا بالخطاب فصار كالاستهلاك. قلنا: إنّ الواجب ليس في الذمّة، بل جزء من النصاب تحقيقًا للتيسير المُعتبر في الزَّكاة، وعملًا بكلمة الظرف في قوله عليه السلام: «في أربعين شاة شاة» فيسقط بهلاك محلّه كدفع العبد المستحقّ بالدَّيْن أو الجناية، فإنه إذا لم يدفعه المولى إلى صاحب الدَّيْن وولّي الجناية فهلك في يد

....

المولى لم يجب إقامة غيره مقامه ولا عليه ضمانه، بخلاف صدقة الفطر والحجّ وديون العباد، فإنها في الذمّة، وبخلاف أداء القيمة فإنّها وإنْ لم تكن جزءًا من المحل، لكنّها جائزة للإذن بالاستبدال، ومجرّد التأخير بعد توجّه الخطاب بعد الحول سواء طالبه الفقير بالأداء أو لم يُطالبه ليس باستهلاك لا حقيقة، وهو ظاهر، ولا حكمًا بأن استبدل مال التجارة بغيره؛ لأن المصرف ليس بفقير معين، فللمالك أن يصرف إلى مَنْ شاء مِنَ الفقراء في أيّ وقت شاء. وأما تأخيره بعد طلب الساعي، ففيه خلاف. قيل: يضمن لكونه متعيّنًا، وقيل: لا يضمن؛ إذ لا تفويت فيه على أحد لا ملكًا ولا يَدًا، ولأنه يجوز أنه منعه لاختيار الأداء في وقتٍ آخر، قيل: وهو الأصح والأشبه بالفقه؛ لأن الساعي وإن تعيَّن لكن للمالك رأي في اختيار محل الأداء بين العين والقيمة، ثم القيمة شائعة في محالّ كثيرة، والرأي يستدعي زمانًا، فالحبس لذلك. قوله: (ولا محظور في ذلك) قال صاحب التلميح: هذا الجواب فاسد؛ إذ لا محظور هٰهنا أقوى من إبطال حقّ الفقير، غايته أن الفقير غير معين بالشخص، بل المصرف جنس الفقير، وعدم تفويت الملك واليد لا يستلزم عدم تفويت الحقّ، وإليه أشار بقوله: وإنما حقّ الفقير في أن يعين محلاً للصرف إليه، يعني أنه فوّت تعيين الفقير مصرفًا لمحلّ الأداء، وهو المال، والفرق بين محلّ الأداء ومحل الصرف أنَّ محل الأداء هو عين المال أو قيمته، ومحلّ الصرف هو الفقر. قوله: (في اختيار محل الأداء) يعني يختار عين الشاة من أربعين شاة مثلًا أو قيمتها. قوله: (هذا المحل) أي العين، وقوله: من محل آخر، أي من القيمة أو لعله حبسه ليؤدّي إلى من يشاء من المصرف أيِّ وقتٍ شاء. قوله: (من غير اختيار الإرش) أي أرش الجناية. قوله: (من الكثير) متعلّق بالقليل أو الإيجاب. قوله: (فإنه محال عقلًا) لامتناع انقلاب الماهيّة. قوله: (فإنه ليس شرطًا لبقاء الواجب) أي الواجب بالقدرة الممكنة، يعني أن بعض الواجب يجب بالقدرة الميسّرة؛ كالزكاة والعشر والخراج، وبعضها بالقدرة المُمكنة كالحجّ أو صدقة الفطر، فبقاء القدرة الميسّرة شرط لبقاء تلك الواجبات لما مرّ بخلاف الممكنة، فإنّ بقاءها ليس شرطًا لبقاء ما يجب بها حتى لو ملك الزّاد والراحلة ثم مات قبل أن يقدر ثانيًا يأثم لبقاء الواجب في ذمّته؛ لأن بقاءه يستغني عن حقيقة

....

تلك القدرة وبقائها؛ إذ المفتقر إلى حقيقة تلك القدرة وبقائها هو نفس أداء الواجب دفعًا لضرورة التكليف بما لا يُطاق. وأمّا التمكّن من أداء الواجب، فلا يفتقر إلى حقيقتها وبقائها، بل يكفي إمكانها أو توهّمها، فتوهّم الزاد والراحلة بعد زوالها كافٍ في بقاء الواجب، بخلاف توهّمها قبل أن يوجد أصلًا، حتى لم يجب الحجّ على مَنْ لم يملك الزّاد والراحلة أصلًا، باعتبار توهّمها. قوله: (وذلك) أي كفاية توهّم القدرة المُمكنة بعد زوالها. قوله: (إذ البقاء غير الوجود)، ولهذا صحّ إثبات الوجود ونفي البقاء بأن يقال: وجد ولم يبق. قوله: (لأن هذه العلة). اهـ. فيه إشارة إلى دفع ما يقال: إن بقاء الحكم قد يستغني عن بقاء العلّة استغناء المشروط عن بقاء الشرط، فينبغي أن لا يشترط دوام القدرة الميسّرة لدوام الواجب، وحاصل الدّفع أنّ ذلك فيما أمكن البقاء بدون العلّة كالرَّمَل في الحجّ، فإنه زوال علّة التشجيع على الكفار، فبقي الحكم إلى الآن. وأمّا إذا لم يمكن، فبقاء العلّة شرط لبقاء الواجب، كما فيما نحن فيه؛ لأن اليسر لا يبقى بدونها، فإذا زالت زال اليسر أيضًا، فلم يبق الواجب واجبًا لأنه لم يشرع إلا بذلك الوصف، هكذا نُقِل عنه في الحاشية. وفيه نظر؛ لأن التفرقة بين ما يبقى بعد زوال العلّة وبين ما لا يبقى من الحكم غير ظاهر، والأصل عدم الفرق، والأَوْلى في الدّفع أن يقال: قياس العلّة على الشرط قياس مع الفارق، والأصل زوال الحكم عند زوال العلّة؛ لأن الحكم ملزوم لوجود العلّة، ووجود الملزوم بدون اللازم مُحال بخلاف المشروط مع الشرط، وزوال علّة الرَّمل في الطواف مع بقائه ممنوع، فإنّ النبيّ ﷺ رَمَل في حجّة الوداع ولا تذكر النعمة إلّا مِنْ بعد الخوف ليشكر عليها، وقد أمرنا الله بذكر نِعَمِهِ وما أمرنا بذكرها إلّا لنشكرها، ويجوز أن يثبت الحكم بعلل متبادلة، فحين غلبة المشركين كان علّة الرَّمَل إيهام المشركين قوّة المؤمنين والتشجيع عليهم، وعند زوال ذلك يكون علّته تذكّر نِعْمة الأمْن، لا يقال: كيف يصح هذا مع أنه لو استهلك المال في باب الزكاة لا يسقط عنه الزكاة، بل يلزمه الضمان، فقد زالت العلّة وبقي الحكم؟ لأنّا نقول: لا نسلم زوال المال، بل جعل موجودًا تقديرًا زجرًا له. قوله: (لم يشترط أي بقاء القدرة للقضاء) استدلّوا على اختصاص القدرة المُمكنة بالأداء بوجهين: أحدهما أن القضاء إنما يجب لبقاء الواجب بالنصّ، وبقاء

....

الواجب غير مشروط ببقاء القدرة المُمكنة، فالقضاء غير مشروط ببقائها ما دام الواجب باقيًا. وثانيهما: أنه يلزم في النفس الأخير من العمر قضاء جميع المتروكات من الصلاة والصوم والحجّ وغيرها مع عدم القدرة عليها قطعًا، فلو كان بقاؤها شرطًا لما يلزم قضاء هذه المتروكات. فإن قيل: لو لم يشترط ذلك للقضاء لزم التكليف بما لا يُطاق. أجاب عنه بقوله: إنّ هذا ليس ابتداء تكليف، بل بقاء التكليف الأوّل على المختار من أن القضاء إنما يجب بما يجب به الأداء من النصّ، لا بنصّ جديد، وإلّا فلا بدّ من اشتراط القدرة المُمكنة فيه كاشتراطها للأداء لئلّا يلزم التكليف بما لا يُطاق. فإن قيل: لا فرق في اشتراط القدرة بين وجود الأداء ووجوب القضاء؛ لأن الأداء إذا كان مطلوبًا بنفسه تشترط فيه حقيقة القدرة، وإذا كان مطلوبًا لغيره يشترط فيه توهّم القدرة، ففي النفس الأخير إنما قالوا بوجوب قضاء المتروكات بناءً على توهم امتداد الوقت فيه ليظهر أثره في الخلف، كما في الجزء الأخير من الوقت. أجاب عنه بأن ذلك ليس كالجزء الأخير من الوقت في حقّ الأداء؛ لأن الجزء الأخير منه إنما اعْتُبِر ليظهر أثره في الخلف، وهو القضاء، ولا خلف للقضاء، وفيه بحث؛ لأن المؤاخذة الأُخرويّة ووجوب الإيصاء يجوز أن يكون خلفًا عن القضاء، كما أنّ القضاء خلف عن الأداء. ألا ترى أن الميت تبقى عليه الواجبات المتروكات في حقّ بقاء الإثم والمؤاخذة في الآخرة، مع أنّ الموت عجز كلّي؟ قلت: ولقائلٍ أن يمنع كون المؤاخذة الأُخرويّة ووجوب الإيصاء خلفًا عن القضاء. قوله: (أمّا الزكاة، فلأنها) اهـ. يعني أمّا عدم بقاء الزكاة بهلاك المال النامي عندنا، فلأنها إنما تجب بالقدرة الميسّرة، والقدرة الميسّرة ما تغيّر الواجب من العسر إلى اليُسْر بالمعنى الذي تقدَّم ذكره، ولا يحصل التغيير إلا بالنَّماء لا بالنصاب؛ لأن إيتاء الخمسة من المائتين وإيتاء واحد من الأربعين الذي بعد المائتين سواء في اليُسْر؛ لأن المدفوع ربع العشر في كل حال، وإذا لم يكن النصاب مغيّرًا للواجب لم يعد من القدرة الميسرة، بل من القدرة المُمكنة التي هي شرط وجوب الأداء عند بعضهم، ولهذا لا يشترط بقاؤه لبقاء الواجب، ويردّ عليه أنّ التمكّن من أداء الزكاة لا يتوقّف على النّصاب، بل يكفي ملك قدر ما يؤدّي، فكيف يكون وجود النصاب من شرائط

....

النصاب وراجعة إلى القدرة الممكنة على أنها عبارة عن سلامة الآلات، والنصاب ليس منها؟ وكذا قال الأكثرون أنه من شرائط أهليّة الوجوب كالعقل والبلوغ، واستدلّوا عليه بالنقل والعقل. أمّا النقل، فلقوله عليه السلام: «لا صدقة إلا عن ظهر غنًى»، فإنه لنفي الوجوب لا لنفي الوجود؛ إذ كثيرًا ما توجد الصدقة من الفقير، فالغنى ليس إلّا شرط الوجوب. وأمّا العقل، فلأن الزكاة إغناء للفقير ولا يصير المرء أهلًا للإغناء إلا بالغنى، كما لا يصير أهلًا للتملك إلا بالملك. فإن قيل: إنّ المُعتبر في الزكاة ليس الإغناء الشرعي، بل الإغناء عن السؤال لدفع حاجة الفقير، وهذا لا يتوقّف على الغنى الشرعي، وهو ملك النصاب. أُجيب عنه: بأنّ المراد أنّ الإغناء لصفة الحسن يتوقّف على الغنى الشرعيّ غالبًا؛ لأن الغالب من حال الفقير عدم الصبر على شدائد الفقر والجزع على مكائد الحاجة، فلا بدّ في أهلية الإغناء المأمور به ووجوبه من الغنى الشرعي لئلّا يؤدّي إلى الجزع المذموم غالبًا. وأمّا من آثر الغير على نفسه مع احتياجه من غير جزع، فنادر؛ فلا يُعتبر به في الشرع. ثم الغنى الشرعي يحصل بكثرة المال ولا حدّ للكثرة تعرف به وأحوال الناس فيه مختلفة، فمنهم مَنْ يحصل له الغنى بمال يسير، ومنهم مَنْ يحصل بكثير، فقدّر الشرع له حدًّا وهو النصاب زائدًا على الأهلية الأصليّة الحاصلة بالعقل والبلوغ. قوله: (فإن قيل: فينبغي).اهـ. منشأه كون النّصاب من شرائط أهلية الوجوب، لا من القدرة الميسّرة، وحاصل الجواب أنّ سقوط الزكاة إنما هو لفوات القدرة الميسّرة بفوات النصاب؛ لأن النّماء يفوت بفوات النصاب الذي هو من شرط الأهليّة أو من القدرة الممكنة على الخلاف السابق. قوله: (ولهذا) أي ولكون سقوط الزكاة لفوات القدرة الميسّرة لا تسقط الزكاة بهلاك بعض النصاب، بل تبقى في حصة الباقي لبقاء النّماء فيه. فإن قيل: إنّ كمال النصاب شرط في الابتداء لوجوب الأهليّة، فلِمَ لَمْ يشترط كماله في البقاء حتى وجبت الزكاة في حصة الباقي بعد هلاك بعض النّصاب؟ قلنا: إنّ كمالها إنما شرط لوجوب الأهليّة، وما هو شرط لوجوب الأهلية لا يُشترط بقاؤها لبقاء الواجب. قوله: (ظهر فائدة تقييد المال) يعني لو لم يقيد به لتوهّم أن المراد بهلاك المال هلاك النّصاب. قوله: (وأمّا الخراج).اهـ.

....

اعلم أنّ الخراج على نوعين: خراج مقاسمة، وهو يتعلق بعين الخارج؛ كالعشر، ويكون الواجب فيه شيئًا معيّنًا من الخارج، وليس لذلك الشيء حدّ معيّن، بل الإمام مُخيّر في تقديره بربع الخارج أو خُمسه أو سُدسه أو سُبعه أو نصفه حين فتح بلده وضرب على أراضيهم شيئًا من الخارج. وخراج وظيفة، وهو يتعلق بالتمكّن من الانتفاع بالأرض لا بعين الخارج، ويكون الواجب فيه شيئًا في الذمّة بتوظيف الإمام على كلّ جريب، ولا يزاد على ما وضعه عمر رضي الله تعالى عنه على أرض السواد لكل جريب، ولا بدّ أن تكون الأرض صالحة للزراعة في النوعين حتى لو كانت سبخة أو انقطع ماؤها أو غلب عليها الماء، لا خراج فيها أصلًا، وكذا لو أصاب الزّرع آفة سمٰويّة لا خراج فيها أصلًا لعدم النَّماء التقديري في بعض السنة، وقد شرط بقاؤه في جميع السنّة لبقاء الواجب كما في الزكاة. وقيل: سقوط الخراج بإصابة الزّرع آفة فيما إذا لم يبق من السنة مقدار ما يتمكّن من الزراعة ثانيًا في تلك السنة، وأما إذا بَقِيَ من المدّة قدر ذلك، فلا يسقط؛ لأنه عطلها، كما إذا تمكّن من الزراعة وتركها بلا مانع، فإنه يجب عليه الخراج الموظّف لوجود الخارج تقديرًا؛ لأن التقصير لمّا كان من جهة جعل الخارج في حكم الموجود زجرًا له، والخراج الموظّف يتعلق بالتمكّن من الانتفاع لا بعين الخارج، وقد وجد التمكّن فلا يسقط بتقصيره؛ لأنه جناية لا يصلح سببًا للتخفيف، والمراد بالخراج في قوله: لأنّ الواجب في الخراج غير جنس الخارج هو الخراج الموظّف لا المقاسمة؛ لأن الواجب في المقاسمة لا بدّ وأن يكون من جنس الخارج؛ لأنها تتعلق بعين الخارج حقيقةً كالعشر. قوله: (لأن غالب التمكّن بهما) يعني أن الحجّ إنما وجب بنفس التمكّن والاستطاعة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمران: الآية ٩٧]، إلّا أنّ الاستطاعة لا تحصل غالبًا إلّا بالزاد والرَّاحلة، فأسند الوجوب إليهما، وكان اشتراطهما لثبوت أدنى تمكّن من الحجّ لا لليسر؛ إذ اليُسْر لا يقع إلا بخدم ومراكب وأعوان، وهذه الأشياء ليست بشرط بالإجماع، فثبت أنّ الزَّاد والراحلة للتمكّن لا لليسر، فلم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب، والمراد بغالب التمكّن بهما هو التمكّن بهما بدون الحرج، وإنما اعْتُبِر الغالب احترازًا عن التمكّن بدون الحرج بلا زاد وراحلة، وعن التمكّن بدون الحرج

....

بلا راحلة، فإن الأوّل نادر، والثاني كثير لا غالب، فلا يرد النقص بهما على اشتراط الزّاد والراحلة في القدرة الممكنة في الحجّ. فإن قيل: لِمَ لَمْ يعتبر هنا توهّم القدرة بالسفر بالمشي والكسب في الطريق كما اعْتُبِر في الصلاة بتوهّم امتداد الوقت مع أنه أقرب إلى الوقوع، فتكون هذه القدرة مُمكنة والزّاد والراحلة ميسّرة، فيكون وجوبه بالقدرة الميسّرة مع أنه لم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب. قلنا: نعم، إلّا أن في ذلك حرجًا يفضي إلى التلف، وهو مدفوع بالنصّ، وإنما اعْتُبِر ذلك في الصلاة للخلف، وهو القضاء لا للأداء نفسه، ولا خلف للحجّ؛ لأنه غير مؤقّت بوقتٍ معيّن، بل متى أتى فهو أداء فيكون وجوبها بالممكنة لا الميسرة، وإلى هذا أشار بقوله: وإنما لم يعتبر توهّم القدرة. اهـ.

قوله: (وأمّا صدقة الفطر، فلأنها تجب بنصاب فاضل عن الحاجة أصلية). فإن قيل: قد تقرّر في محلّه أن سبب صدقة الفطر هو رأس يمونه ويلي عليه لا النصاب، وإنما النّصاب شرط حتى قالوا: إنّه لو عجل صدقة الفطر قبل النصاب، ثم ملك النصاب صح: لأنّ السبب هو الرأس وقد وجد حين الأداء، فلا يلزم تقدم الحكم على السبب، وإنما يلزم تقدّمه على الشرط وهو جائز، والحكم إنما يجب بسببه لا بشرطه، فكيف يصح قوله: تجب بنصاب. قلنا: إن الرأس سبب لنفس الحكم وهو صدقة الفطر والنصاب لوجوب أدائه وشرط له، والمراد بالحاجة الأصلية مسكنه وثيابه وأثاث بيته وفرسه وسلاحه وعبيده الخدم وحوائج عياله ودينه الحاصل وقت الوجوب أو قبله لا بعده.

وأمّا الكتب، فكتب التفسير والعقائد والفقه والمصحف الواحد لا تعتبر نصابًا وما عداها يعتبر نصابًا، ولو كان له داران يسكنها والدار الأخرى لا يسكنها تعتبر قيمتها في غنى الفطر حتى لو كانت قيمتها مائتي درهم يجب عليه صدقة الفطر. قوله: (ما يفضل عنها) أي عن الحاجة الأصلية. قوله: (أو ملك نصابًا ليلة الفطر) ولم يوجد حولان الحول وهو محقّق للنّماء. قوله: (واعتبار النصاب ليس الميسر حتى) يجب بالقدرة الميسّرة، ويردّ عليه أن القدرة الميسّرة يجب بقاؤها لبقاء الواجب، ولم يجب بقاؤها هٰهنا، انتهى كلام العلّامة الأزميريّ رحمه الله.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ﴾ بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾ (وقيل: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ **أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود** ﴿وَٱدْعُوهُ﴾) واعبدوه (﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾) أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصًا ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتجّ عليه في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق، والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وهم المسلمون ﴿وَفَرِيقًا﴾ أي أضلّ فريقًا ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ وهم الكافرون ﴿إِنَّهُمُ﴾ إن الفريق الذين حقّ عليهم الضلالة

قوله: (وقيل: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾، أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود). وقال القاضي البيضاوي: توجّهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها، أو أقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة، أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم، هذا لفظه. ففي الآية دليل على فرضيّة القيام في الصلاة والتوجّه فيها نحو القبلة وأدائها في المسجد وعدم اختصاصه بمسجد مَا على حسب التوجيهات. وقوله تعالى: (﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾) أي اعبدوا الله حال كونكم مخلصين، ففيه دليل على اشتراط النيّة في العبادات سيّما في الصلاة على ما ذكر في تنبيه أبي اللّيث. والمشهور في ذلك بين الفقهاء قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيّات»، أي إنما ثواب الأعمال بالنيات، لكن لمّا فات الثواب فات الجواز أيضًا في العبادات المقصودة كالصلاة بخلاف الوضوء، فإنه إذا فات الثواب يبقى وسيلة إلى الصلاة، فلا يشترط فيه النيّة. وعند الشافعي رحمه الله: يقدر حكم الأعمال بالنيّة، وهو يشتمل الجواز والثواب، فلا يجوز عبادة ما بدون النيّة ولا ثواب له أيضًا بدونها، فيشترط النيّة في الوضوء، وذلك معروف في علم الأصول. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي أنصارًا ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ والآية حجة لنا على أهل الاعتزال في الهداية والإضلال.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

(﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ **لباس زينتكم** ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ **كلما صليتم**). وقيل: الزينة (**المشط**) والطيب، والسنّة أن يأخذ الرجل أحسن هيئاته للصلاة لأن الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزيّن والتعطّر كما يجب التستر والتطهّر

قوله: (﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ لباس زينتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ كلّما صلّيتم)، هذه هي الآية التي استدلّ بها على وجوب ستر العورة في الصلاة؛ وذلك لأنّ المراد من الزينة الثياب الموارى للعورة، والمراد من المسجد هو الصلاة إنْ كان بمعنى غير العلم كما هو رأي صاحب الهداية، حيث قال: وستر عورته؛ لقوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: الآية ٣١]، أي ما يُواري عورتكم عند كل صلاة، هذا لفظه وإليه مال الإمام الزاهد رحمه الله، وكذا الفقيه أبو اللّيث في تنبيهه، وإنْ كان بمعنى العلم يقدر قوله: للصلاة والطواف، كما قال الشيخ الأجلّ القاضي البيضاوي وهو: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ [الأعراف: الآية ٣١] أي ثيابكم لمواراة عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: الآية ٢٩] لطواف أو صلاة. ومن السنّة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة، هذا كلامه. وإنما قال: لطواف لأنهم كانوا يطوفون عُراة، فنهاهم الله تعالى عنه، والمراد من قوله: ومن السنّة أن يأخذ... إلى آخره، أنّ الزّينة لمّا كانت في معنى الثياب، وكان الأمر للوجوب كان المفهوم من الآية وجوب السّتر في الصلاة، فلم يعبره بلفظ الزينة دون اللّباس، فقال للإشعار بأخذ اللّباس الحسنة في الصلاة، وحينئذ يستقيم قوله، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة، فاندفع ما توهّم من كلامه من كون الأمر للوجوب والندب جميعًا، فافهم وأنصف. اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله: (المشط)** في المصباح: مشطت الشعر مشطًا من بابي قتل وضرب سرّحته والتثقيل مبالغة، وامتشطت المرأة مشطت شعرها والمشط الذي يمتشط به ـ بضمّ الميم ـ وبميم تكسر، وهو القياس؛ لأنه آلة،

﴿وَكُلُوا۟﴾ من اللحم و(**الدسم**) ﴿وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ بالشروع في الحرام أو في مجاوزة (**الشبع**) ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وعن ابن عباس ﷺ: كُل ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف و(**مخيلة**). وكان (**للرشيد**) طبيب نصراني حاذق فقال لعليّ بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان. فقال له عليّ: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ فقال النصراني: ولم يروِ عن رسولكم شيء في الطب فقال: قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام: «المعدة بيت الداء و(**الحمية**) رأس كل دواء وأعطِ كل بدن ما عودته» فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيّكم (**لجالينوس**) طبًّا. ثم استفهم إنكارًا على محرم الحلال بقوله:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ من الثياب وكل ما يتجمل به ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي أصلها يعني القطن من الأرض و(**القز**) من الدود ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ والمستلذات من المآكل والمشارب. وقيل: كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ غير

والجمع أمْشاط. اهـ. **قوله: (الدَّسَم)** الوَدك من لحم وشحم. **قوله: (الشِّبَع)** بفتح الباء وسكونها تخفيف. **قوله: (مَخِيلة)** أي كبر. **قوله: (للرشيد)** هارون أبي جعفر ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس استُخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة. **قوله: (الحِمْية)** في مختار الصِّحاح: حميت المريض الطعام حِمْية وحِمْوة ـ بكسر أوّلها ـ. اهـ. **قوله: (لجالينوس)** في غياث اللغات: جالينوس نام حكيمى ست واين معرب گالينوس ست كه بوا، ومعدوله باشداز رساله معربات. اهـ.

قوله: (القز) في المصباح: القزّ معرب. قال الليث: هو ما يعمل منه الإبريسم، ولهذا قال بعضهم: القزّ والإبريسم مثل الحنطة والدّقيق. اهـ.

خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لا يشركهم فيها أحد. ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبّه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة والكفار تبع لهم. ﴿خَالِصَةٌ﴾ بالرفع: **(نافع)** فـ ﴿هِيَ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ظرف للخبر، أو ﴿خَالِصَةٌ﴾ خبر ثانٍ أو خبر مبتدأ محذوف أي **(فهي)** خالصة، و**(غيره)** نصبها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نميّز الحلال من الحرام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أنه لا شريك له.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ **(«ربي» حمزة)** ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ ما تفاحش قبحه أي تزايد ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرّها وعلانيتها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ أي شرب الخمر أو كل ذنب ﴿وَالْبَغْيَ﴾ والظلم والكبر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ **(متعلّق بالبغي)**. ومحل ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك **(«ينزل» بالتخفيف: مكيّ وبصريّ، وفيه تهكم)** إذ لا يجوز أن ينزل برهانًا على أن

قوله: (نافع) المدني هو نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نُعَيْم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أصله من أصفهان ويكنى بارُوَيْم. وقيل: أبا حسن، وقيل: أبا عبد الرحمٰن، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستّين ومائة. **قوله: (فهي)** أي لفظ هي. **قوله: (وغيره)** أي غير نافع ﷺ.

قوله: («ربّي») بإسكان الياء **(حمزة)** بن حبيب بن عُمارة الكوفيّ، ويُكنى أبا عمارة، وتوفي بحُلوان في خلافة أبي جعفر سنة ستّ وخمسين، ويلزم من سكونها وصلًا حذفها في اللفظ لاجتماعها بالساكن بعدها، والباقون بالفتح. **قوله: (متعلّق بالبغي)** مؤكّد له معنًى؛ لأن البغي لا يكون إلّا بغير الحقّ. **قوله: («ينزل» بالتخفيف)** أي بإسكان النون وتخفيف الزاي **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله: (وفيه تهكّم)** واستهزاء.

يشرك به غيره ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (وإن تتقولوا عليه) وتفتروا الكذب من التحريم وغيره.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا، وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الإمهال ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي «إن» الشرطية ضمّت إليها «ما» مؤكدة لمعنى الشرط، لأن «ما» للشرط (ولذا لزمت فعلها) النون الثقيلة أو الخفيفة ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ يقرءون عليكم كتبي وهو في موضع رفع صفة لـ ﴿رُسُلٌ﴾ وجواب الشرط ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل منكم ﴿(فَلَا خَوْفٌ) عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أصلًا ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ (يعقوب).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ منكم ﴿بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ تعظموا عن الإيمان بها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فمن أشنع ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ ممن تقوّل على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار ﴿حَتَّىٰ إِذَا

قوله: (وإن تتقوّلوا عليه) في مختار الصِّحاح: تقوّل عليه كذب. اهـ.

قوله: (ولذا لزمت فعلها) النون لئلّا ينحطّ رتبة فعل الشرط عن حرفه.
قوله: (﴿فَلَا خَوْفٌ﴾) حيث وقع بفتح الفاء وحذف التنوين مبنيًّا على الفتح (يعقوب).

﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه. و«حتى» غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهي «حتى» التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام هنا الجملة الشرطية وهي ﴿إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أي متوفيهم و«ما» في ﴿قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ في خط المصحف موصولة بـ ﴿أَيۡنَ﴾ وحقها أن تكتب مفصولة لأنها موصولة، والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ليذبوا عنكم ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ غابوا عنا فلا نراهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾ أي يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار: ادخلوا ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ في موضع الحال أي كائنين في جملة أُمم مصاحبين لهم ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضت ﴿مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ من كفار الجن والإنس ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ متعلّق بـ ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾ النار ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ شكلها في الدين أي التي ضلّت بالاقتداء بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار، فأبدلت التاء دالًا وسكنت للإدغام ثم أُدخلت همزة الوصل ﴿جَمِيعٗا﴾ حال ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ منزلة وهي الأتباع والسفلة ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ منزلة وهي القادة والرؤوس: ومعنى ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ مضاعفًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾ للقادة بالغواية والإغواء وللأتباع بالكفر والاقتداء ﴿وَلَٰكِن (لَّا تَعۡلَمُونَ)﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (أبو بكر) أي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر.

قوله: (﴿لَّا تَعۡلَمُونَ﴾) بالغيب (أبو بكر) شعبة بن عياش بن سالم الكوفي، توفي سنة أربع وتسعين ومائة. والباقون بالخطاب إمّا للسائلين وإمّا لأهل الدنيا.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ **(عطفوا هذا الكلام على قول الله)** تعالى للسفلة ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة. ولا وقف على ﴿فَضْلٍ﴾ أو من قول الله لهم جميعًا والوقف على ﴿فَضْلٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة إذ هي في السماء، أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة، أو لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء، **(وبالتاء مع التخفيف: أبو عمرو وبالياء معه: حمزة وعلي)**. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ حتى يدخل البعير في **(ثقب)** الإبرة أي لا يدخلون الجنة أبدًا لأنه علقه بما لا يكون. **(والخياط والمخيط)** ما يُخاط به وهو الإبرة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الجزاء **(الفظيع)** الذي وصفنا ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

قوله: (عطفوا هذا الكلام على قول الله) أي رتّبوه عليه بمعنى أنّ القادة لمّا سمعوا قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] قالوا للسفلة فما لكم فضل علينا.

قوله: (وبالتاء) الفوقية **(مع التخفيف أبو عمرو)** البصريّ **(وبالياء معه)** أي مع التخفيف **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بالتاء الفوقيّة والتشديد، ومن خفّف سكن الفاء ومَنْ شدّد فتح. **قوله: (ثقب)** مثل فلس ومثال قفل لغة بمعنى خرق. **قوله: (والخياط والمخيط)** وزان لحاف وملحف وإزار ومئزر. **قوله: (الفظيع)** الشنيع. في مختار الصّحاح: فَظُع الأمر من باب ظرف، فهو فظيع، أي شديد فظيع شنيع جاوز المقدار. اهـ.

أي الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية جمع غاشية ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ طاقتها والتكليف إلزام ما فيه كلفة أي مشقة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ والجملة خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ **(حقد)** كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم إلا التواد والتعاطف، **(وعن علي** رضي الله عنه**)**:

قوله: (حقد) في المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء. اهـ.

قوله: (وعن عليّ رضي الله تعالى عنه)... الخ. هذا يدلّ على أنه كان ذلك بمقتضى الطباع البشريّة فيهم، لكنه نزع بتوفيق الله. وقيل: الأَوْلى أن يُراد عدم اتّصافهم بذلك من أوّل الأمر، وما وقع إنّما كان عن اجتهاد لإعلاء كلمة الله وخصّ هؤلاء لما جرى في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه بينهما ومحاربة طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما في وقعة الجمل، وهذا حديث أخرجه ابن سعد والطبري من رواية معمر عن قتادة كلاهما عن عليّ رضي الله تعالى عنه بسند منقطع، وأخرجه ابن أبي شيبة عن ربعي بسند متّصل؛ كما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى. اهـ شهاب.

قوله: (عليّ) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ القرشيّ الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف، وقيل: اسمه كنيته، واسم هاشم عمرو، وأُمّ عليّ فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكنيته أبو الحسن أخو رسول الله ﷺ وصهره على ابنته فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السِّبطين، وهو أوّل هاشميّ بين هاشميّين وأوّل خليفة من

....

بني هاشم، وكان عليّ أصغر من جعفر وعقيل وطالب، وهو أوّل الناس إسلامًا في قول كثير من العلماء على ما نذكره، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، فإنّ رسول الله ﷺ خلفه على أهله، وله في الجميع بلاءٌ عظيم وأثرٌ حسن، وأعطاه رسول الله ﷺ اللّواء في مواطن كثيرة بيده منها يوم بدر، وفيه خلاف، ولمّا قُتِل مصعب بن عُمير يوم أُحد، وكان اللّواء بيده دفعه رسول الله ﷺ إلى عليّ وآخاه رسول الله ﷺ مرّتين، فإنّ رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعليّ في كلّ واحدة منها: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

إسلامه رضي الله تعالى عنه: أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن عليّ بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحٰق، قال: ثم إنّ عليّ بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم، يعني بعد إسلام خديجة وصلاتها معه، قال: فوجدهما يصلّيان، فقال عليّ: يا محمّد، ما هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وإلى عبادته وكفر باللات والعزّى»، فقال له عليّ: هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمرًا حتى أحدّث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا عليّ، إنْ لم تُسلم فاكتم»، فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إنّ الله أوقع في قلب عليّ الإسلام فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمّد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزّى وتبرأ من الأنداد»، ففعل عليّ وأسلم ومكث عليّ يأتيه سرًّا خوفًا من أبي طالب، وكتم عليّ إسلامه، وكان ممّا أنعم الله به على عليّ أنه رُبِّي في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. قال يونس عن ابن إسحٰق: قال: حدّثني عبد الله بن أبي نجيح قال: رواه عن مجاهد، قال: أسلم عليّ وهو ابن عشر سنين. أنبأنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمّد بن عيسى الترمذي بن محمد بن حميد بن إبراهيم بن المختار، عن شعبة، عن أبي بلخ، عن ابن عباس، قال: أوّل مَنْ أسلم عليّ. ومثله رَوى مقسم عن ابن عباس، واسم أبي بلخ يحيىٰ بن أبي سليم، قال: وحدّثنا أبو عيسى، حدّثنا

....

إسمٰعيل بن موسى، حدّثنا علي بن عباس، عن مسلم الملائيّ عن أنس بن مالك قال: بُعِث النبيّ ﷺ يوم الاثنين وأسلم عليّ يوم الثلاثاء. قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا محمد بن بشار وابن مثنّى، قالا: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي حمزة رجل من الأنصار عن زيد بن أرقم قال: أوّل مَنْ أسلم عليّ، قال عمرو بن مرّة: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي، فأنكره وقال: أوّل مَنْ أسلم أبو بكر وأبو حمزة اسمه طلحة بن زيد. أنبأنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله المخزومي بإسناده عن أحمد بن عليّ، حدّثنا أبو هشام الرفاعي، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا الأجلح عن سلمة بن كُهَيْل عن حبّة بن جوين عن عليّ قال: لم أعلم أحدًا من هذه الأُمّة عَبَد الله قبلي، لقد عبدته قبل أن يعبده أحد منهم خمس سنين أو سبع سنين، رواه إسماعيل بن إبراهيم بن بسام عن سعيد بن صفوان عن الأجلح نحوه، أنبأنا عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب بإسناده عن أبي داود الطيالسي، حدّثنا شعبة، حدّثنا سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، ، عن حبّة العرني، قال: سمعت عليًا يقول: أنا أوّل مَنْ صلّى مع النبيّ ﷺ. وأنبأنا أبو الطيّب محمد بن أبي بكر بن أحمد المعروف بكلى الأصبهاني كتابةً، وحدّثني به عثمان بن أبي بكر بن جلدك الموصلي عنه، أخبرنا أبو علي الحدّاد، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن إسحٰق، أنبأنا سليمان بن أحمد بن أيوب، حدّثنا ابن عبد الأعلى الصنعاني، حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن عكيم الكندي، عن سلمان الفارسي قال: أوّل هذه الأُمّة ورودًا على نبيِّها إسلام عليّ بن أبي طالب. رواه الديري عن عبد الرزاق عن الثوري عن قيس بن مسلم. أنبأنا ذاكر بن كامل الخفّاف، أنبأ الحسن بن محمد بن إسحٰق بن إبراهيم الباقرجي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف المقري العلّاف، أنبأنا أبو علي مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرجي، حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ، حدّثنا عبد الأعلى بن واصل، حدّثنا إسحٰق بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن الأسود، عن محمد بن عبيد الله بن عبد الرحمٰن بن مسلم عن أبيه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين»، وذاك أنه لم يصلِّ مع رجلٍ غيره. أنبأنا يحيىٰ بن

....

محمود بن سعد، حدّثنا الحسن بن أحمد قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمع، أنبأنا أحمد بن عبد الله أبو نعيم، أنبأنا أبو القاسم الطبراني، حدّثنا العباس بن الفضل الإسقاطي، حدّثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدّثنا علي بن غراب، عن يوسف بن مهيب، عن أبي بُرَيْدة، عن أبيه قال: خديجة أوّل مَنْ أسلم مع النبيّ ﷺ، ثم عليّ. وقال أبو ذرّ والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري وغيرهم: إنّ عليًّا أوّل مَنْ أسلم بعد خديجة وفضله هؤلاء على غيره، قاله أبو عمر. ورَوى معمر، عن قتادة عن الحسن وغيره قال: أوّل مَنْ أسلم عليّ بعد خديجة، وهو ابن خمس عشرة سنة. وسُئِل محمّد بن كعب القرظي عن أوّل مَنْ أسلم عليّ أو أبو بكر؟ قال: سبحان الله عليٌّ أوّلهما إسلامًا، وإنّما اشتبه على الناس لأنّ عليًّا أخفى إسلامه عن أبي طالب، وأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، وقد ذكرنا حديث عفيف الكندي في أنّ أوّل مَنْ أسلم عليّ في ترجمته، وقال أبو الأسود تيم بن عروة: إنّ عليًّا والزبير أسلما وهما ابنا ثمان سنين، قال أبو عمرو: ولا أعلم أحدًا يقول بقوله هذا، وقد قال جماعة غير من ذكرنا أنّ عليًّا أوّل مَنْ أسلم، وقيل: أبو بكر، والله أعلم.

هجرته رضي الله تعالى عنه: أنبأنا عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس بن بكير، عن ابن إسحٰق قال: وأقام رسول الله ﷺ ـ يعني بعد أن هاجر أصحابه إلى المدينة ـ ينتظر مجيء جبريل عليه السلام وأمره له أن يخرج من مكّة بإذن الله له في الهجرة إلى المدينة حتى إذا اجتمعت قريش فكّرت بالنبيّ، وأرادوا برسول الله ﷺ ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجىٰ ببُرْدٍ له أخضر، ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه. قال ابن إسحٰق: وتتابع الناس في الهجرة، وكان آخر مَنْ قدم المدينة من الناس ولم يُفتن في دينه عليّ بن أبي طالب، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أخره بمكّة وأمره أن ينام على فراشه وأجّله ثلاثًا، وأمره أن يؤدّي إلى كلّ ذي حقٍّ حقّه ففعل، ثم لحق برسول الله ﷺ. أنبأنا محمد بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي إجازةً، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الأعز قراتكين بن الأسعد، حدّثنا أبو محمد الجوينيّ، حدّثنا أبو حفص بن

....

شاهين، حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدّثنا أحمد بن يوسف، حدّثنا أحمد بن يزيد النخعي، حدّثنا عبيد الله بن الحسن، حدّثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه عن أبي رافع (ح) قال عبيد الله بن الحسن: وحدّثني محمد بن عبيد الله بن عليّ بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه عن أبي رافع في هجرة النبيّ ﷺ قال: وخلّفه النبيّ ﷺ - يعني خلّف عليًّا - يخرج إليه بأهله وأمره أن يؤدّي عنه أمانته ووصايا مَنْ كان يوصي إليه، وما كان يُؤتمن عليه مِنْ مال فأدّى علي أمانته كلّها، وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقال: «إنّ قريشًا لم يفقدوني ما رأوك»، فاضطجع على فراشه، وكانت قريش تنظر إلى فراش النبيّ ﷺ فيرون عليه عليًّا، فيظنّونه النبيّ ﷺ، حتى إذا أصبحوا رأوا عليه عليًّا، فقالوا: لو خرج محمد لخرج بعليّ معه، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبيّ حين رأوا عليًّا، وأمر النبيّ ﷺ عليًّا أن يلحقه بالمدينة، فخرج عليّ في طلبه بعدما أخرج إليه أهله يمشي اللّيل ويكمن النهار حتى قَدِم المدينة، فلمّا بلغ النبيّ ﷺ قدومه قال: «ادعوا لي عليًّا»، قيل: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبيّ ﷺ، فلمّا رآه اعتنقه وبكى رحمةً لِمَا بقدمَيْه من الورم، وكانتا تقطران دمًا، فتفل النبيّ ﷺ في يديه ومسح بهما رجليه ودعا له بالعافية، فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله تعالى عنه.

شهودهُ رضي الله تعالى عنه بدرًا وغيرها: أنبأنا أبو جعفر بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير، عن أبي إسحـٰق في تسمية مَنْ شهد بدرًا مِنْ قريش ثم مِنْ بني هاشم، قال: وعليّ بن أبي طالب وهو أوّل مَنْ آمن به، وأجمع أهل التاريخ والسند على أنه شهد بدرًا وغيرها من المشاهد، وأنه لم يشهد غزوة تبوك لا غير؛ لأن رسول الله ﷺ خلفه على أهله. أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن سرايا الفقيه وغير واحد بإسنادهم إلى محمّد بن إسماعيل، حدّثنا أحمد بن سعيد، حدّثنا أبو عبد الله، حدّثنا إسحـٰق بن منصور السلولي، حدّثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحـٰق قال: سأل رجل البراء، وأنا أسمع: أشهد عليّ بدرًا؟ قال: بارَزَ وظاهر. أخبرنا يحيىٰ بن محمود، أنبأنا عمّ جدي أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي، أنبأنا أبو طاهر عمّ والدي وأبو الفتح قالا: أنبأنا أبو بكر بن زادان، حدّثنا

....

أبو عروبة، حدّثنا أبو رفاعة، حدّثنا محمد بن الحسن يُعرف بالهُجيمي، حدّثنا أبو عوانة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب بن سعد عن سعد، قال: لقد رأيته ـ يعني عليًا ـ يفلق بالسيف هامَ المشركين، يقول:

شحشح الليل كأني جنى

أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن عليّ الأمين، أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن صرون وأبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني كلاهما إجازةً، قالا: أنبأنا أبو الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: قُرىء على أبي محمد الحسن بن محمد بن يحيىٰ بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قال جدّي أبو الحسين يحيىٰ بن الحسن بن جعفر، قال: كتب إليّ محمد بن علي ومحمد بن يحيىٰ يخبراني عن محمد بن الجيد، حدّثنا حصين بن جنارة، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب قال: لقد أصابت عليًا يوم أُحد ستّ عشرة ضربة كل ضربة تُلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلّا جبرئيل عليه السلام، قال: وحدّثنا جدّي، حدّثنا بكر بن عبد الوهاب، حدّثنا محمد بن عمر، حدّثنا إسمٰعيل بن عياش الحمصي، عن يحيىٰ بن سعيد، عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله ﷺ في المواطن كلّها، فإذا كان وقت القتال أخذها عليّ بن أبي طالب. أنبأنا أبو محمد بن القاسم بن عليّ بن الحسين بن هبة الله الحافظ، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله، أنبأنا البناء قالوا: حدّثنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا أحمد بن سليمان، حدّثنا الزبير بن بكّار، قال: وله ـ يعني لعليّ بن أبي طالب ـ يقول أسيد بن أبي إياس بن زنيم، وهو يحرّض مشركي قريش على قتله ويُعيّرهم:

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذع أبر على المذاكي القرح

لله درّكم ألما تنكروا ... قد ينكر الحيّ الكريم ويستحي

هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحًا وقتله قعصة لم تذبح

أعطوه خرجًا واتّقوا بضريبة ... فعل الذَّليل وبيعة لم تربح

....

أين الكهول وأين كل دعامةٍ في المعضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قعصًا وضربًا يفري بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

أنبأنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن المديني بإسناده عن أحمد بن علي بن المثنّى، حدّثنا أبو موسى، حدّثنا محمد بن مروان العقيلي، عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، قال: قال عليّ: لمّا تخلّى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد نظرت في القتلى، فلم أرَ رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيّه، فما في خير من أن أُقاتل حتى أُقتل، فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي، فإذا برسول الله ﷺ بينهم. أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الدمشقي، أنبأنا أبو العشائر محمد بن الخليل القيسي، أنبأنا أبو القاسم عليّ بن محمد بن عليّ بن أبي العلاء المصيصيّ، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القاسم، أنبأنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن أبي ثابت، حدّثنا يحيىٰ بن أبي طالب، أنبأنا زيد بن الحباب، حدّثنا الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: لمّا كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللّواء، فلمّا كان من الغد أخذه عمر، وقيل: محمد بن مسلمة، فقال رسول الله ﷺ: «لأدفعنّ لوائي لرجل لا يرجع حتى يفتح الله عليه»، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة، ثم دعا باللّواء، فدعا عليًّا وهو يشتكي عينيه، فمسحهما ثم دفع إليه اللّواء، ففتح قال: فسمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدّثني أبي أنه كان صاحب مرحب ـ يعني عليًّا ـ وأخباره في حروبه كثيرة لا نطوّل بذكرها.

علمه رضي الله تعالى عنه: رَوَى عليّ عن النبيّ ﷺ فأكثر، ورَوَى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وعمرو وعبد الله بن مسعود وابن عمر وابن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وأبو موسى الأشعري وأبو سعيد الخدري وأبو رافع وصُهيب وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وأبو أُمامة وأبو سُرَيْحة حُذيفة بن أسيد وأبو هريرة وسفينة وأبو جحيفة السّوائي[1] وجابر بن سمرة

(١) بضمّ المهملة والمد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وعمرو بن جديث وأبو ليلى والبراء بن عازب وعمارة رؤيبة وبشر بن سحيم وأبو الطفيل وعبد الله بن ثعلبة بن صعير[١] وجرير بن عبد الله وعبد الرحمٰن بن أشيم وغيرهم من الصحابة. وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيّب ومسعود بن الحكم الزرقي وقيس بن أبي حازم وعُبيدة السّلماني وعلقمة بن قيس بن الأسود بن يزيد وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى والأحنف بن قيس وأبو عبد الرحمٰن السلمي وأبو الأسود الديلي وزر بن حُبَيْش وشريح بن هانىء والشعبي وشقيق وخلق كثير غيرهم. أنبأنا يحيىٰ بن محمود، أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا محمد بن عبد الرحمٰن، أنبأنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمٰن، أنبأنا أبو سعد محمد بن بشر بن العباس، أنبأنا أبو الوليد محمد بن إدريس الشامي، حدّثنا سويد بن سعيد، أنبأنا عليّ بن مسهر، عن الأعمش، عن عمرو بن قرّة، عن أبي البحتري عن عليّ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى اليمن ويسألوني عن القضاء ولا عِلْم لي به، قال: «اذْنُ»، فدنوت فضرب بيده على صدري ثم قال: «اللّهمّ ثبّت لسانه واهْدِ قلبه»، فلا والذي فَلَق الحبّة وبرأ النّسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعدُ. أنبأنا زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي وغيره كتابةً قالوا: أنبأنا أبو منصور زُرَيق، أنبأنا أحمد بن عليّ بن ثابت، أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق، أنبأنا أبو بكر بن مكرم بن أحمد بن مكرم القاضي، حدّثنا القاسم بن عبد الرحمٰن الأنباريّ، حدّثنا أبو الصّلت الهرويّ، حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمَنْ أراد العِلْم فليأتِ بابه» رواه غير أبي معاوية عن الأعمش، وكان أبو معاوية يحدّث به قديمًا ثم تركه. ورَوى شعبة عن أبي إسحٰق، عن عبد الرحمٰن بن يزيد، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: كنّا نُحدَّث أن أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب، وقال سعيد بن المسيّب: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير عليّ بن أبي طالب. وروى يحيىٰ بن معين، عن عبدة بن سليمان، عن عبد الملك بن سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في

(١) بالمهملتين مصغّرًا. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

أصحاب محمّد ﷺ أعلم من عليّ؟ قال: لا والله، لا أعلمه. وقال ابن عباس: لقد أُعطي عليّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشْر العاشر. وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة: يا عمّ لِمَ كان صغو الناس إلى عليّ؟ قال: يا ابن أخي، إنّ عليًّا كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البَسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصِّهر لرسول الله ﷺ، والفقه في السنّة، والنَّجدة في الحرب، والجُود بالماعون. ورَوى ابن عُيينة، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب قال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو حسن. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل عنه إلى غيره. وروى يزيد بن هارون، عن قطر، عن أبي الطفيل قال: قال بعض أصحاب النبيّ ﷺ: لقد كان لعليّ من السوابق، قالوا: إنّ سابقة منها بين الخلائق لوسعتهم خيرًا، وله في هذا أخبار كثيرة نقتصر على هذا منها، ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره رضي الله عنهم لأطلنا.

زهده وعدله رضي الله تعالى عنه: أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن عليّ الأمين، أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد، أنبأنا أبو طالب بن غيلان، أنبأنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد المزني، حدّثنا محمد بن المسيّب، قال: سمعت عبد الله بن حنيف يقول: قال يوسف بن أسباط: الدنيا دار نعيم الظالمين، قال: وقال عليّ بْن أبي طالب؛ الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على مخالطة الكلاب. أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله، أنبأنا أبو غالب بن البنا، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن حسنون النرسي، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن العباس إملاءً، حدّثنا أحمد بن علي الرقيّ، أخبرنا القاسم بن عليّ بن أبان، حدّثنا سهل بن صقير، حدّثنا يحيىٰ بن هشام الغسّاني، عن عليّ بن جزء قال: سمعت أبا مريم السلولي يقول: سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب: «يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ قد زيَّنك بزينة لم يتزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها: الزُّهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئًا ولا تنال الدنيا منك شيئًا، ووهب لك حبّ المساكين ورضوا بك إمامًا ورضيت بهم أتباعًا، فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويلٌ لمن أبغضك وكذّب عليك. فأمّا الذين

....

أحبّوك وصدّقوا فيك، فهم جيرانك في دارك ورفقاؤك في قصرك. وأمّا الذين أبغضوك وكذّبوا عليك، فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذّابين يوم القيامة».
أنبأنا عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد، أنبأنا أبو غالب بن البنّا، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمٰن الزهري، حدّثنا حمزة بن القاسم الإمام، حدّثنا الحسين بن عبيد الله، حدّثني إبراهيم ـ يعني الجوهري ـ حدّثنا المأمون هو أمير المؤمنين، حدّثنا الرشيد، حدّثنا شريك بن عبد الله، عن عاصم بن كليب، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار، ورواه حجاج الأصبهانيّ وأسود عن شريك، فقال: أربعين ألف دينار، ورواه حجاج عن شريك فقال: أربعين ألفًا، لم يُرِد بقوله أربعين ألفًا زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقةً كان الحاصل من دَخْلِها صدقة هذا العدد، فإنّ أمير المؤمنين عليًّا رضي الله تعالى عنه لم يدخر مالًا، ودليله ما نذكره من كلام ابنه الحسن رضي الله تعالى عنهما في مقتله أنه لم يترك إلّا ستمائة درهم اشترى بها خادمًا. أخبرني أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو محمد هبة الله بن سهل الفقيه، أنبأنا جدّي أبو المعالي عمر بن محمد بن الحسين قال: وأنبأنا أبي، وأنبأنا زاهر، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين، قالا: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو قتيبة سالم بن الفضل الآدمي بمكّة، حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه قال: سمعت أبا نعيم قال: سمعت سفيان يقول: ما بنى عليّ لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحبوته من المدينة في جراب. أنبأنا السيّد أبو الفتوح حيدر بن محمد بن زيد العلويّ الحسيني، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر الدورستي بالموصل، أنبأنا النقيب الطاهر أبو عبد الله أحمد بن علي بن المعمر الحسيني، أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنبأنا أبو طاهر محمد بن عليّ بن محمد بن يوسف، أنبأنا أبو بكر بن مالك، أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، حدّثنا وكيع، حدّثنا مسعر، عن أبي بحر عن شيخ لهم قال: رأيت على عليّ عليه السلام إزارًا غليظًا، قال: اشتريته بخمسة دراهم، فمن أربحني فيه درهمًا بعته، قال: ورأيت معه دراهم مصرورة، فقال: هذه بقية

....

نفقتنا من ينبع. وحدّثنا عبد الله بن أحمد، حدّثنا محمد بن يحيىٰ الأزدي، حدّثنا الوليد بن القاسم، حدّثنا مطير بن ثعلبة التميمي أبو النواز بياع الكرابيس قال: أتاني عليّ بن أبي طالب ومعه غلام له، فاشترى مني قميص كرابيس فقال لغلامه: اختر أيّهما شئت، فأخذ أحدهما وأخذ عليّ الآخر فلبسه ثم مدّ يده، فقال: اقطع الذي يفضل من قدر يدي، فقطعه وكفّه ولبسه وذهب.

أنبأنا عبد الله بن أحمد الخطيب، أنبأنا أبو الحسين بن طلحة النعال إجازةً إن لم يكن سماعًا، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، حدّثنا إسماعيل بن محمد بن الصفّار، حدّثنا يحيىٰ بن آدم، حدّثنا جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الملك بن عمير قال: حدّثني رجل من ثقيف قال: استعملني عليّ بن أبي طالب على مدرج سابور، فقال: لا تضربنّ رجلًا سوطًا في جباية درهم، ولا تتبعن لهم رزقًا ولا كسوة شتاءً ولا صيفًا ولا دابّة يعتملون عليها، ولا تقيمنّ رجلًا قائمًا في طلب درهم. قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت ويحك، إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفو، يعني الفضل وزهده وعدله رضي الله تعالى عنه لا يمكن استقصاء ذكرهما، فلنقتصر على هذا.

فضائله ﷺ :

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي الدزداري بإسناده إلى الأستاذ أبي الإسحٰق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسّر قال: رأيت في بعض الكتب أنّ رسول الله ﷺ لمّا أراد الهجرة خلف عليّ بن أبي طالب بمكّة لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه، وقال له: «اتّشح ببُرْدي الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى»، ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّما يُؤثر صاحبه بالحياة، فاختارا كلاهما الحياة، فأوحى الله عزّ وجلّ إليهما: أفلا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يَفْديه بنفسه ويُؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا

....

فكان جبريل عند رأس عليّ وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ، مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب، يُباهي الله عزّ وجلّ به الملائكة؛ فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧]. أنبأنا أبو محمد عبد الله بن عليّ بن سويدة التكريتي، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن أبي الخير الميهني قراءةً عليه، قال: أنبأنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن مثنويه، قال أبو محمد: وأنبأنا أبو القاسم بن أبي الخير الميهني والحسين بن الفرحان السمناني، قالا: أنبأنا عليّ بن أحمد، أنبأنا أبو بكر التميمي، أنبأنا أبو محمد بن حبان، حدّثنا محمّد بن يحيى بن مالك الصبي، حدّثنا محمد بن سهل الجرجاني، حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البَقَرة: الآية ٢٧٤]، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم، فأنفق باللّيل واحدًا وبالنهارًا واحدًا، وفي السرّ واحدًا وفي العلانية واحدًا، ورواه عفان بن مسلم عن وهيب عن أيوب عن مجاهد عن ابن عباس مثله. أنبأنا إسمٰعيل بن عليّ وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة قال: حدّثنا قتيبة، حدّثنا حاتم بن إسمٰعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية سعدًا فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال: أمّا ما ذكرت ثلاثًا قالهنّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حُمُر النّعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ وخلفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أمَا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبوّة بعدي». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلًا يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي عليًا»، فأتاه وبه رمد فبصق في عينَيْه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه وأُنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٦١]، فدعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحُسينًا فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا سفيان بن وكيع، حدّثنا أبي عن

....

شريك، عن منصور، عن ربعيّ بن خراش، حدّثنا عليّ بن أبي طالب بالرَّحبة، قال: لمّا كان يوم الحُدَيْبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأُناس من رؤساء المشركين، فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا وليس بهم فقه في الدِّين، وإنما خرجوا فرارًا من أموالنا وضياعنا، فارْدُدْهم إلينا، فقال النبيّ ﷺ: «يا معشر قريش، لتنتهن أو ليبعثنّ الله عليكم مَنْ يضرب رقابكم بالسّيف على الدِّين، قد امتُحِن قلبه على الإيمان»، قالوا: مَنْ هو يا رسول الله؟ فقال أبو بكر: مَنْ هو يا رسول الله؟ وقال عمر: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال: «خاصف النَّعل»، وكان قد أعطى عليًّا نعلًا يخصفها، قال: ثم التفت إلينا عليّ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النار». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا عيسى بن عثمان أخا يحيىٰ بن عيسى الرَّملي، حدّثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زرّ بن حبيش، عن عليّ قال: لقد عهد إليّ النبيّ ﷺ أن لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق. قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا محمد بن يسار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد قالوا: حدّثنا أبو عاصم عن أبي الجراح قال: حدّثني جابر بن صبح، قال: حدّثني شراحيل عن أُمّ عطية قالت: بعث رسول الله ﷺ جيشًا فيهم عليّ قالت: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللّهمّ لا تمتني حتى تُريني عليًّا». أنبأنا أبو منصور مسلم بن عليّ بن محمد بن السبخي، أنبأنا أبو البركات بن خميس، أنبأنا أبو نصر بن طوق، أنبأنا أبو القاسم بن المرجي، أنبأنا أبو يعلى الموصلي، حدّثنا سعيد بن مطرف الباهلي، حدّثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، عن أبي المنذر، عن سعيد بن المسيّب، عن عامر بن سعد، عن سعد أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبيّ بعدي». قال سعيد: فأحببت أن أشافه بذلك سعدًا فلقيته فذكرت له ما ذكرني عامر، فقلت: أنت سمعته؟ فأدخل يديه في أُذنيه، وقال: نعم، وإلا فاستكتا. أنبأنا أبو بكر مسمار بن عامر بن العويس البغدادي، أنبأنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن الطلابة، أنبأنا أبو القاسم عبد العزيز بن عليّ بن أحمد بن الحسين الأنماطي، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا محمد بن هارون الحضرمي أبو حامد، حدّثنا أبو هشام محمد بن

....

يزيد بن رفاعة، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لمّا كان يوم الطائف دعا رسول الله ﷺ عليًّا فناجاه طويلًا فقال بعض أصحابه: لقد أطال نجوى ابن عمّه، قال ـ يعني رسول الله ﷺ ـ: «ما أنا انتجيته، ولكن الله انتجاه». أنبأنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا واستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب، فمضى في السَّرية فأصاب جارية، فأنكروا عليه فتعاقد أربعة من أصحاب النبيّ ﷺ، فقالوا: إذا لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع عليّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ، فسلّموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السرية فسلّموا على رسول الله ﷺ فقال أحد الأربعة: يا رسول الله، ألم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليهم رسول الله ﷺ والغضب في وجهه فقال: «ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليًّا منّي وأنا من عليّ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس بن بكير، عن ابن إسحٰق قال: حدّثني يحيىٰ بن عبد الله بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: إنما وجد جيش عليّ الذين كانوا معه باليمن لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلًا وتعجّل إلى رسول الله ﷺ يُخبره الخبر، فعمد الرجل فكسا كل رجلٍ منهم حلّة، فلما دنوا خرج عليّ يستقبلهم، فإذا عليهم الحلل، فقال عليّ: ما هذا؟ قالوا: كسانا فلان، قال: فما دعاك إلى هذا قبل أن تقدم على رسول الله فيصنع ما شاء، فنزع الحُلل عنهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه لذلك، وكان أهل اليمن قد صالحوا رسول الله ﷺ، وإنما بعث عليًّا على جزية موضوعة. أنبأنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي العلاء الواسطي وأبو عبد الله الحسين بن أبي صالح فناخسرو الدَّيلمي التكريتي وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، حدّثنا قتيبة، حدّثنا يعقوب بن

....

عبد الرحمٰن، عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، قال: «أين عليّ بن أبي طالب»؟ قالوا: يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه» فأتى فبصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله، أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «لتغد على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمُر النِّعم». أنبأنا أبو الفضل بن أبي عبيد الله الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى أحمد بن عليّ، أنبأنا القواريريّ، حدّثنا يونس بن أرقم، حدّثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، قال: شهدت عليًا في الرَّحبة يناشد الناس: أنشد الله مَنْ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، لمّا قام قال عبد الرحمٰن: فقام اثنا عشر بدريًا، كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: «ألست أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أُمّهاتهم»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه». وقد رُوِي مثل هذا عن البراء بن عازب، وزاد: فقال عمر بن الخطاب: يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم وليّ كل مؤمن. أنبأنا الحسن بن محمد بن هبة الله، أنبأنا أبو العشائر محمد بن الخليل القيسي، أنبأنا أبو القاسم عليّ بن محمد بن علي أبي العلاء المصيصيّ، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القسم بن أبي نصر، حدّثنا خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة أبو الحسن الأطرابلسيّ، حدّثنا محمد بن الحسين الحبيبي، حدّثنا أبو حذيفة، حدّثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن ابن ظالم قال: جاء رجل إلى سعيد بن زيد ـ يعني ابن عمرو بن نفيل ـ فقال: إنّي أحببت عليًا حبًا لم أحبّه أحدًا، قال: أحببت رجلًا من أهل الجنّة، ثم إنه حدّثنا قال: كنّا مع رسول الله ﷺ على حِراء، فذكر عشرة في الجنّة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن مالك وعبد الله بن مسعود. قال: وحدّثنا خيثمة، حدّثنا أبو عبيدة

....

السري بن يحيىٰ، حدّثنا قبيصة، حدّثنا سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: كنّا مع النبيّ ﷺ في سور بالمدينة فقال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة»، فجاء أبو بكر فهنّيناه، ثم قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة»، فجاء عمر فهنّيناه، قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة»، قال: ورأيت رسول الله ﷺ يصغي رأسه من تحت السعف ويقول: «اللّهمّ إن شئت جعلته عليًّا»، فجاء عليّ فهنّيناه. أنبأنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد وغيره قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي، حدّثنا يوسف بن موسى القطّان البغدادي، حدّثنا علي بن قادم، حدّثنا علي بن صالح بن حيّ، عن حكيم بن جبير، عن جميع بن عمير التيمي، عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليّ فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تُؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». أنبأنا أبو الفضل الفقيه المخزومي بإسناده إلى أحمد بن عليّ، أنبأنا أبو خيثمة، حدّثنا محمد بن عبد الله الأسدي، حدّثنا سفيان، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أُمّ سلمة أنّ النبيّ ﷺ جلّل عليًّا وفاطمة والحسن والحسين كساءً، ثم قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللّهمّ أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا»، قالت أُمّ سلمة: قلت: يا رسول الله، أنا منهم؟ قال: «إنك على خير». وأنبأنا غير واحد بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، حدّثنا خلاد بن أسلم البغدادي، حدّثنا النّضر بن شُميل، حدّثنا عوف، عن عبد الله بن عمرو بن هند الحلي، قال: قال عليّ: كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني، وإذا سكت ابتدأني. قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا نضر بن عليّ الجهضمي، حدّثنا عليّ بن جعفر بن محمد، أخبرني أخي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه عن جدّه عليّ بن أبي طالب أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحُسين وقال: «مَنْ أحبّني وأحب هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا قُتيبة، حدّثنا جعفر بن سليمان، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: كنا نعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب. أنبأنا المنصور بن أبي الحسن الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى،

....

حدّثنا الحسن بن حماد، حدّثنا مسهر بن عبد الملك ثقةٌ، حدّثنا عيسى بن عمرو، عن السديّ، عن أنس بن مالك أنّ النبيّ ﷺ كان عنده طائر فقال: «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر»، فجاء أبو بكر فردَّه، ثم جاء عثمان فردَّه، فجاء عليّ فأذن له. ذِكْر أبي بكر وعثمان في هذا الحديث غريب جدًّا، وقد رُوِي من غير وجه عن أنس، ورواه غير أنس من الصحابة. أنبأنا أبو الفرج الثقفي، أنبأنا الحسين بن عيسى، حدّثنا الحسن بن أحمد وأنا حاضر أسمع، أنبأنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدّثنا محمد بن إسحٰق بن إبراهيم الأهوازي، حدّثنا الحسن بن عيسى، حدّثنا الحسن بن السُميدع، حدّثنا موسى بن أبي أيوب، عن شعيب بن إسحاق، عن أبي حنيفة، عن مسعر، عن حماد، عن إبراهيم، عن أنس قال: أُهدي إلى النبيّ ﷺ طير، فقال: «اللّهمّ ائتني بأحب خلقك إليك»، فجاء عليّ فأكل معه، تفرّد به شُعيب عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه. أنبأنا محمد بن أبي الفتح بن الحسن النقّاش الواسطي، حدّثنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل البزار، أنبأنا زاهر بن طاهر السحامي، أنبأنا أبو سعيد الكنجرودي، أنبأنا الحاكم أبو أحمد، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عمرو بن الحسين الأشعري بحمص، حدّثنا محمد بن مصفّى، حدّثنا حفص بن عمر المعري، حدّثنا موسى بن سعد البصريّ، قال: سمعت الحسن يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: أُهدي لرسول الله ﷺ طير، فقال: «اللّهمّ ائتني برجل يحبّه الله ويحبه رسوله»، قال أنس: فأتى عليّ فقرع الباب، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ مشغول وكنت أحبّ أن يكون رجلًا من الأنصار، ثم إنّ عليًا فعل مثل ذلك، ثم أتى الثالث فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس أدخله، فقد عَنَيْته»، فلما أقبل قال: «اللّهمّ والِ، اللّهمّ والِ»، وقد رواه عن أنس غير واحد حميد الطويل، وأبو الهندي، ويغنم بن سالم - يغنم بالياء تحتها نقطتان، والغين المعجمة والنون وآخره ميم وهو اسم مفرد.

خلافته رضي الله تعالى عنه:

أنبأنا عد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثنا أسود بن عامر، حدّثني عبد الحميد بن أبي جعفر - يعني الفراء - عن

....

إسرائيل، عن أبي إسحٰق، عن زيد بن تبيع، عن عليّ قال: قيل: يا رسول الله، مَنْ يُؤَمّر بعدك؟ قال: «إن تُؤمِّروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وإن تُؤمّروا عمر تجدوه قويًا أمينًا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تُؤمّروا عليًا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الصراط المستقيم». أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني إجازةً، أنبأنا أبو عليّ بن شاذان، أنبأنا عبد الباقي بن قانع، حدّثنا محمد بن زكريا العلائي، حدّثنا العبّاس بن بكار، عن شريك، عن سلمة، عن الصنابحي، عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنت بمنزلة الكعبة، تُؤْتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم فسلَّموها إليك ـ يعني الخلافة ـ فاقبل منهم، وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك». أنبأنا يحيىٰ بن محمود، أنبأنا الحسن بن أحمد قراءةً عليه وأنا حاضر، أنبأنا أبو نعيم، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي، حدّثنا أبو الصيرفي، عن يحيىٰ بن عروة المرادي، قال: سمعت عليًا رضي الله تعالى عنه يقول: قُبِض النبيّ ﷺ وأنا أرى أني أحقّ بهذا الأمر، فاجتمع المسلمون على أبي بكر، فسمعت وأطعت، ثم إن أبا بكر أُصيب فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في عمر، فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أُصيب فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في ستّة أنا أحدهم، فولّوها عثمان، فسمعت وأطعت، ثم إن عثمان قُتِل فجاؤوا فبايعوني طائعين غير مُكرهين، ثم خلعوا بَيْعتي، فوالله ما وجدت إلّا السيف أو الكفر بما أنزل الله عزّ وجلّ على محمّد ﷺ. أخبرنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف وغيره إجازةً، قالوا: أخبرنا أبو غالب بن البنا، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد الأنبوسي، أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيىٰ بن حنيقا، أنبأنا أبو محمد إسماعيل بن عليّ بن إسماعيل الخطيّ، قال: استخلف أمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وجهه وبُويع له بالمدينة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان في ذي الحجّة من سنة خمس وثلاثين، قال: وحدّثنا إسماعيل الخطيّ، حدّثنا إسحٰق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، حدّثنا هشام بن عمار، حدّثنا محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع القرشي، حدّثنا محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ذيب، عن الزهري، عن ابن

....

المسيّب، قال: لما قُتِل عثمان جاء الناس كلّهم إلى عليّ يهرعون أصحاب محمد وغيرهم كلّهم يقول أمير المؤمنين عليّ: حتى دخلوا عليه داره، فقالوا: نبايعك فمُدَّ يدك، فأنت أحقّ بها، فقال عليّ: ليس ذاك إليكم، إنما ذاك إلى أهل بدر، فمَنْ رَضِيَ به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبقَ أحد إلّا أتى عليًا، فقال: فقالوا: ما نرى أحدًا أحقّ بها منك، فمُدَّ يَدَكَ نبايعك، فقال: أين طلحة والزُّبير؟ فكان أوّل مَنْ بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده، فلمّا رأى عليّ ذلك خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فكان أوّل مَنْ صعد إليه فبايعه طلحة وتابعه الزبير وأصحاب النبيّ ﷺ ورضي عنهم أجمعين. أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقيّ إجازةً، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو القاسم عليّ بن إبراهيم ابن رشا بن نظيف، حدّثنا الحسن بن إسماعيل، حدّثنا أحمد بن مروان، حدّثنا محمد بن موسى بن حماد، حدّثنا محمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: لما دخل عليّ بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب، فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زِنْت الخلافة وما زانَتْك، ورفعتها وما رفعَتْك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها. أنبأنا أبو ياسر بن أبي حبّة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدّثنا سفيان بن وكيع، حدّثنا قبيصة، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي وائل، قال: قلت لعبد الرحمٰن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم عليًا؟ فقال: ما ذنبي قد بدأت بعليّ فقلت: أُبايعك على كتاب الله وسنّة نبيِّه وسيرة أبي بكر وعمر، قال: فقال: فيما استطعت، قال: ثم عرضتها على عثمان فقبلها، ولمّا بايعه الناس تخلّف عن بيعته جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وسعد وأُسامة وغيرهم، فلم يلزمهم بالبيعة، وسُئِل عليّ عمّن تخلّف عن بيعته؟ فقال: أُولئك قعدوا عن الحقّ ولم ينصروا الباطل، وتخلّف عنه أهل الشام مع معاوية، فلم يُبايعوه وقاتلوه. أنبأنا أبو القاسم محمد بن سعد بن يحيىٰ بن بوش كتابة، أنبأنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن يوسف، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو الحسين محمد بن المظفّر بن موسى الحافظ، أنبأنا محمد بن الحسن بن ظازاد الموصلي، حدّثنا عليّ بن الحسين الخواص، عن عفيف بن سالم، عن قطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، عن أبي سعيد، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فانقطع شِسْعه فأخذها عليّ

....

يُصلحها، فمضى رسول الله ﷺ فقال: «إنّ منكم رجلًا يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله»، فاستشرف لها القوم، فقال رسول الله ﷺ: «لكنه خاصف النعل»، فجاء فبشّرناه بذلك، فلم يرفع به رأسًا، كأنه شيء قد سمعه من النبيّ ﷺ.
أنبأنا أرسلان بن بعان الصوفي، حدّثنا أبو الفضل أحمد بن طاهر بن سعيد بن أبي سعيد الميهني، أنبأنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي، أنبأنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحيم الشيبانيّ، حدّثنا الحسين بن الحكم الحيريّ، حدّثنا إسماعيل بن أبان، حدّثنا إسحٰق بن إبراهيم الأزدي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء، فمع مَنْ؟ فقال: «مع عليّ بن أبي طالب معه يُقتل عمّار بن ياسر». قال: وأخبر الحاكم، أنبأنا أبو الحسن علي بن ممشاد العدل، حدّثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، حدّثنا عبد العزيز بن الخطّار، حدّثنا محمد بن كثير، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن محنف بن سليم، قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري، فقلنا: قاتلتَ بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تُقاتل المسلمين؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتل النّاكثين والقاسطين والمارقين. وأنبأنا أبو الفضل بن أبي الحسن بإسناده عن أبي يعلى، حدّثنا إسماعيل بن موسى، حدّثنا الربيع بن سهل، عن سعيد بن عبيد، عن عليّ بن ربيعة، قال: سمعت عليًا على منبركم هذا يقول: عهد إليّ رسول الله ﷺ أن أُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.
أنبأنا أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة الحلبي، قال: حدّثني عمي أبو المجد عبد الله بن محمد بن أبي جرادة، أنبأنا أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة، حدّثنا أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن سعيد بحلب، حدّثنا الأستاذ أبو النمر الحارث بن عبد السلام بن زغبان الحمصي، حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن خالويه، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي سعيد البزّار، حدّثنا محمد بن الحسن موسى الكوفيّ، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا عبد الله بن حبيب، أخبرني أبي قال: قال ابن عمر حين حضره الموت: ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أني لم أُقاتل الفئة الباغية.

....

وقال أبو عمرو: رُوِي من وجوه عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر أنه قال: ما آسى على شيء إلّا أني لم أُقاتل مع عليّ بن أبي طالب الفئة الباغية.

وقال الشعبي: ما مات مسروق حتى تاب إلى الله تعالى من تخلّفه عن القتال مع عليّ، ولعليّ رضي الله تعالى عنه في قتال الخوارج وغيرها آيات مذكورة في التواريخ قد أتينا على ذكرها في الكامل في التاريخ.

مقتله وإعلامه أنه مقتول رضي الله تعالى عنه:

أنبأنا نصر الله بن سلامة بن سالم الهيتمي، أنبأنا القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأُرمويّ، أنبأنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي المأمون، أنبأنا عليّ بن عمر الحافظ، حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن يحيى بن زاهر بن يحيى الرازي بالبصرة، حدّثني أحمد بن محمد بن زياد القطان الرازي، حدّثنا عبد الله بن زاهر بن يحيىٰ، حدّثنا أبي، عن الأعمش، عن زيد بن أسلم، عن أبي سنان الدُّؤليّ، عن عليّ قال: حدّثني الصادق المصدوق ﷺ قال: «لا تموت حتى تُضرب ضربة على هذه، فتخضب هذه» وأومأ إلى لحيته وهامته «ويقتلك أشقاها، كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود» نسبه إلى جدِّه الأدنى، قال عليّ بن عمر: هذا حديث غريب من حديث الأعمش عن زيد بن أسلم عن أبي سنان عن عليّ تفرّد به عبد الله بن زاهر عن أبيه. قلت: قد رواه عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم، أنبأنا به أبو الفضل الطبري بإسناده إلى أبي يعلى عن القواريري، عن عبد الله بن جعفر، عن زيد، عن أبي سنان أتمّ من هذا.

أنبأنا أبو الفضل المخزومي بإسناده، عن أحمد بن عليّ قال: حدّثنا إسحٰق بن إسرائيل، عن سنان، عن عبد الملك بن أعين، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه، عن عليّ قال: أتاني عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز، فقال لي: لا تقدم العراق، فإني أخشى أن يصيبك فيها ذباب السيف، قال عليّ: وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، فقال أبو الأسود: فما رأيت كاليوم قطّ محارب يخبر بذا عن نفسه. قال: وأنبأنا أحمد بن عليّ، أنبأنا أبو خيثمة،

....

حدّثنا جرير، عن الأعمش، عن سلمة بن كُهَيْل، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن عبد الله بن سبع قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب فقال: والذي فَلَق الحبّة وبرأ النسمة لتخضبنّ هذه من هذه، يعني لحيته من دم رأسه، فقال رجل: والله لا يقول ذلك أحدٌ إلا أبرنا عترته، فقال: أذكر الله وأنشد أن يقتل مني إلّا قاتلي.

أنبأنا أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كُليب، أنبأنا أبو الخير المبارك بن الحسين بن أحمد الغسال المقريّ الشافعي، حدّثنا أبو محمد الخلال، حدّثنا أبو الطيّب محمد بن الحسين النحّاس بالكوفة، حدّثنا علي بن العباس البجلي، حدّثنا عبد العزيز بن منيب المروزي، حدّثنا إسحٰق - يعني ابن عبد الملك بن كيسان - حدّثني أبي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال عليّ - يعني للنبيّ ﷺ -: إنك قلت لي يوم أُحد حين أخّرت عني الشهادة واستشهد من استشهد أنّ الشهادة من ورائك، «فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه بدم»؟ وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه، فقال عليّ: يا رسول الله أما إن تثبت لي ما أثبتَ، فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والكرامة.

وأنبأنا أبو المنصور بن أبي الحسن بإسناده إلى أحمد بن علي بن المثنى، أنبأنا سويد بن سعيد، حدّثنا راشد بن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن أُسامة بن الهاد، عن عثمان بن صُهيب، عن أبيه قال: قال عليّ: قال لي رسول الله ﷺ: «مَنْ أشقى الأوّلين»؟ قلت: عاقر النّاقة، قال: «صدقت»، قال: «فمَنْ أشقى الآخرين»؟ قلت: لا عِلْم لي يا رسول الله، قال: «الذي يضربك على هذا» وأشار بيده إلى يافوخه، وكان يقول: وددت أنه قد انبعث أشقاكم، «فخضب هذه من هذه» يعني لحيته من دم رأسه.

أنبأنا أبو ياسر بن أبي حبّة، أنبأنا أبو غالب بن البنّا، حدّثنا محمد بن أحمد بن محمّد بن حسنون، أنبأنا أبو القاسم موسى بن عيسى بن عبد الله السرَّاج، حدّثنا عبد الله بن أبي داود، حدّثنا إسحٰق بن إسماعيل، حدّثنا إسحٰق بن سليمان، عن قطر بن خليفة، عن أبي الطفيل أن عليًا جمع الناس للبيعة، فجاء عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي، فردَّه مرّتين، ثم قال علي: ما يحبس أشقاها،

....

فوالله ليخضبنّ هذه من هذه، ثم تمثّل:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من القتل إذا حلّ بواديك

أنبأنا أبو ياسر إجازةً، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمرو بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، حدّثنا الحسين بن فهم، حدّثنا محمد بن سعد، حدّثنا خالد بن مخلد ومحمد بن الصّلت، حدّثنا الربيع بن المنذر، عن أبيه، أن محمد ابن الحنفية قال: دخل علينا ابن ملجم الحمّام وأنا وحسن وحسين جلوس في الحمّام، فلمّا دخل كأنهما اشمأزا منه، وقالا: ما جرّأك تدخل علينا؟ قال: فقلت لهما: دعاه عنكما، فلعمري ما يريد منكم أحشم من هذا، فلمّا كان يوم أُتِيَ به أسيرًا، قال ابن الحنفية: ما أنا اليوم بأعرف به مني يوم دخل علينا الحمّام، فقال عليّ: إنه أسير، فأحسنوا نُزُله وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن متُّ فاقتلوه ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين.

أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن عليّ الأمين وغير واحد إجازةً، قالوا: أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، أنبأنا أبو الفضل بن خيرون وأبو طاهر أحمد بن الحسن الباقلاني كلاهما إجازةً، قالا: أنبأنا أبو علي بن شاذان، قال: قرىء على أبي محمد الحسين بن محمد بن يحيىٰ بن الحسن بن أبي جعفر بن عبيد الله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قال: حدّثنا جدّي أبو الحسين يحيىٰ بن الحسن، حدّثنا سعيد بن نوح، حدّثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن، حدّثنا عبد الجبّار بن العبّاس، عن عثمان بن المغيرة، قال: لمّا دخل شهر رمضان جعل عليّ يتعشّى ليلة عند الحسن وليلة عند الحُسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد على ثلاث لقم، ويقول: يأتي أمر الله وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان. قال: وأنبأنا جدّي، حدّثنا زيد بن علي، عن عبيد الله بن موسى، حدّثنا الحسن بن كثير، عن أبيه قال: خرج عليّ لصلاة الفجر، فاستقبله الأوز يَصُحْن في وجهه، قال: فجعلنا نطردهنّ عنه، فقال: دعوهنّ فإنهنّ نوائح، وخرج فأُصيب، وهذا يدلّ على أنه علم السَّنَة والشهر والليلة التي يُقتل فيها، والله أعلم.

....

أنبأنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد، أنبأنا النقيب طراد بن محمد إجازةً إنْ لم يكن سماعًا، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا الحسين صفوان، أنبأنا عبد الله بن أبي الدنيا، حدّثني عبد الرحمٰن بن صالح، حدّثنا عمرو بن هاشم الحسيني، عن حكاب، عن أبي عَوْن الثقفيّ، عن أبي عبد الرحمٰن السّلمي، قال: قال لي الحسين بن عليّ: قال لي عليّ: سنح لي الليلة رسول الله ﷺ في منامي، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أُمّتك من الأود[1] واللّدد[2]، قال: ادع عليهم، قلت: اللّهمّ أبدلني بهم مَنْ هو خيرٌ لي منهم، وأبدلهم مَنْ هو شرٌّ مني؛ فخرج فضربه الرجل، كذا في هذه الرواية الحسين بن عليّ، وإنما هو الحسن.

أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب إذنًا، أخبرنا أبو بكر الأنصاري، أخبرنا أبو محمد الجوهريّ، أنبأنا أبو عمر بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن فهم، أنبأنا محمد بن سعد قال: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي، وهو من حِمْيَر وعداده في بني مراد، وهو حليف بني حبلة من كندة، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمر بن بكير التميمي؛ فاجتمعوا بمكّة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة عليّ بن أبي طالب، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعليّ، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص؛ فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا عليه وتواثقوا أن لا ينكص منهم رجل عن صاحبه الذي سُمّي له ويتوجّه له حتى يقتله أو يموت دونه، فاتّعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان، ثم توجّه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقَدِم عبد الرحمٰن بن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج، فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يومًا نفرًا من بني تيم الرباب،

---

(١) قوله: الأود، في القاموس: أوِدَ كفَرِحَ يَأْوَدُ أَوَدًا اعْوَجَّ، انتهى. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) قوله: اللّدد، في المصباح: لَدَّ يَلُدُّ لَدَدًا من باب تَعِبَ اشتدّت خصومته، فهو ألدّ، انتهى. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

فرأى امرأة منهم قطام بنت سخبة بن عديّ بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن الرباب، وكان عليّ قتل أباها وأخاها بالنهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوّجك حتى تسني[1] لي، فقال: لا تسأليني شيئًا إلّا أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف وقتل عليّ بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المِصْر إلّا قتل عليّ، وقد أعطَيْتك ما سألت، ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي، فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك، وظلّ ابن ملجم تلك اللّيلة التي عزم فيها أن يقتل عليًّا في صبيحها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتى يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدّة التي يخرج منها عليّ، قال الحسن بن عليّ: فأتيته سحيرًا فجلست إليه فقال: إني بتّ الليلة أوقظ أهلي، فملكتني عيناي وأنا جالس، فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أُمتك من الأود واللّدد، فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللّهمّ أبدلني بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي شرًّا لهم مني، ودخل ابن التيّاح المؤذّن على ذلك، فقال: الصلاة، فقام يمشي ابن التيّاح بين يديه وأنا خلفه، فلمّا خرج من الباب نادى: أيّها الناس الصلاة الصلاة، كذلك كان يَصْنع كل يوم يخرج ومعه درّته يُوقظ الناس، فاعترضه الرجلان، فقال بعض مَنْ حضر: ذلك بريق السيف، وسمعت قائلًا يقول: لله الحكم يا عليّ لا لك، ثم رأيت سيفًا ثانيًا فضربا جميعًا، فأمّا سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل إلى دماغه.

وأما سيف شبيب، فوقع في الطاق، فسمع عليّ يقول: لا يفوتنّكم الرجل، وشدّ الناس عليهما من كل جانب. فأمّا شبيب فأفلت، وأُخذ ابن ملجم فأُدخل على عليّ فقال: أطيبوا طعامه وأَلِينوا فراشه، فإنْ أعِشْ فأنا وليّ دمي عفو أو

---

(١) في لسان العرب يقال: سَنَيْت الباب وسَنَوْته إذا فتحته، وأيضًا فيه: سَنَّيْت الشيءَ والأمر إذا فتحتَ وجهه، وأيضًا فيه: يقال: سَنَيْتُ الشيءَ إذا فتحته وسَهَّلْته وتسنّى لي كذا، أي تيَسَّرَ وَتَأتّى وتَسَنّى الشيء علاه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قصاص، وإن أمُتْ فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين، فقالت أُمّ كلثوم بنت عليّ: يا عدوّ الله أقتلت أمير المؤمنين؟ قال: ما قتلت إلّا أباكِ، قالت: والله إني لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس، قال: فلِمَ تبكين إذًا؟ ثم قال: والله لقد سممته شهرًا ـ يعني سيفه ـ فإن أخلفني أبعده الله وأسحقه. وبعث الأشعث بن قيس ابنه قيس الأشعث صبيحة ضُرِب عليّ، فقال: أي بني، انظر كيف أصبح أمير المؤمنين، فذهب فنظر إليه ثم رجع، فقال: رأيت عينيه داخلتين في رأسه، فقال الأشعث: عيني دميغ وربّ الكعبة، قال: ومكث عليّ يوم الجمعة والسبت وبقي ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان من سنة أربعين، وتوفي رضوان الله عليه، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، قالوا: وكان عبد الرحمٰن بن ملجم في السجن، فلمّا مات عليّ ودُفِن بعث الحسن بن عليّ إلى ابن ملجم فأخرجه من السجن ليقتله، فاجتمع الناس وجاؤوا بالنفط والبواري والنار، وقالوا: نحرقه، فقال عبد الله بن جعفر وحسين بن علي ومحمد ابن الحنفيّة: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحل عينيه بمسمار محمّى، فلم يجزع وجعل يقول: إنك لتكحل عينيّ عمك بمملول وممض، وجعل يقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العَلق: الآية ١] حتى أتى على آخر السورة، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعُولج عن لسانه ليقطعه فجزع، فقيل له: قطعنا يديك ورجليك وسمَلْنا عينيك يا عدوّ الله فلم تجزع، فلمّا صرنا إلى لسانك جزعت، قال: ما ذاك من جزع إلّا أني أكره أن أكون في الدنيا فواقًا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه ثمّ جعلوه في قوصرة فأحرقوه بالنار، والعباس بن عليّ يومئذ صغير، فلم يستأن به بلوغه، وكان ابن ملجم أسمر أبلج في جبهته أثر السجود.

أنبأنا عمر بن محمد بن طبرزد، أنبأنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو بكر بن الطبري، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا أبو علي بن صفوان، حدّثنا ابن أبي الدنيا، حدّثني هارون بن أبي يحيىٰ عن شيخ من قريش أنّ عليًا لمّا ضربه ابن ملجم قال: فُزْت وربّ الكعبة.

....

أنبأنا عبد الوهاب بن أبي منصور بن سكينة، أنبأنا أبو الفتح أحمد بن عبد الباقي بن سلمان، أنبأنا أحمد بن الحسين بن خيرون وأحمد بن الحسن الباقلاني كلاهما إجازةً، قالا: أنبأنا أبو عليّ بن شاذان، قال: قُرِىء على أبي محمّد الحسن بن محمد بن يحيىٰ العلويّ، حدّثني جدّي، حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ، حدّثني إسمٰعيل بن أبان الأزدي، حدّثني فضيل بن الزبير، عن عمرو ذي مرّ قال لمّا أُصيب عليّ بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أرِني ضربتك، قال: فحلّها، فقلت: خدش وليس بشيء، قال: إني مفارقكم، فبكَتْ أُمّ كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ما أرى لَمَا بكيت، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود والنبيّون، وهذا محمّد ﷺ يقول: يا عليّ البشر، فما تصير إليه خير مما أنت فيه، هذه أُمّ كلثوم هي ابنة علي زوج عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، البرك: بضمّ الموحدة وفتح الراء، وبجرة بفتح الباء والجيم، قاله ابن ماكولا، والذي ضبطه أبو عمر بضمّ الباء وسكون الجيم.

أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الخطيب، أنبأنا أبو سعد المطرز وأبو علي الحدّاد إجازةً، قالا: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدّثنا محمد بن عبد الله بن أحمد، حدّثنا محمد بن بشر أخي خطاب، حدّثنا عمر بن زُرارة الحدثي، حدّثنا الفياض بن محمد الرقيّ، حدّثنا عمرو بن عبس الأنصاري، عن أبي محتف، عن عبد الرحمٰن بن حبيب بن عبد الله، عن أبيه قال: لمّا فرغ عليّ من وصيّته قال: أقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلم إلّا بلا إلٰه إلّا الله حتى قبضه الله رحمة الله ورضوانه عليه، وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلّى عليه الحسن ابنه وكبّر عليه أربعًا، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، ودُفِن في السَّحر، قيل: إنّ عليًا كان عنده مسك فضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به، واختلفوا في عمره، فقال محمد ابن الحنفية: سنة الجحاف حين دخلت سنة إحدى وثمانين هذه لي خمس وستّون سنة، وقد جاوزت سنّ أبي، قال: وكان سنّه يوم قُتل ثلاثًا وستّين سنة. قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا، وقال أبو بكر الرقيّ: توفي

....

عليّ وهو ابن سبع وخمسين سنة، وقيل: توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وكانت خلافته خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر وستّة أيّام، وقيل: ثلاثة أيام، قال محمد بن عليّ الباقر: كان عليّ آدم مقبل العَيْنين عظيمها ذا بطن أصلع ربعة لا يخضب، وقال أبو إسحٰق السبيعي: رأيته أبيض الرأس واللِّحية، وكان ربما خضب لحيته، وقال أبو رجاء العطاردي: رأيت عليًا ربعة ضخم البطن كبير اللِّحية قد ملأت صدره أصلع شديد الصلع. وقال محمد بن سعد عن أبي نعيم الفضل بن دُكين عن رزام بن سعد الضبي، قال: سمعت أبي ينعت عليًا قال: كان رجلًا فوق الربعة، ضخم المنكبين، طويل اللِّحية، وإن شئت قلت: إذا نظرت إليه قلت آدم، إن تبيَّنته من قريب قلت: أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم. وقال محمد بن سعد: حدّثنا عفان بن مسلم، حدّثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن قدامة بن عتاب قال: كان عليّ ضخم البطن، ضخم مشاش المنكب، ضخم عضلة الذّراع، دقيق مستدقّها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقّها، قال: ورأيته يخطب في يوم من الشتاء عليه قميص وإزار قطريان معتم بشيء مما ينسج في سوادكم. وقال ابن أبي الدنيا: حدّثني أبو هريرة، حدّثنا عبد الله بن داود، حدّثنا مدرك أبو الحجاج قال: رأيت عليًا يخطب، وكان من أحسن الناس وجهًا، وقيل: كان كأنما كُسِر ثم جُبِر، لا يغيّر شَيبه، خفيف المشي، ضحوك السنّ، وبالجملة فمناقبه عظيمة كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر منها ومَنْ يريد أكثر من هذا، فقد جمعنا مناقبه في كتاب جامع لها، والحمد لله ربّ العالمين ورثاه الناس فأكثروا، فمِنْ ذلك ما قاله أبو الأسود الدُّؤلي وبعضهم يرويها لأُمّ الهيثم بنت العريان النخعيّة:

ألا يا عين وَيْحك أسْعِدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
تبكي أُمّ كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي الشهر الحرام فَجِعْتُمونا ... بخير الناس طرًّا أجمعينا
قتلتم خير مَنْ ركب المطايا ... فذلّلها ومَنْ ركب السَّفينا
ومَنْ لَبِس النِّعال ومَنْ حذاها ... ومَنْ قرأ المَثاني والمبينا

....

وكلّ مناقب الخيرات فيه — وحبّ رسول ربّ العالمينا
لقد علمت قريشًا حيث كانوا — بأنك خيرها حَسَبًا ودينا
إذا استقبلت وجه إلى حسينٍ — رأيت البدر راقَ الناظرينا
وكنّا قبل مقتله بخيرٍ — نرى مولى رسول الله فينا
يُقيم الحقّ لا يَرْتاب فيه — ويَعْدِل في العِدَا والأقربينا
وليس بكاتم علمًا لديه — ولم يخلق من المتجبّرينا
كان الناس إذ فقدوا عليًّا — نعام حار في بلدٍ سنينا
فلا تشمت معاوية بن حربٍ — فإن بقيّة الخلفاء فينا

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فيه أيضًا:

ما كنتُ أحْسَب أنّ الأمرَ منصرف — عن هاشمٍ ثم منها عن أبي حسن
البرّ أوّل مَنْ صلّى القبلة — وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهدٌ بالنبيّ ومَنْ — جبريل عونٌ له في الغسل والكفن
مَنْ فيه ما فيه لا تمترون به — وليس في القوم ما فيه من الحسن

وقال إسمٰعيل بن محمد الحميري:

سائل قريشًا به إن كنت زاعمه — مَنْ كان أثبتها في الدِّين أوتادا
من كان أقدم إسلامًا وأكثرها — علمًا وأطهرها أهلًا وأولادا
مَنْ وحّد الله إذ كانت مكذّبة — تدعو من الله أوثانًا وأندادا
مَنْ كان يُقدم في الهيجاء إن نكلوا — عنها وإن يبخلوا في أزِمّة جادا
مَنْ كان أعدلها حكمًا وأبسطها — كفًّا وأصدقها وعدًا وإيعادا
إن يصدقوك فلن يعدو أبا حسن — إن أنت لم تلق للأبرار أحسادا
إن أنت لم تلق أقواماً ذو صلف — وذا عناد لحقّ الله جحّادا

ومدائحه ومراثيه كثيرة رضي الله تعالى عنه، فلنقتصر على هذه ففيه كفاية، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

إني لأرجو أن أكون أنا (وعثمان وطلحة والزبير) منهم.

روى عليّ رضي الله تعالى عنه خمسمائة حديث وستّة وثمانين حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر. اهـ.

قوله: (وعثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأُمويّ، يجتمع هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف، يُكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو، وقيل: كان يُكنى أوّلًا بابنه عبد الله وأُمّه رقيّة بنت رسول الله ﷺ، ثم كُنّي بابنه عمرو وأُمّه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فهو ابن عمّة عبد الله بن عامر، وأُمّ أروى البيضاء بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله ﷺ، وهو ذو النورَيْن وأمير المؤمنين. أسلم في أوّل الإسلام، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام.

أخبرنا أبو جعفر بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحٰق قال: فلمّا أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه عاد إلى الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، وكان أبو بكر رجلًا مؤلفًا لقومه محبّبًا سهلًا، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعِلْمه وتجاربه وحُسْن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثَق به مِنْ قومه ممّن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان. وطلحة بن عبيد الله، وذكر غيرهم، فانطلقوا ومعهم أبو بكر حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحقّ الإسلام، فآمنوا فأصبحوا مقرّين بحقّ الإسلام، فكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلّوا وصدقوا، ولمّا أسلم عثمان زوّجه رسول الله ﷺ بابنته رقيّة، وهاجرا كلاهما إلى أرض الحبشة الهجرتين، ثم عاد إلى مكّة وهاجر إلى المدينة، ولمّا قَدِم إليها نزل على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت، ولهذا كان حسّان يحبّ عثمان ويبكيه بعد قتله، قاله ابن إسحٰق. وتزوّج بعد رقيّة أُمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ، فلمّا توفيت قال رسول الله ﷺ: «لو إنْ لنا ثالثة لزوّجناك».

....

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، قال: أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، حدّثنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إسحٰق المفسّر المقرىء، حدّثنا محمد بن إبراهيم بن مردويه، حدّثنا علي بن أحمد بن بسطام، أخبرنا سهل بن عثمان، حدّثنا النضر بن منصور العنزي، حدّثنا أبو المحبوب عقبة بن علقمة، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنّ لي أربعين بنتًا زوّجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهنّ واحدة»، ووُلِد لعثمان ولد من رقيّة اسمه عبد الله، فبلغ ستّ سنين وتوفي سنة أربع من الهجرة، ولم يشهد عثمان بدرًا بنفسه؛ لأن زوجته رقيّة بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة على الموت، فأمره رسول الله ﷺ أن يقيم عندها، فأقام وتوفيت يوم ورد الخبر بظفر النبيّ ﷺ والمسلمين بالمشركين، لكن رسول الله ﷺ ضرب له بسهمه وأجره، فهو كمن شهدها، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة.

أخبرنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أبي نصر، قال: أخبرنا نصر بن أحمد أبو الخطاب إجازةً إنْ لم يكن سماعًا، أخبرنا أحمد بن طلحة بن هارون، أخبرنا أحمد بن سليمان، حدّثنا يحيىٰ بن جعفر، حدّثنا عليّ بن عاصم، حدّثني عثمان بن غياث، حدّثني أبو عثمان النَّهْدي، عن أبي موسى الأشعري، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حديقة بني فلان والباب علينا مغلق إذ استفتح رجل، فقال النبيّ ﷺ: «يا عبد الله بن قيس، فافتح له الباب وبشّره بالجنّة»، فقمت ففتحت الباب فإذا أنا بأبي بكر الصدّيق فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ودخل فسلّم وقعد، ثم أغلقت الباب، فجعل النبيّ ﷺ ينكت بعودٍ في الأرض فاستفتح آخر، فقال: «يا عبد الله بن قيس، قم فافتح الباب وبشّره بالجنّة»، فقمت ففتحت فإذا أنا بعمر بن الخطاب، فأخبرته بما قال النبيّ ﷺ. فحمد الله ودخل فسلّم وقعد وأغلقت الباب، فجعل النبيّ ﷺ ينكت بذلك العود في الأرض إذ استفتح الثالث الباب، فقال النبيّ ﷺ: «يا عبد الله بن قيس قم فافتح الباب له وبشّره بالجنّة على بلوى تكون»، فقمت ففتحت الباب فإذا أنا

....

بعثمان بن عفان، فأخبرته بما قال النبيّ ﷺ، فقال: الله المُستعان وعليه التّكلان. ثم دخل فسلّم وقعد.

أخبرنا أبو منصور بن مكارم، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن صفوان. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عبيد الله بن طوق، أخبرنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حيان، حدّثنا محمد بن عبد الله بن عمّار، حدّثنا المعافى بن عمران، عن سعيد بن الحجّاج، عن الحرّ بن الصياح، قال: سمعت عبيد الله بن الأخنس قال: قَدِم سعيد بن زيد هو ابن عمرو بن نفيل، فقال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزُّبير في الجنّة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنّة، وسعد في الجنّة» والآخر لو شئت سمّيته ثم سمّى نفسه، قال: وحدّثنا المعافى بن عمران، حدّثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن أبي طالب، عن سعيد بن زيد أنّ رجلًا قال له: أحببت عليًا حبًا لم أحبّه شيئًا قطّ، قال: أحسنت أحببت رجلًا من أهل الجنّة، قال: وأبغضت عثمان بغضًا لم أبغضه شيئًا قطّ، قال: أسأت، أبغضت رجلًا من أهل الجنّة، ثم أنشأ يحدث، قال: بينما رسول الله ﷺ على حِراء ومعه أبو بكر وعُمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير، قال: «اثبت حِراء ما عليك إلّا نبيّ أو صدّيق أو شهيد».

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي عليّ، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أخبرنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه، حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد، حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدّثنا بشر بن موسى، حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا أبو الأحوص، عن إبراهيم الأسدي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا عثمان ما قدّمت وما أخّرت وما أسْرَرْت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة».

....

أخبرنا أبو الفرج يحيىٰ بن محمود الثقفيّ، أخبرنا الحسن بن أحمد وأنا حاضر أسمع، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو بكر بن الخلاد، حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة (ح) قال أبو نعيم: وحدّثنا عبد الله بن الحسن بن بندار، حدّثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قالا: حدّثنا روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن قتادة عن أنس، قال: صعد النبيّ ﷺ أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل فقال: «اثبت نبيّ وصدّيق وشهيدان».

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمّد بن هبة الله الشافعي الدمشقي، أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل القيسي، أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصيصيّ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القاسم، حدّثنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة الأطرابلسي، حدّثنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان البنّا بصنعاء، حدّثنا إبراهيم بن أحمد اليمامي، حدّثنا يزيد بن أبي حكيم، حدّثنا سفيان الثوري، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، قال: نزلت في عَشْرة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن عليّ بن أبي القاسم الحسين بن الحسن الأسديّ، أخبرنا جدّي أبو القاسم قال: قرأت على أبي القاسم عليّ بن محمد المصيصيّ، أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن موسى بن عبد الله الغسّاني، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة، حدّثنا هلال بن العلاء، حدّثنا أبي وعبد الله بن جعفر قالا: حدّثنا عبد الله بن عمر، عن زيد بن أبي أنيسة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: حدّثنا أبو سهلة مولى عثمان قال: قلت لعثمان يوم الدار: قاتِل يا أمير المؤمنين، وقال عبد الله: قاتِل يا أمير المؤمنين، قال: لا والله لا أُقاتل، وعدني رسول الله ﷺ أمرًا فأنا صائرٌ إليه. قال: وحدّثنا هلال، حدّثنا أبي، حدّثنا إسحٰق الأزرق، حدّثنا أبو سفيان، عن الضحّاك بن مزاحم، عن النزّال بن سبرة الهلالي، قال: قلنا لعليّ:

....

يا أمير المؤمنين فحدّثنا عن عثمان بن عفان، فقال: ذاك امرؤٌ يُدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، ضمن له بيتًا في الجنّة.

أخبرنا إسماعيل بن عبيد وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، قال: حدّثنا أبو هشام الرّفاعي، حدّثنا يحيىٰ بن اليمان، عن شيخ من بني زُهرة، عن الحارث بن عبد الرحمٰن بن أبي ذياب، عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيّ رفيق، ورفيقي ـ يعني في الجنّة ـ عثمان». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا أبو زرعة، حدّثنا الحسن بن بِشْر، حدّثنا الحَكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لمّا أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكّة، قال: فبايع الناس، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنّ عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله»، فضرب بإحدى يديه على أخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم.

قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا عبد الوهاب الثقفي، حدّثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني أن خُطباء قامت في الشام فيهم رجال من أصحاب النبيّ ﷺ، فقام آخرهم رجل يقال له مرّة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت ذَكَر الفتن فقربها، فمرّ رجل مقنّع في ثوب، فقال: «هذ يومئذٍ على الهدى»، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم. ورُوِي نحو هذا عن ابن عمر، قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي، حدّثنا العلاء بن عبد الرحمٰن العطار، حدّثنا الحارث بن عمير، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: كنذا نقول ورسول الله ﷺ حيّ وأبو بكر وعمر وعثمان، فقيل في التفضيل، وقيل في الخلافة.

أخبرنا أبو ياسر بإسناده عن عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثني أبو قطن، حدّثنا يونس، عن ابن أبي إسحٰق، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور، فقال: أنشد بالله مَنْ

....

سمع رسول الله ﷺ يوم حِراء إذ اهتزّ الجبل فركله[1] برجله ثم قال: «اسكن حِراء، ليس عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد» وأنا معه، فانتشد له رجال، ثم قال: أنشد بالله مَنْ شَهِد رسول الله ﷺ يوم بَيْعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكّة، قال: «هذه يدي وهذه يد عثمان»، فبايع لي، فانتشد له رجال قال: أنشد بالله مَنْ شهد رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يوسع لنا هذا البيت في المسجد ببيت له في الجنّة»، فابتعته من مالي، فوسعت به في المسجد، فانتشد له رجال ثم قال: وأنشد بالله مَنِ شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «مَنْ ينفق اليوم نفقة متقبّلة»، فجهّزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال، قال: وأنشد بالله مَنْ شهد رومة يباع ماؤها من ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل؟ فانتشد له رجال. قال: وحدّثنا عبد الله، حدّثنا أُبيّ، حدّثنا عبد الصمد، حدّثنا القاسم، يعني ابن الفضل، حدّثنا عمرو بن مرّة، عن سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمّار بن ياسر، فقال: إني سائلكم وإني أحبّ أن تصدقوني، نشدتكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان يُؤْثر قريشًا على سائر الناس، ويُؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أُميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم، فبعث إلى طلحة والزبير، فقال عثمان: ألا أُحدّثكم عنه ـ يعني عمّارًا ـ أقبلت مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي نتمشّى في البطحاء حتى أتى على أبيه وأُمّه يعذّبون، فقال أبو عمّار: يا رسول الله، الدهر هكذا؟ فقال له النبيّ ﷺ: «اصبر»، ثمّ قال: «اللّهمّ اغفر لآل ياسر، وقد فعلتَ». قال: وحدّثنا أبي، حدّثنا حجّاج، حدّثنا ليث، حدّثني عقيل، عن ابن شهاب، عن يحيىٰ بن سعيد بن العاص أنّ سعيد بن العاص أخبره أنّ عائشة زوج النبيّ ﷺ وعثمان حدّثاه أن أبا بكر استأذن على النبيّ ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة، فأذن له وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، قالت عائشة: يا رسول الله لم أرك

(١) أي رفسه، ١٢. أي ركضه برجله، ١٢.

....

فزعت لأبي بكر ولا عمر كما فزعت لعثمان، قال رسول الله ﷺ: «إنّ عثمان رجلٌ حيي، وإني خشيت إن أذنت على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ حاجته». وقال اللّيث: قال جماعة الناس: ألا أستحي، ممّن تستحي منه الملائكة.

خـلافته:

أخبرنا مسمار بن عمر بن العويس وأبو الفرج محمد بن عبد الرحمٰن الواسطي وغير واحد قالوا بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر قبل أن يُصاب بأيّام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف فقال: كيف فعلتما؟ أتخافا أن تكونا حمّلتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حمّلناها أمرًا هي له مطيقة، وذكر قصة قتل عمر رضي الله تعالى عنه، قال: فقالوا له: أوْصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النّفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمٰن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعد فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيّكم ما أُمِّرَ فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوّلين أن يُعرف لهم حقّهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يُقبل مِنْ مُحسنهم، وأن يُغضى عن مُسيئهم، وأُوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردء الإسلام وجباة[1] المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأُوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب ومادّة الإسلام، وأن يأخذ من حواشي أموالهم ويردّ على فقرائهم. وأُوصيه بذمّة الله وذمّة رسوله، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مِنْ ورائهم ولا يكلّفوا إلا طاقتهم؛ فلمّا قُبِض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلَّم عبد الله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب، فقال ـ يعني عائشة ـ: أدخلوه، فأُدخل، فوُضِع هنالك مع صاحبيه، فلما فُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا

(١) في المصباح: جبيت المال والخراج أجبيته جِباية: جمعته، انتهى. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى عليّ، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلتُ أمري إلى عبد الرحمٰن، فقال عبد الرحمٰن: أيّكما يبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمٰن: أفتجعلونه إليّ والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فقال: بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمّرتك لتعدلنّ ولئن أمّرت عثمان لتسمعنّ ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلمّا أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له عليّ وولج أهل الدار فبايعوه، وبُويع عثمان بالخلافة يوم السبت غرّة المحرَّم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاثة أيّام، قاله أبو عمر.

قُتِل عثمان رضي الله تعالى عنه بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، قاله نافع. وقال أبو عثمان النّهدي: قُتل في وسط أيام التشريق. وقال ابن إسحٰق: قُتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا واثنتين وعشرين يومًا من مقتل عمر بن الخطاب، وعلى رأس خمس وعشرين من متوفّى رسول الله ﷺ. وقال الواقدي: قُتل يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلت من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين. وقد قيل إنه قُتل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجّة. وقال الواقدي: حصروه تسعة وأربعين يومًا، وقال الزبير: حصروه شهرين وعشرين يومًا.

أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثنا إسحٰق بن عيسى الطبّاع، عن أبي معشر، قال: وقُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، وقيل: كانت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا وأربعة عشر يومًا، قال: وحدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا يونس، عن أبي اليعفور العبدي، عن أبيه، عن أبي سعيد مولى عثمان بن عفان، أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا ـ يعني وهو محصور ـ ودعا بسراويل فشدّها عليه

....

ولم يلبسها في جاهليّة ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وقالوا لي: اصبر، فإنك تقطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقُتل وهو بين يديه.

أخبرنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى، قال: حدّثنا محمود بن غيلان، حدّثنا حجير بن المثنّى، حدّثنا اللّيث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن عامر، عن النّعمان بن بشير، عن عائشة أنّ النبيّ ﷺ قال: «يا عثمان، إنّه لعل الله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم».

وأخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي عليّ، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أخبرنا أبو مسعود سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه، أخبرنا أبو علي بن شاذان، حدّثنا عبد الله بن إسحٰق، حدّثنا محمد بن غالب، حدّثنا الفضل بن جُبير الورّاق، حدّثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ قال لعثمان: «تُقتل وأنت مظلوم وتقطر قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله»، قال: فإنها إلى الساعة لفي المصحف، ولما حُصِر عثمان وطال حصره والذين حصروه هم من أهل مصر والبصرة والكوفة ومعهم بعض أهل المدينة أرادوه على أن ينزع نفسه من الخلافة فلم يفعل، وخافوا أن تأتيه الجيوش من الشام والبصرة وغيرهما، ويأتي الحجّاج فيهلكوا فتسوّروا عليه فقتلوه رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وقد ذكرنا كيفيّة قتله وخلافته وجميع فتوحه وأحواله وما نقموا عليه حتى حصروه ومَن الذي حرّض الناس على الخروج عليه في كتاب الكامل في التاريخ، فلا نرى أن نطول بذكره هٰهنا، ولمّا قُتل دُفِن ليلًا وصلّى عليه جبير بن مطعم، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: المسور بن مخرمة، وقيل: لم يصلّ عليه أحد مُنِعوا من ذلك، ودُفِن في حُشّ[1] كوكب بالبقيع، وكان عثمان قد اشتراه وزاده في البقيع وحضره عبد الله بن الزبير وامرأتاه أُمّ البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ونائلة بنت الفرافصة الكلبية،

(١) وحُشّ كَوْكَبِ موضع من المدينة المنوّرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

فلمّا دلوه في القبر صاحت ابنته عائشة، فقال لها ابن الزبير: اسكتي وإلا قتلتك، فلمّا دفنوه قال لها: صيحي الآن ما بدا لك أن تصيحي.

أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدّثني عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جرير، عن جرير، عن أُمّ موسى قالت: كان عثمان من أجمل الناس، وقيل: كان ربعة لا بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، رقيق البشرة، كبير اللّحية، أسمر اللّون، كثير الشعر، ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كان يصفّر لحيته ويشدّ أسنانه بالذهب، وكان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ستّ وثمانون سنة، قاله قتادة. وقيل: كان عمره تسعين سنة، ورثاه كثير من الشعراء، قال حسان بن ثابت:

مَنْ سرّه الموت صرفاه لا مزاج له ... فليأتِ مأدبة في دار عثمانا
ضحّوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا
صبرًا فدى لكم أُمي وما وَلدت ... قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
لتسمعنّ وشيكًا في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا

وزاد فيها بعض أهل الشام أبياتًا لا حاجة إلى ذكرها، ومنها:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ... ما كان بين عليّ وابن عفّانا

وإنما زادوا فيها تحريضًا لأهل الشام على قتال عليّ ليقوى ظنّهم أنه هو قتله، وقال حسّان أيضًا:

إن تمس دار بني عفان مُوحشةً ... باب صريع وباب محرق خَرِبِ
فقد يصادف باغي الخير حاجته ... فيها ويأوي إليها الجود والحسب

وقال القاسم بن أُميّة بن أبي الصّلت:

لعمري لبئس الذبح ضحيتم به ... خلاف رسول الله يوم الأضاحيا

ورثاه غيرهما من الشعراء، فلا نطول بذكره، أخرجه الثلاثة. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

....

رُوِيَ لعثمان رضي الله تعالى عنه مائة حديث وستّة وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة.

قوله: (وطلحة) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كِنانة، أبو محمد القرشيّ التيميّ، وأُمّه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرميّة، يُعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض، وهو من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، دعاه أبو بكر الصدّيق إلى الإسلام، فأخذه ودخل به على رسول الله ﷺ، فلمّا أسلم هو وأبو بكر أخذهما نوفل بن خُوَيْلد بن العدويّة فشدّهما في حبلٍ واحد ولم يمنعهما بنو تَيْم، وكان نوفل أشدّ قريش، فلذلك كان أبو بكر وطلحة يسمّيان القرينان. وقيل: إنّ الذي قرنهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة، فشدّهما ليمنعهما عن الصلاة وعن دينهما، فلم يُجيباه فلم يرعهما إلّا وهما مطلقان يصلّيان، ولمّا أسلم طلحة والزبير آخى رسول الله ﷺ بينهما بمكّة قبل الهجرة، فلمّا هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بين طلحة وبين أبي أيوب الأنصاري، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة وأحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدرًا؛ لأنه كان في الشام، فقَدِم بعد رجوع رسول الله ﷺ من بدر، فكلّم رسول الله ﷺ في سهمه، فقال: «لك سهم»، قال: وأجري؟ قال: «وأجرك»، فقيل: كان في الشام تاجرًا، وقيل: بل أرسله رسول الله ﷺ ومعه سعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسّسان الأخبار ثم رجعا إلى المدينة، وهذا أصحّ؛ ولولا ذلك لم يطلب سهمه وأجره، وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان، وأبلى يوم أُحد بلاءً عظيمًا، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه واتّقى عنه النَّبْل بيده حتى شُلَّت أصبعه وضرب ضربة على رأسه وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى صعد الصخرة.

أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء الأصبهاني إجازةً بإسناده إلى أبي بكر بن أبي عاصم، حدّثنا الحسن بن عليّ، حدّثنا سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، أخبرني أبي، عن جدّي، عن موسى بن طلحة، عن

....

أبيه طلحة، قال: سمّاني رسول الله ﷺ يوم أُحد طلحة الخير، ويوم العَسرة طلحة الفياض، ويوم حُنين طلحة الجود.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الشافعي وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى قال أبو سعيد الأشج: حدّثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحٰق، عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أُحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبيّ ﷺ حتى استوى على الصخرة، قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوجب طلحة»، قال: وحدّثنا أبو سعيد الأشجّ، حدّثنا أبو عبد الرحمٰن بن منصور العنزي اسمه النّضر، عن عقبة بن علقمة اليشكري، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: سَمِعَت أذني رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنّة».

أخبرنا أبو بكر ممشاد بن عمر بن العويس البنّاء، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي غالب الطلابة، أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الحسين الأنماطي، أخبرنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا عبد الله بن محمد البغوي، حدّثنا داود بن رشيد، حدّثنا مكّيّ بن إبراهيم، حدّثنا الصّلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله».

أخبرنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الطبري بإسناده عن أبي يعلى، عن أبي كُرَيْب، حدّثنا يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيىٰ، عن موسى وعيسى ابني طلحة، عن أبيهما أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابيّ جاء يسأله عمّن قضى نحبه مَنْ هو؟ قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطّلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «أين السّائل عمّن قضى نحبه»؟ قال الأعرابيّ: أنا يا رسول الله، قال: «هذا مَنْ قضى نحبه». وقُتِل طلحة يوم الجمل، وكان شهد ذلك اليوم محاربًا لعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، فزعم

....

بعض أهل العلم أن عليًا دعاه، فذكره أشياء من سوابقه على ما قال للزبير، فرجع عن قتاله، واعتزل في بعض الصفوف، فرُمِيَ بسهم في رجله، وقيل: إنّ السَّهم أصاب ثغرة نحره، فمات. رماه مروان بن الحكم.

رَوى عبد الرحمٰن بن مهدي، عن حماد بن زيد، عن يحيىٰ بن سعيد، قال: قال طلحة يوم الجمل:

ندمت ندامة الكسعيّ لما شربت رضى بني جرم برغمي

اللّهمّ خذ لعثمان مني حتى يرضى، وإنما قال ذلك لأنّه كان شديدًا على عثمان رضي الله تعالى عنهما. وقال عليّ: لمّا بلغه مسير طلحة والزبير وعائشة منيت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأكثر الناس غنًى يعلى بن منبه، والله ما أنكروا عليّ شيئًا منكرًا ولا استأثرت بمال ولا مِلت بهوى، وإنهم يطلبون حقًّا تركوه، ودمًا سفكوه، ولقد ولّوه دوني، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه، وما تبعة عثمان إلا عندهم بايعوني ونكثوا بيعتي، وما استبانوا فيّ حتى يعرفوا جوري من عدلي، وإني لراضٍ بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم، وإني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم فاقبلوه، فالتوبة مقبولة والحقّ أوْلى ما انصرف إليه، وإن أبَوْا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافيًا من باطل وناصرًا.

ورُوِيَ عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة وعثمان والزُّبير ممّن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٧].

وكان سبب قتل طلحة أنّ مروان بن الحكم رماه بسهم في ركبته، فجعلوا إذا أمسكوا فم الجرح انتفخت رجله، وإذا تركوه جرى، فقال: دعوه، فإنما هو سهمٌ أرسله الله تعالى، فمات منه. وقال مروان: لا أطلب بثأري بعد اليوم، والتفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيتك بعض قَتَلة أبيك. ودُفِن إلى جانب الكلا، وكانت وقعة الجمل لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين، وكان عمره ستّين سنة، وقيل: اثنتان وستّون سنة، وقيل: أربع وستّون سنة، وكان آدم حسن الوجه

....

كثير الشّعر ليس بالجعد القطط ولا السبط، وكان لا يغيّر شيبه، وقيل: كان أبيض يضرب إلى الحُمرة، مربوعًا إلى القصر أقرب، رحب الصدر، عريض المنكبين، إذا التفت التفت جميعًا، ضخم القدمين. قال الشعبي: لمّا قُتِل طلحة ورآه عليّ مقتولًا جعل يمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيزٌ عليّ أبا محمد أن أراك مجندلًا تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري، وترحّم عليه، وقال: ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى هو وأصحابه عليه، وسمع عليّ رجلًا ينشد:

فتى كان يُدْنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فقال: ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله رحمه الله. قال سفيان بن عُيَيْنة: كانت غلّة طلحة كل يوم ألفًا وافيًا. قال الواقدي: والوافي وزنه وزن الدينار هي وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغليّة.

وروى حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أبيه أنّ رجلًا رأى في منامه أن طلحة بن عبيد الله قال: حوّلوني عن قبري، فقد آذاني الماء، ثم رآه أيضًا حتى رآه ثلاث ليال، فأتى ابن عباس فأخبره فنظروا فإذا شقّه الذي يلي الأرض قد اخضرّ من نزّ الماء، فحوّلوه، فكأني أنظر إلى الكافور في عينيه لم يتغيّر إلا عقيصته، فإنها مالت عن موضعها، فاشتروا له دارًا من دور أبي بكر بعشرة آلاف درهم، فدفنوه فيها.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أخبرنا أبو الخطّاب بن نضر إجازةً إنْ لم يكن سماعًا، حدّثنا محمد بن أحمد بن رزق، حدّثنا مكرم بن أحمد القاضي، حدّثنا سعيد بن محمد أبو عثمان الأنجدابي، حدّثنا إبراهيم بن الفضل بن أبي سويد، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا عليّ بن زيد، عن سعيد بن المسيّب أنّ رجلًا كان يقع في عليّ وطلحة والزبير، فجعل سعد بن مالك ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى فقام سعد فصلّى ركعتين ثمّ قال: اللّهمّ إنْ كان مسخطًا لك فيما يقول فأرني فيه آفة واجعله للناس آية، فخرج الرجل فإذا هو ببختيّ يشق الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله، فأنا رأيت الناس

....

يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحٰق أُجيبت دعوتك، أخرجه الثلاثة[١].اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

رُوِيَ لطلحة عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثًا، واتّفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة.اهـ.

قوله: (والزبير) بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ القرشيّ الأسديّ، يُكنى أبا عبد الله، أُمّه صفية بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمّة رسول الله ﷺ وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبيّ، وكانت أُمّه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطّلب، واكتنى هو بأبي عبد الله بابنه عبد الله، فغلبت عليه وأسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، قاله هشام بن عروة. وقال عروة: أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة، رواه أبو الأسود عن عروة. وروى هشام بن عروة عن أبيه أنّ الزبير أسلم وهو ابن ستّ عشرة سنة، وقيل: أسلم وهو ابن ثماني سنين، وكان إسلامه بعد أبي بكر رضي الله تعالى عنه بيسير، كان رابعًا أو خامسًا في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، لما آخى بين المهاجرين بمكّة، فلمّا قدم المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن وقش.

أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن أبي حبّة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبي، أخبرنا زكرياء بن عدي، أخبرنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن مروان ولا إخاله يتّهم علينا قال: أصاب عثمان الرعاف سنة الرعاف حتى تخلّف عن الحجّ وأوصى فدخل عليه رجل من قريش، فقال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم، قال: مَنْ هو؟ قال: فسكت، ثم دخل عليه رجل آخر فقال مثل ما قال الأول وردّ عليه نحو ذلك، قال: فقال عثمان: الزبير بن العوام؟ قال: نعم، قال: أمَا والذي نفسي بيده إنْ كان لأخيرهم ما علمت وأحبّهم إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) أي: ب د ع، ١٢.

....

أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن عبيد الله وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، قال: حدّثنا هناد، أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قُرَيْظة، فقال: «بأبي وأمّي».

قال: وأخبرنا أبو عيسى، أخبرنا أحمد بن منيع، أخبرنا معاوية بن عمر، وأخبرنا زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبيٍّ حواريًّا، وحواريّ الزبير بن العوام»، ورُوِي عن جابر نحوه، وقال أبو نعيم: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب لمّا قال: «مَنْ يأتينا بخبر القوم؟» قال الزبير: أنا، قالها ثلاثًا، والزبير يقول: أنا. قال: وأخبرنا أبو عيسى، أخبرنا قتيبة، أخبرنا حمّاد بن زيد، عن صخر بن جُويرية، عن هشام بن عروة، قال: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال: ما مني عضو إلّا قد جُرِح مع رسول الله ﷺ، حتى انتهى ذلك إلى فرجه، وكان الزبير أوّل مَنْ سلَّ سيفًا في الله عزّ وجلّ، وكان سبب ذلك أنَ المسلمين لمّا كانوا مع النبيّ ﷺ بمكّة وقع الخبر أن النبيّ ﷺ قد أخذه الكفار، فأقبل الزبير يشقّ الناس بسيفه والنبيّ ﷺ بأعلى مكّة، فقال له: «ما لك يا زبير؟» قال: أُخبرتُ أنك أُخِذْت، فصلّى عليه النبيّ ﷺ ودعا له ولسيفه، وسمع ابن عمر رجلًا يقول: أنا ابن الحواري، قال: إن كنت ابن الزبير، وإلّا فلا. وشَهِد الزبير بدرًا، وكان عليه عمامة صفراء معتجرًا بها، فيقال: إنّ الملائكة نزلت يومئذ على سيما الزُّبير، وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ أُحدًا والخندق والحُديبية وخيبر والفتح وحُنَيْنًا والطائف، وشَهِد فتح مصر وجعله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في الستّة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: هم الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة.

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقيّ، قال: أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل بن فارس القيسيّ، أخبرنا أبو القاسم

....

علّي بن محمد بن عليّ المصيصيّ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أخبرنا أبو خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة، أخبرنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، أخبرنا محمد بن الصباح، أخبرنا إسماعيل بن زكرياء، عن النضر أبي عمر الجزاز، عن عكرمة، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ لمّا انتفض حراء قال: «اسكن حراء، فما عليك إلا نبيّ وصدّيق وشهيد»، وكان عليه النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن وسعد وسعيد بن زيد.

أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب بإسناده، عن عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، أخبرنا سفيان، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير بن العوام، عن أبيه قال: لمّا نزلت ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: الآية ٨]، قال الزبير: يا رسول الله، وأيّ النعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: «أمَا إنه سيكون»، قيل: كان للزبير ألف مملوك يؤدّون إليه الخراج، فما يدخل إلى بيته منها درهمًا واحدًا، كان يتصدّق بذلك كلّه، ومدحه حسان ففضّله على الجميع، فقال:

أقام على عهد النبيّ وهَدْيه ... حواريه والقول بالفعل يَعْدِلُ
أقامَ على منهاجه وطريقه ... يوالي وليّ الحقّ والحقّ أعدل
هو الفارس الشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم محجل
وإنّ امرءًا كانت صفيّة أُمّه ... ومن أسد في بيته لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة ... ومن نصرة الإسلام مجدٌ مؤثّل
فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويُجْزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها ... بأبيض سباق إلى الموت يرفل
فما مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر ما دام يذبل

وقال هشام بن عروة: أوصى إلى الزبير سبعة من أصحاب النبيّ ﷺ، منهم: عثمان، وعبد الرحمٰن بن عوف، والمقداد، وابن مسعود وغيرهم، وكان يحفظ

....

على أولادهم مالهم ويُنفق عليهم من ماله، وشهد الزبير الجمل مقاتلًا لعليّ، فناداه عليّ ودعاه، فانفرد به وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فنظر إليّ وضحك وضحكت، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال: ليس بمزه، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم، فذكر الزبير ذلك، فانصرف عن القتال، فنزل بوادي السباع، وقام يصلّي، فأتاه ابن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى عليّ فقال: إنّ هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله ﷺ، ثم قال: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار، وكان قتله يوم الخميس لعشرٍ خلون من جمادى الأُولى من سنة ستّ وثلاثين، وقيل: إنّ ابن جرموز استأذن على عليّ فلم يأذن له، وقال للآذن: بشّره بالنار، فقال:

أتيت عليًّا برأس الزبير ... أرجو لديه به الزلفة

فبشّر بالنار إذ جئته ... فبِئْس البشارة والتحفة

وسيّان عندي قتل الزبير ... وضرطة عنز بذي الجحفة

وقيل: إن الزبير لما فارق الحرب وبلغ صفوان أتى إنسان إلى الأحنف بن قيس، فقال: هذا الزبير لقد لقي بصفوان، فقال الأحنف: ما شاء الله كان قد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف، ثم يلحق بيته وأهله، فسمعه ابن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن غواة من تميم، فركبوا فأتاه ابن جرموز من خلفه فطعنه طعنة خفيفة وحمل عليه الزبير وهو على فرس له يقال له ذو الخمار، حتى إذا ظنّ أنه قاتله نادى صاحبه، فحملوا عليه فقتلوه، وكان عمره لمّا قُتِل سبعًا وستّين سنة، وقيل: ستًّا وستين سنة، وكان أسمر ربعة، معتدل اللّحم، خفيف اللّحية، وكثير من الناس يقولون: إن ابن جرموز قتل نفسه لمّا قال عليّ: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار، وليس كذلك، وإنما عاش بعد ذلك حتى وُلّي مصعب بن الزبير البصرة، فاختفى ابن جرموز، فقال مصعب: ليخرج فهو آمن أيظنّ أني أقيّده بأبي عبد الله، يعني أباه الزبير، ليس سواء، فظهرت المعجزة بأنه من أهل النار لأنه قتل الزبير رضي الله تعالى عنه، وقد فارق المعركة وهذه معجزة ظاهرة، أخرجه الثلاثة. اهـ.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ **(حال مَن «هم» في** ﴿صُدُورِهِم﴾ **والعامل فيها معنى الإضافة)** ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ لما هو وسيلة إلى هذا الفوز العظيم وهو الإيمان (﴿وَمَا كُنَّا﴾) «ما كنا» بغير «واو»: **(شامي على أنها جملة موضحة)** للأولى ﴿لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ **(اللام لتوكيد النفي)** أي وما كان يصح أن نكون

قوله: (حال مَن هم في ﴿صُدُورِهِم﴾**)** لما تقرّر من أن انتصاب الحال من المضاف إليه جائز إذا كان المضاف جزء من المضاف إليه. **قوله: (والعامل فيها معنى الإضافة)**، هكذا ذكره أبو البقاء. وفي إعراب السمين: لا كما ذكره أبو البقاء من أنّ العامل هو معنى الإضافة، بل العامل في الحال هو العامل في المضاف، وإنْ كانت الحال ليست منه؛ لأنهما لمّا كانا متضايفين وكانا مع ذلك شيئًا واحدًا ساغ ذلك. اهـ. وقال العلّامة شيخ زاده: ويكون العامل في الحال هو العامل في المضاف، وجاز ذلك، وإنْ لم يكن الحال من هيئات المضاف بناءً على أن المضاف والمضاف إليه لمّا كانا بمنزلة شيء واحد صارت هيئة المضاف إليه كأنها من هيئات المضاف، قال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وذلك أنّ أهل الجنّة لمّا انتهوا إلى باب الجنّة إذا هم بشجرة ينبع من أصل ساقها عينان، فيميلون إلى إحداهما فيشربون منها، فيخرج الله منهم ما كان في أجوافهم من غلّ وقذر فيطهّر أجوافهم بذلك، وهو الشراب الطهور المذكور في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: الآية ٢١]، ثم يميلون إلى العين الأخرى فيغتسلون منها، فيطيّب الله تعالى أجسامهم من كل دَرَن، وجرت عليهم النضرة؛ فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغيّر وجوههم ولا تشحب، أي لا تتغيّر أجسادهم، ثم يبشّرهم خَزَنة الجنّة قبل أن يدخلوها فيُنادونهم أنّ تلك الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون، فلما استقرّوا في منازلهم، قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] أي لدينه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]. اهـ.

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا﴾**)** بغير واو **(شامي)** أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بإثباتها. **قوله: (على أنها جملة موضحة)** أي جارية مجرى التفسير؛ لقوله: ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وكمال اتّصال إحدى الجملتين بالأخرى يمنع العطف. **قوله: (اللام لتوكيد النفي)** اختيار لمذهب الكوفيّين، فإنّهم ذهبوا في مثله إلى أنّ

مهتدين لولا هداية الله، وجواب «لولا» محذوف (**دلّ عليه ما قبله** ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾) فكان لطفًا لنا وتنبيهًا على الاهتداء فاهدينا، يقولون ذلك سرورًا بما نالوا وإظهارًا لما اعتقدوا ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ «أن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة. والهاء ضمير الشأن، (**أو بمعنى**) أي كأنه قيل لهم تلكم الجنة ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ (**أعطيتموها**) وهو حال من ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ والعامل فيها ما في ﴿تِلْكُمُ﴾ من معنى الإشارة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سمّاها ميراثًا لأنها لا تستحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خالصة. وقال

لام الجحود مع ما بعدها واقعة موقع خبر كان، ويزعمون أنّ الفعل المنصوب بعد اللام لا بإضمار أن بعد اللام، وأنّ اللام زائدة لتأكيد النفي، وعند البصريّين: خبر كان محذوف، ولام الجحود متعلّق بذلك الخبر المحذوف، وينتصب الفعل الواقع بعد اللام بإضمار أن، والتقدير: وما كنّا مريدين للاهتداء لولا هداية الله لنا موجودة، وتقدير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] وما كان الله مريدًا لإضاعة إيمانكم، أي أعمالكم، التي هي ثمرات إيمانكم. **قوله: (دلّ عليه ما قبله)** وهو ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾ [الأعرَاف: الآية ٤٣]، والتقدير: ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا.

قوله: (﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾) جواب قسم مقدّر والباء في قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعرَاف: الآية ٤٣] يجوز أن تكون للتعدّية، وأن تكون للحال، أي جاؤوا ملتبسين بالحقّ. **قوله: (أو بمعنى)** أي لأن المناداة من القول.

قوله: (أعطيتموها) يعني أن الميراث مجاز عن الإعطاء، فإن قيل: هذه الآية تدلّ على أن العبد يدخل الجنّة بعمله، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام: «لن يدخل أحدكم الجنّة بعمله، وإنما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله»، فما وجه التوفيق بينهما؟ فالجواب: أنّ العمل لا يوجب دخول الجنّة لذاته، وإنما يوجبه من حيث إنّ الله تعالى جعله بفضله علامة عليه ووعد بذلك في مقابلته، ولمّا كان الموفّق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنّة في الحقيقة ليس إلّا بفضل الله تعالى.

(الشيخ أبو منصور) رحمه الله: إن المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحًا عليه السلام وأهل الجنة والنار و(إبليس)، لأنه قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: الآية ٩٣] وقال (نوحًا) عليه السلام: (﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾) [هود: الآية ٣٤]، وقال أهل الجنة: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وقال أهل النار: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١] وقال (إبليس ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾).

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، كان من كبار العلماء، كان يقال له إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبيّ، وكتاب بيان وَهْم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى. مات رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، وكذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن علي الحنفي ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمه الله. اهـ الجواهر المضيئة.

قوله: (نوحًا) اسم أعجمي، والمشهور صرفه، وقيل: يجوز صرفه وترك صرفه، قال الإمام الثعلبي في كتابه العرايس: هو نوح بن ملك بن متوشلح بن أخْنُوخَ بن يَرْد بن مهلائيل بن قينان بن أنُوش بن شيث بن آدم على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. أرسله الله تعالى في ولد قابيل ومَنْ تابعهم مِنْ ولد شيث، قال ابن عباس: وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صِباحًا وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحًا وفي رجالهنّ دمامًا، فكثرت الفاحشة في أولاد قابيل، وكانوا قد كثروا في طول الأزمان وأكثروا الفساد، فأرسل الله تعالى إليهم نوحًا على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز ويحذّرهم ويخوّفهم، فلم ينزجروا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح: الآيتان ٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ [النجم: الآية ٥٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات:

....

الآية ٤٦]، ولما طال دعاؤه لهم وإيذاؤهم له وتماديهم في غيِّهم سأل الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلّا مَنْ قد آمن، فلما أُخبر أنه لم يبقَ في الأصلاب ولا في الأرحام مؤمن دعا عليهم، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نُوح: الآية ٢٦] إلى آخرها، فأمره الله تعالى باتّخاذ السفينة، فقال: يا ربّ، وأين الخشب؟ فقال: اغرس الشجر، فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة، وكفّ عن الدعاء عليهم وأعقم الله أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد، فلمّا أدرك الشجر أمره الله تعالى بقطعه وتجفيفه وصنعه الفلك، وأعلمه كيف يصنعه وجعل بابه في جَنْبه، وكان طول السفينة ثمانين ذراعًا وعرضها خمسين وسَمْكها إلى السماء ثلاثين ذراعًا، والذراع إلى المنكب. وعن ابن عباس: أنّ طولها ستّمائة وستّون ذراعًا، وعرضها ثلاثمائة وثلاثون ذراعًا، وسمكها ثلاثة وثلاثون ذراعًا، وأمر الله تعالى أن يحمل فيها مِنْ كل زوجين اثنين من الحيوان وحشرها الله تعالى إليه من البرّ والبحر. قال مجاهد وغيره: كان التنّور الذي ابتدأ الفوران منه في الكوفة، ومنها ركب نوح السفينة. وقال مقاتل: هو بالشام بقرية يقال لها عَيْن الوَرْدة قريب من بعلبك. وعن ابن عباس: أنه بالهند، قالوا: وأوّل ما حمل في السفينة من الدواب الذرة، وآخره الحمار، وجعل السّباع والدواب في الطبقة السفلى، والوحوش في الطبقة الثانية، والذرّ والآدميّين في الطبعة العليا. قيل: كان الآدميُّون الذين في السفينة سبعة: نوح وبنوه سام وحام ويافث وأزواج بنيه، وقيل: ثمانية، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان وسبعون، وقيل: ثمانون من الرجال والنساء، حكاه ابن عباس. وعن ابن عباس: أنّ الماء ارتفع حين سارت السفينة على أطول جبل من الأرض خمسة عشر ذراعًا، قال: وطافت السفينة بأهلها الأرض كلّها في ستّة أشهر، ثم استقرَّت على الجوديّ وهو جبل بأرض الموصل، وكان ركوبهم السفينة لعشرٍ خلون من رجب ونزلوا منها يوم عاشوراء من المحرم، وبنى هو ومَنْ معه في السفينة حين نزلوا البناء بتاقردى من أرض الجزيرة، ولمّا حضرته الوفاة وصّى إلى ابنه سام، وكان سام قد وُلِد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، ويقال: إنه كان بكره، وقيل: كان نوح أطول الأنبياء عمرًا، ولم ينقص له قوّة والناس بعده من ذرّيته، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٧٧].

....

قوله: (إبليس) عدوّ الله، قال الجوهري وغيره: كنيته أبو مُرّة، واختلف العلماء في أنه من الملائكة مِنْ طائفة يقال لهم: الجنّ أم ليس من الملائكة، وفي أنه اسم عربيّ أم عجميّ، والصحيح أنه من الملائكة، وأنه عجميّ. قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سُمِّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى، أي آيس والمبلس المكتئب الحزين الآيِس، قال: وعلى هذا هو عربيّ مشتق، قالَ: وقال ابن الأنباريّ: لا يجوز أن يكون مشتقًا من أبْلَس؛ لأنه لو كان مشتقًّا لصرف كما أن إسحٰق إذا كان عربيًّا مأخوذًا من أسحقه الله إسحٰقًا انصرف، فلو كان إبليس مشتقّ لصرف كإكليل وبابه، فلما لم يصرف دلّ على أنه عجميّ، والعجميّ ليس مشتقًّا.

وقال ابن جرير: إنما لم يُصرف، وإن كان عربيًا لقلّة نظيره في كلام العرب فشبّهوه بالأعجميّ، وهذا الذي قاله ابن جرير يبطل بباب إفعيل، فإنه مصروف كلّه إلا إبليس، قال الواحديّ: والاختيار أنه ليس بمشتقّ لإجماع النحويّين على أنه مُنِع الصرف للعجمة والمعرفة، قال: واختلفوا في أنه من الملائكة، فرُوِيَ عن طاوس ومجاهد عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، وكان اسمه عزازيل، فلما عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا وسمّاه إبليس، وبهذا قال ابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريج وابن جرير، واختاره الزجاج وابن الأنباريّ، قالوا: وهو مستثنى من جنس المستثنى منه، قالوا: وقول الله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠] أي طائفة من الملائكة يقال لهم: الجنّ، وقال الحسن وعبد الرحمٰن بن زيد وشَهْر[(١)] بن حَوْشب: ما كان من الملائكة قطّ، والاستثناء منقطع والمعنى عندهم أنّ الملائكة وإبليس أُمروا بالسجود، فأطاعت الملائكة إلا إبليس الأمْرَ بالسجود، والصحيح أنه من الملائكة لأنه لم يُنقل أن غير الملائكة أُمِر بالسجود، والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المُستثنى منه، والله أعلم. وأما إنظاره إلى يوم الدِّين؛ فزيادة في عقوبته وتكثير معاصيه وعواتبه نسأل الله الكريم اللّطف وخاتمة الخير.

---

(١) بفتح الشين وسكون هاء وراء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾ «أن» مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقّٗا﴾ حال ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾ من العذاب ﴿حَقّٗا﴾ وتقديره وعدكم ربكم فحذف «كم» لدلالة ﴿وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ عليه. وإنما قالوا لهم ذلك (**شماتة**) بأصحاب النار واعترافًا بنعَم الله تعالى ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ (**وبكسر العين**) حيث كان: (**عليّ**) ﴿فَأَذَّنَ

قوله: (﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾)، أي إغواءكم وجواب الشرط دلّ عليه ولا ينفعكم نصحي.اهـ جلالين. **قوله**: (﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾) أضللتني، أي فبسبب إغوائك إيّاي والباء يتعلّق بفعل القسم المحذوف، وتقديره: فبسبب إغوائك نقسم أو تكون الباء للقسم، أي فأقسم بإغوائك.

قوله: (**شماتة**) وهي الفرح ببلية العدوّ، فإنّ أصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين ويعيّرونهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطفّفين: الآية ٢٩] إلى قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المطفّفين: الآية ٣٤] تشفيًا لقلوبهم وزيادة تعذيب للكفار. قيل: في وجه تيسر المناداة والمكالمة بين أهل الجنّة والنار أن الجنّة عالية وجهنّم سافلة متسفّلة، فيكون أهل الجنّة مشرفين على أهل النار مع أن بُعْد ما بين الجنّة لا يعلم مقداره إلّا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصّافات: الآية ٥٥]، فأمكن لهم تقريع أهل النار وتحسيرهم بقولهم: هل وجدتم ما وعد ربّكم من سعادة مَنْ أطاعه وعقوبة مَنْ عصاه، فإنّ كل واحد منهما كان يحزنهم أشدّ الحزن ويُوقعهم في الحسرة، فأطلق عليه الوعد؛ لأنه يستعمل في الخير والشرّ، مع أنّ بعضه هو الخير الجليل في حقِّ المؤمنين. **قوله**: (**وبكسر العين**) حيث كان (عليّ) الكسائي، والباقون بالفتح وهما لغتان لما رُوِي أنّ عمر رضي الله تعالى عنه سأل قومًا على شيء، فقالوا: نعم بفتح العين، فقال: إنما النّعم الإبل، قالوا: نعم بكسر العين والفتح لغة أهل الحجاز وعامّة العرب.

﴿مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ نادى منادٍ وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ («أنّ لعنة» مكيّ وشاميّ) وحمزة وعلي.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مفعول ثانٍ لـ «يبغون» أي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾ بالدار الآخرة ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ (وَبَيْنَهُمَا)﴾ وبين الجنة والنار أو بين الفريقين ﴿حِجَابٌ﴾ وهو السور

قوله: (أنّ لعنة) بتشديد أن ونصب التاء، **(مكّيّ)** أي ابن كثير المكّي برواية البزيّ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذن المكّي برواية البزيّ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذن المكّيّ يُكنى أبا الحسن ويُعرف بالبزيّ، توفي بمكّة بعد سنة أربعين ومائتين، واختلف عن قنبل، وهو محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرحة المكّي يُكنى أبا عمرو ويلقّب قنبلًا وتوفي بمكّة بعد سنة ثمانين ومائتين، وهو يروي القراءة عن ابن كثير المكّي، فروى عنه بإسكان النون مخفّفة ورفع لعنة وبتشديد النون ونصب لعنة، **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشامي وحمزة وعليّ الكسائيّ. والباقون بتخفيف النون ورفع التاء.

قوله: (﴿وَبَيْنَهُمَا﴾)... الخ. اختلف الناس في حقّية الأعراف، وهذه الآيات ناطقة بها، وهو المختار عندنا، ومعنى الآية: وبينهما، أي بين الجنّة والنار، أو بين أهلهما حجاب مضروب، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد: الآية ١٣]. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] أي أعراف الحجاب، يعني أعاليه رجال يعرفون كلّاً من أصحاب الجنّة والنار بسيماهم، أي بعلامة منهم مثل بياض الوجوه أو سوادها بالإلهام أو التعليم، وهؤلاء الرجال إمّا أعالي المسلمين أو أدانيهم.

وقال الإمام الزاهد: إن الأعراف تلّ من المسك الأبيض، وعليه رجال يشهدون في سبيل الله أو يموتون في طلب العلم من غير رضاء الوالدين فيُحبسون بشومة العقوق عن دخول الجنّة إلّا بعد مدّة. وقال ابن مسعود: هم قوم اسْتَوت

المذكور في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: الآية ١٣] ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ على

حسناتهم وسيّئاتهم، فلا يُسرعون إلى الجنّة والنار. وقال صاحب المدارك: رجالٌ من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولًا في الجنّة لاستواء حسناتهم وسيّئاتهم، أو مَنْ لم يَرْضَ عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين. وقال الخيالي أيضًا: إن أهلها قيل الذين ماتوا في زمان فترة من الرُّسل، أو أطفال المشركين، أو مَنِ اسْتوى حسناته مع سيّئاته. وقال القاضي: طائفة من الموحّدين قصَّروا في العمل، فيُحبسون بين الجنّة والنار، حتى يقضي الله فيهم ما يشاء. وقيل: قومٌ علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء وخيار المؤمنين وعلمائهم، أو الملائكة يُرَوْن في صورة الرجال. وفي الحسيني عن الشعبي: أنهم عبّاس وحمزة وعليّ وجعفر الطيَّار رضي الله تعالى عنهم، وعلى كل حال فهو حقّ بلا شبهة لا يَشُكّ فيها إلّا منافق، واعترف بها صاحب الكشاف أيضًا مع أنه من المعتزلة، غاية الأمر أنها ليست دار القرار والخلد. ثم قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦]، أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة بالتسليم والتحيّة، ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنّة مع طمعهم إيّاها أن كان أهلها مِنْ أصاغر أهل الجنّة، أو لم يدخل أصحاب الجنّة الجنّة الآن مع طمعهم أن كان المراد به أفاضلهم؛ فعلى الأوّل حال من الفاعل، أعني الواو. وعلى الثاني من المفعول، أعني الأصحاب على ما في البيضاوي، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] أي أبصار أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار، قالوا: نعوذ بالله ربّنا ﴿لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧]، وفيه إشارة إلى أن صارفًا يصرف أبصارهم بإذن الله لينظروا فيستعيذوا ويوبّخوا. وقال الإمام الزاهد: إنّ الملائكة يصرفون أبصارهم بإذن الله تعالى، وإنه دليلٌ على استجابة دعاء المؤمن يوم القيامة، فكيف لا يُستجاب في الدنيا. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨]، أعني الكَفَرة الذين يستحقرون في الدنيا فقراء المؤمنين، ويظنّون أنهم يدخلون الجنّة للأموال دون الفقراء المؤمنين، فقالوا لهم ما أغنى عنكم يا أيها الكفرة جمعكم، أي اجتماعكم وكثرتكم أو جمعكم المال، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨] عن الحقّ أو الخلق، أهؤلاء الفقراء المؤمنون الذين أقسمتم في الدنيا في شأنهم أنهم لا ينالهم

أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار (وهي) أعاليه جمع عرف، استعير من (عُرف الفرس وعُرف الديك) ﴿رِجَالٌ﴾ من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولًا في الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم، أو مَن لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من زمرة السعداء والأشقياء ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم. قيل: سيما المؤمنين بياض الوجوه (ونضارتها). وسيما الكافرين سواد الوجوه و(زرقة العيون) ﴿وَنَادَوْا﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أنه سلام أو أي سلام وهو تهنئة منهم لأهل الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي أصحاب الأعراف ولا محل له لأنه استئناف كأن سائلًا سأل أصحاب الأعراف فقيل: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها أوله محل وهو صفة لـ ﴿رِجَالٌ﴾.

الله برحمة، ثم التفتوا إلى الفقراء المؤمنين، فقالوا لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]، وهذا على أن يكون أهل الأعراف أراذلهم، وقيل؛ لما عيّر أصحاب الأعراف أهل النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنّة، فقال الله تعالى وبعض الملائكة لهم: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]، ادخلوا يا أهل الأعراف الجنّة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]؛ هذا كلّه ذُكِر في البيضاوي خاصّة. وفي الحسيني: أنّ فقراء المؤمنين بلال وصهيب وعمار وغيرهم، وأنّ الكفار المتكبّرين: أبو جهل وعاص بن وليد وغيرهم، هذا ما فيه.اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (وهي) أي الأعراف. **قوله:** (عُرف الفرس وعُرف الدِّيك) في المصباح: عُرف الدِّيك لحمة مستطيلة في أعلى رأسه يشبه به بَظْر الجارية، وعُرْف الدابّة الشعر النابت في محدّب رقبتها.اهـ. وأيضًا فيه الدّيك ذكر الدجاج، والجمع ديوك ودِيَكة، وزان عنبة.اهـ. وأيضًا فيه البظر لحمة بين شفري المرأة، وهي القلفة التي تقطع في الختان، والجمع بظور وأبظر مثل فلس وفلوس وأفلس، والجمع أشفار.اهـ. **قوله:** (نضارتها) في المصباح: نضر الوجه بالضمّ نضارة حسن، فهو نضير.اهـ. **قوله:** (زرقة العيون) في المصباح: الزّرقة من الألوان والذكر أزرق، والأنثى زرقاء، والجمع زرق مثل أحمر وحمراء وحمر، ويقال للماء الصافي أزرق، والفعل زرق من باب تعب.اهـ.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أبصار أصحاب الأعراف، وفيه أن صارفًا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ﴿تِلْقَآءَ﴾ ظرف أي ناحية ﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ ورأوا ما هم فيه من العذاب ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فاستعاذوا بالله و(فزعوا إلى رحمته) أن لا يجعلهم معهم ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من رؤوس الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم واجتماعكم و«ما» نافية ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبر مبتدأ مضمر تقديره أهؤلاء هم الذين ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم في الدنيا، والمشار إليهم فقراء المؤمنين (كصهيب وسلمان الفارسي) ونحوهما ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ جواب ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ وهو داخل في صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أي لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم. فيقال لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ وذلك بعد أن نظروا إلى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

قوله: (فزعوا إلى رحمته) في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزع أي ملجأ. اهـ.

قوله: (كصهيب) بن سنان، أبو يحيىٰ الرومي، أصله من النَّمر، يقال: كان اسمه عبد الملك، وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة عليّ، وقيل غير ذلك. اهـ تقريب.

قوله: (وسلمان الفارسي) بكسر الراء وتسكن، الصحابي أوّل مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلّف عن مشهد بعدها، وكان من فُضَلاء الصحابة وزهّادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، ونقلوا اتّفاق العلماء على أنّ

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ أن مفسرة. وفيه دليل على أن الجنة فوق النار ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ **(من غيره)** من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة، أو أريد: أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة **(كقولك)**:

علفتها تبنًا وماءًا باردًا

سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: أدرك وصيّ[1] عيسى ابن مريم. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. توفي بالمدائن في أوّل ستّ وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين.

قوله: (من غيره) من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة، فإنّ الأصل في الإفاضة أن تُستعمل في الماء وما يجري مجراه من المائعات، فلمّا عطف ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠] على قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠] بكلمة أو كان المطلوب إفاضة أحد الأمرين اللذين يتعلق بهما فعل الإفاضة، فناسب أن يحمل ما رزقكم على المرزوق الكائن من جنس الأشربة، وإن حمل على ما هو من جنس الأطعمة يكون الكلام من قبيل ما حُذِف فيه المعطوف مع بقاء العاطف، ويكون التقدير: أفيضوا علينا شيئًا يسيرًا من الماء، وألقوا علينا شيئًا يسيرًا ممّا رزقكم الله من الطعام والفاكهة، ومثله كثير في كلام العرب. **قوله: (كقولك)** وفي نسخة صحيحة: كقوله:

علفتها تبنًا وماءً باردًا

أي علفتها تبنًا وأسقيتها ماءً باردًا، وضمير علفتها للدابّة، وتمامه:

حتى شتت هَمالةً عيناها

وشتت يُروى له بدله بدت، ومعناهما واحد، هكذا في الإسعاف. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: يقال: شتوت بموضع كذا إذا أقمت به في

---

(١) وفي الإصابة في معرفة الصحابة يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقيل: بل أدرك وصيّ عيسى، انتهى. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة قال أبو نعيم كان سلمان من المعمّرين، يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقرأ الكتابين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أي وسقيتها. وإنما سألوا ذلك مع يأسهم عن الإجابة لأن المتحيّر ينطق بما يفيد وبما لا يفيد ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هو تحريم منع كما في (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾) [القصص: الآية ١٢] وتقف هنا إن رفعت أو نصبت ما بعده ذمًّا، وإن جررته وصفًا للكافرين فلا.

د﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرموا وأحلّوا ما شاءوا أو دينهم: عيدهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ اغترّوا بطول البقاء ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نتركهم في العذاب ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (**أي كنسيانهم وجحودهم**).

الشتاء. اهـ. وهمالة من هملت العين إذا صبّت دمعها ونصبه على التمييز، والبيت من الرجز. قال العيني في شواهده الكبرى: هو مشهور بين العوامّ، ولم أرَ مَنْ عزاه وكذا رواه النحّاة قاطبةً وسائر المُحَشِّين، وكذا العلّامة الشيرازي والفاضل اليمني وأوردوا صدره في الذاريات عجزًا وأنشد صدرًا له غيره، هكذا:

لما حطّطت الرحل عنها واردًا   علفتها تبنًا وماءً باردًا

قوله: (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾) تحريم مَنْع لا تحريم شرع، أي منعناه أن يرضع ثديًا غير ثدي أُمّه، فكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمّهم ذلك، والمراضع جمع مرضع، وهي المرأة التي تُرضع، أو جمع مرضع وهو موضع الرّضاع، يعني الثدي، أو الرضاع، كذا أورده المصنّف رحمة الله عليه في تفسير سورة القصص.

قوله: (**أي كنسيانهم وجحودهم**) إشارة إلى أن كلمة ما في قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ [الأعراف: الآية ٥١] مصدريّة مجرورة المحل عطفًا على أختها المجرورة بالكاف التي هي محل النصب على أنّها صفة مصدر محذوف، أي ننساهم كنسيانهم لقاء يومهم هذا، وكونهم منكرين أنّ الآيات من عند الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾ ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ **(عالمين)** بكيفية تفصيل أحكامه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حال من منصوب ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ كما أن ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال من مرفوعة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوه وأعرضوا عنه ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي تبين وصح أنهم جاءوا بالحق فأقرّوا حين لا ينفعهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ جواب الاستفهام ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ **(جملة معطوفة على جملة قبلها داخلة معها)** في حكم الاستفهام كأنه قيل: فهل لنا من شفعاء، أو هل نرد؟ **(ورافعه)** وقوعه موقعًا يصلح للاسم كقولك **(ابتداء)** «هل

قوله: (عالمين) يعني أن على علم حال من فصلنا، ونكر علمًا للتعظيم. **قوله:** (جملة معطوفة على جملة قبلها)، وهي قوله: ﴿لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الأعراف: الآية ٥٣]، وهي مبتدأ وخبر ومن زائدة؛ لأن الكلام منفيّ معنى.اهـ. وإن لزم عطف الجملة الفعلية على الاسميّة على أن هل يستدعي الفعليّة، كأنه عطف الفعلية على مثلها، وفائدة العدول إظهار القصد إلى توخّي الشفعاء، وأنه أهمّ شيء عنه، قال صاحب المفتاح: هل ادّعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون أدخل في الإنباء عن استدعاء المقام عدم التجدّد، ومن ثمّ أدخل من الاستغراقيّة على الشفعاء.اهـ ط.اهـ محشي رحمه الله. **قوله:** (داخلة) صفة بعد صفة (معها) أي الجملة الأولى.اهـ محشي رحمه الله. **قوله:** (ورافعه)... الخ. وهو إشارة إلى أن العامل في رفع المضارع معنوي، وهو ما ذكره.اهـ محشي. **قوله:** (ابتداء) يعني ابتداء في الكلام؛ لأن الابتداء صالح لأن يقع فيه الاسم والفعل المضارع، وأما الماضي لما انتفى استحقاقه الأعراف انتفى ما هو مبنيٌّ عليه، وهو استحقاقه الرفع.اهـ. ط.اهـ. محشي رحمه الله.

يضرب زيد»، أو عطف على تقدير: هل يشفع لنا شافع أو هل نرد ﴿فَنَعْمَلَ﴾ جواب الاستفهام أيضًا ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ ما كانوا يعبدونه من الأصنام.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أراد السمٰوات والأرض وما بينهما وقد فصلها في «حم السجدة» أي من الأحد إلى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئًا فشيئًا، وللإعلام بالتأني في الأمور، ولأن لكل عمل يومًا، ولأن إنشاء شيء بعد شيء أدلّ على عالم مدبر مريد يصرّفه على اختياره ويجريه على مشيئته ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليًا على جميع المخلوقات، لأن العرش أعظمها وأعلاها. وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل، لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان، لأن التغير من صفات الأكوان. والمنقول عن **(الصادق)** و**(الحسن**

قوله: (الصادق) أي جعفر بن محمد الصادق، هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الهاشمي المدني الصادق، أُمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه. روى عن أبيه والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. روى عنه محمد بن إسحٰق ويحيىٰ الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيىٰ القطّان وآخرون، واتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته. قال عمرو بن أبي المِقْدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيّين. قال البخاري رحمة الله عليه في تاريخه: وُلِد جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة رحمه الله. **قوله: (الحسن)** هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاري، أدرك من

وأبي حنيفة ومالك) ﷺ، أن الاستواء معلوم، والتكييف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والجحود له كفر، والسؤال عنه بدعة. ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ («يغشي») (حمزة وعلي وأبو بكر). أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ حال من الليل أي سريعًا. والطالب هو الليل كأنه لسرعة مضيّه يطلب النهار ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ أي وخلق الشمس والقمر والنجوم ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ حال أي مذللات (﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ شاميّ) ﴿وَٱلشَّمْسَ﴾ (مبتدأ والباقية معطوفة عليها والخبر ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾) ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ هو أمر تكوين. ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي هو الذي خلق الأشياء وله الأمر ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ كثر خيره أو دام برّه (من البركة النّماء) أو من البروك الثبات ومنه البركة ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رحمه الله. **قوله:** (وأبي حنيفة) هو الإمام البارع النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة رحمه الله. **قوله:** (ومالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر الأصبحي، أبي عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتّقين وكبير المثبتين. مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة رحمه الله. **قوله:** («يغشي») بفتح الغين وتشديد الشين من غشي المضاعف (حمزة وعليّ) الكسائي (وأبو بكر) عن عاصم. والباقون بسكون الغين وتخفيف الشين من أَغشى. **قوله:** (﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾) برفع الشمس وما عطف عليها، ورفع مسخّرات (شاميّ) أي ابن عامر الشامي، والشمس (مبتدأ والباقية معطوفة عليها والخبر ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾)، وقرأ الباقون بالنصب، والنصب في مسخرات بالكسرة، فوجهه أنه عطف على السمٰوات، ومسخّرات حال من هذه المفاعيل. **قوله:** (من البركة النّماء) أو من البروك الثّبات، ومنه البركة. في مختار الصِّحاح: البِرْكة[1] الحوض، والجمع البُرَك. قيل: سمّيت بذلك لإقامة الماء فيها، وكل شيء ثبت وأقام فقد بَرَك، والبَرَكة النّماء والزيادة. اهـ.

---

(١) بركة الماء معروفة، والجمع بُرَك، مثل سِدْرة وسُدَر. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ نصب على الحال أي ذوي تضرّع وخفية، والتضرّع تفعل من الضراعة وهي (**الذل**) أي تذللًا و(**تملقًا**). قال ﷺ: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا إنه حكم أينما كنتم». عن (**الحسن**): بين دعوة السر والعلانية سبعون (**ضعفًا**). ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره. وعن (**ابن جريج**): الرافعين أصواتهم بالدعاء. وعنه: الصياح في الدعاء مكروه وبدعة. وقيل: هو (**الإسهاب**)

قوله: (الذُّلّ) في مختار الصِّحاح: الذُّلّ ضدّ العزّ، وقد ذلّ يَذِلّ ـ بالكسر ـ ذُلًا وذِلَّة ومَذَلَّة فهو ذليل وهم أذِلّاء وأذِلّة والذِّل ـ بالكسر ـ اللّين وهو ضدّ الصعوبة، يقال: دابّة ذلول بيِّنة الذِّلّ، وهنّ دواب ذُلُل وأذِلّة وتذلّل له أي خضع. اهـ باختصار. **قوله: (تملّقًا)** في مختار الصِّحاح: تملّقه وتملّق له تملّقًا وتِمْلاقًا ـ بالكسر ـ أي تودّد إليه وتلطّف به. اهـ. **قوله: (الحسن)** البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله: (ضعفًا)** أي مثلًا، أي من الثواب.

قوله: (ابن جريج) وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيم مكرّرة الأُولى مضمومة، القريشي الأُمويّ وهو من تابعي التابعين، سمع طاوسًا وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي مليكة ونافعًا مولى ابن عمر ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري والزهري وخلائق من التابعين وغيرهم. روى عنه الأنصاري وهو شيخه تابعيّ، والأوزاعي والثوري وابن عُيَيْنة واللّيث وابن عليّة ويحيىٰ القطّان والأُمويّ ووكيع وخلائق لا يحصون. قال أحمد بن حنبل: أوّل مَنْ صنّف الكتب ابن جريج، وقال عبد الرزّاق: كنت إذا رأيت ابن جريج يصلّي علمت أنه يخشى الله عزّ وجلّ، وأقوال أهل العلم من السلف والخلف والثناء عليه وذِكْر مناقبه أكثر من أن تُحصر. توفي سنة خمسين ومائة، وهذا قول الأكثرين، وقيل: سنة إحدى وخمسين. وقيل: تسع وأربعين، وقيل: سنة ستّين، وقد جاوز المائة رحمه الله.

قوله: (الإسهاب) أي الإطناب. اهـ محشي رحمه الله. وفي مختار الصّحاح: أسهب أكثر الكلام، فهو مُسْهَب ـ بفتح الهاء ـ ولا يقال بكسر الهاء، وهو نادر. اهـ. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب:

في الدعاء. (وعن النبيّ ﷺ): «سيكون قوم (يعتدون) في الدعاء، وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» ثم قرأ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ أي بالمعصية بعد الطاعة، أو بالشرك بعد التوحيد، أو بالظلم بعد العدل ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ حالان أي خائفين من الرد طامعين في الإجابة، أو من النيران وفي الجنان، أو من الفراق وفي التلاق، أو من غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية، أو من العدل وفي الفضل ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (ذكر قريب) على تأويل الرحمة بالرحم أو

الإسهاب معناه الإفراط في التطويل، وفي رفع الصوت بالدعاء اختلاف، منهم مَنْ كرهه مطلقًا، ومنهم مَنْ قَبِله مطلقًا، ومنهم مَنْ فضّل، فقال: عند موت الرياء الإخفاء أفضل، فإن لم يخفه فالإظهار أفضل، وفي الانتصاف حسبك في تعيين الإسرار في الدعاء اقترانه بالتضرّع في الآية؛ فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء، وإنّ دعاء لا تضرّع ولا خشوع فيه لقليل الجدوى، وكذا ما لا يصحبه الوقار وكثيرًا ما ترى الناس يعتمدون الصياح في الدعاء خصوصًا في الجوامع ولا يدرون أنهم جمعوا بين بدعتين: رفع الصوت في الدعاء وفي المسجد، وربما حصلت للعوامّ حينئذ رقّة لا تحصل مع الخفض، وهي شبيهة بالرقّة الحاصلة للنساء والأطفال خارجة عن السنّة وسمت السلف الوارد في الآثار. اهـ. **قوله:** (وعن النبيّ ﷺ)... الخ. رواه أبو داود وأحمد في مسنده. **قوله:** (يعتدون) أي يجاوزون.

قوله: (ذكر قريب) مع أن القاعدة في فعيل بمعنى فاعل أن لا يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، كما أن القاعدة في فعيل بمعنى مفعول أن يستويا فيه وقريب بمعنى فاعل أُسند إلى ضمير المؤنّث وهي الرحمة، فينبغي أن تلحق به علامة التأنيث إلّا أنه ذكر لتأويل الرحمة بالرحم ـ بضم الراء وسكون الحاء وضمّهما بمعنى الرحمة ـ قال تعالى: ﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾ [الكهف: الآية ٨١].

الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب، **(أو على تشبيهه لفعيل الذي هو بمعنى مفعول)**، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، أو للإضافة إلى المذكر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ **(«الريح» مكيّ وحمزة وعلي)** ﴿بُشْرًۢا﴾ **(«نشرًا» حمزة وعلي)**. مصدر نشر، وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرًا، وإما على الحال أي منشورات (﴿بُشْرًۢا﴾ **عاصم تخفيف** «بشرًا») جمع

قوله: (أو على تشبيهه لفعيل الذي بمعنى مفعول) فإنه يستوي فيه المذكّر والمؤنث كجريح وأسير وقتيل، كما شبّه ذلك به، أي الفعيل الذي بمعنى مفعول بالفعيل الذي بمعنى فاعل، فقيل: قتلاء وأُسراء، أي فجمع قتيل وأسير على قتلاء وأُسراء. قال العلّامة التفتازاني رحمه الله: من القاعدة في فعيل بمعنى مفعول أن يستوي فيه المذكّر والمؤنث، وأن يجمع على فعلى كجَرْحَى وقتلى لا على فُعلاء، وفي الذي بمعنى فاعل أن لا يستوي فيه، وأن يجمع على فُعلاء ككرماء ورُحماء، فيجوز أن يكون الاستواء في القريب على التشبيه بما هو بمعنى مفعول، كما أن الجمع في قُتلاء وأُسراء على التشبيه بما هو بمعنى فاعل. اهـ. كما جمع كريم ورحيم على كُرماء ورُحماء، أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض بالنون والقاف والظاء المعجمة، وهو صوت المحامل والرحال، والضغيب وهو صوت الأرنب، والمصدر يلزمه الإفراد والتذكير في جميع الأحوال، فحُمل ما يوازنه عليه.

قوله: («**الريح**») بإسكان الياء التحتيّة ولا ألف بعدها على الإفراد **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وحمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بفتح الياء وألف بعدها على الجمع. **قوله:** («**نشرًا**») بالنون المفتوحة وسكون الشين **(حمزة وعليّ)** الكسائي. **قوله:** (﴿بُشْرًۢا﴾) بالباء الموحدة المضمومة وإسكان الشين **(عاصم تخفيف بشرًا)**

«بشير»، لأن الرياح تبشر بالمطر («**نشر» شامي تخفيف «نشرًا»**) كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع «نشور» أي ناشرة للمطر ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجلّ النعم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت ورفعت، واشتقاق الإقلال من القلّة لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلًا ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالماء جمع سحابة ﴿سُقْنَٰهُ﴾ الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلًا ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ - ميت - لأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه (﴿مَّيِّتٍ﴾ **مدني وحمزة وعلي وحفص**) ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ بالسحاب أو بالسوق وكذلك ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيؤديكم التذكر إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين، لأن كل واحد منهما إعادة الشيء بعد إنشائه.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الأرض الطيبة الترب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بتيسيره وهو موضع الحال كأنه قيل: يخرج نباتة حسنًا وافيًا لأنه واقع في مقابلة ﴿نَكِدًا﴾ ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ صفة للبلد أي والبلد الخبيث ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ أي نباته فحذف للاكتفاء ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن (**ينجع**) فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر، وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر مثل المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التصريف ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نرددها ونكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها.

بضمّتين. **قوله: (نشر)** بالنون مضمومة وإسكان الشين (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**تخفيف نشرًا**) بضمّتين. **قوله:** (﴿مَّيِّتٍ﴾) بتشديد الياء التحتية (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وحمزة وعليّ وحفص**) عن عاصم، والباقون بالتخفيف.

قوله: (**ينجع**) أي يؤثر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف أي والله لقد أرسلنا ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارًا، وهو (نوح بن لمك) بن (متوشلخ) بن أخنوخ وهو اسم إدريس عليه السلام ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ («غيره» علي. فالرفع على المحل كأنه قيل: ما لكم إلـه غيره فلا تعبدوا معه غيره، والجرّ على اللفظ) ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي الأشراف و(السادة) ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي بين في ذهاب عن طريق الصواب، والرؤية رؤية القلب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ ولم يقل ضلال كما قالوا (لأن الضلالة أخصّ من الضلال) فكانت أبلغ في نفي

قوله: (نوح بن لمك) ـ بفتحتين ـ ولامك كهاجر أبو نوح على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسّلام. **قوله:** (متوشلخ) بوزن المفعول في المشهور، وقيل: هو بفتح الميم وضمّ المثناة الفوقية المشدّدة وسكون الواو وشين معجمة ولام مفتوحة ثم خاء معجمة. **قوله:** («غيره») بخفض الراء وكسر الهاء بعدها (عليّ) الكسائي، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. والباقون برفع الراء وضمّ الهاء على النعت أو البدل من موضع إلـه لأن مَنْ مزيدة فيه وموضعه رفع إمّا بالابتداء أو بالفاعلية، كما قال المصنف: (فالرفع على المحل، كأنه قيل: ما لكم إلـه غيره فلا تعبدوا معه غيره، والجرّ على اللّفظ) أي على النعت أو البدل من إلـه لفظًا.

قوله: (السادة) جمع سيّد. **قوله:** (لأن الضلالة أخص من الضلال) يعني أنهما وإن جاءا في اللغة بمعنًى واحد، كالمِلال والمَلالة، إلّا أن مقابلة الضلالة بالضلال ونفيها عند قصد المبالغة في الهداية يدلّ على أنّ المراد به المرّة والتاء للوحدة فيكون بعضًا من جنس الضّلال، (وهو الفرد الواحد) ويأوّل معناه إلى أقلّ ما يُطلق عليه اسم الضلال، وهذا معنى كونه أخصّ ولا يبعد تفسيره بالأقلّ فردًا،

الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال. (ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة، فقال): ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأن كونه رسولًا من الله مبلغًا لرسالاته في معنى كونه على الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى.

وظاهر أنّ نفيه أبلغ من نفي الجنس المحتمل للكثرة. **قوله**: (ثم استدرك لتأكيد نفي الضَلالة، فقال)... الخ. في الكشاف: فإن قلت: كيف وقع قوله: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾ [الأعراف: الآية ٦١] استدراكًا للانتفاء عن الضلالة؟ قلت: كونه رسولًا من الله مبلّغًا رسالاته ناصحًا في معنى كونه على الصّراط المستقيم، فصحّ لذلك أن يكون استدراكًا للانتفاء عن الضّلالة، فقيل عليه معنى الاستدراك أن يقع للمخالف في الجملة السابقة وَهْم، فيتدارك ذلك الوَهْم بإزالته، فلمّا نفى الضلالة عن نفسه، فربَّما يُتوهّم المخاطَب انتفاء الرسالة أيضًا كما انتفى الضلالة، فاستدركه بلكن كما في قولك: زيد ليس بفقيه لكنه طبيب. وأمّا جوابه بأنّ إثبات الرسالة في معنى الاهتداء، وإثبات الاهتداء استدراك لنفي الضلالة، ففيه بعد؛ لأنه لما نفى الضلالة لم يذهب وَهْم وَاهم إلى نفي الاهتداء أيضًا حتى يحتاج إلى تداركه، ويمكن أن يقال: إذا لم يسلك طريقًا فلا اهتداء ولا ضلال، وقال النّحرير متعقّبًا له: إنْ كان القصد إلى مجرّد كون لكن يتوسّط بين كلامَيْن متغايرَيْن نفيًا وإثباتًا، فوجه السؤال والجواب ظاهر. وأمّا إذا أُريد بالاستدراك رفع التوهّم الناشيء من الكلام السابق على ما هو المشهور، وعلى ما قاله المصنّف رحمه الله تعالى، معنى الاستدراك أنّ الجملة التيْ يسوقها أولًا يقع فيها وَهْم للمخاطب، فيتدارك ذلك الوَهْم بإزالته؛ كقولك: زيد ليس بفقيه ولكنه طبيب، ففي الكلام إشكال؛ لأن نفي الضلالة ليس مما يقع فيه نفي كونه رسولًا وعلى صراط مستقيم، وما في الكتاب غير وافٍ بحلّه، بل تَرْك ما ذكره من التأويل أوْلى؛ إذ يمكن ربما يتوهم المخاطَب عند نفي الضّلالة انتفاء الرّسالة أيضًا، لكن توهّم انتفاء الهداية مما لا وجه له؛ إذ من البعيد أن يقال: نفي الضلالة ربما يُوهم نفي سلوك الطريق المستقيم، وحيث لا سلوك لا هداية كما لا ضلالة، والظاهر أنّ المصنّف رحمه الله لم يقصد سوى أنه عند نفي أحد المتقابلين قد سبق الوهم إلى انتفاء المقابل الآخر لا إلى انتفاء الأُمور التي لا تعلّق لها به، فأوّل ما وقع في معرض الاستدراك بما يقابل الضلال، مثلًا يقال: زيد ليس بقائم لكنه قاعد، ولا يقال: لكنه شارب، إلا بعد التأويل بأن الشارب يكون

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ ما أوحي إليّ في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنظائر. («**أبلغكم**» **أبو عمرو**). وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ وأقصد صلاحكم بإخلاص. يقال نصحته ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة. وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في

قاعدًا، وقد قيل: إنّ القوم لما أثبتوا له الضلالة أرادوا به ترك دين الآباء ودعوى الرّسالة، فهو حين نفى الضلالة توهّم منه أنه على دين آبائه وترك دعوى الرسالة، فوقع الإخبار بأنه رسول وثابت على الصراط المستقيم استدراكًا لذلك، ولا خفاء في أنّ هذا ليس كلام الكتاب. اهـ. وما ذكره تحقيق بديع، لكن المذكور في العربية كما نقله صاحب المغني أنّ للنُّحاة في الاستدراك ولزومه لها قولين، فقيل: الاستدراك أن تُنسب لما بعدها حكمًا مخالفًا لما قبلها سواء تغايرا إثباتًا ونفيًا أوْ لا، وقيل: هو رفع ما يتوهّم ثبوته، وهو التحقيق كما يشهد به مَنْ تتبّع موارد الاستعمال، وما ذكره أوّلًا مخالف للقولين، إلّا أن يرجع إليه بضرب من التأويل. وقال بعض المتأخّرين من علماء الروم: النظر الصائب في الاستدراك هنا أن يكون مثل قوله: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم... الخ. وقوله:

سوى أنه الضِّرْغام لكنه الوبل

أي ليس بي ضلالة وعيب، لكني رسول من ربّ العالمين، فليتأمّل.

ومحصل كلام المصنّف رحمه الله تعالى أنها واقعة بين متغايرين بحسب التأويل، وهي تفيد التأكيد في مثله، كما صرّح به النحاة، فلا يرد السؤال الذي أورده بعضهم هنا، وهو فإن قيل: لا فائدة في الاستدراك؛ لأن نفي الضلالة يستلزم الهدى. قلنا: المراد من الهدى الهداية الكاملة، ونفي الضلالة لا يستلزمها إثبات. اهـ شهاب ﷺ. **قوله**: («**أبلغكم**»)[1] بإسكان الباء وتخفيف اللام (**أبو عمرو**) البصري، والباقون بفتح الباء وتشديد اللام.

---

(١) ينقل بلغ إلى باب الأفعال. ١٢ منه عمّ فيضهم.

صدق العناية ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين.

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم ﴿أَن جَاءَكُمْ﴾ من أن جاءكم ﴿ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ على لسان رجل منكم أي من جنسكم، وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوّة نوح عليه السلام ويقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ليحذركم عاقبة الكفر ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فنسبوه إلى الكذب ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وكانوا أربعين رجلًا وأربعين امرأة وقيل تسعة: بنوه (**سام وحام ويافث**)، وستة ممن آمن به ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ يتعلق بمن معه كأنه قيل: والذين صحبوه في الفلك ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق. يقال: أعمى في البصر و(**عم**) في البصيرة.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ وأرسلنا إلى عاد وهو عطف على ﴿نُوحًا﴾ ﴿أَخَاهُمْ﴾ (**واحدًا منهم**) من قولك: «يا أخا العرب» للواحد منهم. وإنما جعل واحدًا منهم

قوله: (سام وحام ويافث) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة. **قوله:** (عم) أصله عَمْي على وزن خضر فأُعِلَّ كإعلال قاض، قال أهل اللغة: يقال: رجل عم.

قوله: (واحدًا منهم) أي من قبيلة عاد، وعاد في الأصل اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسُمِّيت به القبيلة، واتّفقوا على أنّ هودًا ما كان أخاهم في الدِّين، واختلفوا في أنه هل كانت هناك قرابة أوْ لا؟ قال الكلبي: إنه كان واحدًا من تلك القبيلة، وقال آخرون: إنه ما كان من تلك القبيلة إلّا أنه لمّا كان من جملة بني آدم لا من الملائكة والجنّ نسب إليهم بالأخوة،

(لأنهم عن رجل منهم أفهم) فكانت الحجة عليهم ألزم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان لـ ﴿أَخَاهُمْ﴾ وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ **(وإنما لم يقل ﴿فَقَالَ﴾ كما في قصة نوح** عليه السلام) لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقيل: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

وكذلك ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح **(لأن في أشراف قوم هود من آمن به)** منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف، ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن ﴿إِنَّا

والمعنى أنّا بعثنا إلى عاد واحدًا من جنسهم وهو البشر ليكون أنسهم به وفهمهم كلامه أكمل، قيل: إنّ هود اسم عربي وفيه بحث؛ لأنه حُكِي أنّ أهل اليمن تزعم أن يَعرُب بن قحطان بن هود هو أوّل مَنْ تكلّم بالعربية، وبه سمّيت العرب عربًا، فعلى هذا يكون هود أعجميًا اسم رجل، وإنما صُرِف لما ذكر في أخواته من نحو لوط ونوح. **قوله: (لأنهم عن رجل منهم أفهم)** عن رجل متعلّق بما في أفعل التفضيل من أصل الفعل وهو الفهم، ومنهم صفة رجل، ومن التفضيلية محذوفة. والمعنى أنهم أشدّ فهمًا لكلام صدر **عن** رجل هو من أفرادهم منهم لكلام صدر عن رجل ليس منهم.

قوله: (وإنما لم يقل، ﴿فَقَالَ﴾ كما في قصة نوح) على نبيّنا **(وعليه السلام)**... الخ. إشارة إلى الفرق بين ما ذُكِر من قصة نوح وهود على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام، حيث قيل في الأول، فقال: وفي الثاني قال بغير عاطف، وهو أنه أُشير في الأوّل إلى أن دعوة نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لم تتأخر عن إرساله، وأنه باشر الدّعوة قبيل الإرسال، وفي الثاني جعل الكلام جواب سائل. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (لأن في أشراف قوم هود من آمن به)... الخ. **فعلى هذا** ما ورد في سورة المؤمنين: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٤]... الخ.

﴿لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ في خفة (حلم) و(سخافة) عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر. وجعلت السفاهة ظرفًا مجازًا (يعني أنه متمكن فيها غير منفك عنها) ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادعائك الرسالة.

في وصف نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام محمول على أنه هناك للذمّ لا للتمييز، وإنما لم يذمّ هٰهنا للإشارة إلى التفرقة بين قوم نوح وقوم هود على نبيِّنا وعليهما الصّلاة والسلام، ولو حمل الوصف على الذمّ هنا وفرّق بأن مقتضى المقام ذمّ قوم هود لشدَّة عنادهم؛ لقولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٦] مع كونه معروفًا بينهم بالحلم والرشد، وذمّ قوم نوح في سورة المؤمنون لعنادهم لقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ٢٤، ٢٥] لِمَا فيه من فرط العناد، ثم إنه قيل: إنّ الظاهر أنّ ما نُقِل هنا عن قوم نوح صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلّم مقالتهم في مجلس أو مقالة بعضهم، وما نُقِل في سورة المؤمنون مقالتهم في مجلسٍ آخر أو مقالة بعض آخر، فرُوعِيَ في المقامَيْن مقتضى كلّ من المقالتَيْن، ثم إنّ شدَّة عناد مَنْ عاند مِنْ قوم هود صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلم لا تنافي قرب جملتهم من جملة قوم نوح، حيث آمَنَ بعض أشرافهم دون أشراف قوم نوح صلّى الله تعالى على نبيِّنا وعليه وسلّم، فإن قلت: قوله: إذا كان من أشراف قومه مَنْ آمن يقتضي أنّ قوم نوح على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام ليسوا كذلك، وهو ينافي قوله في تفسير قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [هُود: الآية ٥٨] أنه آمن معه أربعون رجلًا وأربعون امرأة، وقوله تعالى: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هُود: الآية ٣٦]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هُود: الآية ٤٠]. قلت: هؤلاء لم يكونوا من السادات كما هو المعتاد في أتباع الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، وقيل: إنه وقت مخاطبة نوح صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلّم لقومه لم يكونوا آمنوا بخلاف قوم هود ومثله يحتاج إلى النقل. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (حِلْم) بالكسر بمعنى العقل. **قوله:** (سخافة) بالفتح بمعنى رقّة العقل. **قوله:** (يعني أنه متمكّن فيها غير منفكّ عنها) حيث لم يقل سفيهًا وجعله متمكّنًا فيها تمكّن الظرف في المظروف.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

ما أدعوكم إليه ﴿أَمِينٌ﴾ على ما أقول لكم. وإنما قال هنا ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ لقولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي ليقابل الاسم الاسم، وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام مَن ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضلّ الناس وأسفههم، أدب حسن وخلق عظيم، وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضّون عنهم ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي خلفتموهم في الأرض أو في مساكنهم. و«إذ» مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم ﴿مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ طولًا وامتدادًا فكان أقصرهم ستين ذراعًا **(وأطولهم مائة ذراع** ﴿بَصْۜطَةً﴾: **حجازي وعاصم وعلي)**

قوله: (وأطولهم مائة ذراع) قال المجلي رحمه الله في سورة الفجر: إنّ طويلهم كان أربعمائة ذراع. اهـ. والمراد بالأذرع في جميع الأقوال أذرعهم، وكان رأس الواحد منهم قدر القبّة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع[1]. اهـ من الخطيب. وعبارة الكاذروني في سورة الفجر: وكان طول الطويل منهم خمسمائة ذراع، وطول القصير ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه. اهـ. **قوله:** (﴿بَصْۜطَةً﴾) بالصاد **(حجازيّ)** إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّيّ **(وعاصم وعليّ)** الكسائي، والباقون بالسين. وعبارة الإتحاف في سورة البقرة: واختلف في ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة:

---

(١) وهي سَبُعٌ كالذئب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ في استخلافكم وبسطة (**أجرامكم**) وما سواهما من عطاياه. (**وواحد الآلاء**) «إلى» (**نحو** «**إنى**» و«**آناء**») ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

الآية ٢٤٥] هنا، و﴿فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ [الأعراف: الآية ٦٩] بالأعراف، فالدّوري عن أبي عمرو وهشام وخلف عن حمزة وكذا رُويس وخلف بالسين فيهما على الأصل، وأفقههم اليزيدي والحسن، واختلف عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد، فأمّا قنبل فابن مجاهد عنه بالسين، وابن شنبوذ عنه بالصاد. أمّا السوسي، فابن حبش عن ابن جرير عنه بالصاد فيهما، وكذا روى ابن جمهور عن السوسي، وروى سائر الناس عنه السين فيهما، وهو في الشاطبية وغيرها. وأمّا ابن ذكوان فالمطوعي عن الصوري والشذاي عن الرملي عن ابن ذكوان بالسين فيهما، وروى زيد والقباب عن الرمليّ وسائر أصحاب الأخفش عنه الصاد فيهما إلّا النقّاش، فإنه روى عنه السين هنا والصاد في الأعراف، وبه قرأ الداني على عبد العزيز بن محمد، وبالصاد فيهما قرأ على سائر شيوخه في رواية ابن ذكوان، ولم يذكر وجه السين فيهما عن الأخفش إلّا فيما ذكر، ولم يقع ذلك للداني تلاوةً، وكذا في النشر قال فيه: والعجب كيف عوّل عليه ـ أي على السين ـ الشاطبي، ولم يكن من طرقه، ولا من طرق التيسير، وعدل عن طريق النقّاش الذي لم يذكر في التيسير غيرها، وهذا الموضع مما خرج فيه عن التيسير وطرقه، فليُعلم. وأمّا حفص، فالوليّ عن الفيل وذرعان كلاهما عن عمرو عن حفص بالصاد فيهما، وروى عبيد عنه بالسين فيهما، ونصّ له على الوجهين المهدويّ وابن شريح وغيرهما. وأمّا خلّاد فابن الهيثم من طريق ابن ثابت عنه بالصاد فيهما، وروى ابن نصر عن ابن الهيثم والنقّاش عن ابن شاذان كلاهما عن خلّاد بالسين فيهما، وعن ابن محيصين الخلف فيهما أيضًا، والباقون بالصاد فيهما. قال أبو حاتم: وهما لغتان، ورسمهما بالصاد تنبيهًا على البدل. اهـ.

قوله: (أجرامكم) في المصباح: الجرم ـ بالكسر ـ الجسد، والجمع أجرام مثل حمل وأحمال. **قوله: (وواحد الآلاء)** إلَى ـ بكسر ففتح ـ مقصور كعنب وأعناب، أو بكسر الهمزة وسكون اللام كحمل وأحمال. **قوله: (نحو إنى وآناء)** في المصباح: **الأناء** على أفعال هي الأوقات، وفي **واحدها** لغتان إنى ـ بكسر الهمزة والقصر ـ وأنى وزان حمل. اهـ.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾

ومعنى المجيء في ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾ أن يكون لهود عَلَيْهِ السَّلَامُ مكان معتزل عن قومه (يتحنث) فيه كما يفعل رسول الله ﷺ (بحراء) قبل المبعث، فلما أُوحي إليه جاء قومه يدعوهم ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبًّا لما نشئوا عليه ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نازل بنا.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ﴾ أي قد نزل ﴿عَلَيۡكُم﴾ جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب إليك بعض المطالب «قد كان» ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌۖ﴾ سخط ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الألوهية ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾ حجة ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ ذلك.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ أي من آمن به ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ الدابر الأصل أو الكائن خلف الشيء، وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم

قوله: (يتحنث) أي يتعبّد. **قوله:** (بحراء) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وحُكي فتحها والقصر وهو مصروف إن أُريد المكان وممنوع إن أُريد البقعة، فهي أربعة: التذكير والتأنيث والمدّ والقصر، وكذا حكم قباء وقد نظم بعضهم أحكامهما في بيت فقال:

حـرا وقـبـا ذكـر وأنّـثـهـمـا مـعًـا وَمُدَّ أو قصر واصرفن وامنع الصرفا

وحِرا جبل بينه وبين مكّة نحو ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى.

عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ فائدة نفي الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خصّ المكذبين. وقصتهم أن عادًا قد تبسطوا في البلاد ما بين (عمان وحضرموت، وكانت لهم أصنام) يعبدونها (صُداء وصمود والهَباء)، فبعث الله إليهم هودًا فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين. وكانوا إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام (فأوفدوا إليه ـ قيل) ابن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد ـ وكان يكتم إيمانه بهود عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك (العماليق) أولاد عمليق بن لاوز بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر، فنزلوا عليه (بظاهر مكة) فقال لهم مرثد: لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدًا وخرجوا فقال قيل:

قوله: (عُمان) وزان غراب موضع باليمن وعمان فعال بالفتح والتشديد بلدة بطرف الشام من بلاد البلقاء. اهـ مصباح. **قوله**: (حضرموت) بُلَيْدة من اليمن بقرب عدن. اهـ مصباح. **قوله**: (وكانت لهم أصنام) يعبدونها. **قوله**: (صُداء) بالضم (وصمود) بالفتح (والهَباء) كافي شعر مرثد بن سعد بن عفير حيث قال لهم:

صنم يقال له صَمود   يقابله صُداء والهَباء

قوله: (فأوفدوا إليه)... الخ. في الخازن: فلمّا قحطت عاد وقلّ عنهم المطر، قالوا: أجهزوا منكم وفدًا إلى مكّة يستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم، فبعثوا قيل بن عِنْزٍ ونُعَيْم بن هَزال من هذيل، وعقيل بن صندين بن عاد الأكبر، ومَرْثَد بن سعد بن عفير، وكان مسلمًا يكتم إسلامه، وجهلمة بن الخيبري خال معاوية بن بَكر سيّد العماليق، ولقمان بن عاد؛ فانطلق كلّ رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه، فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلًا. اهـ. **قوله**: (قَيْل) ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ عَلَم وهو السيّد الذي يُسمع قوله، وأصله قيول وأُعِلَّ إعلال ميتُ وأطلق على كل ملك من حمير. **قوله**: (العَماليق)[1] في مختار الصِّحاح: العَمَاليق والعَمالقة قوم من ولد عِمْليق[2] بن إرم بن سام بن نوح على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسّلام، وهم أُمم تفرّقوا في البلاد. اهـ. **قوله**: (بظاهر مكّة)

---

(١) بفتح العين وكسر اللام. اهـ قنويّ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بكسر العين وسكون الميم وكسر اللام مع المدّ. اهـ قنوي. ١٢ منه عمّ فيضهم. وكقنديل. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

اللهم اسقِ عادًا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثًا بيضاء وحمراء وسوداء، ثم **(ناداه منادٍ من السماء)**: يا قيل اختر لنفسك ولقومك، فاختار السوداء على ظن أنها أكثر ماء فخرجت على عاد من وادٍ لهم فاستبشروا وقالوا: ﴿(هَٰذَا عَارِضٌ) مُّمْطِرُنَا﴾، فجاءتهم منها **(ريح عقيم)** فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وأرسلنا إلى ثمود. **(وقرىء)** ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودٍ﴾ بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر، ومنع الصرف بتأويل القبيلة، وقيل: سميت ثمود لقلّة مائها **(من الثمد)** وهو الماء القليل وكانت مساكنهم **(الحجر)** بين الحجاز والشام ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوّتي فكأنه قيل: ما هذه البينة؟ فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ وهذه إضافة تخصيص وتعظيم لأنها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم ﴿لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ حال من الناقة والعامل معنى الإشارة في ﴿هَٰذِهِۦ﴾ كأنه قيل: أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية وهي ثمود لأنهم عاينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم **(مؤنتها)** ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ ولا

خارجًا عن الحرم. اهـ. كشاف. **قوله: (ناداه منادٍ من السماء)**. . . الخ. قيل: كان كذلك يفعل الله مَنْ دعاه إذ ذاك. **قوله: (﴿هَٰذَا عَارِضٌ﴾)** أي سحاب عرض في أُفق السماء ﴿مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤]، أي ممطر إيانا. **قوله: (ريح عقيم)** لا مطر فيها.

وقوله: (وقرىء) قارئه الأعمش والحسن البصري ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودٍ﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] بكسر الدال منوّنة.

قوله: (من الثَّمْد) بسكون الميم وفتحها. **قوله: (الحجر)** ـ بكسر الحاء ـ اسم أرض معروف. **قوله: (مؤنتها)** في المصباح: المُؤْنة الثقل، وفيها لغات

تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها إكرامًا لآية الله ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ جواب النهي ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ ونزلكم، والمباءة المنزل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في أرض الحجر بين الحجاز والشام ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ غرفًا للصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ للشتاء، و﴿بُيُوتًا﴾ حال مقدرة نحو «خط هذا الثوب قميصًا» إذ الجبل لا يكون بيتًا في حال النحت ولا الثوب قميصًا في حال الخياطة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ رُوِيَ أن عادًا لما أهلكت **(عمرت)** ثمود بلادها **(وخلفوها)** في الأرض **(وعمروا)** أعمارًا طوالًا، فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات، وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم صالحًا وكانوا قومًا عربًا وصالح من أوسطهم نسبًا، فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم، فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة **(عشراء)** فصلّى ودعا

إحداها على فعولة بفتح الفاء وبهمزة مضمومة، والجمع مؤونات على لفظها، ومأنت القوم أمأنهم مهموز بفتحتين، واللغة الثانية مئنة بهمزة ساكنة. قال الشاعر:

أميرنا مؤنته خفيفة

والجمع مُؤَن، مثل غرفة وغُرف، والثالثة مونة بالواو، والجمع مُوَن، مثل سورة وسُوَر، يقال: منها مانه يمونه من باب قال. اهـ.

قوله: (عمرت) بتخفيف الميم من العمارة، ولا يجوز تشديدها إلّا إذا كانت من العمر. **قوله: (وخلفوها)** بتخفيف وفتح اللام، أي صاروا خلفًا عنهم. **قوله: (وعمّروا)** مجهول مشدّد الميم من العمر. **قوله: (عشراء)** كعلماء التي أتى عليها عشرة أشهر بعد طروق الفحل.

ربه (فتمخضت تمخض النتوج) بولدها فخرجت منها ناقة كما شاءوا فآمن به (جندع) ورهط من قومه.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ («وقال» شامي) ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ للذين استضعفهم رؤساء الكفار ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من «الذين استضعفوا» بإعادة الجار، وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان في تقدير إعادة العامل، والضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ راجع إلى قومه وهو يدلّ على أن استضعافهم كان مقصورًا على المؤمنين، أو إلى «الذين استضعفوا» وهو يدلّ على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قالوه على سبيل السخرية ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ وإنما صار هذا جوابًا لهم لأنهم سألوهم عن العلم بإرساله أمرًا معلومًا مسلمًا كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به لا شبهة فيه، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ فوضعوا ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ موضع أرسل به ردًا لما جعله المؤمنون معلومًا مسلمًا ﴿فَعَقَرُوا۟

قوله: (فتمخّضت) بالمعجمة أي تحرّكت (تمخض النتوج)[1] أي كحركة الحاملة بولدها. **قوله:** (جُنْدُع) بن عَمرو سيّد الثمود.

قوله: (وقال) بزيادة واو للعطف، قيل: قال (شامي) أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بغير واو اكتفاءً بالرّبط المعنوي.

---

(١) النّتوج: الناقة التي أدركت الوقت الذي تنتج فيه.اهـ شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ٱلنَّاقَةَ﴾ أسند العقر إلى جميعهم وإن كان العاقر (قدار) بن سالف لأنه كان برضاهم. وكان قدار أحمر أزرق قصيرًا كما كان فرعون كذلك. وقال ﷺ: «يا علي، أشقى الأولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك» ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح ﷺ من قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أو شأن ربهم وهو دينه ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾ في بلادهم أو مساكنهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ ميتين قعودًا. يقال: (الناس جثم) أي قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما عقروا الناقة ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ﴾ عند فراقه إياهم ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة (منيحة تدرأ) الفضيحة، ولكنها (وخيمة) تورث (السخيمة). رُوِيَ أن عقرهم الناقة كان (يوم الأربعاء) فقال صالح: تعيشون بعده ثلاثة أيام، تصفرّ وجوهكم أول يوم، وتحمرّ في الثاني، وتسود في الثالث، ويصيبكم العذاب في

قوله: (قدار) بضمّ القاف والذال المعجمة وفي آخره راء مهملة. اهـ كمالين. وذكره في تاج العروس من جواهر القاموس وغيره بالدال المهملة. **قوله:** (الناس جثم) في لسان العرب: جثم الإنسان والطائر والنّعامة والخِشْف والأرنب واليربوع يجثِمْ جَثْمًا وجُثُومًا فهو جاثم لزم مكانه، فلم يبرح، أي تلبَّدَ بالأرض، وقيل: هو أن يقع على صدره.

قوله: (منيحة) في المصباح: منحه منحًا من بابي نفع وضرب أعطيته، والاسم المنيحة. اهـ. **قوله:** (تدرأ) أي تدفع. **قوله:** (وخيمة) أي ثقيلة. **قوله:** (السّخيمة) الحِقْد والضغينة. **قوله:** (يوم الأربعاء) ممدود وهو بكسر الباء ولا نظير له في المفردات، وإنما يأتي وزنه في الجمع، وبعض بني أسد يفتح الباء، والضمّ لغة قليلة فيه. اهـ مصباح.

الرابع وكان كذلك. رُوِيَ أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي، فلما علم أنهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿(وَلُوطًا) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ أي واذكر لوطًا («وإذ» **بدل منه**) ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام: «سبقك بها (**عكاشة**)» ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ «من» زائدة

قوله: (﴿وَلُوطًا﴾)... الخ. وهو وإنْ كان واردًا في قصة لوط، ولكن قد عَلِمْنا من ضابطة الأُصول أنّ شرائع مَنْ قبلنا يلزمنا إذا قصّ الله ورسوله من غير إنكار، وهذا قد قصّ الله بها مِرارًا من غير إنكار، فيلزمنا؛ فيدلّ على حُرْمة اللّواطة، ولا حدّ فيها عندنا على أحد، ولكن يجب التعزير، فقيل: بالإحراق، وقيل: بالإغراق، وقيل: بالإلقاء من الأعلى وإتباع الأحجار من فوقه، وهكذا اختلف الصحابة فيه، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله: يجب فيها حدّ الزّنا؛ لأنها مثله في الحُرمة والشهوة وسفح الماء، ونحن نقول: إنه قياس في اللغة، وهو مردود وتفصيله في كتب الأُصول، وهكذا الحال في اللّواطة من الأجنبيّة. وأمّا اللّواطة من المنكوحة ومملوكته، فحكمها الحرمة عندنا بدون التعزير.اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله: (وإذ بدل منه)** أي بدل اشتمال.

قوله: (عُكاشة) بضمّ العين وتشديد الكاف وقد تخففت، وهو ابن محصن الأسدي ـ بكسر الميم ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنّة مِنْ أُمّتي زمرة هم سبعون ألفًا يضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»، فقام عكاشة بن محصن الأسدي، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ اجعله منهم»، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة»، والضمير للدعوة.اهـ تفتازاني رحمه الله. وقال العلّامة علي القاري في شرح المشكاة: لعلّ وجه الامتناع من الدعاء أن لا ينفتح هذا الباب المتفرّع عليه الاكتفاء. قال ابن الملك: لأنه لم يُؤْذَن له في المجلس بالدّعاء إلا الواحد، وفيه حثّ على المسارعة إلى الخيرات وطلب دعاء الصالحين؛ لأن في التأخير آفات. وقيل: كان الرجل منافقًا، فأجابه عليه

لتأكيد المنفي وإفادة معنى الاستغراق ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «من» للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولًا بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ ثم وبّخهم عليها فقال: أنتم أول من عملها.

السلام بكلام محتمل ولم يصرّح بأنك لست منهم لحسن خلقه، انتهى. وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحي، ولم يحصل ذلك للآخر. وقال القاضي عياض: إن الرجل الثاني لم يكن ممّن يستحق تلك المنزلة، ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة، وفي شرح الطيبي قال الشيخ: وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه قال في كتابه في الأسماء المبهمة، يقال: إنّ هذا الرجل هو سعد بن عبادة، فإنْ صحّ هذا بطل قول مَنْ زعم أنه منافق. اهـ. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرّة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي حليف بني عبد شمس، يُكنى أبا محصن، كان من سادات الصحابة وفُضلائهم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وانكسر في يده سيف فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا أو عودًا، فعاد في يده سيفًا يومئذ شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الردّة، وهو عنده، وكان ذلك السيف يسمّى العون، وشهد أُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وبشّره رسول الله ﷺ أنه ممّن يدخل الجنّة بغير حساب، وقُتِل في قتال أهل الردّة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه قتله طليحة[1] بن خويلد الأسدي الذي ادّعى النبوّة، قُتل هو وثابت[2] بن أقرم يوم بزاخة[3]، هذا قول أهل السِّيَر والتواريخ، وكان عكاشة يوم توفي النبيّ ﷺ ابن أربع وأربعين سنة، وكان من أجمل الرجال. روى عنه أبو هريرة وابن عباس أخرجه الثلاثة عكاشة ـ بتخفيف الكاف وتشديدها ـ وحرثان ـ بضم الحاء المهملة وسكون الراء وبالثاء المثلثة وبعد الألف نون ـ.

---

(١) قال في الإصابة: إن طُلَيْحة عاد إلى الإسلام. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) قتله طُليحة. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٣) بضمّ الباء وتخفيف الزاي وبالخاء المعجمة، موضع كانت به وقعة للمسلمين في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، كذا في لسان العرب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ ـ أئنكم لتأتون الرجال ـ بيان لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ والهمزة مثلها في ﴿أَتَأْتُونَ﴾ للإنكار. (﴿إِنَّكُمْ﴾) على الإخبار: (مدني وحفص). يقال: أتى المرأة إذا غشيها ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة، ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي لا من النساء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثَمَّ أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ أي لوطًا ومَن آمن معه يعني ما أجابوه بما يكون جوابًا عما كلّمهم به لوط من إنكار الفاحشة، ووصفهم بصفة الإسراف الذي هو أصل الشر، ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومَن معه من المؤمنين من قريتهم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يدَّعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما: عابوهم بما يتمدح به ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ ومَن يختصّ به من ذويه أو من المؤمنين ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من الباقين في العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل (سدوم)، ورُوِيَ أنها التفتت فأصابها حجر فماتت.

قوله: (﴿إِنَّكُمْ﴾) بهمزة واحدة على الإخبار (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (وحفص). والباقون بهمزتين على الاستفهام، فابن كثير ورُويس بتسهيل الثانية بلا ألف، وأبو عمرو بالتسهيل مع الألف. والباقون بالتخفيف بلا ألف، ولهشام وجهٌ ثانٍ وهو التحقيق مع الألف.

قوله: (سدوم) بفتح السين والدال مهملة ومعجمة، كما ذكره الأزهري وغيره قرية قوم لُوط، سُمِّيت باسم رجل. اهـ شهاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وأرسلنا عليهم نوعًا من المطر عجيبًا قالوا: أمطر الله عليهم الكبريت والنار. وقيل: خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم. وقال (أبو عبيدة): أمطر في العذاب ومطر في الرحمة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ وأرسلنا إلى مدين وهو اسم قبيلة ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه) وكانوا أهل

قوله: (أبو عبيدة) ـ بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره ـ مَعْمر ـ بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء ـ ابن المُثنّي ـ بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثنّاة من تحتها ـ بخلاف القاسم بن سلام، فإنه أبو عبيد بغير هاء، وكان أبو عبيدة معمر بن المثني من كبار أئمّة اللغة، وهو مذكور فيمن كان يعتقد مذهب الخوارج من أهل الأهواء، قال أبو منصور الأزهري في أوّل تهذيب اللغة: ذكر أبو عُبيد القاسم بن سلّام أن أبا عبيدة تَيْمي من تَيْم قريش، وأنه مولى لهم، قال: وكان أبو عبيد توثقه ويكتب الرواية عنه في كتبه، قال: ولأبي عبيدة كتب كثيرة في الصفات والغرائب، وكتب أيامَ العرب ووقائعها، وكان الغالب عليه الشعر والغريب وأخبار العرب، وكان مُخِلّاً بالنَّحو كثير الخطأ في مقاييس الإعراب، ومتهمًا في رأيه مقرّ بنشر مثالب العرب جامعًا لكل غِثّ وسمين، فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به، هذا كلام الأزهري. وقال الإمام أبو جعفر النحّاس في أوّل كتابه صناعة الكتاب: توفي أبو عبيدة سنة عشر ومائتين، ويقال: إحدى عشرة، وقد قارب المائة.

قوله: (يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا يقول:

(**بخس**) للمكاييل والموازين ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ (**أي معجزة**) وإن لم تذكر في القرآن ﴿فَأَوۡفُواْ

«ذاك خطيب الأنبياء» لحسن مراجعته قومه، والمراجعة مفاعلة من الرجوع، وهي مجاز عن المحاورة، يقال: راجعه القول، وإنما عنى النبيّ ﷺ ما ذكر في هذه السورة، كما يُعلم بالتأمّل فيه. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (بخس)** أي نقص. **قوله: (أي معجزة)** لأنه إنما أمَرَ قومه بعبادة الله تعالى ونهاهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته إليهم، فلا بدّ له أن يدّعي النبوّة، ومِنَ المعلوم أنّ مُدّعي النبوّة لا بدّ له من إظهار المعجزة، وإلا لكان متنبئًا؛ فهذه الآية دلَّت على أنه حصلت له معجزة دالّة على صدقه. وأمّا أن تلك المعجزة من أيّ الأنواع كانت، فليس في القرآن دلالة عليه كما لم يحصل في القرآن دلالة على كثير من معجزات نبيّنا ﷺ. قال صاحب الكشاف: ومِنْ معجزات شُعيب أنه حين دفع إلى موسى غنمه دفع إليه عصًا فتلك العصا صارت تنّينًا دافعًا عن غنمه، بأن ابتلعت التنين الكائن في المرعى، ومن معجزاته أيضًا ولادة الغنم الدُّرع خاصّة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها، والدرع ـ بضم الدال المهملة وسكون الراء والعين المهملتين ـ جمع أدرع، وهو من الخيل والشياه ما اسودّ رأسه وابيضّ سائر جسده، والأُنثى درعاء مثل أحمر حمراء حمر، ووقوع عصا آدم عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام على يده في المرّات السّبع وغير ذلك من الآيات، فهذه كلّها كانت قبل نبوّة موسى عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسلام، فكانت معجزات لشعيب على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام؛ لأن المعجزة ما يكون مسبوقًا بدعوى الرسالة، وهذا الكلام مبنيّ على أصل مختلف فيه بين أصحابنا وبين المعتزلة، وذلك أنه يجوز عندنا أن يظهر الله تعالى على يد مَنْ سيصير نبيًّا ورسولًا في المستقبل أنواع الخوارق، ويسمّى ذلك إرهاصًا، وعند المعتزلة: لا يجوز ذلك؛ فالأحوال التي حكاها صاحب الكشاف من قبيل الإرهاصات لنبوّة موسى عندنا، وعند المعتزلة: معجزات لشعيب لما أن الإرهاص لا يجوز عندهم، واعترض عليه بأنّ ما رُوِيَ من الأحوال متأخّر عن هذه المقالة، فكيف يصحّ من شعيب أن يقول في حقّها: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] بلفظ الماضي، وباحتمال كونها كرامة لموسى وإرهاصًا لنبوّته، بل هو المتعيّن لأنه قد رُوِي أنّ موسى عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام، إنما أدرك شعيبًا بعد

﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتموهما والمراد (﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ ووزن الميزان، أو يكون الميزان) كالميعاد (بمعنى المصدر) ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ ولا تنقصوا حقوقهم (بتطفيف) الكيل ونقصان الوزن، وكانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعتهم. «وبخس» يتعدى إلى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول: (بخست) زيدًا حقّه أي نقصته إياه ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء والأولياء. وإضافته كإضافة ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: الآية ٣٣] أي بل مكركم في الليل والنهار ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإنسانية وحسن (الأحدوثة) ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مصدقين لي في قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ بكل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ مَن آمن بشعيب بالعذاب ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن العبادة ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بالله وقيل: كانوا يقطعون الطرق. وقيل: كانوا (عشارين) ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ (وتطلبون لسبيل الله)

هلاك قومه؛ ولأن ذلك لم يكن في معرض التحدّي. **قوله:** (﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾) بمعنى المِكْيال (ووزن الميزان) بتقدير مضاف، هو مصدر (أو يكون الميزان) مصدرًا ميميًا بمعنى الوزن كالميعاد بمعنى الوعد، (بمعنى المصدر). **قوله:** (بتطفيف) أي نقص. **قوله:** (بخست) بابه قطع. **قوله:** (الأُحْدوثة) بوزن الأُعْجوبة ما يتحدّث به. اهـ مختار الصِّحاح. والأُحدوثة هٰهنا الذِّكر الجميل، وقد ورد ذلك في كلام العرب، وإنْ قال الرضا: إنها تختصّ بما لا يحسن، كما بيّناه في حواشيه. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (عشارين) في مختار الصِّحاح: عَشَرهم يَعْشُر بالضمّ عُشْرًا بضم العين أخذ عُشْرَ أموالهم، ومنه العاشر والعَشّار بالتشديد. اهـ. **قوله:** (وتطلبون لسبيل الله) إشارة إلى أنه على الحذف والإيصال.

﴿عِوَجًا﴾ أي تصفونها للناس بأنها سبيل (معوجة) غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها. ومحل ﴿تُوعِدُونَ﴾ وما عطف عليه النصب على الحال أي لا تقعدوا موعدين وصادّين عن سبيل الله وباغين عوجًا ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ «إذ» مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلًا (عددكم) ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ الله و(وفر) عددكم. وقيل: إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود ولوط عليهم السلام.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي بين الفريقين بأن ينصر المحقّين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم، أو هو (حثّ) للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم، أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار، والكافرون على ما يسوءهم من إيمان مَن آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه (الجور).

قوله: (مُعْوجة) في مختار الصِّحاح: اعْوَجّ الشيء اعوجاجًا فهو مُعْوَجّ بوزن مُحْمَرّ وعصًا مُعْوَجَّة أيضًا. اهـ. **قوله:** (عددكم) العدد ـ بالفتح ـ معروف وبالضم عدّة، وهو ما يُعَدّ للنوائب من مال وسلاح وغيره. **قوله:** (وفر) في لسان العرب: وفَر الشيء وَفْرًا وفِرَة ووفّره كثّره. اهـ.

قوله: (حثّ) في مختار الصِّحاح: حثّه على الشيء من باب ردّ واستحثّه، أي حضّه. اهـ. **قوله:** (الجور) في مختار الصِّحاح: الجَوْر المَيْل عن القصد وبابه قال يقول جار عن الطريق، وجار عليه في الحكم.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا: نعم. ثم قال شعيب: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملّتكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ خلصنا الله. فإن قلت: كيف قال شعيب ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ والكفر على الأنبياء عليهم السلام محال؟ قلت: أراد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئًا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ وما ينبغي لنا وما يصح ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ إلا أن يكون سبق في مشيئته أن نعود فيها إذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرّها ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز أي هو عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي احكم و(الفتاحة) الحكومة والقضاء بالحق بفتح الأمر المغلق فلذا سُمِي فتحًا، ويسمي أهل عمان القاضي فتاحًا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على

قوله: (الفتاحة) بالضمّ.

الإيفاء والتسوية. وجواب القسم الذي وطأته اللام في ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ﴾ وجواب الشرط ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ (فهو سادّ مسدّ الجوابين).

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ ميتين ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾ لم يقيموا فيها. (غني بالمكان) أقام ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ لا من قالوا لهم إنكم إذًا لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل: الذين كذبوا شعيبًا هم المخصوصون بأن أهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم، لأن الذين اتبعوا شعيبًا قد أنجاهم الله، الذين كذبوا شعيبًا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الرابحون، وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ بعد أن نزل بهم العذاب ﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ اشتدّ حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه فقال: كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم، أو أراد لقد أعذرت لكم في الإبلاغ والتحذير مما (حلّ) بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم.

قوله: (فهو سادّ مسدّ الجوابين) أي جواب القسم وجواب الشرط، أي جواب للقسم بدليل عدم اقترانه بالفاء ومغن عن جواب الشرط، فكأنه جوابه لإفادته معناه وسدّه مسدّه، لا أنّه جواب لهما معًا، فإنه مع مخالفته القواعد النحويّة يلزم فيه أن يكون جملةً واحدةً لها محل من الإعراب، ولا محل لها، وإنْ جاز باعتبارين. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (غَنِي بالمكان) بابه صَدِي.

قوله: (حلّ) في مختار الصحاح: حلّ يَحُلُّ بالضم حُلولًا، أي نزل. اهـ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ يقال لكل مدينة قرية، وفيه حذف أي فكذّبوه ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ (بالبؤس) والفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الضرّ والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيّهم، أو هما نقصان النفس والمال ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ليتضرّعوا ويتذلّلوا ويحطوا أردية الكبر ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والمحنة: **(الرخاء)** والسعة والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم: «عفا النباب» إذا كثر، ومنه قوله ﷺ: «و**(اعفوا)** اللحى» ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضرّاء والسراء وقد مسّ آباءَنا نحو ذلك وما

قوله: (بالبؤس) في لسان العرب: البؤس الشدّة والفقر. اهـ. **قوله: (الرخاء)** بالفتح والمدّ سعة العيش. **قوله: (اعفوا)** بفتح الهمزة اللُّحىٰ بالضمّ والكسر جمع لحية، أي وفروها وأكثروا شعرها، **رواه البخاري ومسلم** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ النبيّ ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها، قال الطيبيّ: هذا لا ينافي قوله عليه السلام: «اعفوا اللّحى لأن المنهيّ هو قصها كفعل الأعاجم، أو جعلها كذنب الحمام، والمراد بالإعفاء التوفير منها كما في الرواية الأخرى، والأخذ من الأطراف قليلًا لا يكون من القصّ في شيء، انتهى. وعليه سائر شرّاح المصابيح من زين العرب وغيره، وقيّد الحديث في شرح الشرعة بقوله: إذا زاد على قدر القبضة، وجعله في التنوير من نفس الحديث، وزاد في الشرعة: وكان يفعل ذلك في الخميس أو الجمعة ولا يتركه مدة طويلة، وفي النهاية شرح الهداية: واللّحية عندنا طولها بقدر القبضة ـ بضم القاف ـ وما وراء ذلك يجب قطعه، رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه كان يأخذ من اللّحية من طولها وعرضها، أورده أبو عيسى في جامعه، وقال: مِنْ سعادة الرجل خفّة لحيته، انتهى. وقوله: يجب بمعنى ينبغي، والمراد به أنه سنّة مؤكّدة قريبة إلى الوجوب، وإلّا فلا يصح على إطلاقه. وقال ابن الملك: تسوية شعر اللّحية سنّة، وهي أن يقصّ كل شعرة أطول من غيرها يستوي جميعها، وفي

هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ (فجأة) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزول العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

واللام في ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إشارة إلى أهل القرى التي دلّ عليها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ كأنه قال: ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بدل كفرهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك مكان ارتكابه ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ (﴿لَفَتَّحْنَا﴾ شاميّ) ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الأنبياء ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ بكفرهم وسوء كسبهم، ويجوز أن تكون اللام للجنس.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريد الكفار منهم ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا (أي وقت بيات)، يقال: بات بياتًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم

الإحياء: قد اختلفوا فيما طال من اللّحية، فقيل: إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما تحت القبضة، فلا بأس به، وقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة ومن تبعهما، وقالوا: تركها عافية أحبّ لقوله عليه السلام: «اعفوا اللّحى»، لكن الظاهر هو القول الأوّل، فإنّ الطول المُفرط يشوّه الخلقة، ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة إليه، فلا بأس للأخذ عنه على هذه النيّة، كذا أفاده العلّامة علي القاري في شرح مشكاة المصابيح في باب الترجّل في الفصل الثاني. **قوله:** (فِجْأة) بالكسر وفُجاءة بالضم والمدّ، وفَجاءة بالفتح والمدّ أيضًا. اهـ مختار الصّحاح. وفي لغة وزان تمرة. اهـ. وقال العلّامة القنوي الفصيح فيها فتح الفاء وسكون الجيم بعدها همزة بلا ألف على وزن بغتة. اهـ.

قوله: (﴿لَفَتَّحْنَا﴾) بتشديد التاء (شامي) أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بالتخفيف.

قوله: (أي وقت بيات) على أن يكون بمعنى البيتوتة ومنصوبًا على الظرفية

﴿بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارًا. والضحى في الأصل ضوء الشمس إذا أشرقت. والفاء والواو في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و﴿أَوَ أَمِنَ﴾ حرفا عطف دخل عليهما همزة الإنكار، والمعطوف عليه ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم (فجأة)، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ﴿بَيَاتًا﴾ وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى («أَوْ أمن» شاميّ وحجازي) على العطف بـ «أو» والمعنى إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين من إتيان العذاب ليلًا أو ضحى، فإن قلت: كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافي الاستفهام؟ قلت: التنافي في المفرد لا في عطف جملة على جملة لأنه على استئناف جملة بعد جملة ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يشتغلون بما لا (يجدي) عليهم.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿أَفَأَمِنُوا﴾ تكرير لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ ﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ أخذه العبد من حيث لا يشعر. وعن (الشبلي) قدّس الله روحه العزيز: مكره بهم تركه إياهم

بتقدير المضاف. **قوله**: (أَوْ أمن) بسكون الواو على أنّ أو حرف عطف للتقسيم، (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وحجازيّ) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّيّ، والباقون بفتحها على أنّ واو العطف دخلت عليها همزة الإنكار وورش[1] على أصله في نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفها. **قوله**: (يُجْدِي) أي ينفع.

قوله: (الشبلي) الزاهد المشهور شيخ التصوّف وصاحب الأحوال الفقيه المالكي أبو بكر دُلف بن جحدر وحيد عصره حالًا وعلمًا صحب الجُنيد ومَنْ في عصره، عاش سبعًا وثمانين سنة، ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقبره ببغداد.

---

(١) هو عثمان بن سعيد المصري يروي عن نافع المدني ﷺ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

على ما هم عليه. وقالت ابنة (الربيع بن خُثَيم) لأبيها: ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ (﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ إلا الكافرون) الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار.

قوله: (الربيع بن خُثَيم) ـ بضم المعجمة وفتح المثلثة ـ ابن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مُخَضْرم[1]، قال له ابن مسعود رضي الله عنه: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبَّك، مات سنة إحدى، وقيل: ثلاث وستّين.

قوله: (﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ إلا الكافرون)... الخ. في التفسيرات الأحمدية: في مسألة أنّ الأمن من عذاب الله كفر، قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩] ج ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩]، يعني أفأمِنَ أهل القرى من قرية شُعيب ولوط وسائر النبيّين من مكر الله، وهو أن يأتيهم عذابنا وإهلاكنا في غفلة منه وقت الفجر أو البيات، فلا يأمنه إلّا القوم الخاسرون، فقد يُفهم من هذه الآية أنّ الأمْن من مكر الله، أي مِن استدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب خسران، أي كفران، فلا يأمن منه إلّا القوم الكافرون، ثم كما أن الأمن من مكر الله كفرٌ كذلك الإياس من رحمة الله كفر؛ لأنه قال في سورة يوسف حكاية عن قول يعقوب عليه وعلى نبيِّنا الصّلاة والسّلام لبنيه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ٨٧]، هكذا ذكره التفتازاني في شرحه للعقائد، والظاهر أنه إنما تمسّك بهاتين الآيتين باعتبار أنّ النصّ لا يختصّ بمورده، وإلّا فالآيتان وردتا في قصّة شعيب عليه وعلى نبيِّنا الصّلاة والسلام وغيره من النبيّين مع قومهم وقصّة يوسف عليه وعلى نبيِّنا الصّلاة والسّلام وإخوته مع أبيهم، فاندفع ما يتوهّم أن الآيتين في باب الأمن والإياس في حقّ الدنيا، فكيف يصح التمسّك بهما في حقّ الآخرة؛ وذلك لأن النصّ قد بقي عامًّا بين أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، ومن هذا قيل: إنّ الإيمان دائرٌ بين الخوف والرجاء، لا أنه مجرّد خوف حتى يكون آيسًا من رحمته؛ لأنه كفر بالنصّ ولا أنه مجرّد رجاء حتى يكون آمنًا من عذابه؛ لأنه

---

(١) مَنْ أدرك الجاهلية والإسلام. ١٢.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يبيّن ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ﴾ ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ مرفوع بأنه فاعل ﴿يَهْدِ﴾ «وأن» مخففة من الثقيلة أي أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين، (**وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين**) ﴿وَنَطْبَعُ﴾ مستأنف أي ونحن نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًاۖ﴾ [هود: الآية ٧٢] في أنه مبتدأ وخبر وحال، أو تكون ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ صفة ﴿تِلْكَ﴾ و﴿نَقُصُّ﴾ خبرًا والمعنى: تلك القرى المذكور من قوم نوح إلى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيء الرسل بالبينات ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُۚ﴾ بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل، أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولًا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرّين على تتابع الآيات، واللام لتأكيد النفي. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ﴾ الضمير للناس على

أيضًا كفر بالنصّ، فينبغي أن يكون في رجاء أن يكون أكمل أهل الجنّة، وفي خوف أنه لعلّه يدخل النار حتى يكون مؤمنًا، هكذا قالوا. اهـ.

قوله: (وإنما عدّى فعل الهداية باللام) مع أن فعل الهداية يتعدّى إلى مفعوله الأوّل بنفسه؛ (لأنه بمعنى التبيين).

الإطلاق يعني أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان، (والآية اعتراض)، أو للأمم المذكورين فإنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرّ ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا ﴿وَإِن﴾ وإن الشأن والحديث ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ لخارجين عن الطاعة، والوجود بمعنى العلم بدليل دخول «إن» المخففة واللام الفارقة، (ولا يجوز ذلك) إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ الضمير للرُّسُل في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ أو للأمم ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ فكفروا بآياتنا، أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من وادٍ واحد ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣] أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا مَن آمن، أو لأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلمًا حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ حيث صاروا مغرقين ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ﴾ يقال لملوك مصر «الفراعنة» كما يقال لملوك فارس «الأكاسرة»، وكأنه قال: يا ملك مصر ـ واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان ـ ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك. قال فرعون: كذبت. فقال موسى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي أنا حقيق على قول الحق أي واجب عليّ قول الحق أن أكون قائله والقائم به.

قوله: (والآية اعتراض) أي قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢] اعتراض إنْ كان الضمير في قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٠٠] للناس، وإنْ كان الضمير للأُمم المذكورين فلا يكون اعتراضًا، بل يكون من تتمّة الكلام السابق، وهذا تصريحٌ بأنّ الاعتراض لا يجب أن يتوسّط بين الكلامين، بل قد يقع في آخر الكلام. **قوله: (ولا يجوز ذلك)** أي دخول أنْ المخفّفة.

(«حقيق عليّ») نافع أي واجب عليّ ترك القول على الله إلا الحق أي الصدق، وعلى هذه القراءة تقف على ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وعلى الأول يجوز الوصل على جَعْل ﴿حَقِيقٌ﴾ وصف الرسول، و«علي» بمعنى الباء كقراءة (أُبيّ) أي إني رسول (خليق) بأن لا أقول، أو يعلق «على» بمعنى الفعل في الرسول أي إني رسول حقيق (جدير) بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله إلا الحق ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بما يبين رسالتي ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فخلهم يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم. وذلك أن يوسف عليه السلام لما تُوفي غلب فرعون على نسل (الأسباط) واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام، وكان

قوله: («حقيق عليّ») بفتح الياء مشدّدة دخل حرف الجرّ على ياء المتكلّم فقُلِبت ألفها ياء وأُدغمت فيها وفتحت نافع. والباقون بالألف لفظًا على أن على التي هي حرف جرّ دخلت على أن. **قوله:** (أُبيّ) بن كعب السيّد القارىء الأنصاري الخزرجيّ النجاريّ، له كنيتان إحداهما أبوالمنذر كناه بها رسول الله ﷺ، والثانية أبو الطفيل كناه بها عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه، أي بابنه الطفيل. شَهِد العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم أبو أيوب، وابن عباس، وأبو موسى الأشعري وآخرون، ومن التّابعين ابنه الطفيل وسويد بن غَفْلة وزرّ بن حُبَيْش وعبد الرحمٰن بن الأسود وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وآخرون، ثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قرأ على أُبيّ بن كعب سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البيّنة: الآية ١]، وقال: أمرني الله عزّ وجلّ أن أقرأ عليك، وهي منقبة عظيمة لأُبيّ لم يشاركه فيها أحد من الناس. وفي كتاب الترمذي وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: «أقْرأُ أمتي أُبيّ بن كعب». توفي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة، ودُفِن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وهذا هو الصحيح. **قوله:** (خليق) أي جدير. **قوله:** (جدير) أي لائق. **قوله:** (الأسباط) في مختار الصّحاح: الأسْباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، انتهى. وقال المصنّف رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ

بين اليوم الذي دخل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام (﴿مَعِىَ﴾ حفص).

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧)﴾

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ من عند من أرسلك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فأتني بها لتصحّ دعواك ويثبت صدقك فيها ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ ﴿إِذَا﴾ هذه للمفاجأة وهي من ظروف المكان بمنزلة «ثمة» و«هناك» ﴿ثُعْبَانٌ﴾ حية عظيمة ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر أمره. رُوِيَ أنه كان ذكرًا (**فاغرًا**) فاه بين (**لحييه**) ثمانون ذراعًا، وضع لحيه الأسفل في الأرض والأعلى على (**سور القصر**)، ثم توجّه نحو فرعون (**فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك**)، وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا قتل بعضهم بعضًا، فصاح فرعون: يا موسى خذه وأنا أومن بك فأخذه موسى فعاد عصًا.

﴿أَسْبَاطًا﴾ [الأعراف: الآية ١٦٠] الأسباط أولاد الولد جمع سبط، وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا، هم أولاد يعقوب على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. **قوله:** («بـ ﴿مَعِىَ﴾) بفتح ياء معي (حفص) والباقون بالإسكان.

قوله: (**فاغرًا**) بالفاء والغين المعجمة والراء المهملة، بمعنى فاتح. **قوله:** (**لَحْيَيه**) اللَّحْي بفتح اللام العظم الذي عليه الأسنان. **قوله:** (سور القصر) بمعنى أعلى حائط. **قوله:** (فهرب) في مختار الصِّحاح: الهَرب الفرار وقد هَرَب يَهْرُبُ هَرَبًا مثل طَلَب يَطْلُب طلبًا. اهـ.

قوله: (**وأحدث**) أي استطلق بطنه في ثيابه حتى علم به جلساؤه، (**ولم يكن أحدث قبل ذلك**) ذكر في الوسيط: أنه قام به بطنه في ذلك اليوم ولم يستمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك. نقل صاحب التيسير عن وهب: أنّ موسى وهارون على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام لمّا دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقّن الله تعالى موسى دعوةً دعا بها، فقال: لا إله إلّا الله الحليم الكريم سبحان ربّ السمٰوات السبع وربّ العرش العظيم والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إني أدرأُ بك في نحره

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي فإذا هي بيضاء **(للنظارة)**، ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضًا عجيبًا خارجًا عن العادة يجمع الناس للنظر إليه. رُوِيَ أنه أرى فرعون يده وقال: ما هذه؟ فقال: يدك ثم أدخلها في جيبه ونزعها فإذا هي بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم **(شديد الأدمة)**.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل إلى الناس العصا حية والآدم أبيض. وهذا الكلام قد (عزي) إلى فرعون في سورة «الشعراء» وأنه قال للملأ، وهنا عزي إليهم فيحتمل أنه قد قاله هو وقالوه هم فحُكي قوله ثَمّة وقولهم هنا، أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ يعني مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي، وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ﴾.

وأعوذ بك من شرّه وأستعينك عليه، فاكْفِنِيه بما شئت؛ فتحوّل ما في قلب موسى من الخوف أمْنًا، وتحوّل ما في قلب فرعون من الأمْن خوفًا، فمَنْ دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمّنه[1] الله ونفّس كربته وخفّف عنه كُرَب الموت.

قوله: (للنظارة) في مختار الصحاح: النُّظّارة مشدّدًا القوم ينظرون إلى شيء.

قوله: (شديد الأدمة) وهي السُّمْرة.

أي نسب من باب عدى ورمى.

---

(١) في تاج العروس: قد أمِنهُ كسمع، وأمّنه تأمِينًا وأتمنه واسْتَأْمَنَه بمعنًى واحد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

(﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾ **بسكون الهاء: عاصم وحمزة**) أي أخر واحبس أي أخر أمره ولا تعجل، أو كأنه همّ بقتله فقالوا: أخّر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ (**«سحار» حمزة وعلي**).

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾ **بسكون الهاء عاصم وحمزة**) عبارة الإتحاف: وقرأ ﴿أرجئه﴾ هنا، وفي الشعراء بهمزة ساكنة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وأبو بكر من طريق أبي حمدون ونفطويه وافقهم ابن محيصين واليزيدي والحسن والباقون بغير همز فيهما، وهما لغتان. يقال: أرجأت أرجيته، أي أخّرته كتوضّأت وتوضيت. والحاصل من اختلافهم في الهمز وهاء الكناية فيها ستّ قراءات متواترة: ثلاثة مع الهمز، وثلاثة مع تركه، فأوّلها قراءة قالون وابن وردان من طريق ابن هارون وهبة الله: ﴿أَرْجِهِ﴾ [الأعراف: الآية ١١١] بكسر الهاء مختلسة بلا همز، ثانيها قراءة ورش والكسائي وابن جماز وابن وردان من طريق ابن شبيب وخلف في اختياره: «أرجهي» بإشباع كسرة الهاء بلا همز. ثالثها: قراءة عاصم من غير طريق نفطويه وأبي حمدون عن أبي بكر وحمزة: «أرجه» بسكون الهاء بلا همزة وافقهما الأعمش. وأمّا الثلاثة التي مع الهمز؛ فأوّلها قراءة ابن كثير وهشام من طريق الحلواني: «أرجئهو» بضم الهاء مع الإشباع والهمز وافقهما ابن محيصين. الثانية: قراءتي أبي عمرو وهشام من طريق الداجوني وأبي بكر من طريق أبي حمدون ونفطويه ويعقوب: «أرجئه» باختلاس ضمّة الهاء مع الهمز وافقهم اليزيدي والحسن. الثالثة: قراءة ابن ذكوان: «أرجئه» بالهمز واختلاس كسرة الهاء؛ فلهشام وجهان: اختلاس ضمّة الهاء وإشباعها كلاهما مع الهمز، ولأبي بكر وجهان أيضًا: ترك الهمز مع إسكان الهاء والهمز مع اختلاس ضمّتها؛ ولابن وردان وجهان: ترك الهمز مع اختلاس كسرة الهاء ومع إشباعها. اهـ. **قوله:** (**«سحّار»**) بتشديد الحاء وفتحها وألف بعدها على وزن فعال للمبالغة (**حمزة وعليّ**) الكسائي، وأمال الدوري عن الكسائي، والباقون بألف بعد السين وكسر الحاء خفيفة كفاعل من غير إمالة.

أي يأتوك بكل ساحر عليم مثله في (المهارة أو بخير منه).

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ يريد فأرسل إليهم فحضروا ﴿قَالُوٓاْ (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ بهمزة واحدة على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازي وحفص). ولم يقل «فقالوا» لأنه على تقدير سؤال سائل ما قالوا إذ جاءوه؟ فأجيب بقوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ (لجعلًا) على الغلبة. والتنكير للتعظيم كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ (نَعَمْ)﴾ إن لكم لأجرًا ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عندي فتكونون أول مَن يدخل وآخر مَن يخرج، وكانوا ثمانين ألفًا أو سبعين ألفًا أو (بضعة) وثلاثين ألفًا.

قوله: (المهارة) الحذق في الشيء. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (أو بخير منه) تفسير لقراءة «سحار».

قوله: (﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ **بهمزة واحدة على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وابن كثير المكّي (**وحفص**) عن عاصم، والباقون بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فالبصري يسهل ويدخل وهشام يحقّق ويدخل من غير خلاف. والباقون يحقّقون بلا إدخال. **قوله:** (**لجعلًا**) في مختار الصحاح: الجُعل ـ بالضم ـ ما جُعِل للإنسان من شيء على فعل، وكذا الجَعالة بالكسر، والجَعِيلة أيضًا، انتهى. **قوله:** (﴿نَعِمْ﴾) قرأ عليّ الكسائي بكسر العين، والباقون بالفتح. **قوله:** (بِضْعة) في المصباح: بضع في العدد بالكسر، وبعض العرب يفتح، واستعماله من الثلاثة إلى التسعة. وعن ثعلب: من الأربعة إلى التسعة يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، فيقال: بضع رجال وبضع نسوة، ويُستعمل أيضًا من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن تثبت الهاء في بضع مع المذكّر وتُحذف مع المؤنث؛ كالنيّف، ولا يُستعمل فيما زاد على العشرين، وأجازه بعض المشايخ، فيقول: بضعة وعشرون رجلًا وبضع وعشرون امرأة، وهكذا قاله أبو زيد. وقالوا: على هذا معنى البضع والبضعة في العدد وقطعة مبهمة غير محدودة. اهـ.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ لما معنا، وفيه دلالة على أن رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر ﴿قَالَ﴾ لهم موسى عليه السلام ﴿أَلْقُواْ﴾ (تخييرهم إياه أدب حسن) راعوه معه كما يفعل المتناظرون (قبل أن يتحاور) الجدال، وقد (سوغ لهم) موسى ما رغبوا فيه (ازدراء) لشأنهم وقلّة مبالاة بهم واعتمادًا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدًا ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ أروها بالحيل (والشعوذة) وخيلوا إليهم ما الحقيقة بخلافه. رُوِيَ أنهم ألقوا حبالًا غلاظًا وخشبًا طوالًا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضًا ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ (وأرهبوهم إرهابا شديدا) كأنهم استدعوا رهبهم بالحيلة ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في باب السحر أو في عين مَن رآه.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ ـ (﴿تلقف﴾) ـ تبتلع ﴿تَلْقَفُ﴾ (حفص) ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ «ما» موصولة أو مصدرية

قوله: (تخييرهم إياه أدب حسن) قال المشايخ: ولمراعاتهم للأدب رُزِقوا السعادة الأبديّة. قوله: (قبل أن يتحاور) والتحاور التجاوُب. اهـ مختار الصِّحاح. قوله: (سوغ لهم) في مختار الصِّحاح: سوّغ له تسويغًا، أي جوّزه. اهـ. قوله: (ازدراء) أي تحقيرًا. قوله: (والشعوذة) خفّة في اليد وأُخَذٌ كالسحر يُرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. اهـ قاموس. وفيه: الأُخْذَةُ بالضم رقية كالسِّحر. اهـ. قوله: (وأرهبوهم إرهابا شديدا)... الخ. يعني أن الاسترهاب بمعنى الإرهاب البليغ، فالطلب مجاز في المبالغة والزيادة؛ لأن المطلوب من شأنه أن يهتمّ به ويبالغ فيه، وإليه أشار المصنّف رحمة الله عليه بقوله: كأنهم... الخ.

بسكون اللام وتخفيف القاف من لقف يلقف كعلم يعلم، يقال: لقفتُ الشيء أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعته، . والباقون بفتح اللام وتشديد القاف من تلقّف يتلقّف، والأصل تتلقّف بتاءين فحُذِفت إحداهما، وقرأ

يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه، أو (إفكهم) تسمية للمأفوك بالإفك، رُوِيَ أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال، ورفعها موسى فرجعت عصًا كما كانت، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة، أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعِصِّينا.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ فحصل وثبت ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾ أي فرعون وجنوده والسحرة ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ **(وصاروا أذلّاء مبهوتين)** ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ وخرّوا سجدًا لله كأنما ألقاهم ملقٍ لشدّة خرورهم، أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفارًا سحرة وفي آخره شهداء **(بررة)**.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ هو بدل مما قبله ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ **(﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الخبر: حفص. وهذا توبيخ منه لهم. وبهمزتين: كوفي غير حفص. فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد)** ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾

البزي في الوصل بتشديد التاء، والباقون بالتخفيف. **قوله:** (إفكهم) بفتح الهمزة مصدر إفكه، بمعنى قلبه.

قوله: (وصاروا أذلّاء مبهوتين) أي الانقلاب مجاز عن الصيرورة لظهور المناسبة بينهما، وأذلّاء جمع ذليل. **قوله:** (بَرَرة) جمع البارّ.

قوله: (﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ **على الخبر: حفص. وهذا توبيخ منه لهم. وبهمزتين: كوفي غير حفص. فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد**) عبارة الإتحاف: وأمّا «آءمنتم» هنا وطه والشعراء، فالقرّاء فيها على أربع مراتب:

(الأولى): قراءة قالون والأزرق والبزي وأبي عمرو وابن ذكوان وهشام من طريق الحلواني والداجوني من طريق زيد وأبي جعفر بهمزة محققة، وأخرى

قبل إذني لكم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ إن صنعكم هذا الحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء لغرض لكم

مسهّلة وألف بعدها في الثلاث، وللأرزق فيها ثلاثة البدل، وإن تغيّر الهمز كما مرّ، ولم يبدل أحد عنه الثانية ألفًا، فقول الجعبري وورش على بدله بهمزة محقّقة، وألف بدل عن الثانية، وألف أخرى بدل عن الثالثة، ثم تُحذف إحداهما للساكنين تعقبه في النشر، ثم قال: ولعلّ ذلك وَهْم من بعضهم حيث رأى بعض الرواة عن ورش يقرؤها بالخبر، فظنّ أن ذلك على وجه البدل، وليس كذلك؛ بل هي رواية الأصبهاني، ورواية أحمد بن صالح ويونس وأبي الأزهر كلّهم عن ورش يقرؤونها بهمزة كحفص، فمن كان من هؤلاء يرى المدّ لما بعد الهمز عدّ ذلك، فيكون مثل آمنوا، إلّا أنه بالاستفهام وأبدل وحذف، انتهى. ونقله في الأصل وأقرّه على عادته، قال: فظهر أن مَنْ يقرأ عن ورش بهمزة واحدة إنما يقرأ بالخبر.

(المرتبة الثانية): لورش من طريق الأصبهاني وحفص ورُويس بهمزة محقّقة بعدها ألف في الثلاث، وهي تحتمل الخبر المَحْض والاستفهام، وحذف الهمزة اعتمادًا على قرينة التوبيخ.

(المرتبة الثالثة): لقنبل، وهو يفرق بين السور الثلاث فهنا أبدل همزتها الأُولى واوًا خالصة حالة الوصل؛ واخْتُلِف عنه في الهمزة الثانية، فسهّلها عنه ابن مجاهد وحقّقها مفتوحة ابن شنبوذ. وأمّا إذا ابتدأ، فبهمزتين ثانيتهما مسهّلة كرفيقه البزي وأمّا طَهَ والشعراء فسبق، ويأتي الحكم فيهما إن شاء الله تعالى.

(المرتبة الرابعة): لهشام، فيما رواه عنه الداجوني من طريق الشذائي وأبي بكر وحمزة والكسائي ورَوح وخلف بهمزتين محقّقتين وألف بعدهما من غير إدخال ألف بينهما في الثلاث، ولم يختلفوا في إبدال الثالثة ألفًا؛ لأنها فاء الكلمة أُبدلت لسكونها بعد فتح، وذلك أنّ أصل هذه الكلمة: أأأمنتم بثلاث همزات: الأُولى للاستفهام الإنكاري، والثانية همزة أفعل، والثالثة فاء الكلمة؛ فالثالثة يجب قلبها ألفًا على القاعدة، والأُولى محقّقة ليس إلّا غير أن حمزة إذا وقف يسهّلها بين بين في وجه لكونها ح من المتوسط بغيره المفصل. وأمّا الثانية، ففيها الخلاف، ولم يدخل أحد من القرّاء ألفًا بين الهمزتين في هذه الكلمة لئلّا يجتمع أربع

وهو أن تخرجوا من مصر (**القبط**) وتسكنوا بني إسرائيل ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد أجمله ثم فصله بقوله:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ من كل شق طرفا ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هو أول مَن قطع من خلاف وصلب ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ فلا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته، أو إنا جميعًا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أرادوا وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الإيمان (**ومنه قوله**):

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب)

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي اصبب صبًا (**ذريعًا**). والمعنى هب لنا برًا واسعًا وأكثره علينا حتى يفيض علينا و(**يغمرنا كما يفرغ الماء**) إفراغًا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام.

متشابهات. اهـ. **قوله:** (القبط) في مختار الصِّحاح: القبط بوزن السِّبْط أهل مصر، وهم بَنْكُها، أي أصلها. اهـ.

قوله: (ومنه قوله) أي قول النابغة الذبياني: (**ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم، بهن فُلُول**) جمع فَلّ وهو كسر في حدّ السيف (**من قراع الكتائب**) القراع الضّراب، والكتائِب جمع كتيبة، وهي الجيش، والمعنى إذا لم يكن فيهم عيب إلا الشجاعة، وهي من أخصّ أوصاف المدح، فلا عَيْب فيهم. **قوله:** (**ذريعًا**) أي واسعًا. **قوله:** (**يغمرنا**) في القاموس: غمره الماء غمرًا واغتمره غطّاه. اهـ. **قوله:** (**كما يفرغ الماء**) إشارة إلى أنّ قولهم: أفرغ استعارة تبعيّة، وصبرًا قرينة شبه إنزال الصبر وإكثاره عليهم إفراغ الماء في الفيضان والغمر؛ لأن إفراغ الماء هو صبّه بالكلّية من الإناء، فيكون غامرًا لما يُصَبّ عليه، ثم قيل: أفرغ بدل أنزل، وأكثر على الاستعارة التبعية.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفر ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ عطف على ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾ قيل: صنع فرعون لقومه أصنامًا وأمرهم أن يعبدوها تقرّبًا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله (**زلفى**)، ولذلك ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: الآية ٢٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون مجيبًا للملإ ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ (﴿سَنُقَتِّلُ﴾ **حجازي**) أي سنعيد عليهم قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا، ولئلّا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده (**فيثبطهم**) ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلية لهم ووعدًا بالنصر عليهم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ اللام للعهد أي أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولًا أوليًا ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فيه تمنيته إياهم أرض مصر ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط. وأُخْلِيَتْ هذه الجملة عن الواو لأنها جملة مستأنفة بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ لأنها معطوفة على ما سبقها من قوله: ﴿قَالَ

قوله: (**زلفى**) قربة. **قوله:** (﴿سَنُقَتِّلُ﴾) بفتح النون وإسكان القاف وضمّ التاء مخفّفة (**حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي. والباقون بضمّ النون وفتح القاف وكسر التاء مشدّدة للتكثير، لتعدّد المحال. اهـ. **قوله:** (**فيثبطهم**) في مختار الصِّحاح: ثبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. اهـ.

﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾ يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبىء وإعادته عليهم بعدلك، وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم (**على حسب ما يوجد منكم**. **وعن عمرو بن عبيد**) أنه دخل على (**المنصور**) قبل الخلافة وعلى مائدته (**رغيف**)

قوله: (على حسب ما يوجد منكم) في لسان العرب: الحَسَب والحَسْب قدر الشيء، كقولك: الأجر بحسَب ما علمت وحَسْبه. اهـ.

قوله: (عمرو بن عبيد) بن عبيد بن باب ـ بموحدتين ـ التميمي مولاهم، أبو عثمان البصري المعتزليّ المشهور، كان داعية إلى بدعة اتّهمه جماعة مع أنه كان عابدًا. مات سنة ثلاث وأربعين أو قبلها بعد المائة.

قوله: (المنصور) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وأمّه سلامة البربرية أُمّ ولد، وُلِد سنة خمس وتسعين وأدرك جدّه ولم يَرْوِ عنه، ورَوى عن أبيه وعن عطاء بن يسار وعنه ولده المهدي وبُويع بالخلافة بعهدٍ من أخيه ـ يعني السفاح ـ أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم، وكان المنصور فحلَ بني العباس هَيْبةً وشجاعةً وحزمًا ورأيًا وجبروتًا جَمّاعًا للمال تاركًا للّهو واللعب، كامل العقل جيّد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قَتَل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه، وهو الذي ضَرَب الإمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه على القضاء ثم سجَنَه فمات بعد أيّام، وقيل: إنه قتله بالسمّ لكونه أفتى بالخروج عليه، وكان فصيحًا بليغًا مفوّهًا خليقًا للإمارة، وكان غايةً في الحِرْص والبخل، فلُقِّب أبا الدوانيق لمحاسبة العُمّال والصُّنّاع على الدوانيق والحبّات، وكانت وفاته في سنة ثمان وخمسين بالبطن في ذي الحجّة، ودُفِن بين الحَجون وبين بئر ميمون.

قوله: (رغيف) في مختار الصّحاح: الرّغيف من الخبز، والجمع أرْغِفَة ورُغُف ورُغْفان. اهـ.

أو رغيفان، وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال: قد بقي ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ سني القحط وهن سبع سنين، والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة و(**النجم**) ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قيل: السنون لأهل (**البوادي**) ونقص الثمرات للأمصار ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ليتعظوا فينبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر، ولأن الناس في حال الشدة (**أضرع خدودًا**) و(**أرق أفئدة**). وقيل: عاش فرعون أربعمائة سنة لم يرَ مكروهًا في ثلاثمائة وعشرين سنة، ولو أصابه في تلك المدة (**وجع**) أو (**جوع**) أو حمى لما ادعى الربوبية.

قوله: (النَّجم) في مختار الصِّحاح: النَّجم الكوكب والنجم الثُّريّا، وهو اسم لها علم كزيد وعمرو، فإذا قالوا: طلع النجم يريدون الثريّا، وإن أخرجت منه الألف واللام تنكّر. اهـ. **قوله: (البوادي)** جمع البادية. اهـ مصباح. **قوله: (أضرع)** في المصباح: ضرع له يضرع ـ بفتحتين ـ ضراعة ذلّ وخضع فهو ضارع، وضرع ضرعًا فهو ضرع من باب تعب لغة. اهـ. **قوله: (خدودًا)** في المصباح: الخدّ جمعه خدود، وهو من المحجر إلى اللِّحى من الجانبين. اهـ. وأيضًا فيه: الحجر مثال مجلس ما ظهر من النّقاب من الرجل والمرأة من الجفن الأسفل، وقد يكون من الأعلى، وقال بعض العرب: هو ما دار بالعين من جميع الجوانب، وبدا من البرقع، والجمع المحاجر. اهـ. **قوله: (أرقّ)** في المصباح: رقّ الشيء يرقّ من باب ضرب خلاف غلظ، فهو رقيق. اهـ. **قوله: (أفْئِدة)** في المصباح: الفؤاد القلب، وهو مذكّر، والجمع أفْئِدَةٌ. اهـ. **قوله: (وجع)** في المصباح: وجع فلانًا رأسُه أو بطنُه تجعل الإنسان مفعولًا والعضوَ فاعلًا، وقد يجوز العكس، وكأنه على القلب لفهم المعنى يوجَع وجَعًا من باب تَعِب، فهو وجِعٌ أي مريض متألّم، ويقع الوَجَع على كل مرض وجمعُه أوْجاعٌ مثل سبب وأسباب ووُجاع أيضًا بالكسر، مثل جبل وجبال، وقوم وَجِعُون ووَجْعى مثل مَرْضى ونساء وجِعات ووجاعى، وربما قيل: أوجعه رأسه بالألف والأصل وجعه ألم رأسه وأوجعه ألم رأسه لكنه حذف للعلم به، وعلى هذا فيقال: فلان موجوع، والأجود موجوع الرأس، وإذا قيل: زيد يوجَع رأسَه بحذف المفعول انتصب الرأسُ، وفي نصبه قولان: قال الفراء:

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الصحة و(**الخصب**) ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي هذه التي نستحقها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ (**جدب**) ومرض ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾ أصله «يتطيروا» فأُدغمت التاء في الطاء لأنها من طرف اللسان وأصول (**الثنايا**) ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا. وإنما دخل («**إذا**») في الحسنة وعُرفت الحسنة و(«**إن**») في السيئة ونُكرت السيئة، لأن جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ سبب خيرهم وشرّهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حكمه ومشيئته والله هو الذي قدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: الآية ٧٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ أصل «مهما» ما ما، فما الأولى للجزاء ضمت إليها «ما» المزيدة المؤكدة (**للجزاء**) في قولك «متى» ما تخرج أخرج ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾ [النساء: الآية ٧٨]، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الزخرف: الآية ٤١] إلا أن الألف قلبت هاء استثقالًا لتكرير المتجانسين وهو المذهب

وجعت بطنَك مثل رَشِدتَ أمركَ؛ فالمعرفة هنا في معنى النَّكرة، وقال غير الفراء: نصبُ البطن بنزع الخافض، والأصل وجعت من بطنك ورشِدتَ في أمرك؛ لأن المفسّرات عند البصريّين لا يكون إلا نكرات، وهذا على القول بجعل الشخص مفعولًا واضح. أمّا إذا جعل الشخص فاعلًا والعضو مفعولًا، فلا يحتاج إلى هذا التأويل. اهـ. **قوله:** (جوع) في المصباح: جاع الرجل جَوْعًا والاسم الجوع بالضمّ. اهـ. وفي مختار الصّحاح: الجُوْع ضد الشَّبَع. اهـ.

قوله: (الخصب) بالكسر ضدّ الجَدْب. **قوله:** (جدب) الجَدْب هو المَحَلْ وزنًا ومعنى، وهو انقطاع المطرُ ويبس الأرض. اهـ مصباح. **قوله:** (الثَّنايا) جمع ثنيّة. **قوله:** (إذا) أداة التحقيق. **قوله:** (إن) حرف الشكّ.

قوله: (للجزاء) أي للشرط لأنهم يسمّون الشرط جزاء.

(السديد) البصري، وهو في موضع النصب بـ ﴿تَأۡتِنَا﴾ أي أيما شيء تحضرنا تأتنا به، و﴿مِنۡ ءَايَةٍ﴾ تبيين لـ ﴿مَهۡمَا﴾ والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ و﴿بِهَا﴾ راجع إلى ﴿مَهۡمَا﴾ إلا أن الأول ذكر على اللفظ والثاني أنّث على المعنى لأنها في معنى الآية، وإنما سمّوها آية اعتبارًا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ **(ما طاف بهم)** وغلبهم من مطر أو سيل. قيل: **(طفا)** الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسًا ولا قمرًا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره. وقيل: دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء **(إلى تراقيهم)**، فمن جلس **(غرق)** ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، أو هو **(الجدري)** أو **(الطاعون)** ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ فأكلت زروعهم

قوله: (السديد) أي الصواب. في لسان العرب: السديد والسّداد الصواب من القول. وفي المصباح: السَّداد ـ بالفتح ـ الصواب من القول والفعل، وأسدّ الرجل بالألف جاء بالسّداد، وسدّ يسدّ من باب ضرب سدودًا أصاب في قوله وفعله، فهو سديد. اهـ.

قوله: (ما طاف بهم)... الخ. يعني هو فعلان اسم جنس من الطواف، وقيل: إنه في الأصل مصدر كنقصان، وهو اسم لكل شيء حادث يحيط بالجهات ويعمّ كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف، قاله أبو إسحٰق. وقد رُوِي عن النبيّ ﷺ تفسيره بالموت لكنه اشتهر في طوفان الماء، وهو معروف. وقيل: هو اسم جنس واحده طوفانة. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (طفا)** أي علا بابه عدا وسما. **قوله: (إلى تراقيهم)** التّراقي جمع تِرْقوة أعلى الصّدر، أي واصلًا إلى تراقيهم. في المصباح: التّرقوة وزنها فعلوة ـ بفتح الفاء وضم اللام ـ وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبَيْن، والجمع التراقي. قال بعضهم: ولا تكون الترقوة لشيءٍ من الحيوانات إلّا للإنسان خاصّة. اهـ. **قوله: (غَرق)** من باب طَرِب. **قوله: (الجدري)** بفتح الجيم وضمّها، وأمّا الدال فمفتوحة فيهما: قروح تنفط عن الجلد ممتلئة ماء، ثم تنفتح وصاحبها جدير مجدّر، ويقال: أوّل من عذّب به قوم فرعون. اهـ مصباح. **قوله: (الطاعون)** الموت من الوباء. اهـ مصباح

وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ وهي **(الدبا)** وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها، أو **(البراغيث، أو كبار القردان)** و**(الضفادع)** وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى إذا تكلم الرجل تقع في فيه (﴿وَٱلدَّمَ﴾ **أي الرعاف)**. وقيل: مياههم انقلبت دمًا حتى إن القبطي والإسرائيلي إذا اجتمعا على إناء فيكون ما **(يلي)** الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دمًا. وقيل: سال عليهم **(النيل)** دمًا ﴿ءَايَٰتٍ﴾ حال من الأشياء المذكورة ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ظاهرات **(لا يشكل)** على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بموسى ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب الأخير وهو الدم، أو العذاب المذكور واحدًا بعد واحد ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ «ما» مصدرية أي

ومختار الصِّحاح. **قوله: (الدبا)** وزان عصا الجراد يتحرّك قبل أن تنبت له أجنحة. اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: الدَّبَا الجراد قبل أن يطير[1]، الواحدة دَباة. اهـ. **قوله: (البراغيث)** في مختار الصِّحاح: البُرغوث ـ بضم الباء ـ معروف. اهـ. وفي الصِّحاح: البرغوث واحد البراغيث. . اهـ. **قوله: (أو كبار القُرْدان)** بضم القاف وسكون الراء المهملة جمع القراد. في المصباح: القراد مثل غراب ما يتعلّق بالبعير ونحوه، وهو كالقمل للإنسان، الواحد قرادة، والجمع قردان، مثل غربان. اهـ. وقيل: القمل هي صغار الذر، وقيل: هو بمعنى القمل بفتح فسكون، كما قُرِىء به أيضًا. **قوله: (الضفادع)** جمع الضفدع ـ بكسرتين ـ الذَّكر، والضفدعة الأُنثى، وناس يقولونه: بفتح الدال، وأنكره الخليل. **قوله: (الرُّعاف)** الدم يخرج من الأنف. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (يلي)** الولي مثل فلس القرب. اهـ مصباح. **قوله: (النِّيل)** بالكسر نهر مصر. اهـ قاموس. **قوله: (لا يشكل)** في المصباح: أشكل الأمر ـ بالألف ـ التبس. اهـ.

(١) لكونها لم ينبت لها أجنحة بعد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

بعهده عندك (وهو النبوّة)، والباء تتعلق بـ ﴿ٱدۡعُ﴾ أي ادع الله لنا متوسلًا إليه بعهده عندك ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ إلى حد من الزمان ﴿هُم بَٰلِغُوهُ﴾ (لا محالة) فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ (**أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث ولم يؤخروه**).

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾) هو ضد الإنعام كما أن العقاب هو ضد الثواب ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ هو البحر الذي لا يدرك قعره، أو هو (**لجة البحر**) ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المنتفعين به يقصدونه ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾

قوله: (**وهو النبوّة**) وسمّيت النبوّة عهدًا؛ لأن الله تعالى عهد إكرام الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام بها، وعهدوا إليه تحمّل أعباءها، أو لأن لها حقوقًا تُحفظ كما تُحفظ العهود، أو لأنها بمنزلة عهد ومنشور من الله. **قوله:** (**لا محالة**) أي لا بدّ. **قوله:** (**أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث**) أي بادروه (**ولم يؤخّروه**) عن ابتداء وقوع الكشف مبنيّ على محافظة ما ذهبوا إليه من أن ما يلي كلمة لمّا من الفعلين يجب أن يكون ماضيًا لفظًا أو معنى؛ فجواب لما بالحقيقة هو هذا الفعل المقدّر، وكِلَا الاسمين ـ أعني لمّا وإذا ـ معمول له، ولما ظرفية، وإذا مفعول به، والنّكث النقض، وأصله من نكث الصوف ليغزل ثانيًا، فاستُعِير لنقض العهد بعد إحكامه وإبرامه، كما في خيوط الأكسية إذا نكثت بعدما أُبرمت، وهذا من أحسن الاستعارات.

قوله: (﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾) فأردنا الانتقام منهم. اهـ بيضاوي. قوله: فأردنا الانتقام لمّا كان الانتقام عين الإغراق أوّله به ليتفرّع عليه، أو الفاء مفسّرة له عند مَنْ أثبتها. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (**لجة البحر**) في مختار الصّحاح: لجّة الماء

أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلّة فكرهم فيها ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ **يعني أرض مصر والشام**) ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب وسعة الأرزاق وكثرة الأنهار والأشجار ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٩]، أو ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: الآية ٥]. والحسنى تأنيث الأحسن صفة الكلمة (و«**على**» صلة «**تمت**») أي مضت عليهم واستمرت من قولك تمّ عليّ الأمر إذا مضى عليه ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بسبب صبرهم وحسبك به حاثًّا على الصبر ودالّاً على أن مَن قابل البلاء (**بالجزع وكله لله إليه**)، ومَن قابله بالصبر (**ضمن**) الله له (**الفرج**) ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارات وبناء القصور ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ من الجنات، أو ما كانوا يرفعون من الأبنية (**المشيدة**) في السماء كصرح هامان وغيره. (**وبضم الراء: شامي وأبو بكر**). وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله.

ـ بالضم ـ معظمه، وكذا اللُّجّ ومنه بحر لُجِّيٌّ. اهـ. **قوله:** (﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ **يعني أرض مصر والشام**)، وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها. **قوله:** (﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾) أي ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين (**ملك فرعون**) ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: الآية ٦] (**أرض مصر والشام**) ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٦] يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه. **قوله:** (**وعلى صلة تمّت**) أي على بني إسرائيل متعلق بقوله: ﴿وَتَمَّتْ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٧]. **قوله:** (**بالجزع**) في مختار الصِّحاح: **الجَزَع** ضدّ الصبر، وبابه طرب. **قوله:** (**وكله الله إليه**) في المصباح: وكلته إلى نفسه من باب وعد، ولولا لم أقم بأمره ولم أُعِنْه. اهـ. **قوله:** (**ضمن**) في مختار الصِّحاح: ضَمِنَ الشيء ـ بالكسر ـ ضَماناً كَفَل به، فهو ضامن وضمين. اهـ. **قوله:** (**الفرج**) بفتحتين **قوله:** (**المُشَيَّدة**) المرتفعة. **قوله:** (**وبضم الراء: شامي**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وأبو بكر**) شُعْبة عن عاصم، والباقون بالكسر.

ثم أتبعه قصة بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك، ليتسلى رسول الله ﷺ **(مما رآه من بني إسرائيل بالمدينة)**.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

(وجاوزوه) ﴿بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ رُوِيَ أنهم **(عبر بهم)** موسى **(يوم عاشوراء بعدما أهلك الله فرعون وقومه)** فصاموه شكرًا لله ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ فمرّوا

قوله: (مما رآه من بني إسرائيل بالمدينة)، فإنهم جروا على دَأْب أسلافهم مع موسى عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسلام.

قوله: (وجاوزوه)... الخ. البحر بحر القلزم، وأخطأ مَنْ قال إنه نيل مصر، كما في البحر.اهـ شهاب. **قوله: (عبر بهم)** أي جاوز بهم البحر. **قوله: (يوم عاشوراء)** عاشر المحرّم. **قوله: (بعدما أهلك الله فرعون وقومه)** هذا صريح في أنّ عُبُور موسى وقومه بعد هلاك فرعون وقومه، لكن الآية المذكورة في سورة الشعراء من قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان ٦٥، ٦٦] صريح في أنّ عبور موسى وقومه قبل هلاك فرعون وقومه، اللّهمّ إن يلتزم أن عبور موسى وقومه على البحر كان مرّتين: مرّة قبل هلاك فرعون، وهو مدلول الآية في سورة الشعراء وسورة يونس. ومرّة **بعد** هلاكهم، وهو مدلول الرواية المذكورة، فتأمّل. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قيل: يحتمل أن تكون البعدية رتبية، فإنّ عبور الجمّ الغفير البحر العميق من غير أن يبتلّ قدم أحد أعظم آية من هلاك فرعون وقومه، وهو دَفْعٌ لما ورد عليه وعلى الكشاف من أنه وقع في سورة الشعراء: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان ٦٥، ٦٦]، وهو صريح في أن عبور موسى صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم وقومه قبل هلاك فرعون، وكلام المصنّف رحمه الله في سورة البقرة يدلّ عليه، ولذا قيل: إنّ عبور موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام وقومه البحر وقع مرّتين: مرّة قبله ومرّة بعده، فتأمّل. وفي حاشيته للعلامة القنوي: وما نطق به النصّ الكريم عبوره بهم قبل مَهْلك فرعون

عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يواظبون على عبادتها وكانت (تماثيل) بقر. (وبكسر الكاف: حمزة وعلي). ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ صنمًا نعكف عليه ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أصنام يعكفون عليها. و«ما» كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها. قال يهودي لعلي ﷺ: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجفّ ماؤه. فقال: قلتم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ ولم تجفّ أقدامكم ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني عبدة تلك التماثيل ﴿مُتَبَّرٌ﴾ مهلك من (التبار) ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي. وفي إيقاع ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسمًا لـ «إن» وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرًا لها (وَسْم) لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرّضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي ما عملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحل ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ أي أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حال أي على عالمي زمانكم.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ («أنجاكم» شاميّ) ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها، وهو استئناف لا محل له، أو حال من

وأمّا بعده، فلا دلالة النصّ عليه ولا الإشارة إليه، ولعلّ لهذا عرَض المصنّف، فقال: رُوِيَ. اهـ. **قوله:** (تماثيل) أي صُوَر. **قوله:** (بكسر الكاف حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بالضم.

قوله: (التَّبار) ـ بالفتح ـ الهلاك. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله:** (وَسْم) أي علامة.

قوله: (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون، (شاميّ) أي ابن عامر الشامي، والباقون بياء ونون بعد الجيم وألف بعدهما.

المخاطبين، أو من ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ («يقتلون» نافع) ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ أي في الإنجاء أو في العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ (نعمة أو محنة) ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ لإعطاء التوراة ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ رُوِيَ أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يومًا وهي شهر ذي القعدة، فلما أتمّ الثلاثين أنكر (خُلوف فيه) فتسوك، فأوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ ما وقت له من الوقت وضربه له ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نصب على الحال أي تم بالغًا هذا العدد، ولقد أجمل ذكر الأربعين في «البقرة» وفصلها هنا ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ هو عطف بيان ﴿لِأَخِيهِ﴾ ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كن خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ (ما يجب أن يصلح) من أمور بني إسرائيل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ومَن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه.

قوله: (يَقْتُلون) بفتح الياء وإسكان القاف وضمّ التاء مخفّفة (نافع)، والباقون بضمّ الياء وفتح القاف وكسر التاء مشدّدة. **قوله:** (نعمة أو محنة)؛ لأن البلاء بمعنى الابتلاء والاختبار، وهو يكون بكلٍّ منهما، وفيه لفّ ونشر مرتّب. اهـ شهاب. وقال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: فإن البلاء يُطلق على كلّ واحدة منهما، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٨] وفيه لفّ ونشر، فإنّ البلاء النّعمة على تقدير أن تكون الإشارة إلى الإنجاء والمحنة على تقدير أن تكون إلى العذاب. اهـ.

قوله: (خُلوف فيه) ـ بضمّ الخاء ـ تغيّر رائحة الفمّ. **قوله:** (ما يجب أن يصلح) على أن يقدّر له مفعول.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا. ومعنى اللام الاختصاص أي اختصّ مجيئه لميقاتنا ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة ولا كيفية. ورُوِيَ أنه (**كان يسمع الكلام من كل جهة**. وذكر **الشيخ في التأويلات**) أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع صوتًا دالًا على كلام الله تعالى، وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتًا تولّى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبًا لأحد من الخلق، وغيره يسمع صوتًا مكتسبًا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى، فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ثاني مفعولي ﴿أَرِنِىٓ﴾ محذوف أي أرني ذاتك أنظر إليك يعني مكنّي من رؤيتك بأن تتجلّى لي حتى أراك («أرْني» **مكيّ**. **وبكسر الراء مختلسة: أبو عمرو، وبكسر الراء مشبعة: غيرهما**) وهو دليل لأهل السنّة على جواز الرؤية، فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اعتقد أن الله تعالى يُرَى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية، وهو دليل لنا أيضًا لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفيًا للجواز، ولو لم يكن مرئيًا لأخبر بأنه ليس بمرئي إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان ﴿(وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ) فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ بقي على

قوله: (**كان يسمع الكلام من كلّ جهة**) المراد بالسّماع من كل جهة عدم اختصاص ما سمعه بجهة من الجهات. **قوله**: (**وذكر الشيخ**) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ (**في التأويلات**) أي في كتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب.

قوله: (أرْني) بإسكان الراء (مكّي) أي ابن كثير المكّي (**وبكسر الراء مختلسة أبو عمرو**) البصري (**وبكسر الراء مشبعة**) أي بالكسرة الكاملة (**غيرهما**). واتفقوا على إسكان يائه.

قوله: (﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾)، والجبل قيل: جبل زبير ـ بزاي معجمة مفتوحة وباء موحدة مكسورة وراء مهملة ـ بوزن أمير، اسم هذا الجبل؛ كما في

حاله ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ وهو دليل لنا أيضًا لأنه علّق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن، وتعليق الشيء بما هو ممكن يدلّ على إمكانه كالتعليق بالممتنع يدلّ على امتناعه، والدليل على أنه ممكن قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ ولم يقل «اندكّ» وما أوجده تعالى كان جائزًا أن لا يوجد لو لم يوجده لأنه مختار في فعله، ولأنه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالًا لعاتبه كما عاتب نوحًا عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: الآية ٤٦] حيث سأل إنجاء ابنه من الغرق.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر وبان ظهورًا بلا كيف. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: معنى التجلّي للجبل ما قاله (الأشعري) إنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلمًا ورؤية حتى رأى ربه، وهذا نصّ في إثبات كونه مرئيًا، وبهذه الوجزة يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالمًا بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: الآية ٥٥] فلطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرئي باطل إذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا إليك ثم يقول له: لن يروني. ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر، وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره، ألا ترى أنهم لما قالوا له: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ لم يمهلهم بل ردّ عليهم من ساعته بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ مدكوكًا

القاموس. والمشهور أنه الطّهور. اهـ شهاب. وعبارة القاموس: الزبير كأمير الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام. اهـ.

قوله: (الأشعريّ) أي أبو الحسن عليّ الأشعري، وهو صاحب الأُصول والقائم بنصرة مذهب السنّة، وإليه تنسب الطائفة الأشعريّة وشهرته تُغني عن الإطالة في تعريفه. توفي سنة نيّف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين فجأة، والأشعري ـ بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء ـ هذه النِّسْبة إلى أشعر، واسمه نَبْت بن أُدد بن زيد بن يشجب، وإنما قيل له أشعر؛ لأن أُمّه ولدته والشعر على بدنه، هكذا قاله السمعاني، والله سبحانه وتعالى أعلم.

مصدر بمصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير (**والدقّ والدكّ**) أخوان. (**«دكاء» حمزة وعلي**). أي مستوية بالأرض لا (**أكمة**) فيها وناقة دكاء لا (**سنام**) لها ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ حال أي سقط مغشيًّا عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من صعقته ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من السؤال في الدنيا ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بعظمتك وجلالك، وبأنك لا تعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها. وقال (**الكعبي والأصمّ**): معنى قوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأني أنظر إليك ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ فإني أظهر له آية، فإن ثبت الجبل لتجليها و﴿ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ فسوف تثبت لها وتطيقها. وهذا فاسد لأنه قال: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ ولم يقل «إليها» وقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكًّا؟

قوله: (والدقَ والدكَ) أخوان، أي نظيران، ومعناهما واحد. **قوله:** («دكّاء») بالمدّ والهمز من غير تنوين بوزن حمراء (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بالتنوين بلا مدّ ولا همز. **قوله:** (أكمة) في المصباح: الأكمة تلّ، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكانٍ واحد، وربما غلظ، وربما لم يغلظ، والجمع أكم وأكمات، مثل قصبة وقصب وقصبات، وجمع الأكم آكام مثل جبل وجبال، وجمع الآكام أُكُم ـ بضمّتين ـ مثل كتاب وكتب، وجمع الأُكُم آكام، مثل عنق وأعناق. اهـ.

قوله: (سَنام) ـ بالفتح ـ في لسان العرب: سَنام البعير والناقة أعلى ظهرها، والجمع أسْنِمَةٌ. اهـ.

قوله: (الكعبي) البلخي المتكلّم رأس الكعبية من المعتزلة وصاحب التصانيف والمقالات، أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود، وكان من مقالاته أنّ الله سبحانه وتعالى ليست له إرادة، وأنّ جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها، وله اختيارات في عِلْم الكلام. توفي مستهلّ شعبان سنة سبع عشرة وثلاثمائة، والكعبي ـ بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة ـ هذه النسبة إلى بني كعب، والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله:** (**والأصمّ**) أي وأبو بكر الأصمّ من المعتزلة.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ اخترتك على أهل زمانك «برسالتي» (**هي أسفار التوراة** «برسالتي»: **حجازي**) ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾ و(**بتكليمي إياك**) ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من شرف النبوّة والحكمة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم. قيل: خرّ موسى صعقًا (**يوم عرفة**)، وأعطي التوراة (**يوم النحر**). ولما كان هارون وزيرًا وتابعًا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح. وقيل: سبعة وكانت من (**زمرد**).

قوله: (هي أسفار التوراة) أي كتب التوراة ومجلّداتها وألواحها، وهو جمع سفر، وهو الكتاب. يقال: سفره أي كتبه، فتكون الرسالة عبارة عن نفس الشيء المُرسَل به إلى الغير، فينبغي أن يقدّر المضاف، أي بتبليغ رسالته. **قوله: (برسالتي)** بغير ألف بعد اللام على التوحيد (**حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وابن كثير المكي. والباقون بإثبات الألف على الجمع. **قوله: (بتكليمي)** أي الكلام هنا مصدر على أصله، لا اسم اللفظ. **قوله: (إيّاك)** أي المفعول في النّظم الجليل محذوف. **قوله: (يوم عرفة)** تاسع ذي الحجة عَلَم لا يدخلها الألف واللام، وهي ممنوعة من الصرف للتأنيث والعلمية. اهـ مصباح. **قوله: (يوم النَّحر)** عاشر ذي الحجّة يوم الأضحى؛ لأن البُدْن تُنْحر فيه. اهـ لسان العرب.

قوله: (زمرّد) في المصباح: الزمرّد ـ مثقل الراء مضمومة والذال معجمة ـ هو الزَّبرجد، قال ابن قُتيبة: والدال المهملة تصحيف، وحُكي في البارع عن الأصمعيّ: الصواب بذال معجمة الواحدة زمرّدة. اهـ. وفي مختار الصِّحاح: الزمرّد بضم الزاي والراء وتشديدها الزّبرجد، وهو معرب. اهـ. وفي القاموس: الزُّمُرُّد بالضمات وشدّ الراء الزبرجد معرب. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله

وقيل: من **(خشب)** نزلت من السماء فيها التوراة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ في محل النصب على أنه مفعول «كتبنا» ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ **(بدل منه)** والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام.

وقيل: أنزلت التوراة وهي سبعون **(وقر بعير)** لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر: موسى و**(يوشع)** وعزير وعيسى ﴿فَخُذْهَا﴾ فقلنا له خذها عطفًا على «كتبنا» والضمير للألواح أو ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ لأنه في معنى الأشياء ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة فعل **(أولي العزم)** من الرسل ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ **(أي فيها ما هو حسن وأحسن)**

الوهاب: زمرّد بضم الزاي المعجمة والميم والراء المهملة، وعن الأزهري: فتح الراء وبالذال المعجمة آخره، وهو غير الزبرجد، كما هو معلوم عند أهله. اهـ. وفي تاج العروس: (الزمرد بالضمّات وشدّ الراء هو الزبرجد) هكذا في الصحاح، (وهو معرب) قال ابن قتيبة: داله مهملة وصوّب الأصمعي الإعجام، ونقله في البارع وصححه، وقال بعض بالوجهين، وعن الأزهريّ فتح الراء أيضًا. قال التيفاشي في كتاب الأحجار: قال الفرّاء في كُتُبه: إن الزبرجد تعريب الزمرّد، وليس كذلك، بل الزبرجد نوعٌ آخر من الحجارة. وقال ابن ساعد الأنصاري: وقيل: إن معدنه بالقرب من معدن الزمرّد. قال شيخنا: وهذا نصّ في المغايرة، وقال: وفرّق جماعة آخرون بأن الزمرّد أشد خضرةً من الزبرجد، والله أعلم، انتهى. **قوله: (خشب)** في مختار الصحاح: جمع الخَشَبة خَشَب ـ بفتحتين ـ وخُشُب ـ بضمّتين ـ وخُشْب كقفل وخُشْبان كغفران. اهـ. وفي المصباح: الخشب معروف الواحد خشبة، والخشب ـ بضمّتين وإسكان الثاني ـ تخفيف مثله، وقيل: المضموم جمع المفتوح، كالأُسُد بضمتين جمع أسد بفتحتين. **قوله: (بدل منه)** أي من الجار والمجرور، يعني: أن كل شيء في محل النصب على أنه مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلًا بدل منه، فتكون كلمة مَنْ فيه مزيدة لا تبعيضيّة. **قوله: (وقر بعير)** في المصباح: الوَقْر بالكسر حَمْل البغل والحمار، ويُستعمل في البعير. اهـ. **قوله: (يوشع)** ـ بضمّ التحتية وفتح الشين ـ ابن نون. **قوله: (أولي العزم)** ذوي الثّبات والصبر على الشدائد. **قوله: (أي فيهما ما هو حسن وأحسن)**. . . الخ. إشارة إلى جواب ما يقال من أنه تعالى لمّا تعبّد بكلّ ما في التوراة وجب أن يكون

كالقصاص والعفو و(الانتصار) والصبر، فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله: ﴿وَاتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: الآية ٥٥]، ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ دار فرعون وقومه وهي مصر، ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف (أقفرت) منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكّل بكم مثل نكالهم أو جهلهم.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ﴾ عن فهمها. قال (ذو النون) قدّس الله روحه: أبى الله أن يكرم قلوب الباطلين بمكنون حكمة القرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ يتطاولون على الخلق و(يأنفون) عن قبول الحق. وحقيقته التكلّف للكبرياء التي اختصّت بالباري

الكلّ حسنًا، وقوله: ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥] يقتضي أن يكون فيها ما ليس بأحسن، وأنه لا يجوز الأخذ به، وهو متناقض، وأجاب عنه بأنّ ما في التوراة من التكاليف متفاوت منه ما هو أحسن، ومنه ما هو حسن؛ كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، وكل واحد منها وإنْ كان مشروعًا حسنًا في حكم التّوراة إلّا أنه تعالى أمرهم بطريق النّدب أن يأخذوا بالأفضل، فإنه أكثر ثوابًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزُّمَر: الآية ٥٥]، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: الآيتان ١٧، ١٨]، ولا يرد أن يقال: إنه تعالى لمّا أمر بالأحسن، فقد مَنَع عن الأخذ بالحسن، وذلك يقدح في كونه حسنًا؛ لأنّا نقول: إنما أمرهم بالأخذ بالأحسن على طريق النّدب، فيزول التناقض والإشكال. **قوله:** (الانتصار) أي الانتقام. **قوله:** (أقفرت) أي خلت فينكل بهم مثل نكالهم. في مختار الصِّحاح: نكّل به تنكيلًا، أي جعله نَكالًا وعِبْرة لغيره. اهـ.

قوله: (ذو النون) المصري، أبو الفَيْض ثوبان بن إبراهيم. **قوله:** (يأنفون) في المصباح: أنِفَ من الشيء أنفًا من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة، أي

عزّت قُدرته ﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هو حال أي يتكبرون غير محقين لأن التكبّر بالحق لله وحده ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ من الآيات المنزلة عليهم ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ طريق صلاح الأمر وطريق الهدى. («الرَّشَد»: حمزة وعلي). وهما كالسقم والسقم ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومحل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرفع أي ذلك الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بسبب تكذيبهم ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ غفلة عناد وإعراض لا غفلة سهو وجهل ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ هو من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ خبر ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وهو تكذيب الأحوال بتكذيب الإرسال.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد ذهابه إلى الطور ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ وإنما نسبت إليهم مع أنها كانت (عواري) في أيديهم لأن الإضافة تكون لأدنى ملابسة، وفيه دليل على أن مَن حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دارًا استعارها يحنث، على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم. وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها، نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فأسند الفعل إليهم. (والحلي) جمع «حلى» وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة («حليهم»: حمزة وعلي للاتباع) ﴿عِجْلًا﴾ مفعول «اتخذ» ﴿جَسَدًا﴾ بدل منه أي بدنًا ذا لحم ودم كسائر الأجساد ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ هو صوت

استنكف وهو الاستكبار. اهـ. قوله: («الرَّشَد») بفتح الراء والشين (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بضمّ الراء وإسكان الشين، وهما لغتان كالسُّقْم والسَّقَم.

قوله: (عواري) في القاموس: العاريّة ـ مشدّدة وقد يخفّف ـ والعارة ما تداولوه بينهم، والجمع عَوَارِيُّ ـ مشدّدة ومخفّفة ـ. اهـ. قوله: (والحلي) بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء وقد تُكسر الحاء، جمع حَلْي بفتح الحاء وسكون اللام. [illegible] بكسر الحاء واللام وتشديد الياء مكسورة [illegible] الكسائي [illegible] أي لإتباع الحاء لكسرة اللام كدليّ وعصيّ، جمعَيْ دلو وعصا

البقر والمفعول الثاني محذوف أي إلـٰهًا. ثم عجب من (**عقولهم السخيفة**) فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ حين اتخذوه إلـٰها ﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على مَن ﴿(لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ) مِدَادًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٩] (**لكلماته**) ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾) [الكهف: الآية ١٠٩] كلماته، وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق (بما أركز) في العقول من الأدلة وبما أنزل في الكتب. ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلـٰهًا فأقدموا على هذا الأمر المنكر ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل. وأصله أن من شأنه من اشتد ندمه أن يعضّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطًا فيها لأن فاه وقع فيها

أصلهما دلو وعصو، وقُلِبت الواو الأخيرة ياءً لوقوعها طرفًا بعد ضمّة، فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقُلِبت الواو ياء وأُدغمت وكُسِرت عين الكلمة، وإنْ كانت مضمومة في الأصل لتصحّ الياء، ثم لك بعد ذلك فيه وجهان: تَرْك الفاء على ضمّها واتّباعها للعين في الكسرة، وهذا مطرد في كل جمع على فعول من معتلّ اللام سواء كانت لامه واوًا كما في عصيّ ودليّ، أو ياءً كما في حليّ وثديّ في جمع حَلْي وثَدْي أصلهما حلوى وثدوى نحو فلوس في جمع فلس، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام وتخفيف الياء إمّا مفرد أريد به الجمع، أو اسم جمع مفرده حلية كقمح وقمحة. والباقون بضمّ الحاء وكسر اللام وتشديد الياء مكسورة جمع حلى كفلس وفلوس، والأصل حلوى، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قُلِبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء وكُسِرت عين الكلمة. **قوله:** (عقولهم السّخيفة) في لسان العرب: السَّخْف والسُّخْف والسخافة رقّة العقل، سَخُف ـ بالضم ـ سخافة فهو سخيف، ورجل سخيف العقل بيِّن السَّخَف، وهذا من سخفة عقلك والسَّخْف ضَعْف العقل.اهـ. **قوله:** (﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾) أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يُكتب به (لكلماته) الدالّة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به لنفد البحر في كتابتها. **قوله:** (بما أركز) في المِصْباح: ركزت الرمح ركزًا من باب قتل أثبته بالأرض فارتكز.اهـ.

وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية. وقال (الزجاج): معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال: «حصل في يده مكروه» وإن استحال أن يكون في اليد تشبيهًا لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ وتبينوا ضلالهم تبينًا كأنهم أبصروه بعيونهم ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ («لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا» حمزة وعلي). وانتصاب ﴿رَبَّنَا﴾ (على النداء) ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المغبونين في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ﴾ من الطور ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ بني إسرائيل ﴿غَضْبَانَ﴾ حال من ﴿مُوسَىٰ﴾ ﴿أَسِفًا﴾ حال أيضًا أي حزينًا ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ قمتم مقامي وكنتم خلفائي ﴿مِن بَعْدِي﴾ والخطاب لعبدة العجل من السامري و(أشياعه)، أو لهارون ومَن معه من المؤمنين، ويدلّ عليه قوله: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله، (وفاعل «بئس» مضمر يفسره «ما خلفتموني») والمخصوص بالذم محذوف

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النَّحوي. **قوله:** («لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا») بتاء الخطاب في الفعلين (حمزة وعليّ) الكسائي، وانتصاب ربَّنا أي نصب الباء من ربّنا (على النداء). والباقون بياء الغيب فيهما ورفع ربّنا **على** أنه فاعل.

قوله: (أشياعه) أي أتباعه. في المصباح: الشِّيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبزًا[1] لجماعة مخصوصة، والجمع شِيَع مثل سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع.اهـ. **قوله:** (وفاعل «بئس» مضمر يفسّره «ما خلفتموني»)، فإنّ الفاعل في باب نعم وبئس إذا كان مضمرًا يجب أن يفسّره بنكرة موصوفة، أو بما، وفسّر هٰهنا بقوله: ما خلفتموني، ولا يجوز أن

---

(١) أي لقبًا. ١٢ مصباح

تقديره بئس (خلافة) خلفتمونيها من بعدي (خلافتكم). ومعنى ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ بعد قوله: ﴿خَلَفۡتُمُونِي﴾ من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه، أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة حين قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف ﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾ أسبقتم بعبادة العجل ﴿أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ وهو إتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة. وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه. وقيل: عجلتم بمعنى تركتم (وألقى الألواح) (ضجرًا) عند استماعه حديث العجل غضبًا لله، وكان في نفسه شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبًا، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى، فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ﴾ (بشعر رأسه) غضبًا عليه حيث لم يمنعهم من عبادة العجل ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ عتابًا عليه لا (هوانًا) به وهو حال من موسى ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾ (بني الابن مع الأم على الفتح كـ «خمسة عشر» وبكسر الميم: حمزة وعلي وشامي)، لأن أصله أُميّ فحذف الياء اجتزاء

يكون ما خلفتموني فاعل بئس؛ لأن فاعله يجب أن يكون معرّفًا باللام، أو مضافًا إلى المعرّف باللام، وهو ليس واحدًا منهما، فتعيّن أن يكون الفاعل مضمر أو لا يضمر الفاعل فيه إلّا بشرط التفسير ومفسّره قوله: ما خلفتموني. **قوله:** (خلافة) بالنصب تفسير لما. **قوله:** (خلافتكم) هو المخصوص بالذمّ. **قوله:** (ضجرًا) في مختار الصّحاح: الضَّجَر القَلَق من الغمّ وبابه طَرِب، فهو ضَجِر ورجل ضجور. اهـ. **قوله:** (بشعر رأسه)؛ لأنه الذي يُمْسك ويُؤْخَذ. **قوله:** (هوانًا الهوان) نقيض العِزّ. **قوله:** (بني الابن مع الأم على الفتح كخمسة عشر) أي كتركيبها تركيب خمسة عشر بالشّبه اللفظي عندهم، فعلى هذا ليس ابن مضافًا لأُمّ، بل مركّب معها، ومذهب الكوفيّين أن ابن مضاف لأُم، وأُمّ مضافة للياء قُلِبت الياء ألفًا تخفيفًا، فانفتحت الميم؛ كقوله: يا بنت عمّا لا تلومي واهجعي، ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالّة عليها، [illegible] الكسائي [illegible] أي ابن عامر الشامي، وكذا أبو بكر شعبة عن عاصم كسر بناء عند البصريّين لأجل ياء المتكلّم. والباقون بفتحها على جعل الاسمين اسمًا واحدًا، وبُنِيَا على الفتح كما تقدّم.

عنها بالكسرة، (وكان ابن أمه وأبيه). وإنما ذكر الأم لأنها كانت مؤمنة ولأن ذكرها أدعى (إلى العطف) ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ أي إني (لم آل) جهدًا في كفّهم بالوعظ والإنذار ولكنهم استضعفوني وهمّوا بقتلي (﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾) الذين عبدوا العجل أي لا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي قرينًا لهم بغضبك علي. فلما اتضح له عذر أخيه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ ليرضي أخاه وينفي الشماتة عنه بإشراكه معه في الدعاء، والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخي ولأخي إن كان فرط في حسن الخلافة ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلـهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ خروجهم من ديارهم فالغربة تذلّ الأعناق أو ضرب الجزية عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ الكاذبين على الله (ولا فِرية) أعظم من قول السامري «هذا إلـهكم وإلـه موسى».

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾ رجعوا إلى الله ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ وأخلصوا الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي السيئات أو التوبة

قوله: (وكان ابن أمه وأبيه) على الأصح. **قوله:** (إلى العطف) أي الرحمة ورقّة القلب. **قوله:** (لم آل) من باب عدا، أي لم أقصّر. في القاموس: ألَى ألْوًا وأُلُوًّا وأُلِيًّا وألّا وائتَلى قَصَّر. اهـ. **قوله:** (﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾) يقال: شمّت به شماتة من باب علم يعلم إذا فرح ببليّة أصابت عدوّه، ثم ينقل إلى باب الأفعال للتعدية، وشماتة العدوّ أشدّ من كل بليّة. قال الشاعر:

والـمـوت دون شـمـاتـة الأعـداءِ

قوله: (ولا فِرْية) الفِرْية ـ بالكسر ـ بمعنى الكذب.

﴿لَغَفُورٌ﴾ لستور عليهم محاء لما كان منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ منعم عليهم بالجنة. و«إن» مع اسمها وخبرها خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جنايتهم أولًا، ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن عظمت فعفوه أعظم.

ولما كان الغضب لشدته كأنه هو الآمر لموسى بما فعل قيل:

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ وقال الزجاج: معناه سكن **(وقرىء به)** ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ **(وفيما نسخ منها)** أي كتب **(فعلة بمعنى مفعول)** كالخطبة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ **(دخلت اللام)** لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ **(أي من قومه)** فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ قيل: اختار من اثني عشر سبطًا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلًا

قوله: (وقُرِىء به) قرأ بها معاوية بن قرّة. **قوله: (وفيما نسخ منها)** أي من الألواح المنكسرة مبنيّ على ما رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لمّا ألقى موسى الألواح تكسّرت، فصام أربعين يومًا، فأعاد الله الألواح وفيها نقش ما في الأولى، وعلى قول مَنْ قال إن الألواح لم تنكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنى ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٤] المكتوب فيها. **قوله: (فعلة بمعنى مفعول)** حاصله أنّ نسخة فعلة بمعنى مفعولة، أي منسوخة. **قوله: (دخلت اللام)**... الخ. هذه لام التقوية الدّاخلة على المعمول المقدَّم.

قوله: (أي من قومه) اختار يتعدّى إلى اثنين إلى أوّلهما بنفسه، وإلى ثانيهما بحرف الجرّ، يقال: اخترت زيدًا من الرّجال ثم يتّسع ويُحذف الجار ويُوصل الفعل

فقال: ليتخلف منكم رجلان فقعد (كالب) و(يوشع) ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾ لاعتذارهم عن عبادة العجل ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ﴾ بما كان منهم من عبادة العجل ﴿وَإِيَّٰيَۖ﴾ لقتلي القبطي ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم أصحاب العجل ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ ابتلاؤك وهو راجع إلى قوله: ﴿قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: الآية ٨٥]، فقال موسى: هي تلك الفتنة التي أخبرتني بها أو هي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء، ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥] ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَن تَشَآءُ﴾ من علمت منهم اختيار الضلالة ﴿وَتَهۡدِي﴾ بها ﴿مَن تَشَآءُ﴾ من علمت منهم اختيار الهدى ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ مولانا القائم بأمورنا ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا﴾ وأثبت لنا واقسم ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ عاقبة وحياة طيبة وتوفيقًا في الطاعة ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الجنة ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب. ﴿قَالَ عَذَابِيٓ﴾ من صفته أني ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ أي لا أعفو عنه ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ أي من صفة رحمتي أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر إلا وعليه أثر رحمتي في الدنيا ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ أي هذه الرحمة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك من أمة محمد ﷺ ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بجميع كتبنا ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ لا يكفرون بشيء منها.

بنفسه، وقد يُحذف المفعول الثاني رأسًا، فيقال: اخترت زيدًا وقومه مفعول ثان وسبعين أوّلهما، والتقدير: واختار موسى سبعين رجلًا من قومه، والاختيار افتعال من لفظ الخير كاصطفى من الصفوة، يقال: اختار الشيء إذا أخذ خيره وخياره، قيل: وفيه دليل على أنّ كلّهم لم يعبدوا العجل. **قوله: (كالب)** بفتح اللام. **قوله: (يوشع)** ـ بضم التحتية وفتح الشين ـ ابن نون.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الذي نوحي إليه كتابًا مختصًا به وهو القرآن ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾ صاحب المعجزات ﴿ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ أي يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (**بخلع الأنداد**) وإنصاف العباد ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة (**كالشحوم**) وغيرها، أو ما طاب في الشريعة مما ذُكر اسم الله عليه من الذبائح (**وما خلا كسبه من السحت** ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ **ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به**)، أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة (**ونحوهما من المكاسب الخبيثة** ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾) هو الثقل الذي

قوله: (**بخلع الأنداد**) أي بترك الشركاء في العبادة. **قوله**: (كالشحوم) جمع شحم مثل فلس وفلوس. **قوله**: (**وما خلا كسبه من السحت**) في مختار الصِّحاح: السُّحْت - بسكون الحاء وضمّها - الحرام. اهـ. **قوله**: (﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ ما **يستخبث** كالدم **والميتة ولحم الخنزير** وما **أُهِلّ لغير** الله به) أي ذُبح على اسم غيره تعالى، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذِّبح لآلهتهم. اهـ جلالين. أو ما خبث في الحكم؛ كالربا والرشوة مثلثة. اهـ قاموس. (ونحوهما من المكاسب **الخبيثة**)، وفيه دليل على حُرْمة ما سوى السَّمك من حيوان البحر؛ لأن كلّها خبيث، فيكون ردًّا على الشافعي رحمه الله في حلّية جميع حيوان البحر، كذا في الهداية. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله**: (﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾) أي الثّقل والتكاليف الشاقّة التي كانت عليهم، مثل الغلّ، والأظهر أنهما جميعًا عبارتان عن التكاليف الشاقّة، كما هو رأي القاضي البيضاوي، والأكثرون على الفرق بينهما، فقال صاحب الكشاف: والإصر مثل لثقل تكليفهم، نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، والأغلال مثل لِمَا كان في شرائعهم من الأشياء الشاقّة،

(**يأصر**) صاحبه أي يحبسه عن (**الحراك**) لثقله، والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الأعضاء الخاطئة. («**آصارهم**» **شامي على الجمع** ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾ ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ هي الأحكام الشاقة نحو: (**بت القضاء بالقصاص**)

نحو بتّ القضاء بالقصاص عمدًا كان أو خطأ من غير شرع الدِّية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللَّحم، وتحريم السبت. وعن عطاء: كانوا بني إسرائيل إذا قاموا للصلاة لبسوا المسوح وغلّوا أيديهم إلى أعناقهم، وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة، هذا لفظه. وذكر صاحب المدارك: قطع الأعضاء الخاطئة من الإصر، وزاد في الأغلال ظهور الذنوب على الأبواب، وجعل صاحب الحُسينيّ قطع العضو والثوب من الإصر، وقتل النفس والقصاص وإحراق الغنيمة من الأغلال. وذكر الإمام الزاهد فرضيّة الصلاة في اللّيل والزكاة بربع المال وتحريم السبت من الإصر، وقطع الأعضاء الخاطئة من الأغلال، وقال أيضًا: إنّ ما قال الشافعي رحمه الله تعالى في موت ما ليس له دم سائل يفسد الطعام، وقليل النجاسة يمنع جواز الصّلاة يؤدي إلى إثبات الأغلال والآصار وإبطال مِنّة الله تعالى، هذا كلامه. ومرجع كل ذلك إلى جعل الإصر أشدّ من الأغلال تارة، وعكسه أخرى، وزاد بعضهم: وجوب خمسين صلاة في يوم وليلة، واقتصار جواز الصلاة في المسجد، وحرمة الجماع في أيّام الصوم بعدَ العَتْمة، وحُرمة الطعام بعد النَّوم، وإحراق المستقبل من الصدقات أيضًا، ومجازاة الحسنة بحسنة لا بعشر حسنات من الأغلال، هكذا ذكر بعض أهل الأُصول وقالوا: إنّ وضع هذه الآصار والأغلال عنّا يسمّى رخصة مجازًا؛ إذ الأصل ساقط لم يبق مشروعًا أصلًا، فلم يكن في الحقيقة إلا نسخًا، فهو من أتمّ نوعي المجاز من أنواع الرخصة، هذا لفظهم. والمقصود هنا هو بيان تحريم الخبائث ووضع الإصر والأغلال. اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله:** (**يأصر**) بابه ضرب. **قوله:** (**الحراك**) بحاء مكسورة وراء مهملة الحركة. **قوله:** («**آصارهم**») بفتح الهمزة ومدّها وفتح الصاد وألف بعدها (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**على الجمع**). والباقون بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد بلا ألف على الإفراد اسم جنس. **قوله:** (بَتّ) أي قطع (**القضاء بالقصاص**) أي تعيّن القضاء بالقصاص في

(عمدًا) كان أو خطأ من غير شرع الديّة، (وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب)، وإحراق (الغنائم) وظهور الذنوب على أبواب البيوت، و(شبهت بالغلّ) للزومها لزوم الغلّ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وعظموه أو منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو ـ وأصل العزر المنع ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن «ومع» متعلق بـ ﴿ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي واتبعوا القرآن المنزّل مع اتباع النبيّ والعمل بسنته ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل خير والناجون من كل شيء.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى كافة الإنس و(كافة) الجن ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿إِلَيْكُمْ﴾ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في محل النصب بإضمار أعني وهو نصب على المدح ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل من الصلة وهي ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وكذلك ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ وفي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة، وفي ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ بيان لاختصاصه بالإلهية إذ لا يقدر

القتل، وقد أورد عليه أنه ينافي ما ذكره في قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥]، من تفسيره بالعفو عن القصاص على طريقة الندب، وجمع بأنه كان مأمورًا به في الألواح أوّلًا ثم تعيّن عليهم القصاص تشديدًا عليهم جزاءً لما صدر عنهم. **قوله:** (عمدًا) بابه ضرب. **قوله:** (وقرض) أي قطع (موضع النجاسة من الجلد[1]) أي من البدن (والثوب) بالمِقْراض. **قوله:** (الغنائم) جمع غنيمة. **قوله:** (شُبِّهت بالغلّ) الغلّ ـ بالضم ـ طوق من حديد يُجعل في العنق، والجمع أغلال مثل قفل وأقفال. اهـ مصباح.

قوله: (كافة) أي جميع.

---

(١) قال المحقّق التفتازاني في تفسير الجلد: كالخفّ والفرو. ١٢ منه عمّ فيضهم.

على الإحياء والإماتة غيره ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي الكتب المنزلة ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ولم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (لتجري عليه الصفات) التي أُجريت عليه، ولما في الالتفات من (مزية) البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبيّ الأُميّ الذي يؤمن بالله وكلماته (كائنًا من كان ـ أنا أو غيري ـ إظهارًا للنصفة وتفاديًا) من العصبية لنفسه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذي هم عليه ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون. قيل: هم قوم وراء (الصين) آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج، أو هم (عبد الله بن سلام) و(أضرابه).

قوله: (لتجري عليه الصّفات) التي أُجريت عليه، فإن الضمير لا يُوصف ولا يُوصف به. **قوله:** (مزْية) في لسان العرب: المَزِية في كل شيء التَّمام والكمال، والمِزْية الفضيلة. اهـ باختصار. **قوله:** (كائنًا) حال عامله معنى الإشارة في هذا الشخص، واسمه الضمير العائد إليه وخبره (مَن كان) على أن مَنْ موصوفة بكان للإبهام، أي شخص كان بمعنى أيّ شخص حصل ووجد، وكان تامّة، وهذه الكلمة جرت مجرى المثل في التعميم حتى لا يغيّر لفظ كائنًا عن الإفراد نظرًا إلى الخبر، وإنْ كان مرجع الضمير جمعًا نحو: أيّها العلماء كائنًا مَنْ كان، قالوا: وهذا حال فيه معنى الشرط، أي إن كان هذا وإنْ كان ذلك (ـ أنا أو غيري ـ) بدل من هذا الشخص (إظهارًا) مفعول له ليُعْلَم. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (للنصفة) في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عامَلْته بالعدل والقسط، والاسم النّصفة بفتحتين، لأنك أعطيته من الحقّ ما تستحقّه لنفسك. اهـ. **قوله:** (تفاديًا) في لسان العرب: تفادى فلان من كذا إذا تحامى وانْزوى عنه. اهـ.

قوله: (الصين) بلد معروف. **قوله:** (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيليّ الأنصاري، ثم الخزرجيّ الصحابي، كنيته أبو يوسف. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث، وانفرد البخاري بآخر.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)﴾

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ وصيّرناهم قطعًا أي فرقًا وميّزنا بعضهم من بعض ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ كقولك اثنتي عشرة قبيلة، **(والأسباط أولاد الولد جمع سبط)** وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا **(من ولد يعقوب** عليه السلام). نعم **(مميز ما عدا العشرة)** مفرد فكان ينبغي أن يُقال اثني عشر سبطًا، **(لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة)** وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع «أسباط» موضع «قبيلة» ﴿أُمَمًا﴾ بدل من ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ أي وقطعناهم أممًا لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة

توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة. **قوله: (أضرابه)** أي أمثاله.

قوله: (والأسباط أولاد الولد جمع سبط) كحمل وأحمال. **قوله: (من ولد يعقوب عليه)** وعلى نبيّنا **(الصّلاة والسّلام)**. في مختار الصحاح: الولد يكون واحدًا وجمعًا، وكذلك الوُلْد بوزن القُفْل، وقد يكون الوُلْد **جمع** وَلَد كأسَد وأُسْد.اهـ. وفي المصباح: الولد ـ بفتحتين ـ كل ما ولده شيء، ويُطلق على الذّكر والأُنثى والمثنّى والمجموع فعل بمعنى مفعول، وهو مذكّر، وجمعه أولاد، والولد وزان قفل لغة فيه، وقيس تجعل المضموم جمعَ المفتوح، مثل أُسْد **جمع** أَسَد.اهـ. **قوله: (مميز ما عدا العشرة)** أي مميّز أحد عشر إلى تسعة عشر.

قوله: (لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة). . . الخ. أي جوّز أن يكون أسباطًا تمييزًا له بناء على أنّ كل فرقة من الفرق المنقطعة من بني إسرائيل ليس سبطًا واحدًا، بل أسباطًا؛ لأن السبط ولد الولد، فلو قيل: قطعناهم اثني عشر سبطًا، لكان المعنى: اثني عشر ولد، وليس المراد ذلك؛ بل المراد اثنتا عشرة قبيلة أسباطًا، فحذف ما هو المميّز حقيقةً، وهو القبيلة، وأُقيم صفته وهو أسباطًا مقامه، وأُعرب بإعرابه. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، وهو تعالى لمّا أخرجهم من أرض مصر وأدخلهم البريّة جعلهم اثنتي عشرة فرقة

كانت (تؤَم) خلاف ما تؤمه الأخرى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضرب ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ فانفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ هو اسم جمع (غير تكسير) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ وجعلناه ظليلًا عليهم في (التيه) ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم (النعم) ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ولكن كانوا يضرّون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ واذكر إذ قيل لهم ﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ

قبائل شتّى ليكون أمر كل سبط متعرّفًا من جهة رئيسهم، فيخفّ الأمر على موسى عليه السلام فيما يحتاج إليه من تعرّف أحوالهم ويسهل عليه جمعهم، ويعلم كل فريق مرجعهم في أُمورهم، وانحصار الفرق في اثنتي عشرة فرقة لأنهم كانوا من اثني عشر رجلًا من أولاد يعقوب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام؛ فأنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم أحوالهم، ولئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهَرج والمَرَج.

قوله: (تؤَم) في المصباح: أمّه أمًا من باب قتل قصده.اهـ. **قوله:** (غير تكسير) بدليل عَوْد الضمير المفرد إليه وتصغيره على لفظه، ولأن فعالًا بالضمّ ليس من صِيَغ الجمع، وما يقال في كتب اللغة: إنّ رخالًا ـ بالضمّ ـ جمع رخل ـ بكسر الخاء ـ وهي الأُنثى من ولد الضأن، فمبنيّ على أنهم يعنون بالجمع ما يعمّ اسم الجمع، كما يقولون: إنّ ركبًا جمع راكب.اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (التّيه) ـ بكسر التاء ـ المفازة.اهـ مصباح. **قوله:** (النِّعم) جمع نِعمة.

﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ﴾ («تُغفَر لكم» مدني وشامي «خطيئاتكم» مدني «خطاياكم» أبو عمرو «خطيئتكم» شامي) ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٦٢﴾ ولا تناقض بين قوله: ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ في هذه السورة وبين قوله في سورة «البقرة» ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ﴾ [البقرة: الآية ٨٥] لوجود الدخول والسكنى. وسواء قدموا الحطّة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما. وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته، وقوله: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة، وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتّب على قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وكذلك (زيادة منهم) زيادة بيان و﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ و﴿أَنزَلۡنَا﴾ و﴿يَظۡلِمُونَ﴾ و﴿يَفۡسُقُونَ﴾ من وادٍ واحد.

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣﴾

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ﴾ واسأل اليهود ﴿عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ (أيلة) أو مدين (وهذا السؤال للتقريع)

قوله: (تُغفَر لكم) بالتأنيث مَبْنيًا للمفعول (**مدني**) أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشامي، وكذا يعقوب البصري. والباقون بالنون مبنيًا للفاعل («**خطيئاتكم**») بجمع السلامة ورفع التاء على النيابة عن الفاعل، (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وكذا يعقوب البصري («**خطاياكم**») على وزن عطاياكم بجمع التكسير مفعولًا لتغفر (**أبو عمرو**) البصري («**خطيئتكم**») بالإفراد ورفع التاء (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بجمع السلامة وكسر التاء نصبًا على المفعوليّة. **قوله:** (**زيادة منهم**) أي لفظ منهم.

قوله: (أيْلة) ـ بفتح الهمزة وسكون الياء ـ قرية بين مِدْين والطور، وفي بعض النسخ: إيْلِياء ـ هي بالمدّ والتخفيف ـ اسم مَدِينَةِ بيت المقدس، وقد تشدد الياء الثانية وتقصر الكلمة. في فتح القدير: واختلف أهل التفسير في هذه القرية، أيّ قرية هي؟ فقيل: أيْلة، وقيل: طَبَريّة، وقيل: مِدْين، وقيل: إيلياء، وقيل: قرية من قرى ساحل الشام.اهـ. **قوله:** (**وهذا السؤال للتقريع**) والتوبيخ، أي ليس المقصود

بقديم كفرهم ﴿ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ قريبة منه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ إذ يتجاورون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ في محل الجرّ بدل من ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ منصوب بـ ﴿يَعْدُونَ﴾ أو بدل بعد بدل ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان، والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد، والمعنى إذ يعدون في تعظيم اليوم وكذا قوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدلّ عليه ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ و﴿يَوْمَ﴾ ظرف ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ معطوف على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ وحكمه كحكمه في الإعراب ﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعدما ركبوا (الصعب) والذلول في موعظتهم لآخرين (لا يقلعون) عن وعظهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ـ معذرةٌ ـ (أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله) لئلّا ننسب في

من السؤال استعلام ما لم يعلمه السائل؛ لأنه عليه الصّلاة والسّلام قد عَلِم هذه القصة من قِبَل الله تعالى بالوحي، بل المقصود بهذا السؤال تقريع اليهود على إقدامهم على الكفر والمعاصي قديمًا، وأن إصرارهم على الكفر بمحمّد ﷺ وإنكار نبوّته ومُعجزاته ليس شيء قد حدث منهم في زمانه، بل إصرارهم على الكفر كان حاصلًا لأسلافهم في قديم الزّمان.

قوله: (الصَّعْب) خلاف السَّهْل نقيض الذلول. اهـ لسان العرب. **قوله:** (لا يقلعون) الإقلاع عن الأمر الكفّ عنه، يقال: أقلع عمّا كان عليه وأقلعت عنه الحمّى. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله:** (أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله) أبليت فلانًا

النهي عن المنكر إلى (التفريط ﴿مَعْذِرَةً﴾ حفص) على أنه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ولطمعنا في أن يتقوا.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ أي أهل القرية (لما تركوا) ﴿مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ من العذاب الشديد ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين، فعن (الحسن): نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديد. يقال: بؤس يبؤس بأسًا إذا اشتدّ فهو بئيس. («بِئْس»: شامي «بِيس» مدني «بيئس» على وزن فيعل: أبو بكر غير حماد) ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

عذرًا، أي بيَّنت فيما بيني وبينه بما لا لَوْم عليّ بعد. اهـ محشي رحمه الله. **قوله:** (**التفريط**) أي التقصير. **قوله:** (﴿مَعْذِرَةً﴾) بالنصب (**حفص**) عن عاصم. والباقون بالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي موعظتنا، أو هذه معذرَة.

قوله: (**لما تركوا**)... الخ. يعني قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟﴾ [الأعراف: الآية ٥١] استعارة تبعيّة شبّه تركهم عمدًا لما وُعِظُوا به بترك مَنْ تركه سهوًا ونسيانًا، فأطلق عليه اسم النّسيان استعارة تصريحيّة، فاشتقّ منه نسوا وصير إلى المجاز لتعذّر الحمل على الحقيقة. **قوله:** (**الحسن**) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** («**بِئْس**») بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها على أنه صفة على وزن فَعِل أصله بَئِس ـ بفتح الباء وكسر الهمزة ـ فخفّف، كما في كبد وكتف، بأن قيل: كِبْد وكِتْف. (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي («**بِيس**») بكسر الباء الموحدة وياء ساكنة بعدها من غير همز مثل عيس على قلب الهمزة ياء، أو على أنه فعل الذمّ نُقِل إلى الاسميّة فوُصِف به. (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. («**بيئس**») بياء مفتوحة ثم ياء ساكنة ثمّ همزة مفتوحة (**على وزن**) ضَيْغم صفة على وزن (**فيعل، أبو بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم (**غير حماد**) بن زياد، فإنه رُوِي عنه بفتح الباء وكسر الهمزة وياء ساكنة على وزن رئيس وصف على فعيل كشديد للمبالغة، وبه قرأ الباقون.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ أي جعلناهم قردة (أذلّاء) مبعدين. وقيل: فلما عتوا تكرير لقوله ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ والعذاب البئيس: هو المسخ. قيل: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون، والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث. وقيل: بقيت وتناسلت.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي أعلم **(وأُجري مجرى فعل القسم)**، ولذا أُجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي كتب على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ من يوليهم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ فكانوا يؤدّون الجزية إلى **(المجوس)** إلى أن بعث محمد ﷺ فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم **(إلى آخر الدهر)** ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ للكفار ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وفرّقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة ﴿(أُمَمًا) مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ

قوله: (أذلّاء) جمع ذليل.

قوله: (وأُجري مجرى فعل القسم) من حيث دلالته على تأكيد الخبر المؤذن به. **قوله:** (المجوس) جَيْل معروف. **قوله:** (إلى آخر الدَّهر) هذا لا ينافيه نزول عيسى على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسّلام ورفع الجزية؛ لأنه مِنْ أشراط الساعة المُلحقة بأُمور الآخرة.

قوله: (﴿أُمَمًا﴾) مفعول ثانٍ أن جعل قطع بمعنى صيّر، أو حال إن بقي على أصل معناه، ومنهم الصالحون صفة لأُممًا أو بدل منه، فيكون مفعولًا ثانيًا، أو حالًا من مفعول قطعناهم، أي فرّقناهم حال كونهم منهم الصالحون. **قوله:**

﴿ذَٰلِكَ﴾ ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم (الفسقة) ومحل ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (بالنعم والنقم والخصب) والجدب ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ينتهون فينيبون.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)﴾

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المذكورين «خلف» وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ، (والخلْف بدل السوء بخلاف الخلَف فهو الصالح) ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ووقفوا على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هو حال من الضمير في ﴿وَرِثُوا۟﴾ والعرض: المتاع (أي حطام هذا الشيء الأدنى) يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب، والمراد ما كانوا يأخذونه من (الرشا) في الأحكام على تحريف (الكلم) وفي قوله: ﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ تخسيس وتحقير ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يؤاخذنا الله بما أخذنا، والفعل مسند إلى الأخذ أو إلى الجار والمجرور أي لنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (أي الميثاق المذكور في الكتاب) ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله إلا الصدق، وهو عطف بيان لـ ﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ وقرءوا ما في الكتاب وهو عطف على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾ لأنه تقرير فكأنه قيل: أخذ عليهم

(الفَسَقة) جمع فاسق، **قوله: (بالنِّعم والنِّقم)** لأنهما مما يُختبر بهما. **قوله: (الخصب)** ـ بالكسر ـ ضدّ الجَدْب، أي القَحْط.

قوله: (والخلف) بسكون اللام **(بدل السوء بخلاف الخلف)** بفتح اللام **(فهو الصالح)**. **قوله: (أي حطام هذا الشيء الأدنى)** الحطام ـ بالضم ـ المتكسّر من اليبس، والمراد حقارته. **قوله: (الرّشا)** بضمّ الراء وكسرها جمع رشوة. **قوله: (الكلم)** جمع كلمة. **قوله: (أي الميثاق المذكور في الكتاب)** إشارة إلى أن الإضافة

ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العرض الخسيس ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الرشا والمحارم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ـ أفلا يعقلون ـ أنه كذلك (وبالتاء: مدني وحفص).

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ (بِٱلْكِتَٰبِ)﴾ «يـمْسكون» أبو بكر) والإمساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلّق بشيء ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ خصّ الصلاة مع أن التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لأنها (عماد الدين) و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ (أي إنا لا نضيع أجرهم). وجاز أن يكون مجرورًا عطفًا على ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراض.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ واذكروا إذا قلعناه ورفعناه كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: الآية ٦٣] ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ هي كل ما أظلّك من

على معنى في. **قوله:** (وبالتاء) أي بتاء الخطاب (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، (وحفص) عن عاصم، وكذا ابن عامر الشاميّ وسهل ويعقوب، وليسا من السبعة. والباقون بياء الغيبة.

قوله: («يمْسكون») بسكون الميم وتخفيف السين من أمسك، وهو متعدٍّ، فالمفعول محذوف، أي دينهم أو أعمالهم (﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾) والباء للحال، أو الآلة (أبو بكر) عن عاصم. والباقون بالفتح والتشديد من مسك بمعنى تمسّك، فالباء للآلة، كهي في تمسّكت بالحبل. **قوله:** (عماد الدين) في لسان العرب: العِماد والعَمود الخشبة التي تُقيم عليها البيت.اهـ. وأيضًا فيه: العماد: ما أُقيم به.اهـ. **قوله:** (أي إنا لا نضيع أجرهم) يعني أن الخبر الجملة لا بدّ فيها من رابط يربطها بالمبتدأ، وذلك الرابط الاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير، فإنّ مقتضى الظاهر أن يقال: إنّا لا نضيّع أجرهم، إلّا أنه وضع المصلحين موضع الضمير تنبيهًا على أنه تعالى لا يضيّع أجرهم لأجل إصلاحهم.

(سقيفة) أو سحاب ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ وعلموا أنه (**ساقط عليهم**)، وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخًا في فرسخ. وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم. فلما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدًا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل (**فرقًا**) من سقوطه، فلذلك لا ترى يهوديًا يسجد على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة، وقلنا لهم ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٖ﴾ وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الأوامر والنواهي ولا تنسوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ما أنتم عليه.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ أي واذكر إذ أخذ ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ بدل من ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ والتقدير: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلاب آبائهم ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ (**هذا من باب التمثيل**)، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلّة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيها وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلّة الشاهدة على صحتها العقول، كراهة أن يقولوا ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ لم ننبه عليه.

﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ﴾ أو كراهة أن يقولوا ﴿إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلّة على التوحيد وما نبّهوا عليه قائم معهم فلا

قوله: (سقيفة) في المصباح: السقيفة الصفة، وكل ما سُقف في جناح وغيره. اهـ. **قوله: (ساقط عليهم)** إشارة إلى أن الباء بمعنى على كما في إن تأمنه بقنطار، وهو أحد معانيها. **قوله: (فرَقًا)** أي خوفًا.

قوله: (هذا من باب التمثيل) ومعنى التمثيل تشبيه الحال بالحال.

عذر لهم في الإعراض عنه والاقتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي كانوا السبب في شركنا (**لتأسيسهم**) الشرك وتركه سنة لنا.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التفصيل البليغ ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ لهم (﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ **عن شركهم نفصلها**). إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير، منهم (**الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشري**)، وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله

قوله: (**لتأسيسهم**) في المصباح: أسّسته تأسيسًا جعلت له أساسًا. اهـ. وأيضًا فيه: أُسّ الحائط ـ بالضمّ ـ أصله وجمعه آساس، مثل قفل وأقفال، وربما قيل: أساس مثل عُسّ وعِساس، والأساس مثله، وجمعه أُسُس، مثل عَناق وعُنق. اهـ.

قوله: (﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ **عن شركهم نفصلها**) عبارة تفسير الكشاف: (﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾) وإرادة إن رجعوا عن شركهم نفصّلها. اهـ.

قوله: (**الشيخ أبو منصور**) محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ رحمه الله.

قوله: (**والزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النَّحوي.

قوله: (**والزمخشري**) هو محمود بن عمر، أبو القاسم جار الله الزمخشري نسبةً إلى زمخشر، قرية من قرى خُوارزم، كان إمام عصره بلا مدافع، نحويًّا ذكيًّا، فقيهًا مناظرًا بياتيًّا متكلّمًا مناظرًا أديبًا شاعرًا مفسّرًا من أكابر الحنفيّة، حنفي المذهب، معتزليّ المعتقد، له في العلوم آثار ما ليست لغيره من أهل العصر، ومِنْ تصانيفه: الكشاف في التفسير، والفائق في اللغة في تفسير الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، وربيع الأبرار، ومتشابه أساس الرواة، والنصائح الكبار، والنصائح الصغار، والرائض في علم الفرائض، والمفصّل في النَّحو، والأُنموذج، والمفرد، وشرح أبيات سيبويه، وشقائق النعمان وغير ذلك. وُلِد سنة (٤٦٧) سبع وستين وأربعمائة، ومات سنة (٥٣٨) ثمان وثلاثين وخمسمائة. ذكر السمعاني أن زمخشر ـ بفتح الزاي وسكون الخاء بينهما ميم مفتوحة وبعد الخاء شين معجمة ـ قرية كبيرة من قرى خُوارزم، مثل بليدة، وقال: المشهور منها محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم، كان يُضرَب به المثل في الأدب والنَّحو، بقية

تعالى أخرج ذريّة آدم من ظهر آدم (مثل الذر) وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأجابوه بـ ﴿بَلَىٰ﴾. قالوا: وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه إياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال: هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق أن يعبدوني. قيل: كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف. وقيل: بعد النزول من الجنة. وقيل: في

الأفاضل الكبار وصنّف التصانيف في التفسير والأحاديث واللغة وظهر له جماعة أصحاب، وكانت ولادته بزمخشر في رجب سنة ٤٦٧، وتوفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨، انتهى. وفي بُغْية الوعاة: كان كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، مُتْقِنًا في كل علم، معتزليًا قويًا في مذهبه، مُجاهِرًا به، حنفيًا، وَرَدَ بغداد غير مرّة وأخذ الأدب عن أبي الحسن عليّ بن المظفّر النيسابوريّ وأبي نعيم الأصبهاني، وجاور بمكّة وتلقّب بجار الله وفخر خوارزم أيضًا، وأصابه خراج في رجله فقطعها، وصَنَع عوضَها رجلًا من خشب، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال، فيظنّ أنه أعرج، انتهى. وفي مرآة الجنان في حوادث سنة ٥٣٨: فيها توفي العلّامة اللغويّ النحويّ المفسّر المعتزليّ أبو القاسم محمود الزمخشري، كان مُتْقنًا في التفسير والحديث والنَّحو واللغة والبيان، إمام عصره في فنونه، وله التصانيف الكبيرة البديعة الممدوحة، عدّ بعضهم منها ثلاثين، انتهى. وذكر العلَّامة السيوطي في البغية، من تصانيفه: المُسْتَقْصَى في الأمثال، وأطواق الذهب، وشرح مشكلات المفصل، والكلم النوابغ، والقسطاس في العروض، والأحاجي النَّحويّة وغير ذلك مما مرّ. وذكر العلَّامة القاري رحمه الله منها: المنهاج في الأُصول، والرسالة الناصحيّة، ومقدّمة الأدب، ورؤوس المسائل في الفقه، وصميم العربية، وديوان التمثيل، والأمالي، ومعجم الحدود والمياه والأماكن والجبال، وضالّة الناشد، وقال: هو حنفي الفروع معتزلي الأُصول له دسائس خُفِيَت على أكثر الناس، فلهذا حرّم بعض فقهائنا مطالعة تفسيره لِمَا فيه من سوء تعبيره في تأويله وتغييره. اهـ. وأفاد العلَّامة الفهّامة الأفندي داده جونكي في حاشيته على شرح السَّعد في التصريف: قال العلّامة أكمل الدين في شرح الكشاف: أنه قد تاب من مذهب الاعتزال، وصنّف النصائح الصغار ونصائح الكبار بعد توبته من الاعتزال، انتهى.

قوله: (مثل الذرّ) أي النمل.

الجنة. (والحجة للأولين أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ ولم يقل من ظهر آدم، ولأنا لا نتذكر ذلك فأنى يصير حجة).

قوله: (والحجَة للأولين أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾، ولم يقل من ظهر آدم؛ ولأنا لا نتذكَر ذلك، فأنى يصير حجَة) قال العلّامة التفتازاني: وما ورد في الحديث الصحيح من إخراج الذرّيَّة من ظهر آدم لا ينافي ذلك؛ لأن بني آدم من ظهر آدم، فالمخرج من ظهورهم مُخرج من ظهره. اهـ. وفي تفسير الخازن: **فإن قلت**: إذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب جمهور المفسّرين من السلف في ذلك، وأنّ الله أخرج الذُّرّيّة من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم، كما ورد في الحديث أيضًا، فكيف يُحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول؟

قلت: قد صحّ الحديث بأنّ الله مسح ظهر آدم فأخرج ذرّيته وأخذ عليهم الميثاق، ولا مُنافاة بين الآية والحديث، كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذُرِّيّة آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض، كما في الخارج، وكلّهم بأجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم، فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث؛ إذ ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدلّ على بطلان ذلك ونفيه، وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته، فوجب المصير إليه والأخذ به جمعًا بين الآية والحديث. وحَكى الواحديّ عن صاحب النّظم أنّه قال: ليس بين قوله عليه الصّلاة والسّلام أنّ الله مسح ظهر آدم، فأخرج منه ذرّيته، وبين الآية اختلاف بحمد الله؛ لأنه تعالىٰ إذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذرّيته، لأن ذرّية آدم ذرّيّة كذرّية بعضهم من بعض، قال: وتحصل الفائدة بهذا الفصل بأنه تعالى ثبت الحجّة على كل منفوس ممن بلغ ومَنْ لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم، وزاد على مَنْ بلغ منهم الحجّة بالآيات والدّلائل التي نصبها بالرسل المنفذة إليهم مبشّرين ومنذرين وبالمواعظ، وقال غيره: فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أنّ مَنْ مات منهم صغيرًا أُدخل الجنّة بإقراره بالميثاق الأوّل، وهذا على قول مَنْ يقول: إنّ أطفال المشركين يدخلون الجنّة إذا ماتوا صغارًا، فأمّا مَنْ لا يحكم لهم بالجنّة، فإنه يقول: مَنْ كان مِنْ أهل الشقاوة مِنَ الذُّرِّيّة السوداء، وإنما أقرّوا بالمعرفة كرهًا، فلم يُغْنِ عنهم ذلك شيئًا، ومَنْ بلغ وعَقِل لم يُغْنِ عنه إقراره بالميثاق الأوّل شيئًا حتى يؤمن ويصدّق عند بلوغه وعقله بأنّ الله ربّه وخالقه،

....

ويصدّق رُسُله فيما جاؤوا به من عنده، وإنما فعل ذلك لئلّا يقول الكفّار: إنّا كنّا عن هذا الميثاق أو الإيمان بأن الله ربّنا غافلين، أو لئلّا يقول أخلافهم: إنما أشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم، ظنًّا منهم أنّ الحق ما كانوا عليه.

فإن قلت: إنّ ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم، فكيف يكون حجّة عليهم اليوم؟ أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتجّ عليهم به؟

قلت: لما أخرج الذرّيّة من صلب آدم ركّب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق، فلما أُعيدوا إلى صلب آدم بَطُل ما ركّب فيهم، فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق، لاقتضاء الحكمة الإلـهيّة نسيانهم له، ثم ابتدأهم بالخطاب على ألسنة الرُّسل عليهم الصّلاة والسّلام وأصحاب الشرائع، فقام ذلك مقام الذِّكر؛ إذ الدار دار تكليف وامتحان، ولو لم ينسوه لانْتَفَت المِحْنة والابتلاء والتكليف، فقامت الحجّة عليهم لإمدادهم بالرُّسل وإعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم، وبذلك قامت الحجّة عليهم أيضًا يوم القيامة لإخبار الرسل إيّاهم بذلك الميثاق في الدنيا، فمن أنكره كان مُعانِدًا ناقضًا للعهد، ولزمتهم الحجّة ولم تسقط الحجّة عنهم بنسيانهم، وعدم حفظهم بعدم إخبار الصادق صاحب الشّرع والمعجزات الباهرات. اهـ بحروفه.

وفي التفُسيرات الأحمدية: وقد ذكر الإمام الزّاهد هـٰهنا في تفسير الآية كلامًا طويلًا، حاصله أنه قيل: لا ميثاق وقت آدم، إنما هو الآن على المكلّفين، وقيل: إنما هو للكافر فقط، وقيل: للمسلم فقط، وقيل: لهما، ولكن المسلم أجاب طَوْعًا والكافر كُرْهًا، والكلّ غلط، والصحيح أنه أخذ الميثاق من الكلّ، وأجاب الكلّ بطوع واختيار واستنطقهم وجعلهم سامعين عاقلين، وليس ذلك بعجب؛ فصدَّقوا بقلوبهم وأقرّوا بلسانهم، وأشهد عليهم السمٰوات السبع والأرضين السبع والملائكة، وأشهد عليهم آدم، فهو حقّ غايته أنه لم يذكره أحد من المؤمنين والكافرين، ولا يضرّ ذلك؛ لأن الدنيا دار تعب ومِحْنة، ولو كانوا ذاكرين لذلك العهد لارتفع الابتلاء؛ ولأن الله لم يكتفِ بذلك العهد، بل جدَّده في كل عصر على ألْسِنة الرُّسل، فمَنْ قَبِله نفعه العهد الأوّل، ومَنْ لا فلا؛ والدليل على إقرارهم

(«ذرياتهم» مدني وبصري وشامي «أن يقولوا» «أو يقولوا»: أبو عمرو).

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود ﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ هو عالم من علماء بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، وعلى تصديقهم قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، والدليل على تعميم الميثاق قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٦]، فإنه يدلّ على أن الكفار كلّهم آمنوا يوم الميثاق، وكفروا بعد، وإلّا لكان مختصًا بالمرتدّين، وإنما لم يبقوا على الإيمان في الدار الدنيا، وإن أقرُّوا قبله لأنّ الخلق في الدنيا إنما هو على موافقة علمه الأزليّ، فأحدث كما علم، وإنما جاز استرقاق أطفال الكَفَرة ونحوه، وإن لم يوجد منهم الكفر؛ لأنّ ذلك بحكم الله يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد. وأما أحكامهم في الآخرة، فتوقف فيه الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه واختلف فيه غيره، وإنما يحلّ أخذ الجزية من الكفار ومناكحة أهل الكتاب؛ لأن عدمه موقوف على الإيمان الابتدائي، ولم يوجد منهم، هذا حاصل ما فيه. وقد ذكر الإمام فخر الإسلام البزدوي وغيره في بحث الأهليّة: أنّ الآدمي يُولد وله ذمّة صالحة للوجوب بناءً على عهد الميثاق، ولكنه لمّا لم يصلح للأداء قبل البلوغ لم يجب عليه؛ لأن المقصود من الوجوب الأداء، وهذا أهليّة وجوب، ثم بعدها أهليّة أداء، وهي نوعان: كاملة وقاصرة، وهكذا سرد الكلام إلى آخره، وفيه تفصيل لا يليق بهذا المختصر، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

قوله: («ذرياتهم») بإثبات الألف بعد الياء التحتية مع كسر التاء على الجمع، (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وبصريّ) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (وشاميّ) أي ابن عامر الشامي. والباقون بحذف الألف ونصب التاء الفوقيّة على الإفراد. **قوله:** («أن يقولوا») يوم (أو يقولوا) إنما بياء الغيب فيهما (أبو عمرو)، والباقون بتاء الخطاب فيهما.

وقيل: هو (بلعم) بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ فخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينًا له ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فصار من الضالين الكافرين. رُوِيَ أن قومه طلبوا منه أن يدعو على موسى ومَن معه فأبى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الأعظم.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء ﴿بِهَا﴾ بتلك الآيات ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا ورغب فيها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إيثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ أي تزجره وتطرده ﴿يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ غير مطرود (﴿يَلْهَث﴾) والمعنى فصفته التي هي مثل في الخسّة و(الضعة) كصفة الكلب في أخسّ أحواله وأذلّها وهي حال دوام اللهث به، سواء حمل عليه أي شدّ عليه و(هيج) فطرد، أو ترك غير متعرّض له بالحمل عليه، وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا حرّك، أما الكلب فيلهث في الحالين فكان مقتضى الكلام أن يُقال: ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته، فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط. ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل: كمثل الكلب ذليلًا دائم الذلّة لاهثًا في الحالين. وقيل: لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل

قوله: (بلعم) بفتح الموحدة بزنة أرقم، ابن باعورا ـ بالموحدة والألف المقصورة في آخره ـ. اهـ كمالين.

قوله: (﴿يَلْهَث﴾) يدلع[1] لسانه، أي يُخرجه. **قوله:** (الضعة) بفتح الضاد وكسرها. في المصباح: وضع في حسبه بالبناء للمفعول، فهو وضيع، أي ساقط لا قدر له، والاسم الضِّعَة بفتح الضاد وكسرها. **قوله:** (هيج) في المصباح: هاجَ

---

(١) في القاموس: دلع لسانه كمَنَع، أخرجه كأدلعه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يلهث كما يلهث الكلب. وقيل: معناه هو ضالّ وعظ أو ترك. وعن (عطاء): مَن علم ولم يعمل فهو كالكلب (ينبح) إن طرد أو ترك ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ من اليهود بعد أن قرؤوا نعت رسول الله ﷺ في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه ﴿فَٱقْصُصِ (ٱلْقَصَصَ)﴾ أي قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي مثل القوم فحذف المضاف، وفاعل ﴿سَآءَ﴾ مضمر أي ساء المثل مثلًا. وانتصاب ﴿مَثَلًا﴾ على التمييز ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ معطوف على ﴿كَذَّبُوا۟﴾ فيدخل في حيّز الصلة أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم، أو منقطع عن الصلة أي وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب، وتقديم المفعول به للاختصاص أي وخصّوا أنفسهم بالظلم لم يتعد إلى غيرها. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ حمل على اللفظ ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي ومن يضلله ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ حمل على المعنى، ولو كان الهدي من الله البيان كما قالت المعتزلة، لاستوى الكافر والمؤمن إذ البيان ثابت في حق الفريقين فدلّ أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة، ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن.

الشيء هَيَجانًا وهِيَاجًا ـ بالكسر ـ ثار وهجته يتعدّى ولا يتعدّى، وهيَّجته بالتثقيل مبالغة. اهـ. **قوله:** (عطاء) بن أبي رَباح، كان من أجلّاء الفقهاء وتابعي مكّة وزُهّادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاريّ وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقًا كثيرًا من الصحابة رضوان الله عليهم. ورَوَى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة ومالك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير رحمهم الله، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكّة في زمانهما. توفي سنة خمس عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (ينبح) في مختار الصحاح: نبح الكلب من باب ضرب وقطع نبيحًا أيضًا ونُباحًا ـ بضم النون وكسرها ـ وربما قالوا: نبح الظَّبْي. اهـ. **قوله:** (﴿ٱلْقَصَصَ﴾) مصدر بمعنى اسم المفعول.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبّر آيات الله، والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك. ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده، وأما مَن علم أنه يكفر به فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه. فالحاصل أن مَن علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة، ومَن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك، وكم من عام يراد به الخصوص! وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرارًا عن إرادة المعاصي عدول عن الظاهر ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ولا يتفكرون فيه ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الرشد ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الوعظ ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه، والنظر: الاعتبار والاستماع للتفكر ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول، فالأنعام تطلب منافعها و(**تهرب**) عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار، وكيف يستوي المكلّف المأمور والمخلي المعذور؟ فالآدمي روحاني شهواني سماوي أرضي، فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السمٰوات، وإن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلة.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التي هي أحسن الأسماء لأنها تدلّ على معانٍ حسنة؛ فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شيء، والباقي بعد كل شيء، والقادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، والواحد الذي ليس كمثله شيء، ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم، ومنها ما يوجب

قوله: (تهرب) في مختار الصِّحاح: الهرَب الفرار، وقد هَرَب يَهْرُب هَرَبًا مثل طلب يَطْلُب طَلَبًا. اهـ.

التخلّق به كالفضل والعفو، ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير والمقتدر، ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فسمّوه بتلك الأسماء ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ (واتركوا تسمية الذين) يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولون: يا سخي يا رفيق، لأنه لم يسم نفسه بذلك. ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلّة («يلحدون») حمزة لحد وألحد مال ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ للجنة لأنه في مقابلة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ في أحكامهم. قيل: هم العلماء (والدعاة) إلى الدين، وفيه دلالة على أن إجماع كل عصر حجة ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ (سنستدنيهم) قليلًا قليلًا إلى ما يهلكهم ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع (انهماكهم) في الغي، فكلما جدّد الله عليهم نعمة ازدادوا (بطرًا) وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانّين أن ترادف النعم (أثرة) من الله تعالى وتقريب وإنما هو (خذلان) منه وتبعيد، وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ عطف على ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ وهو غير داخل في حكم السين أي أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أخذي شديد.

قوله: (واتركوا تسمية الذين) إشارة إلى أنّ فيه مضافًا مقدّرًا، وهو تسمية بقرينة المقام. **قوله:** («يلحدون») بفتح الياء من لَحَدَ ثلاثيًا حمزة، والباقون بضمّ الياء وكسر الحاء من ألحد.

قوله: (والدُعاة) جمع الدَّاعي. **قوله:** (سنستدنيهم) الاستدناء استفعال من الدنوّ، وهو القُرب، أي سنقرّبهم. **قوله:** (انهماكهم) في المصباح: انهمك في الأمر انهماكًا جدَّ فيه ولجّ فهو منهمك. اهـ. **قوله:** (بطرًا) أي فخرًا وتكبّرًا. **قوله:** (أثرة) في القاموس: الأُثْرَة ـ بالضم ـ المَكْرُمة المتواترة. اهـ. **قوله:** (خذلان) في مختار الصِّحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضمّ ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عَوْنه ونصرته.

سمّاه كيدًا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان. ولما نسبوا النبيّ ﷺ إلى الجنون نزل:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد عليه السلام و«ما» نافية بعد وقف أي أو لم يتفكروا في قولهم، ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ منذر من الله (موضح إنذاره) ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ نظر استدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الملكوت الملك العظيم ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾ «أن» مخففة من الثقيلة وأصله «وأنه عسى»، والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجرّ بالعطف على ﴿مَلَكُوتِ﴾، والمعنى أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى ﴿أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به، وهو متعلق بـ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت؟ وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق؟ وبأي حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟

لا يهده أحد ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم. الباقون: بالنون) ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون. ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ وهي من الأسماء الغالبة (كالنجم للثريا). وسُميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة (أو لسرعة حسابها، أو لأنها عند الله على طولها) كساعة من الساعات عند الخلق ﴿أَيَّانَ﴾ متى واشتقاقه، من «أي» (فعلان منه) لأن معناه أي وقت ﴿مُرْسَاهَا﴾ إرساؤها (مصدر) مثل المدخل بمعنى الإدخال، أو وقت إرسائها أي إثباتها، والمعنى متى يرسيها الله ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي علم وقت إرسائها عنده قد (استأثر) به لم يخبر به أحدًا من ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (لا يظهر أمرها) ولا يكشف خفاء علمها إلا

لا يهده أحد، ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ **والرفع**) أي رفع الراء (**على الاستئناف وهو يذرهم**) أبو عمرو وعاصم ويعقوب. (**الباقون**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي وابن عامر الشاميّ (**بالنون**) ورفع الراء على الاستئناف.

قوله: (كالنَّجم للثريَا) في المصباح: إذا أطلقت العرب النَّجم أرادوا الثريّا، وهو علم عليها بالألف واللام. اهـ. **قوله: (أو لسرعة حسابها)**، فأُطلقت على ذلك اليوم بهذا الاعتبار. **قوله: (أو لأنها عند الله على طولها)**... الخ. أي سُمِّيت بذلك لذلك، وفرّق بين الوجوه بأن مبنى الأوّل أنها اسم لزمان قيام الناس، لا للزمان المديد، ومبنى غيره على أنها اسم لزمان ممتدّ. اهـ شهاب. **قوله: (فعلان منه)** زيدت الألف والنون على أي فصار أيّان. **قوله: (مصدر)** ميميّ. **قوله: (استأثر)** أي انفرد. **قوله: (لا يظهر أمرها)** إشارة إلى أن التَّجلية إظهار الشيء، والتجلّي ظهوره، وقدّر المضاف في قوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] لأنه

هو وحده ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي كل مَن أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة، ويتمنى أن يتجلّى له علمها وشقّ عليه خفاؤها، وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يخافون شدائدها وأهوالها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (فُجاءة) على غفلة منكم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ (كأنك عالم بها) وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها، لأن مَن بالغ في المسألة عن الشيء و(التنقير) عنه استحكم علمه فيه. وأصل هذا التركيب المبالغة، ومنه (إحفاء الشارب)، أو ﴿عَنْهَا﴾ متعلق بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وكرر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ و﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ للتأكيد ولزيادة ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة، منهم (محمد بن الحسن) رحمه الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه المختص بالعلم بها.

تعالى قد كشف وأظهر نفس قيام الساعة بدلائل قطعيّة ونصوص متعاضدة، وليس المنفي إلا إظهار أمرها في حقّ وقتها وتعيينه، والمعنى لا يعلم الوقت الذي فيه يحصل قيام الساعة إلّا الله سبحانه وتعالى. **قوله:** (فُجاءة) بالضم والمدّ، وفي لغة: وزان تمرة. اهـ مصباح.

قوله: (كأنك عالمٌ بها)... الخ. لما ورد أن يقال: لو كان الحفي بمعنى العالم، لوجب أن يُعدّى بالياء، فكيف قيل: حفي عنها؟ أجاب عنه: بأنّ الحفاوة لمّا كان أصل معناه الاستقصاء في السؤال كان معنى السؤال ملحوظًا في معناها الكنائي فعدّى تعديته، وقيل: إنما يرد الإشكال على تقدير أن تكون عنها متعلّقة بقوله: حفي، وليس كذلك، بل هي متعلّقة بيسألونك. وقوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] معترض بينهما وصلة حفي محذوفة، وتقدير الكلام: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (التنقير) أي البحث. **قوله:** (إحفاء الشارب) في المصباح: أحفى الرجل شاربه بالغ في قصّه، وأحفاه في المسألة بمعنى ألحّ وألْحَفَ. اهـ. وأيضًا فيه: الشارب الشعر الذي يسيل على الفمّ. اهـ.

قوله: (محمد بن الحسن) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالريّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختصّ بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي (**اجتلاب**) نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسّني شيء منها، ولم أكن غالبًا مرة ومغلوبًا أخرى في الحروب. وقيل: الغيب الأجل، والخير العمل، والسوء (**الوجل**). وقيل: لاستكثرت لاعتددت من (**الخصب**) للجدب. والسوء الفقر وقد ردّ. ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرًا وبشيرًا، وما من شأني أن أعلم الغيب. واللام في ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يتعلّق بالنذير والبشير لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم، أو بالبشير وحده والمتعلّق بالنذير محذوف أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء خلقها من جسد آدم (**من ضلع من أضلاعه**) ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ليطمئن ويميل لأن الجنس إلى الجنس أميل خصوصًا إذا كان بعضًا منه، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه (**بضعة**) منه. وذكر ﴿لِيَسْكُنَ﴾ بعدما

قوله: (اجتلاب) في القاموس: جلبه يجلبه جَلْبًا وجَلَبًا واجتلبه ساقه من موضع إلى آخر. اهـ. **قوله: (الوَجَل)** الخوف. **قوله: (الخِصْب)** ضدّ الجدب، أي القَحْط.

قوله: (من ضلع من أضلاعه) أي من عظم جنبه، أي من ضلعه الأيسر، ولذا كان كلّ إنسان ناقصًا ضلعًا من الجانب الأيسر، فجهة اليمين أضلاعها ثمانية عشر، وجهة اليسار سبعة عشر. **قوله: (بضعة)** البضعة ـ بالفتح ـ القطعة من

أنّث في قوله: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ وخلق منها زوجها ذهابًا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ خفّ عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض (الحبالى) من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فمضت به إلى وقت (ميلاده من غير إخداج. والإزلاق)، أو حملت حملًا خفيفًا يعني النطفة فمرّت به فقامت به وقعدت ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ (حان) وقت ثقل حملها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو (الحقيق) بأن يُدعى ويلتجأ إليه فقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ لئن وهبت لنا ولدًا سويًا قد صلح بدنه أو ولدًا ذكرًا لأن الذكورة من الصلاح ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك. والضمير في ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾ و﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لهما ولكل مَن يتناسل من ذريتهما.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السويّ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ (أي جعل أولادهما له شركاء) على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ أي آتى أولادهما دليله ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريئان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله

اللّحم، وعامّة ما هو مِنْ هذا القبيل بالكسر، كالكسرة والقطعة. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (الحبالى) جمع حُبْلى. **قوله:** (ميلاده) مصدر. **قوله:** (من غير إخداج) في الصِّحاح: خدجت الناقة تخدج خِداجًا، فهي خادج، والولد خديج إذا ألْقَت ولدها قبل تَمام الأيام، وإنْ كان تامّ الخلق، وأخدجَت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق، وإنْ كانت أيّامه تامّة، فهي مخدج، والولد مخدج. اهـ. **قوله:** (والإزلاق) في الصِّحاح: ازلقت الناقة أسقطت. اهـ. **قوله:** (حان) أي قَرُب. **قوله:** (الحقيق) أي اللّائق.

قوله: (أي جعل أولادهما له شركاء) احتراز عن نسبة إثبات الشركاء لله إلى آدم وحوّاء، وإنْ كان بمعنى تسمية ولدهم بعبد الحارث اتّباعًا لأمر إبليس المسمّى في الملائكة بالحارث، على ما نقل أحمد بن حنبل والترمذي عن سَمُرة بن جندب، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما حملت حواء وطاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه عبد الحارث، فسمّته فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، فإن قيل: الإشراك فيما آتاهما الله ليس إشراكًا على الحقيقة؛ لأن

تسميتهم أولادهم بعبد العزى و(بعبد مناف وعبد الدار) وعبد شمس ونحو ذلك، مكان عبد الله وعبد الرحمٰن وعبد الرحيم، أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة (قصي)، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار. والضمير في ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك. («شِركًا» مدني وأبو بكر) أي ذوي شرك وهم الشركاء.

معناه في حقّ الأولاد أيضًا تسميتهم أولادهم بعبد العزّى وعبد مَناة وعبد شمس، والأعلام لا يُقصد بها مفهوماتها الأصليّة، والحديث صريح في أنّ المراد آدم وحوّاء، وتقدير المضاف لا يُصار إليه إلّا عند الحاجة، وكلمة لما لا يستقيم على هذا التقدير؛ لأن إشراك أولادهما لم يكن حين آتاهما الله تعالى صالحًا، بل بعده بأزمنة متطاولة. قلنا: إشراكهما بالله ولو بمعنى تسمية الولد بعبد الحارث اتباعًا لأمر الشيطان مرجوح، وإنْ لم يكن محظورًا على أنهم لا يخلون الأعلام المضافة عن إيماء إلى المعاني الأصلية وملاحظة لها، وهذا القدر من الحاجة كافٍ في تقدير المضاف، والحديث من باب الآحاد، ولم يَرِد في معرض البيان، وليست كلمة لما للزمان المتضايق، بل الممتدّ، فلا يلزم أن يقع مضمون الشرط والجزاء في يوم واحد أو شهر أو سنة، بل يختلف ذلك باختلاف الأُمور. تقول: لمّا ظهر الإسلام طهرت البلاد عن دَنَس الشِّرك والإلحاد، ولمّا ركب السلطان قمع آثار الشرور والفساد، على أنّ تسمية ولد بعبد الحارث جعل شريك لا شركاء، إلّا بتأويل وعدول عن الظاهر، وكذا جعل؛ فتعالى الله عمّا يشركون غير متعلّق بهذا الإشراك، بل تخلّصًا إلى حال المشركين خلاف الظاهر. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (بعبد مناف) مَناف اسم صنم. **قوله:** (عبد الدار) وهي دار النّدوة المعروفة. **قوله:** (قُصي) مصغّر اسم رجل. اهـ لسان العرب. وفي القاموس: كسُمَيّ قُصَيّ بن كلاب اسمه زيدًا. اهـ. **قوله:** («شِركًا») بكسر الشين وإسكان الراء وتنوين الكاف من غير همز اسم مصدر، أي ذوي شِرْك، أي إشراك (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، (وأبو بكر) شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بضمّ الشين وفتح الراء وبالمدّ والهمز بلا تنوين، جمع شريك.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ يعني الأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أجريت الأصنام مجرى أُولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة، والمعنى أيشركون مالاً يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لأن الله خالقهم، أو الضمير في ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ للعابدين أي أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم، أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأُولي العلم تغليبًا للعابدين ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لعبدتهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فيدفعون عنها ما (**يعتريها**) من الحوادث كالكسر وغيره بل (**عبدتهم**) هم الذين يدفعون عنهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ وإن تدعوا هذه الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ إلى ما هو هدى و(**رشاد**) أو إلى أن يهدوكم أي وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. لا («**يتْبَعوكم**» **نافع**) ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم، والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لرؤوس الآي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي مخلوقون مملوكون أمثالكم ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾ لجلب نفع أو دفع ضرّ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ فليجيبوا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنهم آلهة. ثم أبطل أن يكونوا عبادًا أمثالهم فقال:

قوله: (يعتريها) يُصيبها. **قوله:** (عبدتهم) العَبَدة جمع عابد.

قوله: (رشاد) الرَّشاد ضدّ الغيّ. **قوله:** («يتْبَعوكم») بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (**نافع**) المدنيّ، والباقون بفتح التاء مشدّدة وكسر الموحدة، وهما لغتان؛ ولهذا جاء في قصة آدم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٨]، وفي موضع آخر: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ [طه: الآية ١٢٣]، وقيل: تبعه بمعنى اقتفى أثره واتّبعه بالتشديد، بمعنى اقتدى به.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ مشيكم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ يتناولون بها ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي فلم تعبدون ما هو دونكم ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ جميعًا أنتم وشركاؤكم. (وبالياء: يعقوب وافقه أبو عمرو في الوصل) ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فإني

قوله: (وبالياء) في الحالَيْن (يعقوب) البصريّ، وليس من السبعة. (وافقه أبو عمرو) البصري، (في الوصل) لا في الوقف. عبارة تفسير النّيسابوري: ﴿كيدوني﴾ بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شبنوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد وإسمٰعيل والحلواني عن هشام في الوصل. اهـ. وفي الإتحاف: وأثبت الياء في ﴿كيدوني﴾ وصلًا أبو عمرو وهشام من طريق الداجوني وأبو جعفر، وفي الحالين قنبل من طريق ابن شنبوذ وهشام من طريق الحلواني ويعقوب. اهـ. وفي غيث النفع: ﴿ثم كيدوني﴾ قرأ البصري بإثبات الياء وصلًا لا وَقْفًا، وهشام بإثباتها في الحالَيْن. والباقون بحذفها فيهما، وإنما لم نذكر الخلاف الذي ذكره الشاطبي فيها لهشام، حيث قال:

وكيدوني في الأعراف حجّ ليحملا

بخلف وتبعه على ذلك كثير؛ لأنه يبعد أن يكون الخلاف لهشام فيها من طريقه وطريق أصله، بل لم يثبت من طرق النّشر إلّا في حالة الوقف خاصّة. قال المحقّق فيه: ورَوَى بعضهم عنه، أي عن هشام، الحذف في الحالَيْن، ولا أعلمه نصًّا من طرق كتابنا لأحد من أئمّتنا، ثم قال: وكِلَا الوجهين ـ يعني الحذف والإثبات ـ صحيحان عنه، أي عن هشام، نصًّا وأداءً حالة الوقف. وأمّا حالة الوصل، فلا آخذ بغير الإثبات من طرق كتابنا. اهـ. فإن قلت: مستنده قول صاحب التيسير فيه لما تكلم على زوائد سورة الأعراف في آخرها وفيها محذوفة: «ثم كيدون» فلا وأثبتها في الحالين هشام بخلاف عنه. قلت: هذا لا دليل فيه؛ لأن الداني كثير ما يذكر الخلاف على سبيل الحكاية، وإنْ كان هو لا يأخذ به، وليس من طرقه، وهذا منه ويدلّ على ذلك قوله في المفردات بعد أن ذكر الخلاف له،

لا أُبالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك. (**وبالياء يعقوب**).

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ﴾ ناصري عليكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ أوحى إليّ وأعزني برسالته ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده (**ولا يخذلهم**) ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ مـــن دون الله ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ (**يشبهون الناظرين**) إليك

وبالإثبات في الوصل والوقف آخذ. وقوله في جامع البيان: وبه قرأت على الشيخين أبي الفتح وأبي الحسن من طريق الحلواني عنه، بل يدلّ عليه كلامه في التيسير، فإنه قال فيه في باب الزوائد: وأثبت ابن عامر في رواية هشام الياء في الحالَيْن، في قوله تعالى: «ثم كيدوني» في الأعراف، فجزم بالإثبات ولم يحكِ خلافه، ومن المعلوم المقرّر أنّ العلماء يعتنون بتحقيق المسائل في أبوابها أكثر من اعتنائهم بذلك إذا ذكروها استطرادًا تتميمًا للفائدة، فربّما يتساهلون اتكالًا على ما تقدّم، أو ما سيأتي لهم في الباب، فثبت من هذا أنّ الخلاف لهشام حالة الوصل عزيز، وإنما الخلاف حالة الوقف، لكن لا ينبغي أن يقرأ به من طريق القصد، وأصله: وبالإثبات في الحالين قرأت على شيخنا رحمه الله، وقال في مقصورته: كيدون حلواني، روى زيادة في حالتيه عن هشام، وقرأ. اهـ.

قوله: (وبالياء) في الحالين (**يعقوب**) البصري، وليس من السبعة.

قوله: (ولا يخذلهم) في مختار الصحاح: خذله يخذُله بالضمّ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عَوْنه ونصرته. اهـ. **قوله: (يشبهون الناظرين)** من باب الأفعال، أي يُشابهونهم، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٨] استعارة تبعيّة شبّه مقابلة الأصنام له عليه السلام بنظرها إليه، أي يخيّل إليك أنهم ينظرون؛ لأنّ لها أعينًا مصنوعة مركّبة بالجواهر وهم غيرُ ناظرين ومبصرين في الحقيقة، وكون الضمير المنصوب في ﴿وَتَرَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٨] للأصنام يستدعي أن يكون

لأنهم صوّروا أصنامهم بصورة من قلب (**حدقته**) إلى الشيء ينظر إليه ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ المرئي.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

(﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾) هو ضد الجهد (**أي ما عفا لك**) من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله ﷺ: («**يسروا ولا تعسروا**») ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ بالمعروف والجميل من الأفعال، أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم، وفسّرها جبريل ﷺ بقوله: (**صِل مَن قطعك**) وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك. (**وعن الصادق**) أمر الله نبيّه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

المنصوب في تدعوهم أيضًا للأصنام، فيكون الضمير المرفوع للمشركين، والمعنى: أيُّها المشركون إن تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم ولا يسمعوا دعاءكم.
قوله: (**حدقته**) في المصباح: حَدَقة العين سوادَها.اهـ.

قوله: (﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾) هو ضدّ الجهد، (**أي ما عفا لك**)... الخ. أي العفو مصدر عفا بمعنى تسهّل وتيسّر وأُريد به ما يتيسّر، وخذ بمعنى اقبل وارْضَ مجازًا، أي ارْضَ منهم ما تيسّر من أخلاقهم وأفعالهم ولا تدقّق وتشدّد، والجهد بمعنى المشقّة.

قوله: (**يسّروا**) من اليُسْر ضدّ العسر، أي يسّروا على الناس بذكر ما يؤلّفهم لقبول الموعظة والتعليم (**ولا تُعسّروا**) قال العلقميّ: ذكر تأكيدًا، وإلّا فالأمر بالشيء نهي عن ضدّه؛ ولأنه لو اقتصر على اليُسْر صدق على مَنْ أبى به مرّة، وبالعُسْر بعض أوقاته، فلمّا قال: ولا تعسّروا انتفى العُسْر في كلّ الأوقات؛ رواه الإمام أحمد وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**صِلْ مَنْ قطعك**) بأن تفعل معه ما تعدُّ به واصلًا من نحو تودّد.

قوله: (**وعن الصادق**) هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، الهاشمي المدني الصادق ﷺ.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ **(وإما ينخسنك منه نخس)** أي بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ولا تطعه. والنزغ: النخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. وجعل النزغ نازغًا كما قيل جد جده، أو أريد بنزغ الشيطان **(اعتراء الغضب)** كقول **(أبي بكر)** ﷺ: إن لي شيطانًا يعتريني ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لنزغه ﴿عَلِيمٌ﴾ بدفعه.

قوله: (وإمّا ينخسنك منه نخس) من باب قتل، وهو إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبهه في الجلد، كما يفعله السائق لحثّ الدواب، شبّه وسوسته للناس إغراءً لهم على المعاصي وإزعاجًا بغرز السائق ما يسوقه، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠] استعارة تبعيّة شبّه إغراء الشيطان الناس على المعاصي بوسوسته بالنَّزغ والغرز، واسْتُعِير له اسم النَّزغ ثم اشتقّ منه ينزغنك، وإلّا فليس هناك نزغ وغرز. **قوله: (اعتراء الغضب)** أي عروضه. في تاج العروس شرح القاموس: فلان تعروه الأضياف وتعتريه، أي تغشاه.اهـ.

قوله: (أبي بكر) الصدِّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، مَنْ يُحْصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عزّ وجلّ. رُوِيَ للصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلّة رواياته مع تقدُّم صحبته وملازمته النبيّ ﷺ أنه تقدَّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبيّ ﷺ يُكرمه ويُجلّه ويُعرّف أصحابه مكانه ويُثني عليه في وجهه، واستخلفه في الصلاة، ومناقبه غير مُنحصرة أجمعت الأُمّة على صحة خلافته وقدَّمته الصحابة رضي الله تعالى عنهم لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بَيْعته مشهور في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله تعالى عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس، وأنا حاضر غير غائب، وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدِّمني لقدَّمني، فرضِينا لدُنْيانا مَنْ رَضِيَه الله ورسوله لدِيننا. مات في جمادى الأُولى آخر يوم الاثنين سنة ثلاث عشرة، والصحيح أنه توفي وله ثلاث وستون سنة كرسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ («طيف» **مكي وبصري وعلي أي لمة منه مصدر من قولهم «طاف به الخيال يطيف طيفًا». وعن أبي عمرو:**) هما واحد وهي الوسوسة. وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأن عادة المتقين إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان (**وإلمام**) بوسوسته ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ ما أمر الله به ونهى عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فأبصروا (**السداد**) ودفعوا وسوسته. وحقيقته أن يفرّوا منه إلى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ وأما إخوان الشياطين من شياطين الإنس فإن الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ أي يكونون مددًا لهم فيه (**ويعضدونهم «يُمدُّونهم» من الإمداد:**

قوله: (**«طيْف»**) بياء ساكنة من غير ألف ولا همزة على وزن ضَيْف (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وبصريّ**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بألف وهمزة مكسورة من غير ياء اسم فاعل من طاف يطوف، (**أي لمّة منه**) بفتح اللام من لمّ به إذا جاءه، أي عارضه من جهة الشيطان، والذي من جهته لا يكون إلّا الوسوسة، وطيف الشيطان لمّته وهو الخاطر الشيطاني، وطيف الخيال الصورة المتمثّلة في محل القوّة المتخيّلة، والأصل أنّ الخيال اسم بمعنى التخيّل وارتسام الصورة المذكورة في محلّها وطيْفها نزولها فيه، فالطيف (**مصدر من قولهم: طاف به الخيال**) أي ألمّ به ونزل (**يطيف طيْفًا**) والطائف ما دار حول الشيء.

قوله: (**وعن أبي عمرو**) بن العلاء البصري، أحد القرّاء السبعة كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النَّحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وكان أبو عمرو رأسًا في حياة الحسن البصري مقدّمًا في عصره. توفي سنة أربع وخمسين ومائة بالكوفة. **قوله:** (**إلْمام**) أي نزول. **قوله:** (**والسّداد**) بالفتح، وهو الصواب.

قوله: (**ويعضدونهم**) في مختار الصِّحاح: عَضَده من باب نصر أعانه. اهـ. **قوله:** (**«يمدّونهم»**) بضمّ الياء وكسر الميم (**من الإمداد**،

مدني) ﴿ثُمَّ (لَا يُقْصِرُونَ)﴾ ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصرّوا ولا يرجعوا، وجاز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلّق به إلى الجاهلين والأول أوجه، لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا. وإنما جمع الضمير في «إخوانهم» والشيطان مفرد لأن المراد به الجنس.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ (مقترحة) ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلا اخترتها أي (اختلقتها) كما اختلقت ما قبلها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ ولست بمقترح لها ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

فنزل ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ (ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن) في الصلاة وغيرها.

مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وقرأ الباقون بفتح الياء وضمّ الميم من مدّ. **قوله:** (﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾) من أقصر إذا أقلع وأمسك، وقُرىء: «يقصرون» من قصر، وهو مجاز عن الإمساك أيضًا. اهـ شهاب. وفي فتح القدير: قرأ عيسى بن عمر: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٢] بفتح الياء وضمّ الصاد وتخفيف القاف. اهـ.

قوله: (مقترحة) أي مطلوبة. **قوله:** (اختلقتها) في مختار الصِّحاح: اختلقه وتخلّقه افتراه. اهـ.

قوله: (ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن)... الخ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: اختلف في سبب نزولها على وجه يبنى عليه معناها، فقال الجَصّاص: سببها كما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ النبيّ ﷺ قرأ في الصلاة وقرأ معه أصحابه، فخلطوا عليه؛ فنزلت. وكذا رَوى الشعبي وغيره، وهي تدلّ للحنفيّة في أنه لا يقرأ في سرّية ولا جهرية؛ لأنها

وقيل: معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له.

تقتضي وجوب الاستماع عند قراءة القرآن في الصّلاة وغيرها، وقد قام الدّليل في غيرها على جواز الاستماع وتركه، فبقي فيها على حالة في الإنصات للجهر، وكذا في الإخفاء لعِلْمنا بأنّه يقرأ وإنْ لم نسمعه، وقال مالك ﷺ: ينصت في الجهرية، ويقرأ في السرّية؛ لأنه لا يقال له مستمع، وقال الشافعي ﷺ: يقرأ في الجهريّة والسرّية في رواية المزني، وفي رواية البُويطيّ: أنه يقرأ في السرِّية أمّ القرآن ويضمّ السورة في الأُوليين، ويقرأ في الجهريّة أُمّ القرآن فقط، وسبب نزول الآية كما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنهم كانوا يتكلّمون في الصلاة، فنزلت؛ فالنهي إنما هو التكلّم لا عن القراءة، وكون الاستماع خارج الصلاة مستحبًّا متفق عليه.اهـ.

وفي التفسيرات الأحمديّة: استدلّ بها بعض علماء الحنفيّة في أن ترك القراءة للمؤتمّ فرض؛ وذلك لأنّ الله تعالى أمر باستماع القرآن والإنصات عند قراءة القرآن مطلقًا، سواء كان في الصلاة أو في غيرها، ولكن لمّا كان عامّة العلماء غير قائلين بوجوب الاستماع خارج الصلاة، بل باستحبابه، وكان الآية ردّ على رجل من الأنصار يقرأ خلف رسول الله ﷺ في الصلاة على ما في الحُسينيّ، وكان جمهور الصحابة على أن الآية في استماع المؤتمّ خاصة، وقيل: في الخطبة، والأصح أنه فيهما جميعًا، على ما في المدارك ثبت أنّ القرآن واجب الاستماع في الصلاة وكمال ذلك لا يكون إلا بالسكوت، لا بالقراءة الخفيّة؛ لأنه لما أوجب الإنصات للاستماع في الصلاة أوجبه بكماله، وذلك فيما قلنا لا فيما قاله الشافعي رحمة الله عليه أنّ المؤتمّ يقرأ الفاتحة خلف الإمام سرًّا، ومن جملة حججه استدلاله بقوله تعالى فيما بعد: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعرَاف: الآية ٢٠٥] بأنه أمر للمؤتمّ بقراءة القرآن سرًّا خلف الإمام على وجه كما ذكره القاضي البيضاوي في تفسيره، والجواب أنه عند الأكثرين محمول على غيره، كما سيأتي تفصيله. ومن مشهور أدلّته المذكورة في كتب أصولنا قوله عليه الصّلاة والسّلام: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»، فإنه محكم فلا يعارضه الآية المحتملة للمعاني، والجواب إن سلّمنا أنّ لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، ولكنّا نقول: قراءة الإمام للفاتحة كأنه قراءة المؤتم إيّاها، وأيضًا قد رَوَى مالك: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب والسورة»، فإيجاب الفاتحة على المؤتمّ دون السورة ترك العمل بما رواه الإمام مالك رحمه الله، وهذا حجّة

وجمهور الصحابة ﷺ على أنه في استماع (المؤتم). وقيل: في استماع الخطبة. وقيل: فيهما وهو الأصح.

إلزام عليه، لا يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤] لمّا كان عامًّا بين الصّلاة وخارجها، فاختصاصه في حقّ الصلاة و(المؤتم) تخصيص للعام، فيكون مخصوص البعض، وهو ظنّيّ؛ فكيف يتمسّك به لأنه لمّا كان ظنيًّا خرج عن الفرضية، بمعنى أنه لا يكفر جاحده، فبقي الوجوب، وهو كالفرض في حقّ العمل. وكذا لا يقال: إنه ينبغي أن يقرأ المؤتمّ في صلاة الظهر والعصر؛ إذ لا جهر فيهما حتى يفوت الاستماع، وذلك لأنه رُوِي أنّ المشروع في أوّل الإسلام هو الجهر في جميع الصلاة، ثم سقط في الصلاتين بعذر، وبَقِيت أحكامه جميعًا على حالها، وله نظائر كثيرة.

وكذا لا يقال: إنّ الآية إنما نزلت في حقّ مَنْ يتكلّمون في الصلاة على ما في الكشاف والبيضاوي، فيوجب الإنصات عن كلام الدّنيا لا عن قراءة القرآن؛ لأن النص مطلق عن ذلك، فلا يخصّ بمورده. وكذا لا يقال: إنّ معناه عند البعض إذا تلا عليكم الرّسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له، على ما صرّح به صاحب المدارك على وجه؛ لأنه لا يخلو عن الظنّ بالمقصود لعموم اللفظ.

غاية ما في الباب أنّ الآية لمّا احتملت هذه الوجوه كان الاستدلال بقوله عليه السّلام: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام قراءة له»، كما تمسّك به صاحب الهداية أوضح من الاستدلال بهذه الآية، ومجال الاختلاف في المسألة بالغ أقصاه حتى أوجب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه الوعيد على القارىء، والشافعي رضي الله تعالى عنه: على التارك، فإن رأيت الطائفة الصوفية والمشائخ الحنفية تراهم يستحسنون قراءة الفاتحة للمؤتمّ كما استحسنه محمّد رحمه الله أيضًا احتياطًا فيما رُوي عنه. اهـ بحروفها.

وفي الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان رضي الله تعالى عنه: (والمؤتمّ لا يقرأ مطلقًا) ولا الفاتحة في السرّية اتّفاقًا وما نُسِب لمحمد ضعيف، كما بسّطه الكمال، (فإن قرأ كُرِه تحريمًا)، وتصح في الأصح. وفي درر البحار عن مبسوط جواهر زاده: أنها تفسد ويكون فاسقًا،

....

وهو مرويّ عن عدّة من الصحابة، فالمنع أحوط، بل يستمع إذا جهر وينصت إذا أسرّ؛ لقول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: كنّا نقرأ خلف الإمام فنزل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤]، انتهى. وفي حاشيته للعلامة الشيخ محمد أمين الشهير بابن العابدين المسمّاة ردّ المحتار على الدرّ المختار. قوله: (ولا الفاتحة بالنصب) معطوف على محذوف تقديره: لا غير الفاتحة ولا الفاتحة، وقوله في السرّية: يعلم منه نفي القراءة في الجهرية بالأَولى، والمراد التعريض بخلاف الإمام الشافعي، وبردّ ما نُسِب لمحمّد. قوله: (اتّفاقًا) أي بين أئمّتنا الثلاثة. قوله: (وما نُسِب لمحمّد) أي من استحباب قراءة الفاتحة في السرّية احتياطًا. قوله: (كما بسطه الكمال) حاصله أنّ محمدًا قال في كتابه الآثار: لا نرى القراءة خلف الإمام في شيء من الصلوات يجهر فيها أو يسرّ، ودعوى الاحتياط ممنوعة، بل الاحتياط ترك القراءة؛ لأنه العمل بأقوى الدليلَيْن، وقد رُوي الفساد بالقراءة عن عدّة من الصحابة، فأقواهما المنع. قوله: (أنها تفسد) هذا مقابل الأصحّ. قوله: (وهو) أي الفساد المفهوم من تفسد. قوله: (مرويّ عن عدّة من الصحابة) قال في الخزائن وفي الكافي: ومنع المؤتمّ من القراءة مأثور عن ثمانين نفرًا من كبار الصحابة منهم المرتضى والعبادلة، وقد دوّن أهل الحديث أساميهم. قوله: (وينصت إذا أسرّ)، وكذا إذا جهر بالأولى. قال في البحر: وحاصل الآية أنّ المطلوب بها أمران الاستماع والسكوت، فيعمل بكلّ منهما، والأوّل يخصّ الجهرية، والثاني لا؛ فيجري على إطلاقه، فيجب السكوت عند القراءة مطلقًا. اهـ بحروفها. وفي حاشيته للعلامة الطحطاوي: قوله: (والمؤتمّ لا يقرأ) ودعوى أنّ الاحتياط في القراءة خلفه ممنوعة، بل الاحتياط تركها؛ لأن العمل بأقوى الدليلَيْن. وقد رُوِي عن عدّة من الصحابة فساد الصلاة بالقراءة خلفه، فأقواهما المنع بجرّ. قوله: (ولا الفاتحة في السرّية) تفسيرًا للإطلاق، ورُوِي عن محمّد استحسانها في السرّية، وهو ضعيف كما أفاده الشارح بقوله: وما نُسِب... الخ. فالحقّ أنّ قول محمّد كقولهما، كما في الفتح. قوله: (كُره تحريمًا) إنما لم يطلقوا اسم الحُرْمة عليها لِمَا عُرِف مِنْ أصلهم أنهم لا يُطْلِقونها إلّا إذا كان الدليل قطعيًّا. قوله: (وتصحّ في الأصحّ)، ورُوِي عن عدّة من الصحابة فسادها، كما في

....

الزاهدي والظهيريّة، وعن ابن مسعود ﷺ: أنه يملأ فمه ترابًا. وعن الشعبي: أدركت سبعين بدريًا كلّهم قالوا: لا يقرأ خلف الإمام، كما في الكرمانيّ. قوله: (وفي درر البحار) مقابل الأصحّ. قوله: (ويكون فاسقًا) الظاهر أنّ ذلك عند الاعتياد؛ لأنه صغيرة، ولا يفسق بمرّة. قوله: (وهو) أي الفساد المأخوذ من تفسد. قوله: (وينصت إذا أسرّ) تبع في هذا صاحب النهر، وفي البحر: الإنصات لا يخصّ الجهريّة، فظاهره أنه يعمّ السرّية والجهريّة. قوله: (فنزل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾)... الخ. أفاد أنّ الآية نزلت في الصلاة، وهو قول أهل التفسير، ومنهم مَنْ قال: نزلت في الخطبة، ولا تنافي بينهما؛ لأنهم إنما أُمِرُوا بهما فيها لِمَا فيها من قراءة القرآن كافي، والعِبْرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولذا وجب الاستماع لقراءته خارج الصلاة أيضًا.اهـ بحروفها. وفي الدرّ المختار: يجب الاستماع للقراءة مطلقًا؛ لأن العبرة لعموم اللفظ. انتهى. وفي حاشيته ردّ المحتار. قوله: (يجب الاستماع للقراءة مطلقًا) أي في الصلاة وخارجها؛ لأن الآية وإنْ كانت واردة في الصلاة على ما مرّ، فالعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ثم هذا حيث لا عذر، ولذا قال في القنية: صبي يقرأ في البيت وأهله مشغولون بالعمل يُعْذرون في ترك الاستماع إن افتتحوا العمل قبل القراءة، وإلّا فلا؛ وكذا قراءة الفقه عند قراءة القرآن، وفي الفتح عن الخلاصة: رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن، فلا يمكنه استماع القرآن، فالإثم على القارىء، وعلى هذا لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم.اهـ. أي لأنه يكون سببًا لإعراضهم عن استماعه، أو لأنه يؤذيهم بإيقاظهم، تأمّل. وفي شرح المنية: والأصل أنّ الاستماع للقرآن فرض كفاية؛ لأنه لإقامة حقّه بأن يكون ملتفتًا إليه غير مضيّع، وذلك يحصل بإنصات البعض، كما في ردّ السلام حين كان لرعاية حقّ المسلم كفى فيه البعض عن الكلّ، إلا أنه يجب على القارىء احترامه بأن لا يقرأه في الأسواق ومواضع الاشتغال، فإذا قرأه فيها كان هو المضيّع لحرمته، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال دفعًا للحرج، وتمامه في ط ـ يعني حاشية الطحطاوي على الدرّ المختار ـ ونقل الحموي عن أستاذه قاضي القضاة يحيىٰ الشهير بمنقاري زاده أنّ له رسالة حقّق فيها أنّ استماع القرآن فرض عين.اهـ بحروفها. وعبارة حاشية

....

الطحطاوي: رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن ولا يمكنه استماع القرآن، فالإثم على القارىء، ولو قرأ على السطح في اللّيل جهرًا والناس نيام يأثم. الصبيّ إذا كان يقرأ القرآن وأهله يشتغلون بالأعمال، ولا يستمعون إنْ كانوا شرعوا في العمل قبل قراءته لا يأثمون، ولا أثموا بحر، ولو كان القارىء في المكتب واحدًا يجب على المارّين الاستماع، وإنْ كانوا أكثر ويقع الخلل في الاستماع لا يجب عليهم ويكره للقوم أن يقرؤوا القرآن جملةً لتضمّنها ترك الاستماع والإنصات. وقيل: لا بأس به، كذا في القنية. وهذا لا يظهر إلّا إذا لم يكن هناك مستمع غيرهم، وإلّا لا يكره لما قالوا: إنّ الاستماع فرض كفاية؛ لأنه لإقامة حقّه من الالتفات إليه وعدم إضاعته، وذلك يحصل بإنصات البعض، كما في ردّ السلام حيث كان لرعاية حقّ المسلم كفى فيه البعض عن الكلّ، ويجب على القارىء احترامه بأن لا يقرأ في الأسواق ومواضع الاشتغال، فإنْ قرأ فيها كان هو المضيّع لحُرْمته، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال دفعًا للحرج في إلزامهم ترك اشتغالهم المحتاج إليها، وكذا لو قرأ عند مَنْ يستغلّ بالتدريس أو بتكرار الفقه؛ لأنه إذا أُبيح ترك الاستماع لضرورة المعاش الدنيويّ، فلأن يُباح لضرورة الأمر الدّيني أوْلى، فيكون الإثم على القارىء، هذا إذا سبق الدَّرس على القراءة. أمّا إذا كان ابتداء القراءة قبل الدّرس، فالإثم على المتأخّر، والفرق بين هذا وبين موضع الاشتغال حيث يكون الإثم على القارىء وإن ابتدأ قبل أخذهم في أعمالهم بأنّ تلك المواضع مُعدَّة لهم يَعْسُر عليهم الاشتغال عنها، بخلاف الدَّرْس. اهـ شرح المنية. اهـ بحروفها.

وفي تيسير الوصول إلى جامع الأُصول عن جابر، قال: «مَنْ صلّى ركعة لم يقرأ فيها بأُمّ القرآن، فلم يصلّ إلّا وراء الإمام» أخرجه مالك والترمذي. اهـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، انتهى.

وفي عمدة القاري شرح البخاري قال بعضهم: استدلّ مَنْ أسقط قراءة الفاتحة عن المأموم مطلقًا، يعني أَسَرّ الإمام أو جهر، كالحنفيّة بحديث: «مَنْ صلّى خلف الإمام فقراءة الإمام قراءة له»، لكنّه حديث ضعيف عند الحفّاظ، وقد استوعب طرقه، وعلّله الدارقطني وغيره.

....

قلت: هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة، وهم جابر بن عبد الله، وابن عمر، وأبوسعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم؛ فحديث جابر أخرجه ابن ماجة عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام، فإنّ قراءة الإمام له قراءة»، وحديث ابن عمر أخرجه الدارقطني في سننه عنه عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كان له إمام فقراءته له قراءة»، وحديث أبي سعيد أخرجه الطبراني في الأوسط عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام فقراءته له قراءة»، وحديث أبي هريرة أخرجه الدارقطني في سننه من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا نحوه سواء، وحديث ابن عباس أخرجه الدارقطني أيضًا عنه عن النبيّ ﷺ قال: «يكفيك قراءة الإمام خافَتَ أو جهر»، وحديث أنس أخرجه ابن حبان في كتاب الضعفاء عن غنيم بن سالم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام، فقراءة الإمام له قراءة».

فإن قلت: في حديث جابر بن عبد الله جابر الجعفر، وهو مجروح كذّبه أبو حنيفة ﷺ، وفي حديث أبي سعيد إسماعيل بن عمرو بن نجيح وهو ضعيف، وحديث ابن عمر موقوف، وقال الدارقطني: رفعه وهم، وحديث ابن عباس عن أحمد هو حديث منكر، وقال الدارقطني: حديث أبي هريرة ﷺ لا يصح عن سهيل، وتفرّد به محمد بن عبادة، وهو ضعيف. وفي حديث أنس غنيم بن سالم قال ابن حبان: هو مخالف الثقات في الروايات، فلا تعجبني الرواية عنه، فكيف الاحتجاج؟!

قلت: أمّا حديث جابر، فله طرق أخرى يشدّ بعضها بعضًا، منها طريق صحيح، وهو ما رواه محمد بن الحسن في الموطأ عن أبي حنيفة، قال: أخبرنا الإمام أبو حنيفة، حدّثنا أبو الحسن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شداد، عن جابر عن النبيّ عليه السلام: «مَنْ صلّى خلف الإمام، فإنّ قراءة الإمام له قراءة».

فإن قلت: هذا الحديث أخرجه الدارقطني في سننه، ثم البيهقي عن أبي حنيفة مقرونًا بالحسن بن عمارة، وعن الحسن بن عمارة وحده بالإسناد المذكور،

....

ثم قال: هذا الحديث لم يُسنده عن جابر بن عبد الله غير أبي حنيفة، والحسن بن عمارة وهما ضعيفان، وقد رواه سفيان الثوري وأبوالأحوص وشعبة وإسرائيل وشريك وأبو خالد الدالاني وسفيان بن عيينة وغيرهم عن أبي الحسن بن أبي عائشة عن عبد الله بن شدّاد عن النبيّ عليه السلام مرسلًا، وهو الصواب.

قلت: لو تأدّب الدارقطني واستحى لما تلفّظ بهذه اللفظة في حقّ أبي حنيفة، فإنه إمام طبق على علمه الشرق والغرب، ولمّا سُئِل ابن معين عنه، فقال: ثقة مأمون ما سمعنا أحدًا ضعّفه، هذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه أن يحدّث إليه، وشعبة شعبة. وقال أيضًا: كان أبو حنيفة ﷺ من أهل الدِّين والصدق، ولم يتهم بالكذب، وكان مأمونًا على دين الله صدوقًا في الحديث، وأثنى عليه جماعة من الأئمّة الكبار مثل عبد الله بن المبارك، ويُعَدّ من أصحابه، وسفيان بن عُيَيْنة وسفيان الثوري وعبد الرزاق وحماد بن زيد ووكيع، وكان يفتي برأيه، والأئمّة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وآخرون كثيرون، فقد ظهر لك من هذا تحامل الدارقطني عليه وتعصّبه الفاسد، وليس له مقدار بالنسبة إلى هؤلاء حتى يتكلّم في إمام متقدّم على هؤلاء في الدِّين والتقوى والعلم وبتضعيفه إيّاه مستحقّ هو التضعيف، أفلا يرضى بسكون أصحابه عنه؟! وقد رُوِي في سننه أحاديث سقيمة ومعلولة ومُنكرة وغريبة وموضوعة، ولقد روى أحاديث ضعيفة في كتب الجهر بالبسملة واحتجّ بها مع علمه بذلك حتى بعضهم استحلفه على ذلك، فقال: ليس فيه حديث صحيح، ولقد صدق القائل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه والقوم أعداءٌ له وخصوم

إلى هنا عبارة عُمْدة القاري شرح البخاري.

وقال العلّامة العيني رحمه الله: في شرح الهداية بعد هذا الشعر وفي المثل السائر: البحر لا يكدره وقوع الذباب، ولا ينجسه ولوغ الكلاب، وحديث أبي حنيفة حديث صحيح. أمّا أبو حنيفة وأبو الحسن موسى بن أبي عائشة الكوفي من الثقات الأثبات ومن رجال الصحيحَيْن، وعبد الله بن شداد من كبار الثالثة وثقاتهم، انتهى بحروفه.

....

وفي عمدة القاري شرح البخاري: وأمّا قوله: وقد رواه سفيان الثوري. . . إلى آخره، فلا يضرّنا؛ لأن الزيادة من الثقة مقبولة، ولئن سلّمنا، فالمرسل عندنا حجّة.

وجوابنا عن الأحاديث التي قالوا في أسانيدها ضعف؛ لأن الضعف يتقوّى بالصحيح ويقوّي بعضها بعضًا. وأمّا قوله: في بعضها هو موقوف، فالموقوف عندنا حجّة؛ لأن الصحابة عدول، ومع هذا رُوِيَ منع القراءة خلف الإمام عن ثمانين من الصحابة الكرام منهم المرتضى والعبادلة الثلاثة وأساميهم عند أهل الحديث، فكان اتّفاقهم بمنزلة الإجماع، فمِنْ هذا قال صاحب الهداية من أصحابنا: وعلى ترك القراءة خلف الإمام إجماع الصحابة، فسمّاه إجماعًا باعتبار اتّفاق الأكثر، ومثل هذا يسمّى إجماعًا عندنا، وذكر[1] الشيخ الإمام عبد الله ابن يعقوب الحارثي السُّبَذْموني في كتاب كشف الأسرار: عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: كان عشرة من أصحاب النبيّ ﷺ ينهون عن القراءة خلف الإمام أشد النهي: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم.

قلت: روى عبد الرزاق في مصنّفه: أخبرني موسى بن عقبة أنّ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا ينهون عن القراءة خلف الإمام، انتهت.

وأيضًا فيها: فإن قلت: أخرج البيهقي من حديث الجريري عن أبي الأزهري، قال: سُئِل ابن عمر عن القراءة خلف الإمام، فقال: إني لأستحي من ربّ هذه البنية أن أصلّي صلاة لا أقرأ فيها بأُمّ القرآن.

---

(١) قوله الشيخ الإمام عبد الله ابن يعقوب، أي: عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن الخليل الحارثي السبذموني ـ بضم السين أو فتحها وفتح الباء الموحدة وسكون الذال المعجمة وضمّ الميم، وفي آخرها نون ـ نسبة إلى قرية من قرى بخارى المعروف بالأستاذ، كان مُكثرًا من الحديث، وله كتاب كشف الآثار في مناقب أبي حنيفة، ومصنف مسند أبي حنيفة ولما أملى مناقب أبي حنيفة كان يشمل عليه أربعمائة مشتمل، وله تصانيف. المتوفى سنة ٣٤٠ أربعين وثلاثمائة. ١٢ ح عمّ فيضهم.

....

قلت: هذه معارضة باطلة، فإنّ إسناد ما ذكره منقطع، والصحيح عن ابن عمر عدم وجوب القراءة خلف الإمام.

فإن قلت: قوله عليه الصّلاة والسلام: «قراءة الإمام قراءة له» معارض لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ﴾ [المزمّل: الآية ٢٠]، فلا يجوز تركه بخبر الواحد.

قلت: جعل المقتدي قارئًا بقراءة الإمام، فلا يلزم التّرك، أو نقول: إنه خصّ منه المقتدي الذي أدرك الإمام في الركوع، فإنه لا تجب عليه القراءة بالإجماع، فتجوز الزيادة عليه حينئذ بخبر الواحد، انتهت.

وأيضًا فيها: ومما يؤيّد ما ذهب إليه أصحابنا ما أخرجه أبو داود من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جُعِل الإمام ليُؤْتَمّ به» بهذا الخبر وزاد: «وإذا قرأ فأنصتوا»، ورواه النسائي وابن ماجة والطحاوي، وهذا حجّة صريحة في أن المقتدي لا يجب عليه أن يقرأ خلف الإمام أصلًا على الشافعيّ في جميع الصلوات، وعلى مالك في الظهر والعصر.

فإن قلت: قد قال أبوداود عقيب إخراجه هذا الحديث: وهذه الزيادة ـ يعني: «إذا قرأ فأنصتوا» ـ ليست بمحفوظة الوهم من أبي خالد عندنا، وأبو خالد أحد رواته، واسمه سليمان بن حيان ـ بفتح الحاء وتشديد الياء آخر الحروف ـ وهو من رجال الجماعة، وقال البيهقي في المعرفة: أجمع الحفّاظ على خطأ هذه اللفظة، وأسند عن ابن معين في سننه الكبرى، قال في حديث ابن عَجْلان وزاد: «وإذا قرأ فأنصتوا» ليس بشيء، وكذا قال الدارقطني في حديث أبي موسى الأشعري: «وإذا قرأ الإمام فأنصتوا» وقد رواه أصحاب الحفّاظ عنه منهم هشام الدَّسْتَوائيّ وسعيد وشعبة وهُمام وأبو عوانة وأبان وعديّ بن أبي عمارة، ولم يقل واحد منهم: «وإذا قرأ فأنصتوا»، قال: وإجماعهم يدلّ على وَهْمه. وعن أبي حاتم: ليست هذه الكلمة محفوظة، إنما هي من مغاليط ابن عَجْلان.

قلت: لي في هذا كلّه نظر. أمّا ابن عجلان، فإنه وثّقه العجلي وابن وفي الكمال ثقة كثير الحديث، وقال الدارقطني: إنّ مسلمًا أخرج له في صحيحه.

....

قلت: أخرج له الجماعة البخاري مستشهدًا، وهو محمد بن عجلان المدني، فهذا زيادة ثقة فتُقبل، وقد تابعه عليها خارجة بن مصعب ويحيىٰ بن العلاء، كما ذكره البيهقي في سننه الكبير. وأمّا أبو خالد، فقد أخرج له الجماعة كما ذكرنا. وقال إسحٰق بن إبراهيم: سألت وكيعًا عنه، فقال: وأبو خالد ممّن يسأل عنه، وقال أبو هشام الرفاعي: أبو خالد الأحمر الثقة الأمين، ومع هذا فلم ينفرد بهذه الزيادة، وقد أخرج النسائي كما ذكرنا هذا الحديث بهذه الزيادة من طريق محمد بن سعد الأنصاري، ومحمد بن سعد وثّقه يحيىٰ بن معين، وقد تابع ابن سعد هذا أبو خالد، وتابعه أيضًا إسمٰعيل بن أبان كما أخرجه البيهقي في سننه، وقد صحّح مسلم هذه الزيادة من حديث أبي موسى الأشعري، ومن حديث أبي هريرة وقال أبو بكر لمسلم حديث أبي هريرة، يعني: «إذا قرأ فأنصتوا»، قال: هو عندي صحيح، فقال: لِمَ لا تضعه هٰهنا؟ قال: ليس كل شيء صحيح وضعته هٰهنا، وإنما وضعت هٰهنا ما أجمعوا عليه، وتوجد هذه الزيادة أيضًا في بعض نسخ مسلم عقيب الحديث المذكور، وفي التمهيد بسنده عن ابن حنبل أنه صحّح الحديثين - يعني حديث أبي موسى وحديث أبي هريرة - والعجب من أبي داود أنه نَسَب الوهم إلى أبي خالد، وهو ثقة بلا شكّ، ولم ينسبه إلى ابن عَجْلان، وفيه كلام، ومع هذا أيضًا فابن خزيمة صحّح حديث ابن عجلان، انتهت. هذا والتفصيل فيها إن شئت، فارجع إليها.

وقال العلّامة العينيّ رحمه الله في شرح الهداية: وهذا مسلم جبل من جبال أئمّة الحديث وأهل النقل قد حكم بصحّة هذا الحديث، وردّ بهذا كلام البيهقي وأمثاله، انتهى.

وقال العلّامة علاء الدين علي رحمة الله عليه: ذكر البيهقي باب مَن قال لا يقرأ خلف الإمام على الإطلاق حديث الحسن بن صالح عن جابر، وليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر، قال ﷺ: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، ثم قال: جابر الجعفي وليث لا يحتجّ بهما.

قلت في مصنّف ابن أبي شيبة: ثنا مالك بن إسمٰعيل، عن حسين بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كان له إمام فقراءته له

....

قراءة»، وهذا سند صحيح، وكذا رواه أبو نعيم عن الحسن بن صالح، عن أبي الزبير، ولم يذكر الجعفي، كذا في أطراف المزي، وتوفي أبو الزبير سنة ثمان وعشرين ومائة، ذكره الترمذي. وعمرو بن عليّ والحسن بن صالح وُلد سنة مائة، وتوفي سنة سبع وستّين ومائة، وسماعه من أبي الزبير مُمكن، ومذهب الجمهور أنّ مَنْ أمكن لقاءه لشخص ورَوى عنه فروايته محمولة على الاتّصال، فيُحْمل على أنّ الحسن سمعه من أبي الزبير مرّة بلا واسطة، ومرّة أخرى بواسطة الجعفي وليث، انتهى.

وأيضًا قال: الصحيح عن جابر أن المؤتمّ لا يقرأ مطلقًا، كما صرَّح به البيهقي أوّلًا، وقال ابن أبي شَيْبة في المصنّف: حدَّثنا وكيع، عن الضحاك بن عثمان، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر قال: لا تقرأ خلف الإمام، وهذا سند صحيح متّصل على شرط مسلم، انتهى.

وأيضًا قال عن ابن مسعود بسند صحيح: أنه لا قراءة خلف الإمام مطلقًا، ورواه ابن مسعود عن النبيّ ﷺ، قال البزار: حدَّثنا محمد بن بشار وعمرو بن عليّ قالا: حدَّثنا أبو أحمد، أنا يونس بن أبي إسحٰق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلف النبيّ عليه السلام، فقال: «خلطتم عليّ القرآن»، وهذا سند جيّد، ثم ذكر البيهقي عن ابن عمر قال: «من صلّى وراء الإمام كفاه قراءة الإمام»، ثم قال: هذا هو الصحيح من قوله، وقد رُوي عنه بخلافه، ثم ذكر بسنده أنه سُئِل عن القراءة خلف الإمام، فقال: إني لأستحي من رب هذه البنية أن أصلّي صلاة لا أقرأ فيها بأُمّ القرآن.

قلت: المشهور عنه عدم وجوب القراءة خلف الإمام، وقد ذكر البيهقي بعد هذا من طريقين عنه ما يدلّ على ذلك، وروى عبد الرزّاق في مصنّفه عن الثوري، عن ابن ذكوان، عن زيد بن ثابت وابن عمر كانا يقرءان خلف الإمام، ورُوِي أيضًا عن هشام بن حسان، عن أنس بن سيرين: سألت ابن عمر: أقرأ مع الإمام؟ فقال: إنك لضخم البطن، يكفيك قراءة الإمام. ورُوِي أيضًا: أنا داود بن قيس، عن زيد بن أسلم أنّ ابن عمر كان ينهى عن القراءة خلف الإمام، انتهى.

....

وفي شرح الموطأ للإمام محمد للعلّامة علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أخبرنا مالك، حدّثنا نافع، عن ابن عمر أنّه كان إذا سُئِل: هل يقرأ أحد مع الإمام؟ قال: إذا صلّى أحدكم مع الإمام فحسبه قراءة الإمام)، أي يكفيه وظاهره المنع عن قراءة المأموم، كما يشير إليه قوله: (وكان ابن عمر لا يقرأ مع الإمام) أي مطلقًا على ما هو الظاهر، وهذا يؤيّد مذهبنا، انتهى.

وأيضًا فيه: (قال محمد: لا قراءة خلف الإمام فيما جهر فيه، ولا فيما لم يجهر بذلك جاءت الآثار)، أي أكثر الأخبار (وهو قول أبي حنيفة) أي وأصحابه الأخيار. وفي شرح الهداية لابن الهمام: قال محمد في الآثار في القراءة خلف الإمام بعدما أسند إلى علقمة بن قيس: أنه ما قرأ قطّ فيما يجهر فيه وفيما لا يجهر فيه، وبه نأخذ لا نرى القراءة خلف الإمام في شيء من الصلاة يجهر فيه أو لا، انتهى.

وقال العلّامة علاء الدين علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أحكام القرآن للطحاوي: حدَّثنا أحمد بن داود، أنا يوسف بن عدي، حدَّثنا عبيد الله بن عمرو، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال رسول الله ﷺ ثلاثًا: «أتقرأون والإمام يقرأ»؟ فقالوا: إنا لنفعل، فقال: «لا تفعلوا»، ثم ذكر البيهقي عن عليّ ما يدلّ على القراءة خلف الإمام، ثم قال: وفي كل ذلك دلالة على ضعف ما رُوِي عن عليّ بخلافه بأسانيد لا تسوى ذكرها لضعفها.

قلت: الصواب أن يقال: لا تساوي، ثم المرويّ عن عليّ منع القراءة خلف الإمام، ذكره ابن أبي شيبة في مصنّفه، فقال: حدَّثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن عبد الرحمٰن ابن الأصبهاني، هو ابن عبد الله، عن ابن أبي ليلى، عن عليّ قال: مَنْ قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة، ومحمد ابن الأصبهاني قال الذهبي: صدوق، وقال أبو حاتم: قوله يحتجّ به، وقال في الكاشف: أخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجة، وقوّاه ابن حبان وباقي السند على شرط الصحيح، وقد جاء لمحمد ابن الأصبهاني في ذلك متابعة، فروى الدارقطني في سننه من طريق عبد العزيز بن محمد، حدَّثنا قيس، عن عبد الرحمٰن ابن الأصبهاني فذكره بسنده،

....

وهذا الأثر وإن اضطرب سنده لكنه من هذا الوجه لا بأس به، وروى عبد الرزاق في مصنّفه عن داود بن قيس، عن محمد بن عَجْلان، قال: قال عليّ: مَنْ قرأ مع الإمام فليس على الفطرة[١]، قال: وقال ابن مسعود: مُلِيء فوه ترابًا، قال: وقال عمر بن الخطّاب: وددت[٢] أنّ الذي يقرأ خلف الإمام في فيه حجر[٣]، وقال صاحب التمهيد: ثبت عن عليّ وسعد وزيد بن ثابت أنّه لا قراءة مع الإمام لا فيما أسرّ ولا فيما جهر، ورَوى عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود، قال: وددتّ أنّ الذي يقرأ خلف الإمام مُلِيء فوه ترابًا، وعن معمر عن أبي إسحٰق أنّ علقمة قال: وددت الذي يقرأ خلف الإمام مليء فوه ـ أحسبه قال: ترابًا ـ أو رضفًا[٤]، وقال ابن أبي شيبة: حدَّثنا الأحمر عن الأعمش عن إبراهيم قال: أوّل ما أحدثوا القراءة خلف الإمام، وكانوا لا يقرؤون، ثم ذكر البيهقي عن ابن مسعود أنه قرأ خلف الإمام في الظهر والعصر.

قلت: في سنده شريك هو القاضي، قال البيهقي في باب الرجل يأخذ حقّه ممن يمنعه: لم يحتجّ به أكثر أهل العلم بالحديث، وقال في باب مَنْ زرع في أرض غيره بغير إذنه: كان يحيىٰ القطان لا يروى عنه ويضعّف حديثه جدًّا، وقد مرّ عن ابن مسعود خلاف هذا، وجاء أيضًا عنه بسند صحيح أنه لا قراءة خلف الإمام. قال ابن أبي شيبة: حدَّثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: أقرأ خلف الإمام؟ فقال: إنّ في الصلاة شغلًا وسيكفيك قراءة الإمام، ثم ذكر البيهقي أنّ ابن عباس ممّن رُوِيَ عنه القراءة خلف الإمام.

---

(١) في عمدة القاري شرح البخاري: أي إذ ليس على شرط الإسلام، وقيل: ليس على السنّة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) في الموطأ للإمام أحمد: أن عمر بن الخطاب قال: ليت في فم الذي يقرأ خلف الإمام حجرًا. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) أي ليمنعه عن القراءة، أو أراد زجره بهذه العبارة، كذا في شرح الموطأ للإمام أحمد للعلامة علي القاري رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٤) في المصباح: الرّضف الحجارة المُحمّاة، الواحدة رضفة، مثل تمر وتمرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قلت: رُوِي عنه خلاف هذا، قال الطحاوي في أحكام القرآن: حدَّثنا إبراهيم بن أبي داود، حدَّثنا أبو صالح عبد الغفار بن داود الحرّاني، حدَّثنا حماد بن مسلمة، عن أبي جمرة: قلت لابن عباس: أقرأ والإمام بين يديّ؟ قال: لا، ثم ذكر البيهقي أنّ أبا الدرداء وجابرًا منهم.

قلت: قد جاء عنهما خلاف هذا، فذكر البيهقي في باب مَنْ قال لا يقرأ حديث جابر: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، ثم قال: الصحيح أنه من قول جابر، ثم ذكر حديث أبي الدرداء: «ما أرى الإمام إذا أمّ القوم إلّا قد كفاهم»، ثم حُكِي عن الدارقطني أنه قال: الصواب أنه من قول أبي الدرداء، انتهى.

وفي فتح القدير: قد رُوِي من طرق عديدة مرفوعًا عن جابر بن عبد الله عنه عليه الصّلاة والسّلام، وقد ضعّف واعترف المضعّفون رفعه، مثل الدارقطني والبيهقي وابن عدي بأن الصحيح أنه مرسل؛ لأن الحفّاظ كالسفيانين وأبي الأحوص وشعبة وإسرائيل وشريك وأبي خالد الدالاني وجرير وعبد الحميد وزائدة وزهير رَوَوْهُ عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شدّاد عن النبيّ ﷺ فأرسلوه، وقد أرسله مرّة أبو حنيفة رحمه الله كذلك.

فنقول: المرسل حجّة عند أكثر أهل العلم، فيكفينا فيما يرجع إلى العمل على رأينا، وعلى طريق الإلزام أيضًا بإقامة الدليل على حجّية المرسل، وعلى تقدير التنزّل على حجيّته فقد رفعه أبو حنيفة رحمه الله بسند صحيح. روى محمد بن الحسن في موطئه: أخبرنا أبو حنيفة رحمه الله، حدَّثنا أبو الحسن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شدّاد، عن جابر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَنْ صلّى خلف الإمام، فإن قراءة الإمام له قراءة». وقولهم: إنّ الحفّاظ الذين عدوهم لم يرفعوه غير صحيح، قال أحمد بن منيع في مسنده: أخبرنا إسحٰق الأزرق، حدَّثنا سفيان وشريك عن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شدّاد، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، قال: وحدّثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شدّاد، عن

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك ﴿تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ (متضرعًا وخائفًا) ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ

النبيّ ﷺ فذكره، ولم يذكر عن جابر، ورواه عبد الحميد، حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا الحسن بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبيّ ﷺ فذكره، وإسناد حديث جابر الأوّل صحيح على شرط الشيخين، والثاني على شرط مسلم؛ فهؤلاء سفيان وشريك وجرير وأبو الزبير رفعوه بالطرق الصحيحة، فبطل عدّهم فيمن لم يرفعه، ولو تفرّد الثقة وجب قبوله؛ لأن الرفع زيادة، وزيادة الثقة مقبولة، فكيف ولم يتفرّد؟ والثقة قد يسند الحديث تارة ويرسله أخرى. انتهى هذا. والتفصيل فيه إن شئت فارجع إليه.

وأيضًا فيه: إن حديث المَنْع: «مَنْ كان له إمام» أصح، فبطل ردّ المتعصّبين وتضعيف بعضهم لمثل أبي حنيفة مع تضعيفه في الرواية إلى الغاية، انتهى باختصار.

وفي شرح الموطأ للإمام محمد رحمه الله للعلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري، قال محمد: أخبرنا داود بن قيس، قال محمد: حدَّثنا عمر بن محمد بن زيد، عن موسى بن سعد بن زيد بن ثابت يحدّثه عن جدّه، أي زيد بن ثابت الأنصاري كاتب الوحي وأعلم الصحابة بالفرائض ومن أجلّاء أئمّة القراءات بالمدينة سنة خمس وأربعين أنه (قال: من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له)، أي كاملة، وقيل صحيحة، انتهى بحروفه.

وأيضًا فيه وفي غيره نقلًا عن ابن الهمام: لا يخفى أن الاحتياط في عدم القراءة خلف الإمام؛ لأن الاحتياط هو العمل بأقوى الدليلَيْن، وليس مقتضى أقواهما القراءة، كيف وقد رُوِيَ عن عدَّة من الصحابة فساد الصلاة بالقراءة خلفه، فأقواهما المَنْع. انتهى.

قوله: (متضرّعًا وخائفًا) أي هو حال بتأويله باسم الفاعل، وأصل خيفة خوفة، فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة فقُلِبت ياء، فهو واويّ من الخوف. **قوله:**

﴿ٱلْقَوْلِ﴾ (ومتكلّمًا كلامًا) دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ لفضل هذين الوقتين. وقيل: المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر. ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات، (﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أُصُل والأصل جمع أصيل وهو العشي) ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ مكانة ومنزلة لا مكانًا ومنزلًا يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ لا يتعظمون عنها ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ وينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم.

(ومتكلّمًا كلامًا)... الخ. أي هو صفة لمعمول حال محذوفة. **قوله**: (﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾) جمع غدوة، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. **قوله**: (﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أُصُل) بضمّتين (والأصل جمع أصيل) فهو جمع الجمع. **قوله**: (وهو العشيّ) في المصباح: العشيّ قيل: ما بين الزوال إلى الغروب، ومنه يقال للظهر والعصر: صلاتا العشيّ، وقيل: هو آخر النهار، وقيل: العشيّ من الزوال إلى الصباح، وقيل: العشي والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة.

هذا آخر ما أردنا تعليقه على سورة الأعراف، اللّهمّ يسّر لنا الإتمام ببركة خاتم الأنبياء عليه وعلى آله وعلى سائر الأنبياء وآلهم أفضل الصلاة والسلام.

(سورة الأنفال)

(مدنية وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النفل) الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه، والأنفال الغنائم. ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف نقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أو للأنصار أم لهم جميعًا؟ فقيل له: قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم. ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختصّ بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته، ويمتثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوّضًا إلى رأي أحد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال التي تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، وقال (الزجّاج): معنى ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حقيقة وصلكم. والبين الوصل أي فاتقوا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأنفال، مدنية، وهي خمس أو ستَ أو سبع وسبعون آية)، وألف وخمس وسبعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانون حرفًا.اهـ خازن. **قوله:** (النَّفل) ـ بالفتح ـ واحد الأنفال، مثل سبب وأسباب.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النَّحوي رحمه الله.

وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به. قال (عبادة بن الصامت) ﷺ: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كاملي الإيمان.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إنما الكاملو الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (فزعت) لذكره استعظامًا له وتهيبًا من جلاله وعزّه وسلطانه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي القرآن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ازدادوا بها يقينًا وطمأنينة، لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه، أو زادتهم إيمانًا بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعتمدون ولا يفوّضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ جمع بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكّل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.

قوله: (عبادة بن الصامت) الصحابي الأنصاري الخزرجي، شَهِد العقبة الأُولى والثانية مع رسول الله ﷺ، وشَهِد بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، رُوِي له عن رسول الله ﷺ مائة وأحد وثمانون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بآخرَيْن. توفي ببيت المقدس، وقيل: بالرَّمْلة، سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة خمس وأربعين، والأول أصح وأشهر. **قوله:** (فزعت[1]) لذكره استعظامًا له، يعني أن المراد من الوجَل الذي هو الخوف والفزع هٰهنا هو الخوف المتفرّع على مجرّد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمته وجلاله، فإنّ هذا الخوف لا يزول عن قلب مَنْ ذكر الله تعالى عالمًا بنعوت جلاله وصفات كماله، سواء كان ملكًا مقرّبًا أو نبيًّا مرسلًا أو مؤمنًا تقيًّا، فإنّ كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى يلاحظ عظمة الله تعالى واستغناءه عن جميع ما سواه، ويعلم احتياجه إليه في جميع مهمّاته، فلا

---

(١) من باب تعِبَ، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ هو صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانًا حقًّا، أو هو مصدر مؤكّد للجملة التي هي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كقولك: «هو عبد الله حقًّا» أي حق ذلك حقًّا. وعن **(الحسن)** رحمه الله أن رجلًا سأله أمؤمن أنت؟ قال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية. فلا أدري أنا منهم أم لا. وعن **(الثوري)**: من زعم أنه مؤمن بالله حقًّا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية، أي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقًّا فلا يقطع بأنه مؤمن حقًّا، **(وبهذا يتشبث من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله)**.

جرم يهابه ويقشعرّ جلده وتغلب عليه الدهشة، بحيث يكاد يعني وجوده. وأمّا خوف العقاب، فهو لا يحصل من مجرّد ذكر الله تعالى، وإنما يحصل بملاحظة معصيته، وذكر قهر الله وعقابه، واللائق بهذا المقام هو الحمل على خوف العظمة والجلال؛ لأنه اللازم لكمال الإيمان. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المُجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصريّ - بفتح الباء وكسرها - الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن، وهو من تابعي التابعين، اتّفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش والقول بالحقّ وغير ذلك من المحاسن وأحوال الثوري والثناء عليه أكثر من أن يُحصر وأوضح من أن يُشهر، وهو أحد أصحاب المذاهب الستّة المتبوعة، وأجمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة رحمه الله.

قوله: (وبهذا) أي بما ذكره الثوري رحمه الله من النكتة (يتشبّث) التشبّث بالشيء التعلّق به. اهـ مختار الصّحاح. أي يتمسّك (مَن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله)...

وكان (أبو حنيفة) رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقول ذلك. وقال (لقتادة): لم تستثني في إيمانك؟ قال: اتباعًا لإبراهيم في قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء: الآية ٨٢]، فقال له: هلّا اقتديت به في قوله: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٦].

وعن (إبراهيم التيمي): قل أنا مؤمن حقًّا فإن صدقت أثبت عليه، وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك. وعن (ابن عباس) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: مَن لم يكن منافقًا فهو مؤمن حقًّا.

الخ. وهي مسألة الموافاة المشهورة وتحقيقها أنّ الاستثناء، أعني إن شاء الله، إنْ كان للتبرّك وتفويض الأُمور إلى مشيئته تعالى، أو للشكّ في الخاتمة، أو في الإيمان المنجّي الذي يترتّب عليه دخول الجنّة، أو لتعليق الإيمان الكامل الذي يدخل فيه الأعمال جاز، وبالجملة ليس للشكّ في حصول الإيمان في الحال، فيرتفع النزاع ويتبيّن أنه لفظيّ، كما ذهب إليه شرّاح الكشاف بأسرهم. اهـ شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (أبو حنيفة) هو الإمام البارع النّعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة.

قوله: (لقتادة) بن دعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ البصريّ التابعي، وُلِد أعمى. أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفَضْله. توفي سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين سنة رحمه الله.

قوله: (إبراهيم التيميّ) هو إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي، أبو إسحٰق المدني، ثقة، مات سنة عشر ومائة، وله أربع وستّون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي المكّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حبر الأُمّة والبحر لكثرة علمه، رُوِي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستّمائة حديث وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. توفي بالطائف سنة ثمان وستّين، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

وقد احتجّ (عبد الله) على (أحمد) فقال: (أيش) اسمك؟ فقال: أحمد، فقال: أتقول أنا أحمد حقًّا أو أنا أحمد إن شاء الله؟ فقال: أنا أحمد حقًّا. فقال: حيث سمّاك والداك لا تستثني وقد سمّاك الله في القرآن مؤمنًا تستثني. ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ﴾ وتجاوز لسيئاتهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ صافٍ عن كد الاكتساب وخوف الحساب.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾

الكاف في ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ في محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر، والتقدير: قل الأنفال استقرّت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتًا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون ﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها لأنها (مهاجره) ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ إخراجًا متلبسًا بالحكمة والصواب ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم. وذلك أن (عير قريش) أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبًا منهم

قوله: (عبد الله) بن المبارك واضح أبو عبد الرحمٰن الإمام المُجمع على إمامته وجلالته في كل شيء الذي يستنزل الرحمة بذكره، وترتجى المغفرة بحبّه، وهو من تابعي التابعين، توفي سنة إحدى وقيل: اثنتين وثمانين ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أحمد) بن حنبل، هو الإمام البارع أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانيّ المروزيّ ثم البغداديّ، وُلِد في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين ومائة، وتوفي ضحوة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين ومائتين، ودُفِن ببغداد وقبره مشهور معروف يتبرّك به رحمه الله.

قوله: (أيْش) تحريف أيّ شيءٍ.

قوله: (مهاجره) بفتح الجيم على صيغة اسم المفعول، المراد به اسم المكان، أي موضع هجرته.

قوله: (عير قريش) العير ـ بكسر العين ـ الإبل التي تَحْمل المتاع، والمراد هنا القافلة من التجّار.

(أبو سفيان)، فأخبر جبريل النبيّ ﷺ فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلّة القوم، فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج (أبو جهل) بجميع أهل مكة وهو النفير (في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير). فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت، فأبى وسار بمن معه إلى بدر ـ

قوله: (أبو سفيان) صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القريشيّ الأُمويّ المكّي، أسلم زمن الفتح، وكان شيخ مكّة إذ ذاك ورئيس قريش، ولَقِيَ رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخول مكّة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حُنَيْنًا وأعطاه النبيّ ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين أُوقية، وشهد الطائف، وفُقِئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. رَوَى له البخاري ومسلم حديث هرقل من رواية ابن عباس عن أبي سفيان، وكان أبو سفيان من تجّار قريش وأشرافهم، وكان من المؤلّفة ثم حَسُن إسلامه. نزل المدينة وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وهو والد يزيد ومعاوية وأُمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وأخواتهم ﷺ.

قوله: (أبو جهل) عدوّ الله فرعون هذه الأُمّة، اسمه عمرو بن هشام، وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهل المعروف، وكان يُكنى أبا الحكم فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قُتِل يوم بدر كافرًا، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة قتله عمرو[1] بن الجموح وابن عفراء الأنصاريّان، وكانا حدَثَيْن وحديثهما في الصحيح مشهور. **قوله: (في المثل السائر)** أي الجاري بين الناس **(لا في العير ولا في النفير)** قال المُفَضَّل: أوّل مَنْ قال ذلك أبو سفيان بن حرب، وذلك أنه أقبل بعير قريش، وكان رسول الله ﷺ قد تحيّن انصرافها من الشام، فندب المسلمين للخروج معه، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفًا شديدًا، فقال لمُجْدِي بن عمرو: هل أحسست من أحد من أصحاب محمّد؟ فقال: ما رأيت مِنْ أحد أنكره إلا راكبين أتيا هذا المكان، وأشار إلى مكان عديّ وبَسْبَس عيني رسول الله ﷺ، فأخذ أبو سفيان أبعارًا من أبعار بعيريهما ففتّها، فإذا فيها نوى، فقال: علائف يَثْرب، هذه عيون محمّد، فضرب وجوه عيره فساحل بها

---

(١) في المرقاة: قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود ﷺ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يومًا في السنة - ونزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريشًا. فاستشار النبيّ ﷺ أصحابه وقال العير «أحب إليكم أم النفير؟» قالوا: بل العير

وترك بدرًا يسارًا، وقد كان بعث إلى قريش حين فصل من الشام يُخبرهم بما يخافه من النبيّ ﷺ، فأقبلت قريش من مكّة، فأرسل إليهم أبو سفيان يُخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع، فأبَتْ قريش أن ترجع ورجعت بنو زهرة من ثنيّة أجدى عدلوا إلى الساحل منصرفين إلى مكّة، فصادفهم أبو سفيان، فقال: يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير، قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر، فواقعهم رسول الله ﷺ فأظفره الله تعالى بهم، ولم يشهد بدرًا من المشركين من بني زهرة أحد. قال الأصمعي: يُضرب هذا للرجل يُحَطّ أمره ويُصَغّر قدرُه، ورُوِي أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخي، لقد هممت اليَوْم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك، فقال له: والله بِئْسما هممت به في ابن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين، فقال: إنّ خَيْلي مرّت به فتعبّث بها وأصْغرها وأصغرني، فقال خالد: أنا أكفيكه، فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الوليد مرّت به خيل ابن عمّه عبد الله بن يزيد بن معاوية، فتعبّث بها وأصغره، وعبد الملك مُطرق فرفع رأسه وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾ [النمل: الآية ٣٤]. . . إلى آخر الآية، فقال خالد: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: الآية ١٦]. . . إلى آخر الآية، فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلّمني؟ والله لقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحنًا، فقال خالدًا: فعلى الوليد تقوّل؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن، فإن أخاه سليمان لا، فقال خالد: وإنْ كان عبد الله يلحن، فإن أخاه خالدًا لا؛ فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تُعَدُّ في العير ولا في النّفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه فقال: ويحك مَن في العير والنفير غير جدّي أبو سفيان صاحب العير، وجدّي عُتْبة بن ربيعة صاحب النّفير، ولكن بوقلت غُنَيْمات وحُبَيْلات والطائف، ورحم الله عثمان، قلنا: صدقت عنى بذلك طرد رسول الله ﷺ الحكم إلى الطائف إلى مكان يُدعى غنيمات، وكان يأوي إلى حَبْلة وهي الكرمة، وقوله: رحم الله عثمان لردّه إيّاه. اهـ مجمع الأمثال.

أحبّ إلينا من لقاء العدو. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، ثم ردّد عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل» فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو. فقام عند غضب النبيّ ﷺ (أبو بكر وعمر) ﵄

قوله: (أبو بكر) الصدّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر مَنْ يُحصي مناقبه ويُحيط بفضائله غير الله عزّ وجلّ. رُوِي للصدّيق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلّة رواياته مع تقدّم صحبته وملازمته النبيّ ﷺ أنّه تقدَّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبيّ ﷺ يُكْرمه ويُجلّه ويُعرّف أصحابه مكانه ويُثني عليه في وجهه، واستخلفه في الصلاة، ومناقبه غير مُنحصرة. أجمعت الأمّة على صحة خلافته، وقدَّمته الصحابة ﷺ لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بيعته مشهور في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله عنه: قدَّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس وأنا حاضرٌ غير غائب، وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدّمني لَقَدَّمني، فرَضِينا لدنيانا مَنْ رَضِيَه الله ورسوله لديننا. توفي في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، والصّحيح أنه توفي وله ثلاث وستّون سنة كرسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب توفي في آخر يوم الاثنين.

قوله: (وعمر) بن الخطّاب بن نُفيل اتّفقوا على أنه أوّل مَنْ سُمّي أمير المؤمنين، وإنما كان يقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة وعشرين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين، وأجمعوا على كثرة علمه، ووفور فَهْمه وزهده وتواضعه، ورفعه المسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحقّ، وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدّة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين، وإكرامه أهل الفضل والخير، وأحواله وفضائله وسيرته ورفقه برعيّته وتواضعه وجميل سيرته واجتهاده في الطاعة وفي حقوق المسلمين أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تُحصر، وطُعِنَ عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ من شهر ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ودُفِن يوم

(فأحسنا)، ثم قام (سعد بن عبادة) فقال: (انظر أمرك فامض فيه)، فوالله لو سرت إلى (عدن أبين) ما تخلف عنك رجل من الأنصار. ثم قال:

الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين يومًا، وقيل غير ذلك.

قوله: (فأحسنا) أي الكلام في انقياد الرسول ﷺ.

قوله: (سعد بن عُبادة) بن دُلَيم بن حارثة الأنصاري الخزرجيّ أحد النقباء وأحد الأجواد، وقع في صحيح مسلم أنه شَهِد بدرًا، والمعروف عند أهل المغازي أنه تهيّأ للخروج فنُهِس[(١)]، فأقام. مات بأرض الشام سنة خمس عشرة، وقيل غير ذلك. اهـ تقريب. وفي تهذيب الأسماء: قالوا: يقال: إنّ الجنّ قتله، وأنشدوا فيه البيتين[(٢)] المشهورَيْن. اهـ.

قوله: (انظر أمرك) أي في أمرك. **قوله:** (فامْض فيه) أي افعل ما تريد، فنحن معك ولا نخالفك. **قوله:** (عدن أبْين) جزيرة باليمن أقام بها أبْيَنُ. اهـ قاموس. وفي لسان العرب: العَدَن موضع باليمن، وعَدَن أبْيَن ويَبْين نسب إلى أبْيَن رجل من حِمْيَر، لأنه عَدَن به، أي أقام. قال الأزهري: وهي بلد على سَيْف البحر في أقصى بلاد اليمن، وفي الحديث ذكر عدن أبْيَن هي مدينة معروفة باليمن أضيفت إلى أبْيَن بوزن أبيض، وهو رجل من حِمْيَر. اهـ. ذكره لغاية بعده، لأنه نهاية اليمن، وبعده البحر. وقال القاضي المرتضى اليمني: أبْيَن اسم قصبة بينها

---

(١) في المصباح: نَهَسه الكلب وكلّ ذي ناب نَهْسًا، من بابي ضرب ونفع عضّه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) وهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة   فرميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

وقيل:

نحن قتلنا سيّد الخز   رج سعد بن عباده
ورميناه بسهـ   ـم فلم نُخطىء فؤاده

وقيل:

قتلنا سيّد الخزرج   سعد بن عباده
رميناه بسهم   فلم يخطّ فؤاده

١٢ منه عمّ فيضهم.

(المقداد بن عمرو): امضِ (لما أمرك الله) فإنا معك حيث (أحببت)، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾

وبين عدن مقدار ثلاثة فراسخ تجلب منها إلى عدن الفواكه والخضروات، فكانت الإضافة لمجرّد الملابسة.

قوله: (المقداد بن عمرو) الكندي الصحابي، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة حقيقةً، واشتُهر بالمِقداد بن الأسود؛ لأنه كان في حجر الأسود بن عبد يغوث فتبنّاه فنُسِب إليه، ويقال له: المِقْداد الكندي، لأنه أصاب دمًا في بهراءَ فهرب منهم إلى كندة، فحالفهم ثم أصاب دمًا فيهم فهرب منهم إلى مكّة، فحالف الأسود بن عبد يغوث فهو بهرانيّ، ويقال: كندي، ويقال: زهريّ، وهو قديم الإسلام والصُّحبة من السابقين إلى الإسلام. قال ابن مسعود ﷺ: أوّل مَنْ ظهر إسلامه بمكّة سبعة منهم المقداد بن الأسود، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكّة، ثم هاجر إلى المدينة، وشَهِد مع رسول الله ﷺ بدرًا وسائر المشاهد، ولم يثبت أنه شهد بدرًا فارس مع رسول الله ﷺ غير المقداد، وقيل: كان الزبير فارسًا أيضًا. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وأربعين حديثًا، اتّفقا على حديثٍ واحد، ولمسلم ثلاثة. ورَوَى عنه من الصحابة عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس والسائب بن يزيد وسعيد بن العاص والمستورد بن شداد وطارق بن شهاب. وروى عنه خلائق من التابعين، منهم عبيد الله بن عدي وهمام بن الحارث وعبدُ الرحمٰن بن أبي ليلى وأسلم بن عامر وميمون بن أبي شبيب وجبير بن نُفير وأبو ظبية - بالظاء المعجمة - وغيرهم. توفي بالجُرْف على عشرة أميال من المدينة، وحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وقيل: توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، وصلّى عليه عثمان، وأوصى إلى الزبير، وشهد فتح مصر ومناقبه كثيرة. وفي الترمذي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة وأخبرني أنه يحبّهم»، قيل: يا رسول الله سمّهم لنا، فقال: «عليٌّ منهم» يقول ذلك ثلاثًا «وأبو ذرّ والمقداد وسلمان»، قال الترمذي: حديث حسن رضي الله تعالى عنه.
قوله: (لما أمرك الله) بكسر اللام لما كان فعل النبيّ ﷺ بالوحي. **قوله:** (أحببت) من الأحباب أفعال من الحب.

[المائدة: الآية ٢٤]. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. ما دامت عين منّا (**تطرف**)، فضحك رسول الله ﷺ. وقال (**سعد بن معاذ**): امضِ يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق (**لو استعرضت بنا هذا البحر**) فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، فسر بنا على بركة الله. ففرح رسول الله ﷺ

قوله: (تطرف) في المصباح: طرف البصر طرفًا من باب ضرب تحرّك وطرف العين نظرها. اهـ.

قوله: (سعد بن معاذ) الأنصاري الصحابي، كان من أعظم الناس بركةً في الإسلام، ومن أنفعهم لقومه، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق وقريظة، ونزلوا على حكمه، فحكم فيهم بقتل الرجال وسبي الذرية، فقال النبيّ ﷺ: «لقد حكَمْتَ فيهم بحكم الله تعالى». وتوفي شهيدًا عام الخندق من جرحٍ أصابه من قتال الخندق، وثبت في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «اهتزّ عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ»، وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ مثله. قال العلماء: اهتزاز العرش فرح الملائكة لقدومه لما رأوا من منزلته. وفي الصحيحين عن البراء ﷺ، قال: أُهدي لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلنا نلمسه ونتعجّب منه، فقال النبيّ ﷺ: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة خيرٌ من هذا وألْيَن». وفي الصحيحين عن أنس مثله، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أحسن من هذا». وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ حين بعث إلى سعد بن معاذ، فجاء على حمار فبلغ قريبًا من المسجد، وقال: «قوموا إلى سيِّدكم»، أو قال: «خيركم». وفي الترمذي عن أنس ﷺ: قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخفّ جنازته، وذلك لحكمه في قريظة، فقال النبيّ ﷺ: «إنّ الملائكة كانت تحمله»، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، ومناقب سعد رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة، وأنشدوا شعر:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعدٍ أبي عمرو

رَوى له البخاري حديثًا من رواية ابن مسعود، وفيه معجزة من معجزات النبيّ ﷺ. **قوله:** (لو استعرضت بنا هذا البحر) أي لو طلبت منّا أن نعبره عرضًا،

ونشطه قول سعد ثم قال: «سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى (**مصارع القوم**)» وكانت الكراهة من بعضهم لقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ قال (**الشيخ أبو منصور**) رحمه الله: يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادًا، ويحتمل أن يكونوا مخلصين، وأن يكون ذلك كراهة طبع لأنهم غير متأهبين له.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ الحق الذي جادلوا فيه رسول الله ﷺ تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم

وخصّ ذلك لأنه أصعب من الطول، والباء تحتمل التعدية والمصاحبة، والأخير أنسب. وفي الصحاح: استعرض أي طلب أن يعرض ما عنده من الأمر، أي لو طلبت من البحر عرض ما عنده من الأمواج والأهوال حال ركوبك فيه ونحن في صحبتك لخُضْناه وما خفناه، وهذا مجاز من القول وفيه مبالغة. **قوله: (مصارع القوم)** المصارع الأمكنة التي سقطت أجسادهم مقتولين، والمراد بالقوم كفّار قريش، واللام للعهد.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمّد بن محمد بن محمود الماتريديّ، كان من كبار العلماء، كان يقال له إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي، وكتاب بيان وَهْم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، ولا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى. مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن عليّ الحنفي، ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدّين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمه الله. اهـ الجواهر المضيئة. نسبته إلى ماتريد بفتح الميم ثم الألف وضمّ التاء المنقوطة باثنتين من فوق وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتيّة في آخره دال مهملة، ويقال: ماتريت ـ بالتاء الفوقية المثناة موضع الدال ـ محلّة بسمرقند، ذكره السمعاني.

القتال ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من **(يعتل)** إلى القتل ويساق على **(الصغار)** إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها. وقيل: كان خوفهم **(لقلة العدد)** وإنهم كانوا **(رجّالة وما كان فيهم إلا فارسان)**.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ «إذ» منصوب بـ «اذكر» و﴿إِحْدَى﴾ مفعول ثانٍ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل من ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ وهما الغير والنفير والتقدير: وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي العير وذات الشوكة ذات السلاح، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ **(أي يثبته ويعليه)** ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من قتلهم وطرحهم في **(قليب بدر)** ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر. وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة

قوله: (يُعْتل) العتل: الجذب بعنف، وبابه ضرب. **قوله: (الصغار)** ـ بالفتح ـ الذلّ. **قوله: (لقلّة العدد)** لأنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة رجال فيهم فارسان، وقيل: فارس واحد، والمشركون ألف ذو عِدّة وعُدّة. **قوله: (رجالة)** بفتح وتشديد جمع راجل، وهو الماشي. **قوله: (وما كان فيهم إلا فارسان)** هما المقداد بن الأسود والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما، وفي مسند أحمد عن عليّ كرَّم الله وجهه: ما كان منّا فارسًا يوم بدر إلّا المقداد بن الأسود.

قوله: (أي يثبته ويعليه) يشير إلى أنه من حقّ بمعنى ثبت، فأحقّه أثبته وإعلاؤه إظهاره على غيره، وهو تفسير للحقّ؛ لأن الحقّ حقّ في نفسه لا يحتاج إلى إحقاق، كما أنّ الباطل باطل في حدّ ذاته لا يحتاج إلى إبطال؛ فالمراد بإحقاق الحقّ وإبطال الباطل إظهار كونه حقًا وباطلًا لئلا يلزم تحصيل الحاصل. **قوله: (قليب بدر)** في المصباح: القليب البئر، وهو مذكّر. قال الأزهري: القليب عند

و(**سفساف الأمور**)، والله تعالى يريد معالي الأمور ونصرة الحق وعلوّ الكلمة، (**وشتّان**) ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزّكم وأذلّهم.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ متعلّق بـ «يقطع» أو بمحذوف تقديره ليحق الحق ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ فعل ذلك والمقدّر متأخر ليفيد الاختصاص أي ما فعله إلا لهما، وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه، وليس هذا بتكرار لأن الأول تمييز بين (**الإرادتين**)، وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (**بدل من «إذ يعدكم»**) أو متعلق بقوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال (**طفقوا يدعون الله**) يقولون أي ربنا انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا. (**وهي**) طلب الغوث وهو التخليص من المكروه ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فأجاب. وأصل ﴿أَنِّى

العرب: البئر العادية القديمة مطويّة كانت أو غير مطويّة، والجمع قُلُب، مثل بريد وبُرُد. اهـ. **قوله:** (**سفْسَاف الأُمور**) السَّفْساف الرّديء الحقير من الأمور، ويُقابلها المعالي. وفي الحديث: «إن الله تعالى يحبّ معالي الأُمور ويبغض سفسافها». **قوله:** (**شتَّان**) أي بَعُد.

قوله: (**الإرادتين**) إرادة الله تعالى إثبات الدِّين، وإرادتهم الفائدة العاجلة، وما هو من سفسافها.

قوله: (**بدل من «إذ يعدكم»**) بأن يكون إذ عبارة عن زمان واسع وقع الوعد في بعض أجزائه والاستغاثة في البعض. **قوله:** (**طفقوا يدعون الله**) في مختار الصِّحاح: طفق يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٢]، وبعضهم يقول: من باب جلس. اهـ. **قوله:** (**وهي**) أي الاستغاثة.

﴿مُمِدُّكُم﴾ «بأني ممدكم» فحذف الجار وسلّط عليه «استجاب» **(فنصب محله)** ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ـ («مردَفين» ـ مدني. **غيره بكسر الدال)**. فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم، والفتح على أنه أردف كل ملك ملكًا آخر. يقال: ردفه إذا تبعه، وأردفته إياه إذا اتبعه.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الإمداد الذي دلّ عليه ممدكم ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ إلا بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ يعني أنكم استغثتم وتضرّعتم لقلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينًا منكم وربطًا على قلوبكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة، أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور مَن نصره الله. واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل: نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه، وميكائل في خمسمائة على الميسرة وفيها **(علي)** رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض

قوله: (فنصب محلّه) لأن إضمار الجار ضعيف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: («مردَفين»)** بفتح الدال اسم مفعول، أي مردفين بغيرهم **(مدنيّ)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(غيره)** أي الباقون **(بكسر الدال)** اسم فاعل.

قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي المكّي المدني الكوفي، أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمواخاة وصهره على فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السِّبْطين، وأوّل هاشمي وُلِد بين هاشميَّيْن، وأوّل خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربّانيّين والشجعان المشهورين والزهّاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة. وأمّا علمه، فكان من العلوم بالمحلّ

و(عمائم) بيض قد أرخوا (أذنابها) بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل (لابن مسعود): من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال: من قبل الملائكة.

العالي، رَوَى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستّة وثمانين حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وأحوال عليّ رضي الله تعالى عنه وفضائله في كل شيء مشهورة غير مُنْحصرة، وُلّي الخلافة خمس سنين، وقيل: خمس سنين إلّا شهرًا، بُويع في الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان ﷺ، لكونه أفضل الصحابة حينئذ، وذلك في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين. ضربه عبد الرحمٰن بن مُلْجم المرادي من الخوارج بسيفٍ مسموم في جبهته فأوصله دماغه في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي ليلة الجمعة، ثم توفي عليّ رضي الله تعالى عنه في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الأصح وقول الأكثرين.

قوله: (عمائم) جمع عمامة. **قوله:** (أذنابها) أي أطراف العمائم، والأذناب جمع ذنب، مثل سبب وأسباب.

قوله: (لابن مسعود) هو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب وأُمّه أُمّ عبد بنت عبد ودّ بن سواء أسلمت وهاجرت فهو صحابي ابن صحابيّة، أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطّاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرّضوان وسائر المشاهد وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلْبِسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد[1] والسواك

---

(١) في الإصابة: قال له رسول الله ﷺ: «آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك» أخرجه أصحاب الصحيح. اهـ. وفي النهاية في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال له: «آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سِوادي حتى أنهاكَ السِّواد السِّرار». اهـ السّرار المُسارّة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قال: فهم غلبونا لا أنتم. وقيل: لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون (السواد) ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كافٍ في إهلاك أهل الدنيا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَكِيمٌ﴾ بقهر أعدائه.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

(﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ بدل ثانٍ من «إذ يعدكم» أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. «يُغْشيكم» مدني ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ النوم والفاعل هو الله على القراءتين. «ويَغشيكم النعاس» مكي وأبو عمرو) ﴿أَمَنَةً﴾ مفعول له أي إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنًا أي لأمنكم، أو مصدر أي فأمنتم أمنة فالنوم يزيح (الرعب) ويريح النفس ﴿مِّنْهُ﴾ صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله (﴿وَيُنزِلُ﴾ بالتخفيف: مكي

والنعل[1]. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستّين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستّين سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (السَّواد) أي الجماعة.

قوله: (﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ **بدل ثان من «إذ يعدكم»، أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. «يُغْشيكم»**) بضم الياء وسكون الغين وبياء بعدها من أغشى (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. (﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ **النّوم**) الخفيف بالنصب مفعول به، (**والفاعل هو الله**) تعالى (**على القراءتين**) أي يغشيكم ـ بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشدّدة وبياء بعدها ـ (﴿**ويُغشيكم**﴾) بضمّ الياء وسكون الغين وبياء بعدها («**يغشاكم**») بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وألف بعدها لفظًا (﴿**النعاس**﴾) بالرفع على الفاعليّة من غشي يغشى (**مكيّ**) أي ابن كثير المكّيّ (**وأبو عمرو**) البصريّ، والباقون بضمّ الياء وفتح الغين وكسر الشين مشدّدة وبياء بعدها ونصب النعاس من غَشَّى. (**الرعب**) بضم العين وبسكونها، يعني الخوف. **قوله:** (﴿وَيُنزِلُ﴾ **بالتخفيف**) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي (**مكّي**) أي

---

(١) والوِسادة ـ بكسر الواو ـ المخدّة، والمطهرة: إناء يتطهّر به. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وبصري، وبالتشديد): غيرهم ﴿عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ بالماء من الحدث والجنابة ﴿لَّمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش، أو الجنابة من الاحتلام لأنه من الشيطان وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ أي بالماء إذ الأقدام كانت **(تسوخ)** في الرمل، أو بالربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ يُوحِى﴾ بدل ثالث من «إذ يعدكم» أو منصوب بـ «يثبت» ﴿رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ بالنصر ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالبشرى وكان الملك يسير أمام الصف في صورة رجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ هو امتلاء القلب من الخوف و(﴿ٱلرُّعُبَ﴾ **شامي وعلي)** ﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾ أمر للمؤمنين أو الملائكة، وفيه دليل على أنهم قاتلوا ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي أعالي الأعناق التي هي المذابح تطييرًا للرؤوس، أو أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب **(الهام)** ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ **(هي الأصابع)** يريد

ابن كثير المكّي **(وبصريَ)** أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة، **(وبالتشديد)** أي بفتح النون وتشديد الزاي غيرهم. **قوله: (تسوخ)** أي تدخل وتغيب.

قوله: (﴿ٱلرُّعُبَ﴾) بضم العين **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(وعليّ)** الكسائي، والباقون بالإسكان. **قوله: (الهام)** في المصباح: الهامة من الشخص رأسه، والجمع هام. اهـ. **قوله: (هي الأصابع)** اختلف أهل اللّغة في البنان، فقيل: هو الأصابع، واحده بنانة، وقيل: إطلاقه عليها مجاز مرسل من تسمية الكلّ بالجزء، وقيل: هي المفاصل، وقيل: هي مخصوصة باليد، وقيل: تعمّ اليد والرّجل، ويقال: بنام ـ بالميم ـ وأشار المصنف بقوله: يريد الأطراف إلى أن المراد بالبنان مجازًا مطلق الأطراف لوقوعه في مقابلة الأعناق والمَقاتِل؛ إذ المراد: اضربوهم كيف ما اتّفق من المقاتِل وغيرها، وإنما خصّت لأن بها المدافعة. **قوله:**

الأطراف، والمعنى فاضربوا المقاتل (**والشّوَى**) لأن الضرب إما أن يقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في (**شقّ**) خلاف شقّ صاحبه، وكذا المعاداة والمخاصمة لأن هذا في (**عدوة وخُصم**) أي جانب وذاك في عدوة وخصم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد، وفي ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ للكفرة على طريقة الالتفات، ومحله الرفع على «ذلكم العقاب أو العقاب» ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾. والواو في ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بمعنى «مع» أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾) حال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

(والشَّوَى) ما كان غير مقتل. في لسان العرب: الشَّوَى اليدان والرِّجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس، وهي جلدة الرأس يقال لها: شَوَاه وما كان غير مقتل، فهو شَوَى. اهـ.

قوله: (شقّ) ـ بالكسر ـ وهو الجانب. **قوله:** (عدوة) ـ بالضم والكسر ـ وهو الجانب. **قوله:** (**خصم**) بالضمّ، وهو الجانب كما بيَّنه أهل الاشتقاق. وقوله: أي جانب تفسير للخصم، أوْ له ولما قبله.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ **الآية**) هذه الآية مُحكمة لا يحتمل النسخ، فلهذا قيل: إن الآية مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معهم في الحرب، والأظهر أنّ الآية مخصوصة بقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ

....

عَنكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، ومحمولة على ما إذا لم يكن الكفار زائدين بالضعف؛ لأنه إنْ كان الكفار زائدين على التضاعف كما إذا كان المسلم واحدًا والكافر ثلاثًا لا يحرم الفرار، وإنما يحرم إذا كان المسلم واحدًا والكافر اثنين على ما سنذكره آنفًا في آخر هذه السورة، هكذا ذكره القاضي البيضاوي. والمختار للإمام الزاهد أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، هذا كلّه واضح ولا يتعلق به مقصود؛ لأنه مسألة معروفة مذكورة في القرآن غير مرّة، وإنّما الغرض إثبات أنّ الخدع في الحرب ليس بممنوع. وبيانه أنّ الله تعالى حيث أوجب الوعيد على الفارّ استثنى منه اثنين، فقال: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦]، وهو جملة معترضة بين الشرط والجزاء وانتصاب متحرّفًا أو متحيّزًا على الحال، وإلّا لغو لا عمل له أو استثناء من المولين، أي إلا رجلًا متحرّفًا أو متحيّزًا، ومعنى الأوّل وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦] إلا من يفر حال كونه متحرفًا لقتال، أي بحيث يحسب الخصم والعدوّ أنه يفرّ من جيوش المسلمين، فيغفل العدوّ ثم يكرّون بعد الفرّ، وهذا من جملة خدع الحرب، هكذا ذكره المفسّرون، فهو مشروع بخلاف الغدر، فإنه حرام كما سيأتي في آخر السورة.

والفرق على ما ذُكِر في شرح الوقاية أن الغدر أن يقول المسلم عن الخصم: إني لا أُقاتلك اليوم، ثم يقاتله بغفلة. والخداع أن لا يقول ذلك، ولكن يشغل بأفعال يَعلم منها الخصم أنه لن يُقاتل اليوم ليكون غافلًا، ثم يقاتل معه، ومعنى الثاني وهو قول تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦] إلا من يفر حال كونه متحيّزًا أو ملتجئًا أو منحازًا إلى فئة أخرى من المسلمين يطلبهم للتقوية ويستعينهم، فحينئذ يجوز الفرار بشرط أن يكون تلك الفئة قريبة، ومنهم مَنْ لا يشترط القرب، لما رَوى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه لما كان في سرية بعثهم رسول الله ﷺ، ففرّوا إلى المدينة، فقلت: يا رسول الله نحن الفرّارون؟ فقال: «بل أنتم العكّارون، وأنا فئتكم»، أي أنتم المائلون إلى فئةٍ من المسلمين وجماعتهم، وهم أنا وأصحابي هكذا ذُكِر في البيضاوي. وفي الكشاف: أنه فرّ رجل من القادسيّة، فأتى المدينة إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، هلكت وفررت عن الزحف، فقال عمر: وأنا فئتك. اهـ التفسيرات

والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كأنه (**يزحف أي يدب**) دبيبًا من زحف الصبي إذا دبّ (**على استه**) قليلًا قليلًا سُمِيَ بالمصدر ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل، فلا تفروا فضلًا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ مائلًا ﴿لِّقِتَالٍ﴾ (**وهو الكرّ بعد الفرّ**) يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضمًا

الأحمدية. **قوله: (يزحف)** يقال: زحف يزحف زحفًا من باب فتح يفتح، أي مشى إليه ودنا قليلًا قليلًا. **قوله: (أي يدبّ)** في المصباح: دبّ الصغير يدبّ من باب ضرب دبيبًا ودبّ الجيش دبيبًا أيضًا ساروا سيرًا ليِّنًا.اهـ. **قوله: (على استه)** في المصباح: الاست همزته وصل ولامه محذوفة، والأصل سته، وسيأتي.اهـ. وفيه في كتاب السين: الاست العجز، ويُراد به حلقة الدُّبر، والأصل سته بالتحريك، ولهذا يُجمع على أستاه، مثل سبب وأسباب ويصغر على ستيه، وقد يقال: سَهْ بالهاء، وسَتْ بالتاء، فيُعرب إعراب يد ودم، وبعضهم يقول في الوصل بالتاء، وفي الوقف بالهاء على قياس هاء التأنيث. قال الأزهري: قال النحويّون: الأصل سَتْهٌ ـ بالسكون ـ فاستثقلوا الهاء لسكون التاء قبلها، فحذفوا الهاء وسكنت السين ثم اجْتُلِبت همزة الوصل، وما نقله الأزهري في توجيهه نظر؛ لأنهم قالوا: سَتِه سَتَها من باب تعِب إذا كبرت عجيزته، ثمّ سُمّي بالمصدر ودخله النقص بعد ثبوت الاسم، ودعوى السكون لا يشهد له أصل، وقد نسبوا إليه سَتَهِيّ بالتحريك، وقالوا في الجمع: أَستاه، والتصغير وجمع التكسير يَرُدَّان الأسماء إلى أصولها.اهـ بحروفه. وأيضًا فيه: العَجْز من الرجل والمرأة ما بين الوَدكين، وهي مؤنّثة وبنو تميم يذكرون، وفيها أربع لغات: فتح العين وضمّها، ومع كل واحد ضمّ الجيم وسكونها، والأفصح وزان رَجُل، والجمع أعجاز.اهـ.

قوله: (وهو الكرّ بعد الفرّ) الكرّ من كرّ عليه العدوّ إذا حمل، والفرّ الرجوع.

﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ إلى جماعة من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في ﴿يُوَلِّهِمْ﴾ ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ و(**وزن متحيز «متفيعل»**) لا «متفعل»، لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوز. ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرًا قتلت وأسرت قيل لهم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ والفاء جواب لشرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. (**ولما قال جبريل للنبيّ ﷺ: خذ قبضة من تراب**) فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال:

قوله: (وزن متحيّز متفيعل) أصله متحيوز من تحيوز قُلِبت الواو ياء، فأُدغمت، ولو كان وزنه متفعلًا لقيل: إلا متحوّزًا؛ لأنه يُبنى من حاز يحوز حوزًا وهو واويّ، ويقال: في بناء التفعّل منه تحوّز يتحوّز تحوّزًا، فلمّا قيل: متحيّزًا علم أنه من تفيعل لا من تفعّل.

قوله: (ولما قال جبريل للنبيّ ﷺ: خذ قبضة من تراب) بضمّ القاف ويجوز فتحها: ملء الكفّ. قال العلّامة التفتازاني رحمه الله: المحدثون على أن الرمية لم يكن إلّا يوم حنين، انتهى. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه ابن جرير عن عروة مرسلًا، وليس فيه أمر جبريل عليه الصّلاة والسّلام له بذلك. (وروى ابن جرير) وابن مردويه أمر جبريل له بذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ولم يقف عليه الطيبيّ، فقال: لم يذكر أحد من أئمّة الحديث أن هذه الرَّمية كانت يوم بدر، إنما هي في حُنَيْن، واغترّ به مَنْ قال المحدثون على أن الرَّمْية لم تكن إلّا يوم حُنين، وليس كما قالا، والطيبي لم يبلغ درجة الحفّاظ، ومنتهى نظره الكتب الستّة، وكثيرًا ما يقصر في التخريج، انتهى ـ يعني كلام[1] السيوطي ـ وقد سبقه الحافظ ابن حجر إلى هذا، وخرّج الرمي في بدر من طرق عديدة، انتهى.

---

(١) الذي ذكره العلّامة الشهاب قبل هذا. ١٢ منه عمّ فيضهم.

«(**شاهت الوجوه**)» فلم يبق مشرك إلا (**شغل**) بعينه فانهزموا قيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ (**يا محمد**) ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وفي الآية بيان أن فعل العبد مضاف إليه كسبًا وإلى الله تعالى خلقًا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة، لأنه أثبت الفعل من العبد بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، (**«ولكن الله قتلهم»، «ولكن الله رمى» بتخفيف لكن**

وأخرج عبد الرزّاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧] قال: رماهم بالحَصْباء.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧]، قال: نزلت يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وحصاة في ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزموا.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن حكيم بن حِزام رضي الله تعالى عنه قال: لمّا كان يوم بدر سَمِعْنا صوتًا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزمنا، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧] الآية.

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت صوت حصيات وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طست، فلما اصطفّ الناس أخذهنّ رسول الله ﷺ فرمى بهنّ في وجوه المشركين، فانهزموا؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية ١٧].

قوله: (شاهت الوجوه) أي قَبُحَت إمّا بمعنى الدعاء، أو الماضي للتفاؤل.
قوله: (شُغِل) بالبناء للمجهول، بمعنى اشتغل.

قوله: (يا محمد) فيه دفع توهّم جواز كون الخطاب لكل مَنْ يصلح للخطاب من أُولي الألباب. **قوله: («ولكن الله قتلهم»، «ولكن الله رمى» بتخفيف لكن)** أي

شامي وحمزة وعلي) ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وليعطيهم ﴿مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ عطاء جميلًا، والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلا لذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٨﴾

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الأمر ذلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معطوف على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي المراد إبلاء المؤمنين و(توهين) كيد الكافرين. (﴿مُوهِنٌ كَيْدَ﴾ شامي وكوفي غير حفص. ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾ حفص، ﴿مُوهِنٌ﴾ غيرهم).

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٩﴾

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ﴾ إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة، لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلّقوا بأستار الكعبة قالوا: اللهم إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على الحق فانصرنا. وقيل: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ للكافرين أي ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن عداوة رسول الله ﷺ ﴿فَهُوَ﴾ أي الانتهاء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأسلم ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ لنصرته عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جمعكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْۚ﴾ عددًا

بتخفيف[١] النون ورفع الجلالة الشريفة فيهما (شامي) أي ابن عامر الشامي، (وحمزة وعليّ) الكسائي. والباقون بفتح النون مشدّدة ونصب الجلالة الشريفة.

قوله: (توهين) أي تضعيف. **قوله:** (﴿مُوهِنٌ كَيْدَ﴾) بسكون الواو وتخفيف الهاء والتنوين على أنه اسم فاعل من أوهن كأكرم معدّى بالهمزة والتنوين على الأصل في اسم الفاعل، وكيد بالنصب على المفعولية به، (شاميّ) أي ابن عامر الشامي (وكوفي غير حفص) أي شعبة وحمزة والكسائي (﴿موهن كيد﴾) بإسكان الواو وتخفيف الهاء وترك التنوين وخفض دال كيد للإضافة، (حفص ﴿موهن﴾) بفتح الواو وتشديد الهاء وبالتنوين ونصب كَيْد مفعول به أيضًا (غيرهم).

---

(١) أي بكسر نون مخفّفة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (بالفتح مدني وشامي وحفص) أي ولأن الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك، (والكسر غيرهم. ويؤيده قراءة عبد الله «والله مع المؤمنين»).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ عن رسول الله ﷺ، لأن المعنى أطيعوا رسول الله كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: الآية ٨٠] فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقوله: «الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان» أو يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وأمثاله، وأصله ولا تتولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفًا ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي وأنتم تسمعونه، أو ولا تتولوا عن رسول الله ﷺ ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصّمّ المكذبين من الكفرة ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ أي ادعوا السّماع وهم المنافقون وأهل الكتاب ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامِعِين، والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوّة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع مَن لا يؤمن. ثم قال:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي إن شرّ مَن (يدبّ) على وجه الأرض البهائم، وإن شرّ البهائم الذين هم صمٌّ عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرّها لأنهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ﴾ في هؤلاء الصم والبكم ﴿خَيْرًا﴾ صدقًا ورغبة

قوله: (بالفتح مدنيّ) أي نافع المدني (وشاميّ) أي ابن عامر الشامي (وحفص). **قوله:** (والكسر) على الاستئناف (غيرهم. **قوله:** (ويؤيّده قراءة عبد الله) ابن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه (والله مع المؤمنين).

قوله: (يدبّ) أي يمشي.

﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ عنه أي ولو أسمعهم وصدقوا لارتدّوا بعد ذلك ولم يستقيموا ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن الإيمان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وحد الضمير أيضًا كما وحده فيما قبله، لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته، والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (**من علوم الديانات**) والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت (**قال الشاعر**:

لا تعجبنّ الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن)

قوله: (من علوم الدّيانات)... الخ. فحيث يكون احترازًا عن الأُمور الدُّنيوية والعلوم الغير الدِّينية من العلوم الفلسفيّة.اهـ قنوي. أي أطلقت الحياة على العلم، كما يطلق الموت على الجهل، وهو استعارة معروفة ذكرها الأدباء وأهل المعاني.اهـ شهاب رحمه الله. **قوله**: (قال الشاعر:

لَا تُعْجِبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُهُ فَذاكَ مَيتٌ وَثَوْبُهُ كَفَنُ)

لا تعجبنّ: من الإعجاب بمعنى التعجّب، أو من العجب خطاب لكل من يصلح للخطاب بقرينة، فذاك مفعوله الجهول، وحلّته بدل منه بدل اشتمال.اهـ قنوي. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: البيت المذكور للزمخشري كما قرأته في ديوانه من قصيدة مدح بها المؤتمن بالله الخليفة، وأوّلها:

حدّث إلى أين مرّت الظّعن فعندهنّ الفؤاد مرتهن

ومنها:

لا تعْجبنّ الجهول حلّته فذاك مَيتٌ وثوبُهُ كفن

وقد ألِمَ فيه بقول أبي الطيب من قصيدته التي أوّلها:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن

أو لمجاهدة الكفّار لأنهم لو (**رفضوها**) لغلبوهم وقتلوهم، أو للشهادة لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ (**أي يميته**) فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب، فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله، أو بينه وبين ما تمنّاه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ واعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم (**على حسب**) سلامة القلوب وإخلاص الطاعة.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ عذابًا ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ هو جواب للأمر أي إن أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم، وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر (**لأن فيه معنى النهي**) كما إذا قلت «انزل عن الدابة لا تطرحك» وجاز «لا تطرحنك». و«من» في ﴿مِنكُمْ﴾ للتبعيض ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إذا عاقب.

ومنها:

لا تعجبنّ مضيمًا حُسْن بزّته وهل تروق دفينًا جودة الكفن

والعجب من النِّحرير في شرح قول الكشاف، وبعضهم: لا تعجبنّ... الخ. حيث قال: هذا كما هو عادته إذا أنشد شعرًا لنفسه أن يقول لبعضهم، والبيت لأبي الطيّب، وهذا من عدم التتبّع لكن خلطه بين بيتين من بحرين أعجب، مع تصريح الإمام الطيبي به، والحلّة معروفة، ومنهم مَنْ رواه: حليته، وجوّز فيه البدليّة من المجهول بدل اشتمال، فقد حرّفه كما يدريه مَنْ يدري الشعريّة. اهـ.

قوله: (**رفضوها**) في مختار الصِّحاح: رفضه تركه، وبابه نصر، ويرفض أيضًا - بالكسر - رَفَضًا - بفتحتين - فهو رفيض ومرفوض. اهـ. **قوله:** (**أي يُميته**)... الخ. فشبّه الموت بالحيلولة بين المَرْء وقلبه الذي به يعقل في عدم التمكّن من علم ما ينفعه علمه. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (**على حسب**) بفتح السين وسكونها، أي قدر.

قوله: (**لأن فيه معنى النّهي**) لأن المعنى لا تتعرّضوا لها.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ «إذ» مفعول به لا ظرف أي واذكروا وقت كونكم (أقلة أذلة) ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة قبل الهجرة: أتستضعفكم قريش ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ لأن الناس كانوا لهم أعداء (مضادين) ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

(﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾) بأن تعطلوا فرائضه ﴿وَالرَّسُولَ﴾ بأن لا تستنوا به ﴿وَتَخُونُوا﴾ جزم عطف على ﴿لَا تَخُونُوا﴾ أي ولا تخونوا ﴿أَمَانَاتِكُمْ﴾ فيما

قوله: (أَقِلّة) جمع قليل. **قوله:** (أذِلّة) جمع ذليل. **قوله:** (مضادّين) بالتشديد والضاد المعجمة بمعنى معادين مخفّفة مفاعلة من العداوة.

قوله: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾)... الخ. قال صاحب الكشاف في نزوله: رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى رسول الله ﷺ إلّا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسلْ إلينا أبا لُبابة مروان بن المنذر، وكان مناصحًا لهم؛ لأن عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم، فقالوا له: ما ترى هل ننزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله؛ فنزلت، فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله ورسوله عليّ، فمكث سبعة أيام حتى خرّ مغشيًّا عليه ثم تاب الله عليه، فقيل: قد تِيب عليك، فحُلّ نفسك، فقال: لا والله لا أحلّها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني، فجاءه فحلّه بيده، فقال: إنّ مِنْ تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال عليه السلام: «يجزيك الثلث أن تصدق به». وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، هذا لفظه، وقد ذكره الإمام الزّاهد مع

بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (تبعة ذلك) ووباله، أو وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح، ومعنى الخون النقص كما أن معنى الإيفاء التمام، ومنه تخوّنه إذا انتقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم والعذاب، أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولا

اختصار، وصاحب الحُسينيّ مع توجيه آخر، وهو أن الصحابة كانوا يفشون السرّ إلى الكفار، فنُهوا عن ذلك. وعلى كل تقدير ففي الآية نهي عن خيانة الله ورسوله وخيانة الأمانة، وقد مضى بيان الأمانة في سورة النساء مع بعض أحكامه، وهي في القرآن كثيرة. وذكر القاضي البيضاوي قصة أبي لُبابة بالتفصيل الذي قلت، وقال في معنى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٧] بتعطيل الفرائض والسُّنن، أو بأن تضمروا خلاف ما تُظهرون، أو بالغلول في المغانم، هذا لفظه. فحينئذ ثبت من الآية حُرْمة الغلول في المغانم أيضًا على ما ذكره الفقهاء حيث قالوا: بلا غدر وغلول ومثلة، وهو المقصود هٰهنا، والأَوْلى أن يقال: خيانة الله والرسول عامّة في جميع ما أمرا به أو نَهَيا عنه، وأنّ خيانة الأمانة عامّة في كل جنس من الخيانات في جميع الأمانات؛ كالعارية والوديعة والمضاربة والشركة والإجارة والوكالة وغيرها، هكذا يخطر بالبال. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (تبعة ذلك) في مختار الصحاح: التَّبعة ما اتُّبعَ به ذكره الفارابي في الديوان. اهـ. وفي المصباح: التّبعة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها. اهـ. وأيضًا فيه: الظلم اسم من ظلمه ظلمًا من باب ضرب، ومظلمة ـ بفتح الميم وكسر اللام ـ وتجعل المظلمة اسمًا لما تطلبه عند الظالم؛ كالظلامة ـ بالضم ـ. اهـ.

تحرصوا على جمع المال وحب الولد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ نصرًا لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله، أو بيانًا وظهورًا (**يشهر أمركم ويبث صيتكم**) وآثاركم في (**أقطار**) الأرض من قولهم «سطع الفرقان» أي طلع الفجر، أو مخرجًا من الشبهات وشرحًا للصدور، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلًا ومزية في الدنيا والآخرة ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي الصغائر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم أي الكبائر ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ على عباده.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لما فتح الله عليه ذكّره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم. والمعنى واذكر إذ يمكرون بك، وذلك أن قريشًا لما أسلمت الأنصار فرقوا أن (**يتفاقم أمره**) فاجتمعوا في (**دار الندوة**) متشاورين في أمره، فدخل عليهم (**إبليس**) في صورة شيخ وقال: أنا شيخ من (**نجد**) دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن

قوله: (يشهر أمركم) في مختار الصّحاح: الشهرة وضوح الأمر، تقول: شهر الأمر من باب قطع، وشهره أيضًا فاشتهر وشهّرته أيضًا تشهيرًا.اهـ. **قوله: (ويثبت صيتكم)** - بالكسر - الذّكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح، يقال: ذهب صِيْتُه في الناس، وربما قالوا: انتشر صوته في الناس، بمعنى صيت.اهـ. مختار الصِّحاح. **قوله: (أقْطَار)** جمع قُطر - بالضم - بمعنى الناحية والجانب.

قوله: (يتفاقم أمره) في مختار الصحاح: تفاقم الأمر عَظُم.اهـ. **قوله: (دار النّدوة)** ندا القوم ندوًا حضروا النديّ، وهو على فعيل مجلس القوم ما داموا فيه، فإذا تفرّقوا فليس بنديّ، ومنه سُمّيت دار الندوة بمكّة التي بناها قصيّ؛ لأنهم كانوا يندون فيها، أي يجتمعون للمشاورة. **قوله: (إبليس)** عدوّ الله كان اسمه عزازيل، فلمّا عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا، وسمّاه إبليس. **قوله: (نجد)** من بلاد العرب، وهو خلاف الغور، فالغور تِهامة وكلّ ما ارتفع عن تِهامة إلى أرض العراق، فهو نجد، وهو مذكّر.اهـ مختار الصحاح.

أحضركم **(ولن تعدموا)** مني رأيًا ونصحًا. فقال **(أبو البحتري)**: رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا **(وثاقه)** وتسدوا بابه غير **(كوّة)** تلقون إليه طعامه وشرابه منها **(وتتربصوا)** به **(ريب المنون)**. فقال إبليس: بئس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم. فقال **(هشام بن عمرو)**: رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من **(بين أظهركم)** فلا يضركم ما صنع واسترحتم. فقال إبليس: بئس الرأي، يفسد قومًا غيركم ويقاتلكم بهم. فقال أبو جهل لعنه الله: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلامًا وتعطوه سيفًا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرّق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، **(فإذا طلبوا العقل عقلناه)**

قوله: (ولن تعدموا) من عدم يعدم، وهو ظاهر، وليس من الإعدام كما توهّم. **قوله: (أبو البحتري)** ـ بضم الباء والتاء بينهما حاء مهملة ساكنة، وبعضهم قال: بالخاء المعجمة، وبعضهم قال: بفتح الباء والتاء وبينهما خاء معجمة والراء مكسورة ـ ابن هشام بن عمرو بن الحارث بن أسد، مات كافرًا. **قوله: (وثاقه)** الوثاق ـ بفتح الواو وكسرها ـ ما يُوثَق به ويُشدّ. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللهُ. **قوله: (كوّة)** في المصباح: الكوّة ـ تُفتح وتُضمّ ـ الثقبة في الحائط، وجمع المفتوح على لفظه كوّات، مثل حبّة وحبّات، وكواء أيضًا ـ بالكسر والمد ـ مثل ظبيّة وظباء وركوة وركاء، وجمع المضموم كُوى ـ بالضمّ والقصر ـ مثل مدية ومُدى، والكوّة بلغة الحبشة المشكاة، وقيل: كل كوّة غير نافذة مشكاة أيضًا، وعينها واو، وأمّا اللام فقيل: واو، وقيل: ياء، والكوّ ـ بالفتح مع حذف الهاء ـ لغة حكاها ابن الأنباريّ، وهو مذكّر، فيقال: هو الكوّ. اهـ. **قوله: (تتربّصوا)** التربّص الانتظار. **قوله: (رَيْب المَنُون)**[1] حوادث الدّهر، فيهلك كما هلك مَنْ قبله. **قوله: (هشام بن عمرو)** بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، أسلم بعد ذلك، وله أثرٌ عظيم في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطّلب في مقاطعتهم واعتزالهم، وأن لا يبيعوهم ولا يبتاعون، وكان هشام لبني هاشم واصلًا ـ يعني لما كانوا بالشِّعب ـ وكان ذا شرف في قومه رضي الله تعالى عنه. **قوله: (بين أظهركم)** بمعنى بينكم. **قوله: (فإذا طلبوا العقل عقلناه)** في المصباح: عقلت القتيل عقلًا من باب ضرب

---

(١) المنون: الدهر فعول من منّه إذا قطعه، فإن الدهر يقطع الأعمار، وقد يُطلق على الموت لأنه يقطع الأجل، والرَّيْب ما يقلق النفوس من الحوادث. ١٢ منه عمّ فيضهم.

واسترحنا. فقال اللعين: صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيًا، فتفرّقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له الله في الهجرة، فأمر عليًا فنام في مضجعه وقال له: (اتّشح ببردتي) فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه. وباتوا مترصدين، فلما أصبحوا (ثاروا) إلى مضجعه فأبصروا عليًا (فبهتوا) وخيّب الله سعيهم (واقتصّوا أثره) فأبطل الله مكرهم ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك ويوثقوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ ويخفون المكايد له ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرًا.

أدّيت دِيَّته. قال الأصمعي: سمّيت الدِّية عقلًا تسمية بالمصدر؛ لأن الإبل كانت تعقل بفناء وليّ القتيل، ثم كَثُر الاستعمال حتى أُطلق العقل على الدِّية إبلًا كانت أو نقدًا. اهـ. **قوله:** (اتّشِحْ) في المصباح: توشّح بثوبه، وهو أن يدخله تحت إبطه الأيمن ويُلقيه على منكبه الأيسر، كما يفعله المحرم، قاله الأزهري. واتّشح بثوبه كذلك. اهـ. وفي لسان العرب: قد توشّحت المرأة واتَّشحت. اهـ. وأيضًا فيه: قال أبو منصور: التوشّح بالرّداء مثل التأبّط والاضطباع، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيُلْقيه على منكبه الأيسر، كما يفعل المحرم. اهـ. وأيضًا فيه: وفي الحديث أنه كان يتوشّح بثوبه، أي يتغشّى به. اهـ. (بِبُرْدتي) في المصباح: البُرْدة كساء صغير مربّع، ويقال: كساء أسود صغير. اهـ. وفي لسان العرب: البُردة كساء يُلْتَحف به. اهـ. **قوله:** (ثاروا) في المصباح: ثار الغبار يثور ثورًا وثُؤرًا على فعول، وثورانًا هاج، ومنه قيل للفتنة: ثارت وأثارها العدوّ وثار إلى الشر نهض. اهـ باختصار. **قوله:** (فبُهتوا) في مختار الصحاح: بَهت بوزن علم، أي دَهِشَ وتحيّر وبَهُتَ بوزن ظرُف مثله وأفصح منهما بُهِتَ، كما قال الله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٨]، لأنه يقال: رجل مبهوت، ولا يقال: باهت ولا بَهِيت. اهـ. **قوله:** (واقتصّوا أثره) في مختار الصّحاح[1]: قَصّ أثره تَتَبَّعَه من باب رد، وقصصًا أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: الآية ٦٤]، وكذا اقتصّ أثره. اهـ.

---

(١) بالفتح لغة في الصحيح، كما في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرأ القرن ويذكر أخبار القرن الماضي في قراءته فقال (**النضر بن الحارث**): لو شئت لقلت مثل هذا. وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث (**رستم وأحاديث العجم**) فنزل:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهذا (**صلف**) منهم و(**وقاحة**)، لأنهم دعوا إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ هذا اسم «كان» و«هو» فصل و﴿ٱلْحَقَّ﴾ خبر «كان». رُوِيَ أن النضر لما قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال له النبيّ عليه الصلاة والسلام: «ويلك هذا كلام الله» فرفع النضر رأسه إلى

قوله: (**النضر بن الحارث**) ـ بالضاد المعجمة ـ أُسِرَ يوم بدر وقُتل كافرًا، قَتَله عليّ بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسِّيَر على أنه قُتل يوم بدر كافرًا، وإنما قُتِل لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، وهذا الذي ذكرته مِنْ قَتْله يوم بدر كافرًا هو الصواب. **قوله:** (**رستم**) بفتح التاء وقد يُضمّ. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وفي القاموس: رُسْتُم بضمّ الراء[1] وفتح المثناة فوق وقد تُضمّ. وفي شمس اللّغات: رستم بضمّ معروف أو رابيليتن وتهمتن گويندكه زورهشتاديپل داشت. اهـ. **قوله:** (**وأحاديث العجم**) أي كاسفنديار وبهرام والأكاسرة وملوك الحِيرَة[2].

قوله: (**صَلَفٌ**) الصَّلَف هو الغلوّ في الظرف والزيادة على المِقْدار مع تكبّر. اهـ لسان العرب. وأيضًا فيه الصَّلَف مجاوز القدر في الظرف والبراعة والادّعاء فوق ذلك تكبّرًا. اهـ. **قوله:** (**وقاحة**) في مختار الصِّحاح: وقُح الرجل

---

(١) وسكون السين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) في القاموس: قرية بفارس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

السماء وقال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾ ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره **(بالسجيل)** كما فعلت بأصحاب الفيل ﴿أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ بنوع آخر من جنس العذاب الأليم **(فقتل يوم بدر صبرًا)**. وعن **(معاوية)** أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحق ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له.

من باب ظرف قلّ حياؤه، فهو وَقِح. اهـ. **قوله: (بالسُّجيل)**[1] أي الطين المطبوخ. **قوله: (فقُتل يوم بدر صبرًا)** أي مصبورًا، أي محبوسًا. **قوله: (معاوية)** بن أبي سفيان الصحابي ابن الصحابي، هو أبو عبد الرحمٰن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، كان أحد الكتّاب لرسول الله ﷺ، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وثلاثة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على أربعةٍ منها، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة. رَوَى عنه من الصحابة ابن عباس وأبو الدرداء وجرير بن عبد الله ونعمان بن بشير وابن عمرو وابن الزبير وأبو سعيد الخدريّ والسائب بن يزيد وأبو أُمامة بن سهل، ومن التابعين: ابن المسيّب وحميد بن عبد الرحمٰن وغيرهما، واتّفقوا على أنه توفي بدمشق ثم المشهور أنه توفي يوم الخميس لثمانٍ بقَيْن من رجب[2]، وقيل: لنصف رجب سنة ستين من الهجرة، وقيل: سنة تسع وخمسين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ثمان وسبعين سنة، وقيل: ستّ وثمانين. روى الترمذي عن عبد الرحمٰن بن أبي عميرة الصحابي عن النبيّ ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللّهمّ اجعله هاديًا مهديًّا»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وفي صحيح البخاري في كتاب المناقب عن ابن أبي مُلَيْكة قال: قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، ما أوتر إلّا بواحدة؟ قال: أصاب، إنه فقيه. اهـ تهذيب الأسماء باختصار.

---

(١) معرب سنگ گل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) منصرف. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ **(اللام لتأكيد النفي)** والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم، لأنك بعثت رحمة للعالمين وسنته أن لا يعذب قومًا عذاب استئصال ما دام نبيّهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ **هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم)** أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما

قوله: (اللام[1] **لتأكيد النفي)** يعني أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] لام الجحود، والفعل بعدها منصوب بإضمار أنّ وشرطها أن يتقدمها كون منفي، وذهب البصريّون إلى أن خبر كان محذوف، وتتعلّق هذه اللام بذلك الخبر المحذوف، والمعنى: وما كان الله مريدًا لتعذيبهم، وذهب الكوفيون إلى أن هذه اللام مع ما بعدها في محل الخبر ولا يقدرون شيئًا محذوفًا، ويزعمون أن الفعل بعدها منصوب بنفس اللام بإضمار أن، وأن اللام زائدة لتأكيد النفي، وظاهر كلام المصنّف يُشعر بأنه اختار مذهب الكوفيّين، إلّا أنه لا ينافي إتيانه على مذهب البصريّين؛ لأن انتفاء إرادة العذاب أبلغ وآكد من نفي العذاب، صرّح في خبر كان الأول بلام الجحود دون خبرها الثاني؛ للدلالة على أن كينونته عليه الصلاة والسّلام فيهم أبلغ في كونها سببًا لعدم تعذيبهم من استغفارهم، فأين بركة وجوده عليه الصّلاة والسّلام من بركة استغفارهم؟

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ هو في موضع الحال، ومعناه نفي الاستغفار عنهم) قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: ذكر فيه ثلاثة أوجه: الأول أنّ المراد استغفار مَنْ بَقِيَ بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين. قال الطيبيّ: وهذا الوجه أبلغ، لدلالته على أنّ استغفار الغير مما يدفع به العذاب عن أمثال هؤلاء الكَفَرة، وهو المرويّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في كتاب الأحكام. والثاني: أنّ المراد به دعاء الكَفَرة بالمغفرة، وقولهم: غفرانك، فيكون مجرّد طلب المغفرة منه تعالى مانعًا من عذابه، ولو من

---

(١) هذه هي التي تسمّى لام الجحود ولام النفي؛ لاختصاصها بمعنى كان الماضية لفظًا ومعنًى، وهي تُفيد التأكيد باتّفاق النُّحاة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

عذبهم، أو معناه وما كانَ الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلّف عن رسول الله ﷺ من المستضعفين.

الكفرة. والثالث: أنّ المراد بالاستغفار التوبة والرجوع عن جميع ما هم عليه من الكفر وغيره، وهو منقول عن قتادة والسُّديّ ومجاهد رحمهم الله، فيكون القيد منفيًّا في هذا ثابتًا في الوجهين، ومبنى الاختلاف فيها ما نُقِل عن السّلف في تفسيره، والقاعدة المقرّرة وهي أن الحالَ بعد الفعل المنفيّ، وكذا جميع القيود قد يكون راجعًا إلى النفي قيدًا له دون المنفيّ، وقد يكون راجعًا إلى ما دخله النفي، وعلى الثاني فله معنيان: أحدهما، وهو الأكثر، أن يكون النفي راجعًا إلى القَيْد فقط، ويثبت أصل الفعل. وثانيهما: أن يقصد نفي الفعل والقيد معًا بمعنى انتفاء كلّ من الأمرين، والمعنى انتفاء الفعل من غير اعتبار لنفي القيد وإثباته، والحاصل أنّ القيد في الكلام المنفيّ قد يكون لتقييد النفي، وقد يكون لنفي المقيّد، بمعنى انتفاء كلّ من الفعل والقيد، أو القيد فقط، أو الفعل فقط؛ كما قرّره النِّحرير في سورة آل عمران، وقد مرّ تفصيله وتحقيقه في سورة البقرة.

وأمّا قول الشارح النِّحرير هنا: أنّ الدالّ على انتفاء الاستغفار هنا على الوجه الأخير القرينة والمقام لا نفس الكلام، وإلّا لكان معنى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] نفي كونه فيهم.

فإنْ قيل: الحال قيد والنفي في الكامل راجع إلى القيد.

قلنا: وأنت فيهم حال أيضًا.

فإن قيل: الاستغفار من الكفر ينافي التعذيب، وقد ثبت أنهم يُعذّبون بمفارقة النبيّ ﷺ، وبقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٤] فينتفي الاستغفار.

قلنا: وكذلك كونه فيهم ينافي بحكم العادة، وقضيّة الحكمة تعذيبهم، وقد بيَّن أنهم يعذّبون.

فإن قيل: كونه فيهم ليس مما يستمرّ، بل يزول البتّة، فيحدث التعذيب.

قلنا: الاستغفار عن الكفر يحتمل ذلك، غايته أنه احتمال بعيد، ويمكن أن يقال: هم يستغفرون للاستمرار، فينتفي بالتعذيب، ولو بعد حين؛ بخلاف أنت

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

(﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾) أي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم ألا يعذبهم الله ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدّون عن المسجد الحرام كما صدّوا رسول الله ﷺ (**عام الحديبية**)، وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصدّ وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم فنصدّ مَن نشاء وندخل مَن نشاء فقيل: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ وما استحقّوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ من المسلمين. وقيل: الضميران راجعان إلى الله ﴿وَلَـٰكِنَّ

فيهم، فإنه لمجرّد الثبوت، وهو متحقّق ما لم يُفارقهم ولم يُصِبْهم العذاب، وهذا إنما يتمّ إذا جعل وأهلها مصلحون للاستمرار والدوام دون الثبوت. اهـ. فلا يخفى ما فيه من التطويل، وما بين كلاميه من التنافي، ولبعض الناس هنا خبط تركه أوْلى من ذِكْره، وعلى الوجه الأوّل المستغفرون هم المسلمون، والاستغفار طلب المغفرة والتوفيق للثبات على الإيمان، والضمير للجميع لوقوعه فيما بينهم، ولجعل ما صدر عن البعض بمنزلة الصادر عن الكلّ، فلا يلزم تفكيك الضمائر كما قيل. اهـ.

قوله: (﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾)... الخ. قال النسفيّ: إن نزول ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] وهو ﷺ بمكّة ثم خرج من بين أظهرهم، فاستغفر مَنْ بها مِنَ المسلمين، فنزل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]، أي وفيهم أحد من المسلمين؛ فخرج المستغفرون من مكّة، فنزل: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٤]... الخ. وأذن له في فتح مكّة. **قوله:** (**عام الحُديبية**) وهي السنة السادسة من الهجرة، والحُديبية الحجازيّون يخفّفونها، والعراقيون يثقلونها، والحديبية قرية سُمّيت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، وبين الحديبية والمدينة تسع مراحل، وبينها وبين مكّة مرحلة، قيل: هي مِنَ الحرم، وقيل: بعضها من الحرم. قال المُحبّ الطبري: هي قرية قريبة من مكّة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكّة. وفي شفاء الغرام: ومسجد الشجرة بالحديبية، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هي الشجرة التي كانت

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك (**كأنه استثنى**) مَن كان يعلم وهو يعاند (**أو أراد بالأكثر الجميع**) كما يراد بالقلّة العدم.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ صفيرًا (**كصوت المكاء**) وهو طائر مليح الصوت، وهو فعال من مكا يمكوا إذا صفر ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ وتصفيقًا (**تفعلة من الصدى**)، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت (**عراة وهم مشبكون بين أصابعهم**) ويصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ

تحتها بيعة الرضوان، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس، وهذا المسجد عن يمين طريق جدّة، وهو المسجد الذي يزعم الناس أنه الموضع الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ وأصحابه، وثمّةَ مسجد آخر وهذان المسجدان والحديبية لا تُعرف اليوم، والله أعلم بذلك. **قوله: (كأنه استثنى)** أي أخرج بقوله أكثرهم الأقلين الذين كانوا يعلمون ويُعاندون. **قوله: (أو أراد بالأكثر الجميع)**؛ لأن للأكثر حكم الكلّ في كثير من الأحكام، ولكونه الجزء الذي عليه مدار الجميع.

قوله: (كصوت المكاء) ـ بضمّ الميم وبالمدّ والتشديد ـ طائر يصوّت في الرياض يسمّى مُكاء؛ لأنه يمكو، أي يصفّر كثيرًا، ووزنه فعال كخطاف، والأصوات فيْ الأكثر تأتي على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والرغاء والنباح والجؤار ونحوه، وجمعه المكاكيّ، وهذا الطائر يصفّر ويصوّت كثيرًا. قال البغوي في تفسيره: المكاء الصفير، وهو في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير. قال ابن السكّيت في إصلاح المنطق: فقال: مكا الطائر ومكا الرجل يملك مكوًا إذا جمع يديه وصفّر فيهما، وكأنهم اشتقوا له هذا الاسم من الصياح، وجمعه المكاكي، والمكاء الصفير، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، أي صفيرًا وتصفيقًا. وقال ابن قتيبة: المُكاء الصفير، أي بالتخفيف، والمكّاء ـ بالتشديد ـ طائر يصفر في الرياض، ويمكو أي يصفر. **قوله: (تفعلة من الصّدى)** وهو ما يُسمع من رَجْع الصوت عند جبل ونحوه. **قوله: (عراة)** جمع عار. **قوله: (وهم مشبكون بين أصابعهم)** تصوير لمكائهم، فإن المكاء

رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون عليه ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ عذاب القتل والأسر يوم بدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم. ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلًا وكلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم (عشر جزائر).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد ﷺ وهو سبيل الله ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ثم تكون عاقبة إنفاقها ندمًا وحسرة، فكأن ذاتها تصير ندمًا وتنقلب حسرة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ آخر الأمر وهو من دلائل النبوّة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ والكافرون منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ لأن منهم مَن أسلم وحسن إسلامه. واللام في ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ الفريق الخبيث من الكفار ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي من الفريق الطيب من المؤمنين، متعلقة بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾ (﴿لِيَمِيزَ﴾ **حمزة وعلي**) ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ﴾ الفريق الخبيث ﴿بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ فيجمعه ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ أي الفريق الخبيث ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الفريق الخبيث ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أنفسهم وأموالهم.

عبارة عن تشبيك الأصابع، ثم وضعها على الفم وأن ينفخ فيها. **قوله: (عشر جزائر)** جمع جزور، وهو البعير، ذكرًا كان أو أنثى، إلّا أن لفظه مؤنّث، تقول: هذه الجزور؛ فلذلك لم يقل: **عشرة** جزائر، بالتاء.

قوله: (﴿لِيَمِيزَ﴾) بضم الياء الأُولى وفتح الميم وكسر الثانية مشدّدة (**حمزة وعلي**) الكسائي، والباقون بفتح الياء وكسر الميم وإسكان الياء.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ (أي أبي سفيان وأصحابه) ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول في الإسلام ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ لهم من العداوة ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ لقتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بالإهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، أو معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي، **(وبه احتجّ أبو حنيفة** رحمه الله **في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة)**.

قوله: (أي أبي سفيان) أبو معاوية رضي الله عنه؛ لأنه لم يدخل في الإسلام بعد **(وأصحابه)** فالتعريف في الذين كفروا للعهد الخارجي، والمعهود أبو سفيان وأصحابه.

قوله: (وبه احتجّ أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتدّ إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة) أخذ ذلك كلام صاحب الكشاف، وأورد منه بالإيجاز، وصرّح صاحب الكشاف بأنّ الحربيّ إذا أسلم لم يبق عليه تَبعة قطّ. وأمّا الذِّميّ، فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى وتبقى عليه حقوق الآدميّين، وبه احتجّ أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتدّ إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الرِّدَّة وقبلها، وفسّر أن يعودوا بالارتداد، ولعلّ وجه الاحتجاج أنه لمّا حكم على الكفار جميعًا بالمغفرة عن العصيان بعْد الإسلام، فالظاهر أنّ المرتدّ كذلك؛ لأنه داخل في الكفار، وإن اختصّ باسم آخر، فإن يدخل في الإسلام يُغْفر له ما قد سلف من ارتداده وسائر ذنوبه من قضاء الصلاة والصوم وجميع أحكام الشرع، وهذا أمر معقول؛ لأنه حين ارتدّ لم يجب الصلاة والصوم، فلم يلزم القضاء، وكذا أسقط ما قبلها، وإنما فسّر أن يعودوا بالارتداد؛ لأنه فسّر ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨] بالانتهاء عن الكفر، فلا بدّ أن يكون العَوْد بالعَوْد إلى الكفر، وهو الارتداد، لا لأن له دخلًا في الاحتجاج، وإنما قيّد بقوله أبو حنيفة رحمه الله؛ لأن الشافعي لمّا أوجب العبادات على الكفار بتقدير الإسلام اقتضاء، فأوْلى أن يوجب ذلك على المرتدّ، ولكن لا يظهر ثمرته ما دام مرتدًّا، فيلزم القضاء بعد الإسلام ولم يتعرّض القاضي للوجه الثاني رعايةً لمذهبه. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يثيبهم على إسلامهم ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ لا يضيع من تولّاه ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ لا يغلب مَن نصره. والمخصوص بالمدح محذوف.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ «ما» بمعنى «الذي»، ولا يجوز أن يكتب إلا مفصولًا إذ لو كتب موصولًا لوجب أن تكون «ما» كافة و﴿غَنِمْتُم﴾ صلته والعائد محذوف والتقدير: الذي غنمتموه ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ بيانه قيل حتى **(الخيط والمخيط)** ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ والفاء إنما دخلت لما في «الذي» من معنى المجازاة و«أن» وما عملت فيه في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره: فالحكم أن لله خمسة ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: **تنبيه**: قال النِّحرير: المراد بالذين كفروا هو الكفر الأصليّ وما سلف ما مضى في حال الكفر، فاحتجاج أبي حنيفة رحمه الله على أنّ مَنْ عصى طول العمر ثم ارتدّ ثم أسلم لم يبق عليه ذنب في غاية الضعف، انتهى. وهذا ليس بشيء، فإنّ أبا حنيفة ومالكًا أبْقيا الآية على عمومها؛ لحديث «الإسلام يهدم ما قبله»، وقالا: إنه يلزمه حقوق الآدميّين دون حقوق الله، كما في كتاب أحكام القرآن لابن عبد الحقّ، وخالفهما الشافعي رحمه الله، وقال: يلزمه جميع الحقوق. اهـ.

قوله: (الخيط) كناية عمّا قلّ مطلقًا. **قوله: (والمخيط)** في مختار الصحاح: المِخْيَط بوزن المِبْضَع الإبْرَة. اهـ.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (فالخمس كان في عهد رسول الله ﷺ يقسم على خمسة أسهم):

قوله: (فالخمس كان في عهد رسول الله ﷺ يُقسم على خمسة أسهم)... الخ. قد اتّفق أهل المذاهب على أنّ ما أخذ من الكفار قهرًا يُقسم خمسة أخماس: أربعة منها للغانمين، ولكنهم اختلفوا في الخُمس الباقي، فقال بعضهم: يُقسم الخمس على ستّة أسهم: سهم لله، وسهم للرسول، وهكذا القياس عملًا بظاهر الآية، ويصرف سهم الله إلى الكعبة على ما ذهب إليه أبو العالية، وقيل: لبيت المال، وقيل: مضموم إلى سهم الرّسول، والجمهور على أنّ ذكر الله تعالى للتبرّك يدلّ عليه تقدُّمه على خلاف سُنن المعطوفات، وكأنه قال: فإن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصّين به، فيقسم الخمس على خمسة أسهم، هكذا فعله رسول الله ﷺ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم بعد وفاته؛ فعند الشافعي رحمه الله: يُصرف سهم الرسول إلى مصالح المسلمين، كما فعله الشيخان. وقيل: يُصرف إلى الإمام، وقيل: إلى الأصناف الأربعة، وعند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكلّ مصروفًا إلى الثلاثة الباقية، وعن مالك رضي الله تعالى عنه: الأمر فيه مفوّض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهمّ.

وسهم ذوي القربة يُصرف إليهم، وهم: بنو هاشم وبنو المطّلب، وقيل: بنو هاشم وحدهم، وقيل: جميع قريش، والغنيّ والفقير سواء في ذوي القربى عند الشافعي رضي الله عنه، وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل، وقيل: الخمس كلّه لذوي القربى لسقوط سهم الرسول بعد موته عليه السلام، ويكون المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل مَنْ كان منهم، وإنما العطف للتخصيص، هذا كلّه ذُكِر في بيضاوي أخذ ذلك من كلام صاحب الكشاف مع نوع تغيّر.

وذكر الإمام الزاهد: أن مبنى الاختلاف بيننا وبين الشافعي رحمه الله على أن نسخ القرآن بالخبر المتواتر جائز عندنا لا عنده، فإنّ سهم ذوي القربى منصوص في الكتاب، ولم يعمل به الخلفاء الراشدون، فصار منسوخًا به عندنا لا عنده، واقتصر صاحب المدارك على بيان مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وتقديره على ما في الكتب أنه قال أبو حنيفة رحمه الله: يقسم الخمس بعد وفاته ﷺ على ثلاثة أسهم: سهم لليتامى،

....

وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل؛ لأن ذكر الله تعالى للتبرّك، وسهم الرسول سقط بموته ﷺ، وسهم ذوي القربى أيضًا يسقط بموته ﷺ؛ لأن المراد من ذوي القربى ذوو قربى رسول الله ﷺ بالإجماع، ولفظ مشترك بين القرابة الصلبية المودّة، وهٰهنا الأخير مراد خاصّته بدليل أنّ رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان لعبد مناف أربعة[1] أبناء: هاشم، والمطّلب، وعبد شمس، ونوفل؛ وكان عثمان بن عفان من أولاد عبد شمس، وجبير بن مطعم من أولاد نوفل، فلمّا قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر أعطى خمس الخمس بني هاشم وبني المطلب، ولم يُعْطِ عثمان وجبيرًا أصلًا، فقالا: إنا لا ننكر فضل بني هاشم لمكانك الذي وضعك الله فيهم، يعني أنك منهم، وهم إخوتك، ولكن نحن وبنو المطّلب سواء، فما بالك أعطيتهم وحرمتنا؟ فقال عليه السلام: «إنهم لم يفارقوني في الجاهلية ولا في الإسلام»، وشبك[2] بين أصابعه، فعُلِم أنّ المراد قرابة المودّة؛ لأنه لو كان المراد القرابة الصّلبيّة لأعطى عثمان وجبيرًا أيضًا، كما أعطى بني هاشم وبني المطّلب، فإذا كان المراد قرابة المودة فقد فات ذلك بوفاة رسول الله ﷺ؛ لأنه علّله بصحبته، وهي لم تبقَ، فلا يستحقّون السهم بعد وفاته إذا كانوا أغنياء.

غاية ما في الباب أنهم يستحقّونه إذا كانوا فقراء، وذلك لأنهم لما طلبوا الزكاة فمنعها عليه السلام عنهم، وقال: «يا معشر بني هاشم، إنّ الله حرَّم عليكم غسالة الناس وأوساخهم وعوّضكم عنها بخمس الخمس من الغنيمة»، فقد جعل رسول الله ﷺ خمس الخمس عوضًا عن الزكاة، والزكاة إنما يستحقّها الفقراء، فكذا هذا. وقد صحّ أن الخلفاء الراشدين كلّهم قسموا على نحو ما نقلنا، هكذا

---

(١) وقال العلاّمة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وكان لعبد مناف خمس بنين: هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب وأبو عمرو، كلّهم أعقبوا إلا أبا عمرو.اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) التشبيك إدخال بطن الأصابع ببطن أصابع أُخر، وتشبيكه عليه السلام بين أصابعه إشارة إلى كمال اختلاطهم به، وعدمِ مفارقتهم له، وبيان عدم المفارقة بالفعل بعد بيانه بالقول؛ لأنه أدخل في البيان مع البرهان. ١٢ منه عمّ فيضهم.

سهم لرسول الله، وسهم لذي قرابته من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذٍ بالنصرة لقصة (عثمان) و(جبير) بن مطعم،

في شرح الوقاية. وقال صاحب الهداية: إن هذا قول الكرخي، وعن الطحاوي: إن سهم الفقراء أيضًا ساقط بالإجماع، ولكن الأصحّ أن الساقط بالإجماع هم الأغنياء، والفقراء يدخلون في الأصناف الثلاثة المذكورة، وهذا غاية ما بذلوا فيه جهدهم، وفيه بحث وهو أن الزكاة إنما تُحرم على بني هاشم خاصّةً، فينبغي أن يكون بنو المطّلب غير مستحقّين لسهم الغنيمة، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، على ما قيل، وسيجيء هذا الكلام مع نوع تدقيق وزيادة توضيح مني في سورة الحشر إن شاء الله تعالى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

وفي هامشها: وقد ذكر في كتب الفقه أن آل بني هاشم آل عليّ وعباس وجعفر وعقيل وحارث بن عبد المطّلب ومواليهم، ولا يتوهّم منه أن آل المطّلب داخل في بني هاشم لأن عبد المطّلب غير المطّلب، والأوّل هو ابن هاشم، ويدخل فيه، والثاني هو أخوه، فكيف يدخل فيه؟. اهـ منه رحمه الله.

قوله: (عثمان) بن عفان أمير المؤمنين، هو أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله وأبو ليلى، عثمان بن عفّان بن أبي العاصي بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القرشيّ الأُموي، المكيّ ثم المدني، أمير المؤمنين. رُوِيَ لعثمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستّة وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة. قُتِل شهيدًا يوم الجمعة لثمان عشرة خلَوْن من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وقيل: قُتِل يوم الأربعاء، وهو ابن تسعين سنة، وقيل: ثمانٍ وثمانين، وقيل: ثنتين وثمانين، وقيل غير ذلك، وبُويع له بالخلافة غرّة المحرَّم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلّا ليالي. قال ابن عبد البرّ: بُويع له يوم السبت بعد دَفْن عمر رضي الله تعالى عنه بثلاثة أيّام، وحجّ فيها بالناس عشر سنين متوالية، وصلّى عليه جُبير بن مطعم ودُفِن ليلًا بالبقيع، وأُخفي قبره ذلك الوقت ثم أُظهر، وقيل: دُفِن بحش كوكب. قال ابن قُتيبة: هي أرض اشتراها عثمان وزادها بالبقيع، والحُشّ البستان، وكوكب اسم رجل من الأنصار. وعثمان بن

وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل، وأما بعد رسول الله ﷺ فسهمه ساقط بموته، وكذلك سهم ذوي القربى، وإنما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل. وعن ابن عباس ﷺ أنه كان على ستة: لله والرسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر ﷺ الخمس على ثلاثة، وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء ﷺ، ومعنى ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ لرسول الله كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ﴾ فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾ أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الفريقان من المسلمين والكافرين، والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذٍ وهو بدل من ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقدر على أن ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر.

عفّان أحد العشرة المبشّرة لهم بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الرّاشدين السابقين إلى الإسلام، وأحد المُنْفقين في سبيل الله الإنفاق العظيم، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، ولم يلبس السراويل في جاهليّته ولا إسلامه إلى يوم قتله، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقالوا لي: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف ففتحه فقُتل وهو بين يديه، وأعتق عشرين مملوكًا، وهو محصور رضي الله تعالى عنه.

قوله: (جبير) بن مطعم الصحابي، ومطعم ـ بكسر العين ـ هو أبو محمد، ويقال: أبو عدي، جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ القرشيّ النوفليّ المدني، أسلم قبل عام خيبر، وقيل: أسلم يوم فتح مكّة. رُوي له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ستّة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. رَوَى عنه سليمان بن صرد الصحابي، وابناه نافع ومحمد ابنا جبير، وسعيد بن المسيّب وآخرون. قال الزبير بن بكار: كان من علماء قريش وساداتهم. توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقال ابن قتيبة: سنة تسع وخمسين رضي الله تعالى عنه.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِذْ أَنتُم﴾ بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أو التقدير: اذكروا إذ أنتم ﴿بِٱلْعُدْوَةِ﴾ (شطر الوادي، وبالكسر فيهما: مكي وأبو عمرو) ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ القربى إلى جهة المدينة تأنيث الأدنى ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البعدى عن المدينة تأنيث الأقصى، (وكلتاهما فعل من بنات الواو)، والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى، وأما القصوى (فكالقود) في مجيئه على الأصل ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ (أي العير) وهو جمع راكب في المعنى ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ نصب على الظرف أي مكانًا أسفل من مكانكم يعني في أسفل الوادي (بثلاثة أميال)، وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ

قوله: (شطر الوادي) أي جانبه. **قوله:** (وبالكسر) أي بكسر العين (فيهما مكّي) أي ابن كثير المكي (وأبو عمرو) البصري. والباقون بالضمّ فيهما، وهما لغتان لأهل الحجاز.

قوله: (وكلتاهما فعل من بنات الواو) أي من ذوات الواو. أمّا الدنيا، فلأنها من دنا يدنو دنوًّا. وأمّا القصوى، فلأنها من قصا المكان يقصو قصوًّا إذا بَعُد.
قوله: (فكالقود)... الخ. فإنه كان القياس فيه قلب الواو ألفًا لكنها لم تُقلب، فهي موافقة للاستعمال دون القياس. اهـ شهاب. وفي مختار الصحاح: القَوَد - بفتحتين - القصاص. اهـ.

قوله: (أي العير) أي القافلة. **قوله:** (بثلاثة أميال) المِيل بالكسر عند القدماء من أهل الهيئة: ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدّثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظيّ؛ لأنهم اتّفقوا على أن مقداره ستّ وتسعون ألف أصبع، والأصبع ستّ شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا، والمحدّثون يقولون أربع وعشرون أصبعًا، فإذا قُسِم الميل على رأي القدماء كلّ ذراع اثنين وثلاثين أصبعًا كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع، وإنْ قُسِم على رأي المحدّثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عند الكلّ ثلاثة

فِي ٱلۡمِيعَـٰدِ﴾ لخالف بعضكم بعضًا (**فثبطكم**) قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وثبطهم: ما في قلوبهم (**من تهيب رسول الله ﷺ**) والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ﴿وَلَٰكِن﴾ جمع بينكم بلا ميعاد ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ من إعزاز دينه وإعلاء كلمته، أو اللام تتعلق بمحذوف أي ليقضي الله أمرًا كان ينبغي أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: القضاء يحتمل الحكم أي ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنًا، أو ليتم أمرًا كان قد أراده، وما أراد كونه فهو مفعول (**لا محالة**) وهو عزّ الإسلام وأهله و(**ذلّ الكفر وحزبه**) ويتعلّق بـ «يقضي» ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ (﴿حَيَ﴾ **نافع وأبو عمرو**)، فالإدغام لالتقاء المثلين، والإظهار لأن حركة الثاني غير لازمة، لأنك تقول في المستقبل «يحيا» والإدغام أكثر. استعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام مَن أسلم أيضًا عن يقين وعلم بأن دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به، وذلك أن وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرًا لنفسه مغالطًا لها،

أميال، وإذا قدر الميل بالغلوات[1]، وكانت كل غلوة أربعمائة ذراع، كان ثلاثين غلوة، وإنْ كانت الغلوة مائتي ذراع كان ستّين غلوة. اهـ مصباح. **قوله: (فثبطكم)**... الخ. في مختار الصحاح: ثبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. اهـ. **قوله: (من تهيب رسول الله ﷺ)** في مختار الصحاح: الهَيْبة المَهابة، وهي الإجلال والمخافة وقد هابه يهابه والأمر منه هَبْ ـ بفتح الهاء ـ وتهيَّبْتُه خفتُه وتهيّبني خوّفني. اهـ. وفي لسان العرب: قال ابن سيّده: تَهَيَّبْتُ الشيءَ وَتَهَيَّبَني خِفْتُه وخَوَّفَني. اهـ. **قوله: (لا مَحالة)** أي لا بدّ. **قوله: (ذلّ الكفر)** الذُّل ـ بالضمّ ـ ضدّ العزّ. **قوله: (وحِزْبه)** أي أصحابه. **قوله: (﴿حَيَ﴾)** بكسر الياء الأُولى مع فكّ الإدغام وفتح الثانية (**نافع**) المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وأبو عمرو**) الصواب أبو بكر كما في نسخة صحيحة، وكذا البزيّ وقنبل من طريق ابن شنبوذ ويعقوب وخلف عن نفسه. والباقون بياء مشدّدة مفتوحة، وبه قرأ قنبل

---

(١) جمع غلوة، مثل شهوة وشهوات. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ولهذا ذكر فيها (مراكز) الفريقين، وأن العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والأسباب بل بالله تعالى، وذلك أن العدوة القصوى التي (أناخ) بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضًا لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي (خبار تسوخ) فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العِيرُ وَرَاء ظهور العدو مع كثرة (عددهم) وعدّتهم وقلّة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بكفر مَن كفر وعقابه وبإيمان مَن آمن وثوابه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ نصب بإضمار «اذكر»، أو هو متعلق بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي بعلم المصالح إذ يقللهم في عينك ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أي في رؤياك، وذلك أن الله تعالى أراه إياهم في رؤياه قليلًا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعًا لهم على عدوهم ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ (لجبنتم) و(هبتم) الإقدام ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ

من طريق ابن مجاهد. **قوله:** (مراكز) جمع مركز. في المصباح: المركز وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ. وفي مختار الصحاح: مركز الدائرة وسطها، ومركز الرجل موضعه، يقال: أخلّ فلان بمركزه. اهـ. **قوله:** (أناخ) في مختار الصحاح: أَنَخْت الجمل فاستناخ، أي أبركته فبرك. اهـ. **قوله:** (خبار) ـ بفتح الخاء المعجمة ـ أي أرض رخوة. في القاموس: الخبار كَسَحاب ما لَانَ من الأرض واسترخى. اهـ. **قوله:** (تسوخ) فيها الأرجل، أي تغيب وتزلّ. **قوله:** (عددهم) العدد ـ بضمّ العين ـ جمع عُدّة، وهو ما يُعَدّ للحرب وغيره كالسلاح.

قوله: (لجبنتم) في المصباح: جبن جبنًا وزان قرب قربًا، وجبانة بالفتح، وفي لغة من باب قتل فهو جبان، أي ضعيف القلب، وامرأة جبان أيضًا، وربما قيل: جبانة، وجمع المذكّر جبناء، وجمع المؤنّث جبانات. اهـ. **قوله:** (هبتم) في المصباح: هابه يهابه من باب تعب هيبة حذره. قال ابن فارس: الهَيْبة الإجلال، فالفاعل هائب والمفعول هيوب ومهيب أيضًا، ويهيبه من باب ضرب لغة. اهـ.

﴿ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ عصم وأنعم بالسلامة من (الفشل) والتنازع والاختلاف ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ يعلم ما سيكون فيها من الجراءة (والجبن) والصبر والجزع.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الضميران مفعولان أي وإذ يبصركم إياهم ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ﴾ وقت اللقاء ﴿فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ هو نصب على الحال. وإنما قللهم في أعينهم تصديقًا لرؤيا رسول الله ﷺ، وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا. قال ابن مسعود ﷺ: لقد قلّلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة وكانوا ألفًا ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال قائل منهم: إنما هم (أكلة جزور). قيل: قد قلّلهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثّرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلّة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا، ويجوز أن يبصروا الكثير قليلًا بأن يستر الله بعضهم بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين (الحول) ما يرون به الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه (ديك واحد) فقال: ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ فيحكم فيها بما يريد (﴿تَرْجِعُ﴾ شامي) وحمزة وعلي.

قوله: (الفشل) بمعنى الجبن. **قوله:** (الجُبْن) في مختار الصحاح: الجُبْن صفة الجَبان والجُبُن بضمّتين لغة. اهـ.

قوله: (أكلة) بوزن كَتَبَة جمع آكل بوزن فاعل، (جزور) أي ناقة مثل يُضْرَب به في القلّة، أي قلّتهم بحيث تُشْبعهم جزور واحدة. **قوله:**

(الحُوْل) جمع أحْوَل. **قوله:** (ديك واحد) الدِّيك ذَكَر الدّجاج[1]. اهـ مصباح. **قوله:** (﴿تَرْجِعُ﴾) بفتح التاء وكسر الجيم بالبناء للفاعل، (شاميّ) أي ابن

(١) تفتح الدال وتكسر، ومنهم مَنْ يقول: الكسر لغة قليلة. اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: فتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة ذكرًا كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطة. اهـ. وفي القاموس: الدجاجة م للذكر والأنثى ويثلث. اهـ. وفي شرحه تاج العروس: والفتح أفصح ثم الكسر. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء اسم غالب للقتال ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ لقتالهم ولا تفرّوا ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم: اللهم اخذلهم اللهم اقطع **(دابرهم)** ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه إشعار بأن على العبد أن **(لا يفتر)** عن ذكر ربه **(أشغل وما يكون قلبًا)** وأكثر **ما** يكون همًّا، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت **(متوزعة)** عن غيره.

عامر الشامي، وحمزة وعلي الكسائي، وكذا يعقوب وخلف. والباقون بضمّ التاء وفتح الجيم.

قوله: (دابرهم) أي آخرهم. في لسان العرب: دابر الشيء آخره، وقطع الله دابرهم، أي آخِر مَنْ بَقِيَ منهم، وفي التنزيل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنعام: الآية ٤٥] أي استؤصل أمرهم، ودابرة الشيء كدابره، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: الآية ٦٦]، قولهم: قطع الله دابره. قال الأصمعي وغيره: الدابر الأصل، أي أذهب الله أصله، وفي حديث الدعاء: «وابعث عليهم بأسًا تقطع به دابرهم» أي جميعهم حتى لا يبقى منهم أحد، ودابر القوم آخر مَنْ يبقى منهم ويجيء في آخرهم. اهـ باختصار. **قوله: (لا يفتر)** الفَتْرة الانكسار والضعف، وقد فتر الحرّ وغيره من باب دخل. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (أشغل) حال من ضمير **لا** يفتر أو من العبد وانتصابه على الظرفيّة **(وما)** مصدريّة، وضمير **(يكون)** للعبد أي أشغل أكوانه بمعنى أوقات كونه، وهذا تركيب شائع مستفيض، إلّا أن جعل **(قلبًا)** تمييزًا أورث فيه إشكالًا، ولا إشكال لأنه إذا جاز إثبات الشغل للوقت فليُجِز إثبات شغل القلب بلا فرق، ومَنْ جعل ما بمعنى شيء، أي أشغل شيء يكون، أي فرد وإنسان بمعنى أشغل الناس قلبًا إذا فُصِلوا فردًا فردًا، فقد ذهب بماء العبارة ورونقها. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (متوزّعة)** أي متفرّقة.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾ فتجبنوا وهو منصوب بإضمار «أن» ويدلّ عليه ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي دولتكم يقال: «هبّت رياح فلان» إذا (دالت) له الدولة ونفذ أمره، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها. وقيل: لم يكن نصر (قطّ) إلا بريح يبعثها الله، (وفي الحديث «نصرت بالصبا) وأهلكت عاد بالدبور» ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ في القتال مع العدو وغيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أي معينهم وحافظهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال: حتى نقدم بدرًا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور و(تعزف) علينا (القيان) ونطعم بها العرب، فذلك بطرهم ورياؤهم الناس بإطعامهم (فوافوها فسقوا كؤوس المنايا) مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القِيان، فنهاهم أن يكونوا

قوله: (دالت) أي دارت. قوله: (قطّ) أي أبدًا. قوله: (وفي الحديث: «نُصرت بالصبا»)... الخ. أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والصَبا ريح تهبّ في المستوى مطلع الشمس ويقابلها الدبور. اهـ شهاب رحمه الله. وفي مختار الصحاح: الصبا ريح ومهبّتها المُسْتوى، أي تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها الدبور. اهـ. وفي المصباح: الدبور وزان رسول ريح تهبّ من جهة المغرب تقابل الصبا، ويقال: يقبل من جهة الجنوب ذاهبةً نحو المشرق. اهـ.

قوله: (تعزفُ) من العَزْفِ ـ بعين مهملة مفتوحة وزاي ساكنة وفاء ـ وهو الطرب والضرب بالدفوف. قوله: (القِيان) بكسر القاف جمع قَيْنة ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ الجارية مغنيّة أو لا، لكن المراد هنا المغنيّة. قوله: (فوافوها) أي جاؤوها. قوله: (فسقوا) أي شربوا. قوله: (كؤوس) جمع كأس. قال ابن الأعرابي: لا تسمّى الكأس كأسًا إلّا وفيها الشراب. (المنايا) جمع منيّة، أي

مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى **(والكآبة)** والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله. **(والبطر)** أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها. ويصدون عن سبيل الله، دين الله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عالم وهو وعيد.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ واذكر إذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ﷺ، ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون. وغالب مبنيّ نحو «لا رجل» و﴿لَكُمْ﴾ في موضع رفع خبر «لا». تقديره: لا غالب كائن لكم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي مجير لكم أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ فلما تلاقى الفريقان ﴿نَكَصَ﴾ الشيطان هاربًا ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ **(أي رجع القهقرى)** ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ أي رجعت عما ضمنت لكم من الأمان. رُوِيَ أن إبليس تمثل لهم في صورة **(سراقة بن مالك بن جعشم)** في جند من الشياطين معه راية، فلما رأى الملائكة تنزل نكص

الموت. **قوله: (الكآبة)** ـ بالمدّ ـ سوء الحال والانكسار من الحزن. **قوله: (والبطر)** بفتحتين.

قوله: (أي رجع القهقرى) في مختار الصِّحاح: **القهقرى** الرجوع إلى خلف، ورجع القهقرى أي رجع الرجوع المعروف بهذا الاسم؛ لأن القهقرى ضربٌ من الرجوع. اهـ. وقال العلاَّمة شيخ زاده رحمه الله: قوله: رجع القهقرى قيل: هذا أصل معنى النكوص، إلا أنه قد اتّسع فيه حتى اسْتُعْمل في كل رجوع وإن لم يكن قهقرى، والمراد مطلق الرجوع؛ لأنه كناية عن الفرار، وفيه بحث؛ لأن غالب الفرار حال القتال إنّما هو كما ذكر، وهو رجوع القهقرى لخوف الفارّ من جهة العدوّ. وقوله: ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨]، حال مؤكّدة؛ لأن رجوع القهقرى إنما يكون على العقبين. اهـ.

قوله: (سراقة بن مالك بن جعشم) هو أبو سفيان سراقة بن مالك بن جُعْشُم بن مالك الكناني والمدلجي الحجازيّ الصحابيّ، وجُعْشم ـ بضم الجيم

فقال له (الحارث بن هشام): أتخذلنا في هذه الحالة؟ فقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ أي الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقة. فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أي عقوبته ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ اذكروا.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بالمدينة ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (**هو من صفة المنافقين، أو أُريد والذين هم على حرف**) ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون أن المسلمين اغترّوا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر

والشين المعجمة ـ هذا قول الجمهور من الطوائف، وحكى الجوهري ضمّ الشين وفتحها، وسراقة من مشهوري الصحابة. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ تسعة عشر حديثًا، روى البخاري أحدها. ورَوى عنه ابن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهما، ومن التابعين سعيد بن المسيّب، وابنه محمد بن سراقة، وكان ينزل قديدًا ـ بضم القاف ـ بين مكّة والمدينة، وقيل: سكن مكّة ويعدّ في أهل المدينة. أسلم عند النبيّ ﷺ بالجعرانة حين انصرف من حنين والطائف. توفي سراقة في أوّل خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة أربع وعشرين، وقيل: توفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه، والصحيح الأوّل.

قوله: (الحارث بن هشام) بن مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عبد الرحمٰن المكّيّ، من مسلمة الفتح. استشهد بالشام في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وله ذكر في الصحيحين أنه سأل عن كيفية مجيء الوحي.

قوله: (هو من صفة المنافقين) وتوسّطت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ لأن هذه صفة للمنافقين لا تنفكّ عنهم. **قوله: (أو أُريد والذين هم على حرف)** أي شكّ، وهم قوم من أهل مكّة تكلّموا بالإسلام، ولم يقوَ الإسلام في قلوبهم ولم يتمكّن، فلما خرج كفار قريش إلى حرب رسول الله ﷺ خرجوا معهم إلى بدر، فلمّا نظروا قلّة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٤٩].

إلى (زهاء) ألف. ثم قال جوابًا لهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يكل إليه أمره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب يسلّط القليل الضعيف على الكثير القوي ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يسوي بين وليه وعدوه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ ولو عاينت وشاهدت **(لأن «لو» ترد المضارع إلى معنى الماضي)** كما ترد «إن» الماضي إلى معنى الاستقبال ﴿إِذْ﴾ نصب على الظرف ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقبض أرواحهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فاعل ﴿يَضْرِبُونَ﴾ حال منهم ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ إذ أقبلوا ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم و**(أستاههم)** إذا أدبروا، أو وجوههم عند الإقدام وأدبارهم عند الانهزام. وقيل: في ﴿يَتَوَفَّى﴾ ضمير الله تعالى، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مرفوعة بالابتداء و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبر والأول الوجه، لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله **(قراءة ابن عامر «تتوفى» بالتاء)** ﴿وَذُوقُوا۟﴾ ويقولون لهم ذوقوا معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾ ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ **(أي مقدمة عذاب النار)**، أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به، أو يقال لهم يوم القيامة: ذوقوا. وجواب «لو» محذوف أي لرأيت أمرًا **(فظيعًا)**.

قوله: (زهاء) بضم الزاي المعجمة والمدّ بمعنى قريب منه سواء كانوا أقلّ أو أكثر.

قوله: (لأن «لو» تردّ المضارع إلى معنى الماضي) قال العلّامة التفتازاني رحمه الله: لا بدّ أن يحمل معنى المضيّ هٰهنا على الفرض، والتقدير كأنه قيل: قد مضى هذا المعنى ولم تره، ولو رأيته لرأيت أمرًا فظيعًا، وإلا فظاهر أنه ليس المعنى هٰهنا على حقيقة المضيّ. اهـ.

قوله: (أستاههم) جمع استه ـ بالتحريك ـ مثل سبب وأسباب بمعنى العجز، ويُراد به حلقة الدُّبر. **قوله:** (قراءة ابن عامر) الشامي («تتوفى» بالتاء) على التأنيث، والباقون قرؤوا بياء الغيبة. **قوله:** (أي مقدمة عذاب النار) يعني أنّ عذاب الحريق إشارة إلى عذاب نار جهنّم، لكن على حذف المضاف. **قوله:** (فظيعًا) أي شنيعًا.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي كسبت وهو رد على (**الجبرية**)، وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة. و﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء و﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ خبره ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لأن تعذيب الكفار من العدل. (**وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد**)، أو لنفي أنواع الظلم.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

الكاف في ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه ﴿وَٱلَّذِينَ مِن

قوله: (الجبرية) في المصباح: الجبر وزان فلس خلاف القدر، وهو القول بأنّ الله يجبر عباده على فعل المعاصي، وهو فاسد، وتُعرف أدلّته من علم الكلام، بل هو قضاء الله على عباده بما أراد وقوعه منهم؛ لأنه تعالى يفعل في مُلكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء، وينسب إليه على لفظه فيقال: جبريّ، وقوم جبريّة ـ بسكون الباء ـ وإذا قيل: جبريّة وقدريّة جاز التحريك للازدواج. اهـ. **قوله**: (وقيل: **ظلّام للتكثير لأجل العبيد**) جواب عمّا يقال ظلّام بناء المبالغة، فمدلول الآية انتفاء كونه تعالى كثير الظلم، وهو لا ينافي جواز اتّصافه تعالى بأصل الظلم، بل يدلّ على اتّصافه به بناءً على قاعدة رجوع النفي إلى القَيْد، وهو محال.

وتقرير الجواب: أنّ الظلّام للتكثير، فيدلّ على كثرة الظلم بالقياس إلى كلّ فرد من أفراد العبيد حتى يقال: انتفاء كثرة الظلم بالقياس إلى كل فرد لا ينافي أن يظلمه في الجملة، بل الكثرة المنفيّة إنما هي بإزاء كثرة إفراد العبيد على طريق التوزيع، كما يقال في مقابلة الجمع بالجمع، فإنّ العبيد يدلّ على الكثرة، بل على الاستغراق، فالظالم لهم يكون كثير الظلم لإصابة كلّ واحد منهم ظلمًا على حِدَة، فصار المعنى أنه تعالى ليس بظالم لهذا ولا لذاك إلى ما لا يحصى، والمنفيّ عن كل عبد إنّما هو أصل الظلم، وهو المطلوب.

﴿قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قريش أو من قبل آل فرعون ﴿كَفَرُوا﴾ تفسير لدأب آل فرعون ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فأجرى عليه مثل ما فعل بهم في التعذيب ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب أو الانتقام ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بسبب أن الله لم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيّروا ما بهم من الحال، نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة، لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات فكذّبوه وسعوا في إراقة دمه، غيّروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغيّر الله ما أنعَم به عليهم من الإمهال وعاجَلهم بالعذاب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقول مُكذّبوا الرُّسُل ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعلون.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير للتأكيد، أو لأن في الأُولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك، وهنا بين أن ذلك هو الإهلاك والاستئصال ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ **(وفي قوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادة دلالة)** على كفران النعم وجحود الحق ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ بماء البحر ﴿وَكُلٌّ﴾ وكلهم من **(غرقى)** القبط و**(قتلى)** قريش ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي أصرّوا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان.

قوله: (وفي قوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادة دلالة) حيث لم يقل بها أو بآياته مع سبق بآيات الله، بل ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٥٤] بلفظ الربّ المضاف إليهم المُشْعِر بكونه مالكهم والمنعم عليهم. **قوله: (غرقى)** جمع غريق. **قوله: (قتلى)** جمع قتيل.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

(﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾) بدل من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي الذين عاهدتهم من الذي كَفَروا وجعلهم شرّ الدواب، لأن شرّ الناس الكفار وشرّ الكفار المصرّون وشرّ المصرّين الناكثون للعهود ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ في كل معاهدة ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾)... الخ. الحاصل أنّ هذه الآية يُفهم منها عدّة مسائل، منها: أن الذميّ إذا نقض عهده فحُكمه حكم الحربيّ حيث أمر بإكثار قتلهم، وبه تمسّك بعض مشايخنا سلّمه الله تعالى في بعض رسائله أنّ مَنْ يسكنون في القرى ويعطون خراج كلاّ أو بعضًا في وقت إقامة السلطان وتسلّط الحكّام ويلحقون مع أهل الحرب في أدنى تفرقة للحكام، ويخرّبون بيوت المسلمين وأمصارهم وقراهم من مواشيهم وأهليهم مع أهل الحرب ويلحقون بدار الحرب، كما هو المتعارف في زماننا، والأكثر في بلادنا والمعروف في أطرافنا، فهم حربيّون قطعًا ويقينًا بلا شبهة ولا رَيْب يجب قتلهم بالنصّ المنادى كل مرّة، وسيجيء الآيات الأُخر الواردة في هذا الباب في سورة البراءة إن شاء الله تعالى.

ومنها أن الغدر منع؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٥٨] على حسب ما ذكر في التفاسير: فاطرح عليهم العهد، وقل لهم: إنّا لا نعاهد منكم، بل نغلب عليكم ونقتلكم. وقال في شرح الوقاية أيضًا: النَّبْذ نقض المصالحة مع إخبارهم بذلك، فقد شرط الإخبار بنقض العهد مع خوف الخيانة، فالعذر هو الغَلَبة عليهم مع الإخبار بخلافه أوْلى أن يمنع منه. ومنها أنّ طرح العهد عند خوف الخيانة واجب على ما هو الظاهر، وهذا إذا لم يوجد منهم خيانة، ويكون مجرّد خوف. أمّا إذا وجد منهم خيانة، فإنْ كان مِنَ البعض من غير منعة لا يكون نقضًا للعهد، وإنْ كان مِنْ منعة يكون نقضًا في حقّهم دون غيرهم، وإنْ كان ذلك بإذن الملك أو كان ذلك باتّفاق الكلّ كان ذلك نقضًا للعهد وخيانة، فإنْ وجد منهم ذلك بدأ، فلا حاجة إلى النبذ، أي قوتلوا قبل نبذ لو بدؤوا بالخيانة. وأمّا إذا عدم خوف الخيانة ووجودها، وقد كان صالحهم الإمام قبل ذلك، فإنْ كان نقض الصلح أنفع نبذ إليهم وقاتلهم؛ لأن المصلحة تبدل حينئذ كما نصّ به في الهداية، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ فإما (**تصادفنهم وتظفرن بهم**) ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ ففرق عن محاربتك و(**مناصبتك**) بقتلهم شرّ قتلة (**والنكاية**) فيهم (**من** وراءهم) من الكفرة حتى لا (**يجسر**) عليك بعدهم أحد اعتبارًا بهم واتعاظًا بحالهم. وقال الزجاج: افعل بهم ما تفرّق به جمعهم وتطرد به مَن عداهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (**لعل المشردين**) من ورائهم يتعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ (**معاهدين**) ﴿خِيَانَةً﴾ نكثًا بأمارات تلوح لك ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ (**فاطرح إليهم العهد**) ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ إليهم (**أي حاصلين**) على استواء في العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ الناقضين للعهود.

قوله: (تصادفنّهم) أي تلاقينّهم، ولما لم يكن الملاقاة مستلزمة للظفر مع أن المقصود الظفر، قال: **قوله:** (وتظفرن بهم). اهـ قنوي. وفي لسان العرب: صادفت فلانًا، أي لاقَيْته ووجدته. اهـ. **قوله:** (مناصبتك) - بالصاد المهملة والباء الموحدة - وهي المعاداة والمحاربة. **قوله:** (النّكاية) في مختار الصحاح: نكى في العَدُوّ قتل فيهم وجرح ينكي نكايةً. اهـ. وفي المصباح: نكأت في العدوّ نكأً من باب نفع أيضًا لغة في نكيت فيه أنكى من باب رمى، والاسم النِّكاية - بالكسر - إذا قتلت وأثخنت. اهـ. **قوله:** (مَن ورائهم) مفعول فرق. **قوله:** (يجسر) في مختار الصحاح: جَسَر على كذا إقدام، يجسُر - بالضمّ - جَسارة بالفتح. اهـ. **قوله:** (لعلّ المشردين) بصيغة المفعول، يعني أن ضمير ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٥٧] مرجعه من خلفهم، فإنهم إذا رأوا ما حلّ بالناظرين تذكّروا واتّعظوا.

قوله: (معاهدين) هذا الوصف مستفاد من خيانة؛ إذ النقض بعد العهد. **قوله:** (فاطرح إليهم العهد) النّبذ: الطَّرح، وهو مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد بعد اليوم، فشبّه العهد بالشيء الذي يُرمى لعدم الرغبة فيه، وأثبت النّبذ له تخييلًا ومفعوله محذوف، وهو العهد. **قوله:** (أي حاصلين) أي أنت وهم. اهـ التفتازاني رحمه الله.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء وفتح السين: **(شامي)** و**(حمزة)** و**(يزيد)** و**(حفص)**، وبالتاء وفتح السين: **(أبو بكر)**، وبالتاء وكسر السين: غيرهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ﴾ فاتوا و**(أفلتوا)** من أن يظفر بهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ **(أنهم)** لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزًا عن إدراكهم «أنهم» **(شامي)** أي لأنهم، وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح؛ فمَن قرأ بالتاء فـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مفعول أول والثاني ﴿سَبَقُوٓاْۚ﴾ ومَن قرأ بالياء فـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فاعل و﴿سَبَقُوٓاْۚ﴾ مفعول تقديره أن سبقوا فحذف «أن»، و«أن» مخففة من الثقيلة أي أنهم سبقوا فسد مسد المفعولين، أو يكون الفاعل مضمرًا أي ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومَن ادّعى. تفرد حمزة بالقراءة، ففيه نظر لما بيناه من عدم تفرّده بها. وعن **(الزهري)** أنها نزلت فيمن **(أفلت من فلّ المشركين)**.

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي. **قوله:** (حمزة) بن حبيب الزيّات. **قوله:** (يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني، وقارة موضع من المدينة، وليس من السبعة. **قوله:** (حفص) عن عاصم. **قوله:** (أبو بكر) شعبة بن عياش عن عاصم رحمه الله. **قوله:** (أفلتوا) في المصباح: أفلت الطائر وغيره إفلاتًا تخلّص، وأفلته إذا أطلقته وخلصته يستعمل لازمًا ومتعدّيًا. **قوله:** («أنهم») بفتح الهمزة على إسقاط لام العلّة (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بكسرها.

قوله: (الزهريّ) هو أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القريشي الزهريّ المدني، سكن الشام، وكان بأيْلة، ويقولون تارةً الزهري، وتارة ابن شهاب، ينسبونه إلى جدّ جدّه وهو تابعي ومناقبه والثناء عليه وعلى حفظه أكثر من أن تُحصر. توفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ودُفِن بقرية له بأطراف الشام، يقال لها شغبد ـ بشين مفتوحة وغين ساكنة معجمتين وباء موحدة مفتوحة ثم دال مهملة مفتوحة مخفّفة ـ. **قوله:** (أفلت) أي خلص. **قوله:** (من فلّ المشركين) بفتح الفاء وتشديد اللام أي منهزميهم، والفلّ القوم المنهزمون، وهو مصدر سُمّي به يقع على الواحد والاثنين والجمع.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَأَعِدُّواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾ لناقضي العهد أو لجميع الكفار ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ من كل (**ما يتقوّى به في الحرب من عددها وفي الحديث**) «ألا إن القوة (**الرمي**)» قالها ثلاثًا على المنبر. وقيل: هي الحصون ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ (**هو اسم للخيل التي تربط**) في سبيل الله، (**أو هو جمع ربيط**) كفصيل وفصال، (**وخصّ الخيل**) من بين ما يتقوّى به كقوله: ﴿(وَجِبْرِيلَ) وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨] ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ بما استطعتم ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿وَءَاخَرِينَ

قوله: (**ما يتقوّى به في الحرب**) أي فأطلق عليه القوّة مبالغةً. **قوله**: (من عددها) العُدد - بضم العين - جمع عدّة، وهو ما يُعدّ للحرب وغيرها كالسلاح. **قوله**: (**وفي الحديث**): «ألا إنّ القوة»... الخ. أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ. **قوله**: (**الرّمي**) أي الرمي بالنشّاب والقسيّ. **قوله**: (**هو اسم للخيل التي تربط**)... الخ. قيل: يلزم عليه إضافة الشيء لنفسه حينئذ، وردّ بأنّ المراد أن الرباط بمعنى المربوط مطلقًا، إلّا أنه اسْتُعْمل في الخيل وخصّ بها، فالإضافة باعتبار عموم المفهوم الأصلي. وقيل: إنّ قوله: اسم للخيل التي تربط تفسير لمجموع رباط الخيل لا للرباط وحده، فلا يحتاج إلى توجيه، وهذا بالآخرة يرجع إلى ما ذكره المجيب، وليس غيره كما توهّم. وقيل: الرباط مشترك بين معانٍ أُخر؛ كانتظار الصلاة وغيره، فإضافته لأحد معانيه للبيان كعين الشمس، ومنه يُعلم أنه يجوز إضافة الشيء لنفسه إذا كان مشتركًا، وإذا كان من إضافة المطلق للمقيّد، فهو على معنى من التبعيضيّة، وفيه ما مرّ. اهـ شهاب ﷺ. **قوله**: (**أو هو جمع ربيط**) بمعنى مربوط. **قوله**: (**وخصّ الخيل**)... الخ. أي هذا العطف من قبيل عطف الخاصّ على العام للتنبيه على فضلها حتى كأنها ليست من جنس القوّة، بل هي أمر وراء القوّة؛ لأن فيها مِزية وشرفًا ليست في غيرها، فباعتبار ذلك كأنها خرجت من إعداد أفراد العام، ولا يُعرف حكمها منها، فصحّ العطف بالنظر إلى هذا التغاير الوصفي المنزل منزلة التغاير الذاتي، وإلى هذا التفصيل أشار بقوله: (**كقوله**: (﴿وَجِبْرِيلَ﴾)... الخ.

﴿مِن دُونِهِمْ﴾ غيرهم وهم اليهود، أو المنافقون، أو أهل (فارس) أو كفرة الجن. في الحديث «إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارًا فيها فرس (عتيق)». ورُوِيَ أن (صهيل الخيل) يرهب الجن ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ (لا تعرفونهم بأعيانهم) ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يوفر عليكم جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ في الجزاء بل تعطون على التمام.

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

(﴿وَإِن جَنَحُوا﴾) مالوا، جنح له وإليه مال ﴿لِلسَّلْمِ﴾ للصلح

قوله: (فارس) بلد. **قوله:** (عتيق) أي سابق. **قوله:** (صَهيل الخيل) الصَّهيل ـ بالفتح ـ صوت الفرس. **قوله:** (لا تعرفونهم بأعيانهم) جعل العلم بمعنى المعرفة لتعدّيه لواحد، وقد جوّز أن تكون على أصله ومفعوله الثاني محذوف، أي لا تعلمونهم محاربين لكم، أو معادين وهو تكلّف، وقال بأعيانهم لأن المعرفة تتعلّق بالذوات.

قوله: (﴿وَإِن جَنَحُوا﴾)... الخ. الآية دليل على أنّ الصُّلح معهم جائز وقت المصلحة، وإليه ذهب صاحب الهداية، حيث قال: وإذا رأى الإمام أن يُصالح أهل الحرب أو فريقًا منهم، وكان ذلك مصلحة للمسلمين، فلا بأس به؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: الآية ٦١]، ووادع رسول الله ﷺ أهل مكّة عام الحُديبية على أن يضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، هذا لفظه. وقال صاحب الكشاف: وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: الآية ٢٩]. وعن مجاهد: بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥]، والصحيح أنّ الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس يحتم أن يقاتلوا أبدًا أو يُجابوا إلى الهدنة[1] أبدًا، وقال القاضي: والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتّصالها بقصّتهم، وقيل: عامّة نسختها آية السيف، ولعلّ منشأ كل ذلك كَوْن الأمر للوجوب أو الجواز، فإنْ كان للوجوب فالأمر كما قاله القاضي، وإنْ كان للجواز

---

(١) بالضمّ المصالحة. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(وبكسر السين): أبو بكر (وهو) مؤنّث (تأنيث ضدها وهو الحرب) ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ فمل إليها ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالك.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ يمكروا ويغدروا ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ كافيك الله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾ قواك ﴿بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعًا أو بالأنصار ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قلوب (الأوس والخزرج) بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي بلغت عداوتهم مبلغًا لو أنفق منفق في إصلاح (ذات بينهم) ما في الأرض من الأموال لم يقدر عليه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته، فأحدث بينهم التوادّ والتحابّ و(أماط) عنهم التباغض والتماقت ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ يقهر مَن يخدعونك ﴿حَكِيمٌ﴾ ينصر مَن يتبعونك.

ومقيّدًا بالمصلحة فالأمر كما قال صاحب الكشاف والهداية، ولم يتعرّض له باقي المفسّرين. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (وبكسر السين) أبو بكر وشعبة عن عاصم رحمه الله. والباقون بالفتح لغتان. **قوله:** (وهو) أي السِّلم مؤنّث (تأنيث ضدّها وهو الحرب)، فإنها مؤنّثة سماعيّة.

قوله: (الأوْس) قبيلة من اليمن، وهو أوْس بن قَيْلة أخو الخزرج منهما الأنصار وقَيْلة أُمّهما. اهـ لسان العرب. **قوله:** (الخزرَج) قبيلة الأنصار غير قبيلة الأنصار هي الأوس وهي الخزرج ابنا قَيْلة، وهي أُمّهما نُسِبا إليها وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن. اهـ لسان العرب. **قوله:** (ذات بينهم) أي العداوة. **قوله:** (أماط) أي أبْعد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ الواو بمعنى «مع» وما بعده منصوب، والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرًا. ويجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين. قيل: أسلم مع النبيّ ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ﴾) التحريض المبالغة في الحثّ على

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ﴾) إلى قوله: (﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) هاتان الآيتان أوّلهما منسوخة والأخرى ناسخة لها، وما من آية في القرآن منسوخة عقيبها ناسختها تلاوةً سوى هذه الآية والتي في المجادلة، وبيانها واضح وهو أنّ الآية الأُولى ذكر فيها تحريض المؤمنين على القتال أوّلًا بقوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] يعني بالغ في حثّهم على القتال، وإليه الإشارة في كلام صاحب الهداية، حيث قال: إنّ التنفيل من جملة التحريض المندوب إليه، أي بقوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] على ما مرّ، ثم ذكر فيها أن الكفار إذا كانوا مضاعفين على المسلمين بعشرة درجات يكون فرار المؤمنين منهم ممنوعًا، مثلًا أن يكون المؤمنون عشرين، وكانت الكفار مائتين يجب على المؤمنين القتال معهم، وهكذا إنْ كان المسلمون مائة والكفار ألفًا يجب على المؤمنين القتال معهم، ويكون الفرار في هاتين الصورتين ذنبًا كبيرًا، وهكذا القياس، وكان هذا الحكم مشروعًا أوّلًا ثم بعد ذلك لـمّا ضاقت صدور المؤمنين وحسبوه ثقيلًا نسخ الله ذلك الحكم بالآية المتصلة عقيبها، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، فلهذا خفّف عنهم الأثقال وأوجب الحكم على المضاعفة بحسب درجة واحدة، مثلًا إنْ كان المسلم مائة والكفار مائتين يجب القتال ويُحرم الفرار، وإن كان المسلم ألفًا والكافر ألفين يجب القتال ويُحرم الفرار، وهكذا القياس.

الأمر من (الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت) ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته، بخلاف مَن يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله. قيل: كان عليهم أن لا يفرّوا ويثبت الواحد للعشرة، ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفّف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله:

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ (﴿ضَعْفًا ۚ﴾ عاصم وحمزة) ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ (بالياء فيهما: كوفي، وافقه البصري) في الأولى

قوله: (الحَرَض) بفتحتين (وهو أن ينهكه المرض) أي يضعفه ويجعله نحيفًا مهزولًا (حتى يشفى) من الأفعال، أي يشرُف ويقرب (على الموت)، وهذا أصله ثم استُعمل في حثّ الإنسان على شيء حتى يعلم أنه حارض، أي مُشرف على الهلاك لكمال جهده في تحصيله وانهماكه في كسبه، وبهذا البيان يُعلم المناسبة بين أصله وفرعه، وهذا الوجه مما استبعده بعضهم. وقال الراغب: كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتدّ به، انتهى. يريد أن باب التفعيل وبناءه للإزالة كقذيته، أي أزلت عنه القذى، فأصل المعنى: حرّض المؤمنين، أي كن مزيلًا عنهم ما لا خير فيه، ثم استُعمل في ترغيب ما فيه خير وعاقبة حميدة، ولو بزعم المرغب. اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: (﴿ضعفًا﴾) بفتح الضاد (عاصم وحمزة)، والباقون بضمّها، وكلاهما مصدر، وقيل: الفتح في العقل والرأي والضمّ في البدن. **قوله**: (بالياء) من تحت (فيهما) أي في ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟﴾ [الأنفال: الآية ٦٥]، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي للفصل بالظرف، ولأن التأنيث مجازيّ (وافقه البصري) أي أبو عمرو البصريّ، وكذا

والمراد الضعف في البدن ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ **(وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده، للدلالة على أن الحال مع القلّة والكثرة لا تتفاوت، إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين)**.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ ما صحّ له ولا استقام ﴿أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ **(«أن تكون»: بصري)** ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي

يعقوب البصري ـ وليس من السبعة ـ في الأولى وقرأ بالتأنيث في الثانية؛ لأن وصفه بالمؤنّث وهو صابرة قوّاه، والباقون بالتأنيث فيهما لأجل اللفظ، وخرّج بإسناده إلى المائة إن يكن منكم عشرون، وإن يكن منكم ألف المتّفق على تذكيرها.

قوله: (وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرّتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أن الحال مع القلّة والكثرة) واحدة **(لا تتفاوت)** في النصرة. اهـ كشاف. **(إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين)**؛ إذ الحال في الأوّل ضيّق، وفي الثاني وسيع، ولعلّه لهذا المعنى وصف الأوّل بالصابرة دون الثاني. اهـ التفسيرات الأحمديّة. وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: قوله: إذ الحال قد تتفاوت تعليل لاحتياج إلى هذه الدلالة والبيان، بمعنى ربما لا يقاوم العشرة المائة ويقاوم المائة الألف، وكذلك ربما لا يقاوم العشرة العشرين ويقاوم الألف الألفين. اهـ.

قوله: («أن تكون») بالتأنيث **(بصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري ـ وليس من السبعة ـ لكون الجمع في تأويل الجماعة، فإن أسرى جمع أسير، فأسارى جمع الجمع مثل جريح وجرحى. وقرأ الباقون بالتذكير لكون الفعل متعدّيًا وكون تأنيث أسرى غير حقيقيّ؛ لأن المراد بهم الذكور، وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل، وكل واحد من هذه الثلاثة إذا انفرد جاز تذكير الفعل، وعند

الغلظ والكثافة حتى (يذل) الكفر بإشاعة القتل في أهله، و(يعز) الإسلام بالاستيلاء والقهر، ثم الأسر بعد ذلك. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيرًا ـ فيهم (العباس) عمه و(عقيل) ـ فاستشار النبيّ عليه السلام أبا بكر فيهم فقال: قومك وأهلك، استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوّي بها أصحابك. وقال عمر

اجتماع الكلّ يكون أوْلى. اهـ شيخ زاده رحمه الله. لكن على قراءة التاء الفوقية تتعيّن الإمالة في أسرى، وعلى قراءة الياء التحتية تجوز الإمالة[١] وتركها. اهـ جمل.

قوله: (يذل) في مختار الصحاح الذلّ ضدّ العزّ وقد ذَلّ يَذِلّ بالكسر ذَلًّا[٢] وذلّة ومَذَلّة، فهو ذليل وهم أذلّاء وأذلّة. اهـ. **قوله:** (يعِز) بكسر العين.

قوله: (العبّاس) بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ خرج مع المشركين إلى بدر مُكرَهًا وأُسر وفدا نفسه وابني أخويه عقيلًا ونوفل بن الحارث وأسلم عقيب ذلك، وقيل: أسلم قبل الهجرة وكان يكتم إسلامه مقيمًا بمكّة يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان عونًا للمسلمين المستضعفين بمكّة، قالوا: وأراد القدوم إلى المدينة، فقال له النبيّ ﷺ: «مقامك بمكّة خير»، وكان رسول الله ﷺ يعظّمه ويُكرمه ويبجّله، وكانت الصحابة تُكرمه وتعظّمه وتقدّمه وتشاوره وتأخذ برأيه. توفي بالمدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن نحو ثمانٍ وثمانين سنة، وهو معتدل القامة وقبره مشهور بالبقيع. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وثلاثون حديثًا، اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (عقيل) بن أبي طالب الصحابي، هو بفتح العين القريشي الهاشمي المكّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، وهو أخو عليّ وجعفر وطالب لأبيهم، كان طالب أسنّ من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسنّ من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسنّ من عليّ بعشر سنين، حضر بدرًا مع المشركين مُكْرهًا وأُسر يومئذ ففداه عمّه العباس،

---

(١) فقرأ حمزة والكسائي وخلف مع الإمالة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) في المصباح: ذَلَ ذُلًّا من باب ضرب، والاسم الذُل ـ بالضم ـ والذِّلّة ـ بالكسر ـ والمَذَلّة إذا ضَعُف وهان، فهو ذَليل، والجمع أذلاء وأذلّة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ﷺ: كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله أغناك عن (الفداء، مكّن عليًا) من عقيل، و(حمزة) من العباس، (ومكّني من فلان لنسيب له)، فلنضرب أعناقهم. فقال عليه السلام: «مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم حيث قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٦] ومثلك يا عمر كمثل نوح (حيث قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾) [نوح: الآية ٢٦]. ثم قال رسول الله ﷺ لهم: «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدّتهم» فقالوا: بل نأخذ الفدا فاستشهدوا بأحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها يعني الفداء سمّاه عرضًا لقلّة بقائه وسرعة فنائه ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقهر الأعداء ﴿حَكِيمٌ﴾ في عتاب الأولياء.

ثم أسلم قبل الحُديبية، وجاء إلى المدينة مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ سنة ثمان وشهد غزوة مؤتة مع أخيه جعفر، ثم رجع فعرض له مرض فلم يسمع له بذكر في فتح مكّة، ولا غزوة حُنين والطائف وأعطاه النبيّ ﷺ من خيبر مائة وأربعين وسقًا كل سنة. رَوَى عن النبيّ ﷺ أحاديث وهو قليل الحديث. توفي في خلافة معاوية، وقد كُفّ بصره ودُفِن بالبقيع وقبره مشهور عليه قبّة في أوّل البقيع.

قوله: (الفداء) بالكسر. **قوله**: (مكّن عليًا) يقال: مكّنته من الشيء وأمكنته منه إذا أقدرته عليه فتمكّن واستمكن، والمراد الإذن والرخصة.

قوله: (حمزة) بن عَبْد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ورضي عنه، يقال له أسد الرحمٰن وأسد رسول الله ﷺ وعمّه وأخوه من الرّضاعة، كنيته أبو عمارة أسلم في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وبارز وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وقاتل بسيفين. استشهد يوم أُحد في نصف شوّال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قتل أحدًا وثلاثين من الكفار، ودُفِنَ عند أُحد في موضعه وقبره مشهور يُزار ويتبرّك به وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله تعالى عنهم. **قوله**: (ومكّني من فلان) أي خلّ بيني وبينه (لنسيب) أي قريب النسب (له) أي لعمر. **قوله**: (حيث قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾) أي نازل دار، والمعنى أحدًا. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وفي قوله: ﴿لَا تَذَرْ

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لولا حكم من الله ﴿سَبَقَ﴾ أن لا يعذب أحدًا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادًا منهم لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببًا في إسلامهم، وأن فداءهم يتقوّى به على الجهاد، وخفي عليهم إن قتلهم أعزّ للإسلام وأهيب لمن وراءهم، أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدر، أو ألا يؤاخذ قبل البيان والإعذار.

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

(وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكر القياس). ﴿كِتَٰبٌ﴾ مبتدأ و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفته أي لولا كتاب ثابت من الله و﴿سَبَقَ﴾ صفة أخرى له، وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود، و﴿سَبَقَ﴾ لا يجوز أن يكون خبرًا لأن «لولا» لا يظهر أبدًا ﴿لَمَسَّكُمۡ﴾ **(لنالكم)** وأصابكم ﴿فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ من فداء الأسرى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ رُوِيَ أن عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ **(فإذا هو وأبو بكر يبكيان)** فقال: يا رسول الله

عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٦] دقيقة، وهي الإشارة إلى ما وقع في خلافته من تطهير أرض الحجاز من الكَفَرة. اهـ. **قوله: (وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد، فيكون حجّة على منكر القياس)**، وأيضًا فيه دلالة على أن المجتهد إذا أخطأ لم يكن معاقبًا في عمله، أي مجتهد كان. وأيضًا فيه دلالة على أنّ الحكم إذا اجتهد فيه ثم نزل نصّ بخلافه لم يسقط العمل بذلك الاجتهاد، ولم يجب العمل بذلك النصّ؛ لأن النبيّ عليه السلام لمّا حكم بأخذ الفداء بالاجتهاد ثم نزل بعده نصّ بخلافه، وهو هذه الآية لم ينقل مَنْ أخذ الفداء إلى القتل، بل استقرّ عليه، بخلاف ما إذا اجتهد المجتهد بحكم، ثم ظهر نصّ بخلافه، يعني كان نازلًا قبل الاجتهاد، ولكن ظهر الآن بأن يقف عليه آنفًا، فإنه يجب العمل بالنصّ ويسقط الاجتهاد كأبي حنيفة رحمه الله مثلًا يحكم بمسألة بالاجتهاد، ثم ظهر نص بخلافه يجب العمل به، فكم مِنْ فَرْق بين ظهور النصّ بخلاف الاجتهاد وبين نزوله بخلافه، هكذا صرّح في البزدويّ وحواشيه.

قوله: (لنالكم) أي وقع بكم. **قوله: (فإذا هو وأبو بكر يبكيان)** فإذا للمفاجَأة أما بكاء أبي بكر رضي الله تعالى عنه على نفسه وعلى إخوانه، وأمّا بكاؤه عليه

(أخبرني) فإن وجدت بكاء بكيت وإم لم أجد بكاء **(تباكيت)**. فقال: «أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء **(ولقد عرض)** عليّ عذابهم **(أدنى من هذه الشجرة)**» لشجرة قريبة منه. **(ورُوِيَ أنه** عليه السلام **قال:** «**لَو نزل)** عذاب من السماء **(لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ)**» لقوله: كان الإثخان في القتل أحب إليّ.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ رُوِيَ أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدّوا أيديهم إليها فنزلت. وقيل: هو إباحة للفداء **(لأنه من جملة الغنائم. والفاء للتسبيب)** والسبب

السلام على أصحابه. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله: (أخبرني)** عن سبب بكائك وبكاء أبي بكر. **قوله: (تباكيت)** أي أظهرت البكاء. **قوله:** (ولقد **عُرض)** أي وبالله لقد عرض. **قوله: (أدنى من هذه الشجرة)** أي حال كون ذلك العذاب أقرب إليهم من قرب هذه الشجرة إليّ، وينبغي أن يكون هذا منه عليه الصّلاة والسلام إشارة إلى ما نزل بهم يوم أُحد. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: أدنى من هذه الشجرة، أي أقرب منها يراه ويشاهده. قيل: والمراد به ما وقع بأُحد، واستشهد منهم سبعون كما وقع في الحديث: «إن شئتم فاديتموهم»، واستشهد منكم بعدتهم كما في الكشاف. اهـ. وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن جرير وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بنحوه. **قوله: (وروي أنه عليه السلام قال: لو نزل)** عذاب من السّماء **(لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ)** لقوله: «كان الإثخان في القتل أحبّ إليّ» أخرجه ابن جرير عن محمد بن إسحاق بلفظ: «لو أُنزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»؛ لقوله: «كان الإثخان في القتل أحبّ إليّ»، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عمر، لكن لم يذكر فيه سعد بن معاذ، وهذا يدلّ على أنّ المراد بالعذاب عذاب في الدنيا غير القتل مما لم يعهد؛ لقوله: أنزل من السماء. وأمّا أنهم يستشهد منهم بعدتهم، فالشهادة لا تسمّى عذابًا. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (لأنه من جملة الغنائم) إذ الغنيمة هو المأخوذ قهرًا وغلبة لا اختلاساً وسرقة، كما في الهداية. **قوله: (والفاء للتسبيب)** داخلة على المسبب.

محذوف، ومعناه قد أحللت لكم الغنائم فكلوا ﴿حَلَٰلًا﴾ مطلقًا عن العتاب والعقاب من حلّ (العقال) وهو نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر أي أكلًا حلالًا ﴿طَيِّبًاۚ﴾ لذيذًا هنيئًا أو حلالًا بالشرع طيبًا بالطبع ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما فعلتم من قبل ﴿رَّحِيمٌ﴾ بإحلال ما غنمتم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾ (في ملكتكم) كأن أيديكم قابضة عليهم (﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾) جمع أسير من الأسارى (أبو عمرو جمع أسرى) ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ خلوص إيمان وصحة نيّة ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ رُوِيَ أنه قدم على رسول الله ﷺ مال (البحرين) ثمانون ألفًا، فتوضأ

قوله: (العقال) في لسان العرب: عقل البعير يَعْقِله عقلًا وعقله واعتقله ثنى وظيفه مع ذراعه وشدّهما جميعًا في وسط الذّراع، وكذلك الناقة، وذلك الحبل العِقال والجمع عُقُل.اهـ. وأيضًا فيه الوظيف لكل ذي أربع ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق.اهـ. وأيضًا فيه، وقال ابن الأعرابي: الوظيف من رسغ البعير إلى ركبتيه في يديه، وأمّا في رجليه، فمن رسغيه إلى عُرْقوبيه.اهـ. وأيضًا في الجوهري: الوظيف مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع الأَوْظِفَة.اهـ. وأيضًا فيه: العُرْقوب العَصَب الغليظ المُوتَّر فوق عَقِب الإنسان، وعرقوب الدابّة في أرجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها.اهـ.

قوله: (في مَلَكَتِكم) ـ بالتحريك ـ أي مِلككم. **قوله:** (﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾) بضم الهمزة وفتح السين وبألف بعدها مع الإمالة (أبو عمرو) البصريّ (جمع أسرى) جمع أسير، فهو جمع الجمع، وقرأ أبو جعفر بضمّ الهمزة وفتح السين على وزن فعالى بلا إمالة، والباقون بفتح الهمزة وسكون السين بلا ألف على وزن فعلى مع الإمالة في قراءة حمزة والكسائي وخلف بلا إمالة في قراءة غيرهم. **قوله:** (البحرين) بلد.

لصلاة الظهر وما صلّى حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة، وكان له عشرون عبدًا وإن أدناهم ليتجر في عشرين ألفًا وكان يقول: أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نكث ما بايعوك عليه من الإسلام بالردّة أو منع ما ضمنوه من الفداء ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ﴾ **(فأمكنك منهم)** أي أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الخيانة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمال ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر في الحال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة حبًّا لله ورسوله ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم المهاجرون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ أي آووهم على ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ أي يتولى بعضهم بعضًا في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ **(وقيل: أراد به النصرة والمعاونة)** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ من مكة ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾

قوله: (فأمكنك منهم) أي قدرك عليهم، وأشار إلى أنّ مفعوله محذوف.

قوله: (وقيل أراد به النصرة والمعاونة)، فتكون محكمة. اهـ شهاب رحمه الله. أي يتولّى بعضهم بعضًا بالنّصرة والمعونة، فإنّ أولياء جمع وليّ نحو صديق وأصدقاء، والوليّ ضدّ العدوّ، يقال منه تولّاه، والوليّ يجيء بمعنى الناصر أيضًا، وكل واحد من الفريقين صديق للآخر يعظمه ويهتمّ بشأنه ويخصّه بمعاونته ومظاهرته، بل لفظ الولاية غير مُشعر بمعنى الوراثة، إلّا أن المفسّرين حملوه على هذا المعنى بناءً على

من توليهم في الميراث («ولايتهم» حمزة). وقيل: هما واحد ﴿مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ۚ﴾ فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر ممن آمن وهاجر، ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الإيمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة، دلّ على أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ أي مَن أسلم ولم يهاجر ﴿فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ أي إن وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال، إذ الميثاق مانع من ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحذير عن تعدّي حد الشرع.

أن الولاية المُثبتة في هذه الآية هي الولاية المنفيّة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، والولاية المنفيّة فيه ليست بمعنى النّصرة؛ لأنه تعالى عطف عليه. قوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، ولا شكّ أنّ ذلك عبارة عن المُوالاة في الدين والمعطوف مغاير للمعطوف عليه، فوجب أن يكون المراد من الولاية المذكورة أمرًا مغايرًا لمعنى النّصرة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** («ولايتهم») بكسر الواو (حمزة)، والباقون بفتح الواو، وفي تفسير البيضاوي: قرأ حمزة: ﴿ولايتهم﴾ بالكسر تشبيهًا لها بالعمل والصناعة؛ كالكتابة والإمارة، كأنه بتولّيه صاحبه يزاول عملًا. اهـ. قال العلّامة شيخ زاده رحمه الله في حاشيته: قوله: تشبيهًا لها بالعمل، يريد أن المصدر الذي يجيء على فعالة بالكسر إنما يكون في الصناعات، وما يكون بمزاولة العمل كالكتابة والزراعة والخياطة والحراثة والنجارة والقصارة والصباغة ونحوها، والولاية ليست من هذا القبيل إلّا على سبيل التشبيه، فإنّ الوليّ بتولّيه صاحبه ونصرته كأنه يزاول عملًا، فشبَّه التولّي بالعمل ثم اسْتُعير له الولاية بالكسر. اهـ. وقال العلَّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: جاء في اللغة: الولاية مصدرًا بالفتح والكسر، فقيل: هما لغتان فيه بمعنًى واحد، وهو القرب الحسِّي والمعنويّ، وقيل: بينهما فرق فالفتح ولاية مولى النسب ونحوه، والكسر ولاية السلطان، قاله أبو عبيدة. وقيل: الفتح من النصرة، والنسب والكسرة من الإمارة، قاله الزجاج، وخطأ الأصمعي قراءة الكسر، وهو المخطىء لتواترها، واختلفوا في ترجيح إحدى القراءتين، ولمّا قال المحقّقون من أهل اللغة: إنّ فعالة بالكسر في الأسماء لما

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ ظاهره إثبات الموالاة بينهم، ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم و(مصارمتهم) وإن كانوا أقارب وأن يُتركوا يتوارثون بعضهم بعضًا. ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولّي بعضهم بعضًا حتى في التوارث تفضيلًا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تجعلوا قرابة الكفار كَلا قرابة ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأن المسلمين ما لم يصيروا يدًا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرًا والفساد زائدًا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن

يحيط بشيء، ويجعل فيه كاللّفافة والعمامة، وفي المصادر يكون في الصناعات، وما يزاول بالأعمال كالكتابة والخياطة ذهب الزجّاج وتبعه غيره إلى أن الولاية لاحتياجها إلى تمرّن وتدرب شبّهت بالصناعة، فلذا جاء فيها الكسر كالإمارة، وهذا يحتمل أن الواضع حين وضعها شبّهها بذلك، فتكون حقيقة ويحتمل كما في بعض شروح الكشاف أن تكون استعارة كما سمّوا الطب صناعة، لكنها وإنْ كان التصرّف فيها في الهيئة لا في المادّة استعارة أصليّة لوقوعها في المصدر دون المشتقّ، ومنه يعلم أنّ الاستعارة الأصلية قسمان ما يكون التجوّز في مادّته وما يكون في هيئته، وقوله: كأنه بتولّيه... الخ. أي كأنّ صاحبه يزاول عملًا بتولّيه، أي يحاوله ويعالجه وضمير كأنه للوليّ أو للشأن.

قوله: (مصارمتهم) في لسان العرب: الصَّرْم القطع البائن، وعمّ بعضهم به القطع أي نوع كان صرمه يصرمه صَرْمًا وصُرْمًا وانصرم. اهـ. وأيضًا فيه المصارمة بين الاثنين. اهـ.

ومفارقة الأهل و(السكن) والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا منّة فيه ولا (تنغيض) ولا تكرار، لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ﴾ يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ جعلهم منهم تفضلًا وترغيبًا ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة ﴿فِي كِتَٰبِ اللَّهِ﴾ **(في حكمه وقسمته أو في اللوح)**، أو في القرآن وهو آية المواريث **(وهو دليل لنا على توريث ذوي الأرحام)** ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيقضي بين عباده بما شاء من أحكامه. قسم الناس أربعة أقسام: قسم آمنوا وهاجروا، وقسم آمنوا ونصروا، وقسم آمنوا ولم يهاجروا، وقسم كفروا ولم يؤمنوا.

قوله: (السَّكَن) ـ بفتحتين ـ كل ما سكنت إليه. اهـ مختار الصِّحاح. وفي المصباح: السّكن ما يسكن إليه من أهلٍ ومال وغير ذلك، وهو مصدر سكنت إلى الشيء من باب طلب. اهـ. **قوله: (تنغيض)** أي تنقيص.

قوله: (في حكمه وقسمته أو في اللَوح)... الخ. لأن كتاب الله يُطلق على كلّ منها، وليس المراد آية المواريث؛ لأنه لا يناسب ما بعده، بل المراد هذه الآية، وفيه تأمّل. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (وهو دليل لنا على توريث ذوي الأرحام)**؛ لأن هذه الآية نسخ بها التوارث بالهجرة، ولم يفرّق بين العصبات وغيرهم، فهو حجّة في إثبات ميراث ذوي الأرحام الذين لا قسمة لهم ولا تعصيب، وبها احتجّ أيضًا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه على أنّ ذوي الأرحام أَوْلى من مولى العتاقة، وخالفه سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما يصح الاستدلال إذا لم يكن المراد بكتاب الله تعالى آيات المواريث السابقة في سورة النساء، وهذا آخر ما يتعلق بسورة الأنفال. **اللّهمّ اجعلنا ببركتها ممّن غنم رضاك وفاز بجزيل عطاياك** وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المحتويات